



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبحان

للغافل



عليكم يا صابغين
الرميا

WWW. **Ghaemiyeh** .com
WWW. **Ghaemiyeh** .org
WWW. **Ghaemiyeh** .net
WWW. **Ghaemiyeh** .ir

مَجْمَعُ الْبَيْتِ

فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ

لِلشَّيْخِ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَسَلِ بْنِ الْحَسَنِ الطَّبْرِيِّ

مُسْتَوْجِبٌ وَتَمْبِيهُ دَائِمٌ

مَكْتَبَةُ مَطْبَعَةِ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ وَ مَكْتَبَةُ مَدِينَةِ الْمَدِينَةِ
تَمَامٌ مِنْهَا

الجزء السادس

دار المعرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مجمع البيان فى تفسير القرآن

كاتب:

طبرسى (معروف) ، امين الاسلام ابو على فضل بن حسن
(صاحب مجمع البيان و اعلام الورى و...)

نشرت فى الطباعة:

دار المعرفة

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٣٧	مجمع البيان فى تفسير القرآن المجلد ٦
٣٧	اشاره
٣٧	اشاره
٤٠	(١٣) سورة الرعد مدنیه و آیاتها ثلاث و أربعون (٤٣)
٤٠	اشاره
٤٠	[توضیح]
٤٠	عدد آیها
٤٠	فضلها
٤٠	تفسیرها
٤١	[سوره الرعد (١٣): الآيات ١ الى ٢]
٤١	اشاره
٤١	[توضیح]
٤١	اللغه
٤١	الإعراب
٤١	المعنى
٤٤	[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣ الى ٤]
٤٤	اشاره
٤٤	القراءه
٤٤	الحجه
٤٥	المعنى
٤٧	[سوره الرعد (١٣): الآيات ٥ الى ٧]
٤٧	اشاره
٤٧	القراءه

٤٧ الحجه

٤٧ اللغه

٤٨ المعنى

٥٠ [سوره الرعد (١٣): الآيات ٨ الى ١١]

٥٠ اشاره

٥٠ القراءه

٥٠ الحجه

٥١ اللغه

٥٢ الإعراب

٥٢ المعنى

٥٥ [سوره الرعد (١٣): الآيات ١٢ الى ١٥]

٥٥ اشاره

٥٥ القراءه

٥٥ الحجه

٥٥ اللغه

٥٦ المعنى

٥٩ [سوره الرعد (١٣): آيه ١٦]

٥٩ اشاره

٥٩ القراءه

٥٩ الحجه

٥٩ المعنى

٦١ [سوره الرعد (١٣): الآيات ١٧ الى ١٨]

٦١ اشاره

٦١ القراءه

٦١ الحجه

٦٢ اللغه

الإعراب ٦٢

المعنى ٦٢

[سوره الرعد (١٣): الآيات ١٩ الى ٢٤] ٦٤

اشاره ٦٤

اللغه ٦٤

الإعراب ٦٥

المعنى ٦٥

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٢٥ الى ٢٩] ٦٩

اشاره ٦٩

اللغه ٦٩

الإعراب ٦٩

المعنى ٦٩

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٠ الى ٣١] ٧٣

اشاره ٧٣

القرءاه ٧٣

الحجه ٧٣

اللغه ٧٣

المعنى ٧٥

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٢ الى ٣٤] ٧٧

اشاره ٧٧

القرءاه ٧٧

الحجه ٧٧

اللغه ٧٨

المعنى ٧٨

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٥ الى ٣٧] ٧٩

اشاره ٧٩

اللغة ٨٠

الإعراب ٨٠

المعنى ٨٠

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٨ الى ٤٠] ٨١

اشاره ٨١

القراءة ٨١

الحجه ٨٢

المعنى ٨٢

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٤١ الى ٤٣] ٨٦

اشاره ٨٦

القراءة ٨٦

الحجه ٨٦

اللغة ٨٦

الإعراب ٨٨

المعنى ٨٨

(١٤) سوره إبراهيم مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢) ٩٠

اشاره ٩٠

[توضيح] ٩٠

عدد آياتها ٩٠

اختلافها ٩٠

فضلها ٩٠

تفسيرها ٩٠

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١ الى ٣] ٩١

اشاره ٩١

القراءة ٩١

الحجه ٩١

اللغة ٩٣

المعنى ٩٣

سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٤ الى ٦ ٩٣

اشاره ٩٣

اللغة ٩٤

الإعراب ٩٤

المعنى ٩٤

سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٧ الى ١٠ ٩٤

اشاره ٩٤

اللغة ٩٤

الإعراب ٩٤

المعنى ٩٤

سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١١ الى ١٢ ٩٩

اشاره ٩٩

المعنى ٩٩

سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١٣ الى ١٨ ١٠٠

اشاره ١٠٠

القراءة ١٠٠

الحجه ١٠٠

اللغة ١٠٠

الإعراب ١٠٢

المعنى ١٠٢

سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١٩ الى ٢١ ١٠٤

اشاره ١٠٤

القراءة ١٠٤

الحجه ١٠٤

اللغه - ١٠٤

[سوره إبراهيم (١٤): آيه ٢٢] - ١٠٦

اشاره - ١٠٦

القراءه - ١٠٦

الحجه - ١٠٦

اللغه - ١٠٧

المعنى - ١٠٧

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢٣ الى ٢٦] - ١٠٨

اشاره - ١٠٨

القراءه - ١٠٨

الحجه - ١٠٨

اللغه - ١٠٨

المعنى - ١٠٨

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢٧ الى ٣٠] - ١١٠

اشاره - ١١٠

اللغه - ١١٠

المعنى - ١١١

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣١ الى ٣٤] - ١١٣

اشاره - ١١٣

القراءه - ١١٣

الحجه - ١١٣

اللغه - ١١٤

الإعراب - ١١٤

المعنى - ١١٤

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣٥ الى ٤١] - ١١٦

اشاره - ١١٦

١١٦-----القرءاه

١١٧-----الحجه

١١٧-----اللغه

١١٨-----المعنى

١٢١-----[سوره ابراهيم (١٤): الآيات ٤٢ الى ٤٥]

١٢١-----اشاره

١٢١-----اللغه

١٢٢-----الإعراب

١٢٢-----المعنى

١٢٤-----[سوره ابراهيم (١٤): الآيات ٤٦ الى ٥٢]

١٢٤-----اشاره

١٢٤-----القرءاه

١٢٤-----الحجه

١٢٥-----اللغه

١٢٤-----الإعراب

١٢٤-----المعنى

١٣١----- (١٥) سوره الحجر مكيه و آياتها تسع و تسعون (٩٩)

١٣١-----اشاره

١٣١-----[توضيح]

١٣١-----فضلها

١٣١-----تفسيرها

١٣١-----[سوره الحجر (١٥): الآيات ١ الى ٥]

١٣١-----اشاره

١٣١-----القرءاه

١٣٢-----الحجه

١٣٤-----الإعراب

المعنى ١٣٤

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٦ الى ١٨] ١٣٦

اشاره ١٣٦

القراءه ١٣٦

الحجه ١٣٦

اللغه ١٣٦

الإعراب ١٣٨

المعنى ١٣٨

[سوره الحجر (١٥): الآيات ١٩ الى ٢٥] ١٤٠

اشاره ١٤٠

القراءه ١٤٠

الحجه ١٤١

اللغه ١٤١

المعنى ١٤٢

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٢٦ الى ٣٥] ١٤٥

اشاره ١٤٥

اللغه ١٤٥

الإعراب ١٤٥

المعنى ١٤٦

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٣٦ الى ٤٤] ١٤٨

اشاره ١٤٨

القراءه ١٤٨

الحجه ١٤٨

اللغه ١٤٨

المعنى ١٤٨

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٤٥ الى ٥٠] ١٥١

١٥١ اشارة

١٥١ اللغة

١٥١ المعنى

١٥٢ [سوره الحجر (١٥): الآيات ٥١ الى ٦٠]

١٥٢ اشارة

١٥٢ القراءة

١٥٣ الحججه

١٥٣ اللغة

١٥٤ المعنى

١٥٥ [سوره الحجر (١٥): الآيات ٦١ الى ٧٢]

١٥٥ اشارة

١٥٥ اللغة

١٥٦ الإعراب

١٥٦ المعنى

١٥٨ [سوره الحجر (١٥): الآيات ٧٣ الى ٨٤]

١٥٨ اشارة

١٥٨ القراءة

١٥٨ الحججه

١٥٨ اللغة

١٥٨ الإعراب

١٥٩ المعنى

١٦١ [سوره الحجر (١٥): الآيات ٨٥ الى ٩١]

١٦١ اشارة

١٦١ اللغة

١٦٢ المعنى

١٦٥ [سوره الحجر (١٥): الآيات ٩٢ الى ٩٩]

١٦٥ اشارة

١٦٥ اللغه

١٦٦ المعنى

١٦٨ (١٦) سورة النحل مكيه و آياتها ثمان و عشرون و مائه (١٢٨) -

١٦٨ اشارة

١٦٨ [توضيح]

١٦٨ عدد آيها

١٦٨ فضلها

١٦٨ تفسيرها

١٦٩ [سوره النحل (١٦): الآيات ١ الى ٢]

١٦٩ اشارة

١٦٩ القراءه

١٦٩ اللغه

١٧٠ المعنى

١٧٢ [سوره النحل (١٦): الآيات ٣ الى ٧]

١٧٢ اشارة

١٧٢ القراءه

١٧٢ الحجه

١٧٢ اللغه

١٧٢ الإعراب

١٧٢ المعنى

١٧٥ [سوره النحل (١٦): الآيات ٨ الى ١٣]

١٧٥ اشارة

١٧٥ القراءه

١٧٥ الحجه

١٧٦ اللغه

الإعراب ١٧٧

المعنى ١٧٧

[سوره النحل (١٦): الآيات ١٤ الى ١٨] ١٧٩

اشاره ١٧٩

القراءه ١٧٩

الحجه ١٧٩

اللغه ١٧٩

الإعراب ١٧٩

المعنى ١٨٠

[سوره النحل (١٦): الآيات ١٩ الى ٢٣] ١٨١

اشاره ١٨١

القراءه ١٨١

الحجه ١٨١

المعنى ١٨١

[سوره النحل (١٦): الآيات ٢٤ الى ٢٩] ١٨٣

اشاره ١٨٣

القراءه ١٨٣

الحجه ١٨٣

اللغه ١٨٣

الإعراب ١٨٣

المعنى ١٨٥

[سوره النحل (١٦): الآيات ٣٠ الى ٣٤] ١٨٧

اشاره ١٨٧

الإعراب ١٨٧

المعنى ١٨٧

[سوره النحل (١٦): الآيات ٣٥ الى ٣٧] ١٨٩

١٨٩ اشارة

١٨٩ القراءه

١٨٩ الحججه

١٨٩ اللغه

١٨٩ المعنى

١٩٢ [سوره النحل (١٦): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

١٩٢ اشارة

١٩٢ القراءه

١٩٢ الحججه

١٩٢ الإعراب

١٩٢ المعنى

١٩٤ [سوره النحل (١٦): الآيات ٤١ الى ٤٤]

١٩٤ اشارة

١٩٤ القراءه

١٩٤ الحججه

١٩٥ المعنى

١٩٧ [سوره النحل (١٦): الآيات ٤٥ الى ٥٠]

١٩٧ اشارة

١٩٧ القراءه

١٩٧ الحججه

١٩٧ اللغه

٢٠١ [سوره النحل (١٦): الآيات ٥١ الى ٥٥]

٢٠١ اشارة

٢٠٢ اللغه

٢٠٢ الإعراب

٢٠٢ المعنى

٢٠٤ [سوره النحل (١٦): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

٢٠٤ اشاره

٢٠٤ اللغه

٢٠٤ الإعراب

٢٠٤ المعنى

٢٠٧ [سوره النحل (١٦): الآيات ٦١ الى ٦٥]

٢٠٧ اشاره

٢٠٧ القراءة

٢٠٧ الحججه

٢٠٨ الإعراب

٢٠٨ المعنى

٢٠٩ [سوره النحل (١٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

٢٠٩ اشاره

٢١٠ القراءة

٢١٠ الحججه

٢١٠ اللغه

٢١١ الإعراب

٢١٣ المعنى

٢١٦ [سوره النحل (١٦): الآيات ٧١ الى ٧٤]

٢١٦ اشاره

٢١٦ القراءة

٢١٦ اللغه

٢١٦ المعنى

٢١٩ [سوره النحل (١٦): الآيات ٧٥ الى ٧٧]

٢١٩ اشاره

٢١٩ القراءة

٢١٩ الحجه

٢١٩ اللغة

٢١٩ الإعراب

٢٢٠ المعنى

٢٢١ [سوره النحل (١٦): الآيات ٧٨ الى ٨٠]

٢٢١ اشاره

٢٢١ القراءة

٢٢٢ الحجه

٢٢٢ اللغة

٢٢٣ المعنى

٢٢٤ [سوره النحل (١٦): الآيات ٨١ الى ٨٥]

٢٢٤ اشاره

٢٢٤ اللغة

٢٢٤ الإعراب

٢٢٤ المعنى

٢٢٧ [سوره النحل (١٦): الآيات ٨٦ الى ٩٠]

٢٢٧ اشاره

٢٢٧ اللغة

٢٢٧ المعنى

٢٣٠ [سوره النحل (١٦): الآيات ٩١ الى ٩٤]

٢٣٠ اشاره

٢٣٠ اللغة

٢٣١ المعنى

٢٣٣ [سوره النحل (١٦): الآيات ٩٥ الى ١٠٠]

٢٣٣ اشاره

٢٣٣ القراءة

٢٣٣ الحجه

٢٣٣ اللغه

٢٣٤ الإعراب

٢٣٤ المعنى

٢٣٤ [سوره النحل (١٦): الآيات ١٠١ الى ١٠٥]

٢٣٤ اشاره

٢٣٤ القراءة

٢٣٤ الحجه

٢٣٤ اللغه

٢٣٩ [سوره النحل (١٦): الآيات ١٠٦ الى ١١٠]

٢٣٩ اشاره

٢٣٩ القراءة

٢٣٩ الحجه

٢٣٩ الإعراب

٢٤١ المعنى

٢٤٢ [سوره النحل (١٦): الآيات ١١١ الى ١١٥]

٢٤٢ اشاره

٢٤٢ القراءة

٢٤٢ الحجه

٢٤٢ اللغه

٢٤٣ المعنى

٢٤٤ [سوره النحل (١٦): الآيات ١١٦ الى ١١٩]

٢٤٤ اشاره

٢٤٤ الإعراب

٢٤٤ المعنى

٢٤٤ [سوره النحل (١٦): الآيات ١٢٠ الى ١٢٤]

٢٤٤ اشارة

٢٤٤ المعنى

٢٤٧ [سوره النحل (١٦): الآيات ١٢٥ الى ١٢٨]

٢٤٧ اشارة

٢٤٧ القراءه

٢٤٧ الحججه

٢٤٨ المعنى

٢٥٠ (١٧) سوره الإسراء مكيه و آياتها إحدى عشره و مائه (١١١)

٢٥٠ اشارة

٢٥٠ [توضيح]

٢٥٠ عدد آيها

٢٥٠ اختلافها

٢٥٠ فضلها

٢٥٠ تفسيرها

٢٥١ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ١ الى ٣]

٢٥١ اشارة

٢٥١ القراءه

٢٥١ الحججه

٢٥١ الإعراب

٢٥٤ المعنى

٢٥٥ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤ الى ٨]

٢٥٥ اشارة

٢٥٤ القراءه

٢٥٤ الحججه

٢٥٤ اللغه

٢٥٧ المعنى

٢٦١ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩ الى ١٢]

٢٦١ اشارة

٢٦١ اللغة

٢٦١ الإعراب

٢٦١ المعنى

٢٦٤ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ١٣ الى ١٥]

٢٦٤ اشارة

٢٦٤ القراءة

٢٦٤ الحججه

٢٦٤ اللغة

٢٦٤ الإعراب

٢٦٤ المعنى

٢٦٨ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ١٦ الى ٢٢]

٢٦٨ اشارة

٢٦٨ القراءة

٢٦٨ القراءة العامه «أَمْزَنَا» بالتخفيف غير ممدود و

٢٦٨ الحججه

٢٦٩ اللغة

٢٦٩ الإعراب

٢٧٠ المعنى

٢٧٣ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٢٣ الى ٢٥]

٢٧٣ اشارة

٢٧٣ القراءة

٢٧٣ الحججه

٢٧٤ الإعراب

٢٧٤ المعنى

٢٧٧ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٢٦ الى ٣٠]

٢٧٧ اشاره

٢٧٧ اللغة

٢٧٧ الإعراب

٢٧٧ المعنى

٢٨١ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٣١ الى ٣٥]

٢٨١ اشاره

٢٨١ القراءة

٢٨١ الحججه

٢٨٣ المعنى

٢٨٥ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

٢٨٥ اشاره

٢٨٥ القراءة

٢٨٥ الحججه

٢٨٦ اللغة

٢٨٦ الإعراب

٢٨٧ المعنى

٢٨٨ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤١ الى ٤٤]

٢٨٨ اشاره

٢٨٨ القراءة

٢٨٩ الحججه

٢٨٩ المعنى

٢٩١ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤٥ الى ٤٨]

٢٩١ اشاره

٢٩١ اللغة

٢٩١ الإعراب

٢٩١ المعنى

٢٩٤ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤٩ الى ٥٢]

٢٩٤ اشاره

٢٩٤ اللغة

٢٩٥ المعنى

٢٩٦ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٣ الى ٥٧]

٢٩٦ اشاره

٢٩٦ اللغة

٢٩٦ الإعراب

٢٩٧ المعنى

٢٩٩ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

٢٩٩ اشاره

٢٩٩ اللغة

٢٩٩ الإعراب

٣٠٠ المعنى

٣٠٢ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٦١ الى ٦٥]

٣٠٢ اشاره

٣٠٢ القراءة

٣٠٢ الحجه

٣٠٣ اللغة

٣٠٣ الإعراب

٣٠٤ المعنى

٣٠٦ [سوره الإسراء (١٧): الآيات ٦٦ الى ٦٩]

٣٠٦ اشاره

٣٠٦ القراءة

٣٠٦ الحجه

اللغه - ٣٠٦

المعنى - ٣٠٦

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٠ الى ٧٢] - ٣٠٨

اشاره - ٣٠٨

القرءاه - ٣٠٨

الحجه - ٣٠٩

المعنى - ٣٠٩

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٣ الى ٧٥] - ٣١٢

اشاره - ٣١٢

الإعراب - ٣١٢

المعنى - ٣١٣

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٦ الى ٧٧] - ٣١٤

اشاره - ٣١٤

القرءاه - ٣١٤

الحجه - ٣١٤

الإعراب - ٣١٥

المعنى - ٣١٥

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٨ الى ٨١] - ٣١٦

اشاره - ٣١٦

اللغه - ٣١٦

الإعراب - ٣١٧

المعنى - ٣١٧

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٨٢ الى ٨٤] - ٣٢٠

اشاره - ٣٢٠

القرءاه - ٣٢٠

الحجه - ٣٢٠

اللغه - ٣٢٠

المعنى - ٣٢١

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٨٥ الى ٨٩] - ٣٢٢

اشاره - ٣٢٢

اللغه - ٣٢٢

الإعراب - ٣٢٢

المعنى - ٣٢٢

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩٠ الى ٩٥] - ٣٢٥

اشاره - ٣٢٥

القراءه - ٣٢٥

الحجه - ٣٢٥

اللغه - ٣٢٦

المعنى - ٣٢٧

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٩٦ الى ١٠٠] - ٣٢٩

اشاره - ٣٢٩

اللغه - ٣٢٩

الإعراب - ٣٢٩

المعنى - ٣٣٠

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ١٠١ الى ١٠٥] - ٣٣٢

اشاره - ٣٣٢

القراءه - ٣٣٢

الحجه - ٣٣٢

اللغه - ٣٣٢

المعنى - ٣٣٢

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ١٠٦ الى ١١١] - ٣٣٦

اشاره - ٣٣٦

٣٣٦ القراءه

٣٣٦ القراءه المشهوره فى «فَرْقَنَاهُ» بالتخفيف و

٣٣٦ الحجه

٣٣٦ الإعراب

٣٣٦ المعنى

٣٤٠ (١٨) سوره الكهف مكيه و آياتها عشر و مائه (١١٠)

٣٤٠ اشاره

٣٤٠ [توضيح]

٣٤٠ عدد آيها

٣٤٠ اختلافها

٣٤٠ فضلها

٣٤٢ تفسيرها

٣٤٢ [سوره الكهف (١٨): الآيات ١ الى ٦]

٣٤٢ اشاره

٣٤٢ القراءه

٣٤٣ الحجه

٣٤٣ اللغه

٣٤٤ المعنى

٣٤٥ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٧ الى ٨]

٣٤٥ اشاره

٣٤٥ اللغه

٣٤٦ الإعراب

٣٤٦ المعنى

٣٤٦ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٩ الى ١٢]

٣٤٦ اشاره

٣٤٦ اللغه

المعنى - ٣٤٨ -----

[سوره الكهف (١٨): الآيات ١٣ الى ١٦] - ٣٥٠ -----

اشاره ٣٥٠ -----

القراءه ٣٥٠ -----

الحجه ٣٥٠ -----

اللغه ٣٥٠ -----

الإعراب ٣٥١ -----

المعنى ٣٥١ -----

[سوره الكهف (١٨): الآيات ١٧ الى ١٨] - ٣٥٢ -----

اشاره ٣٥٢ -----

القراءه ٣٥٢ -----

الحجه ٣٥٢ -----

اللغه ٣٥٣ -----

الإعراب ٣٥٤ -----

المعنى ٣٥٥ -----

[سوره الكهف (١٨): الآيات ١٩ الى ٢٠] - ٣٥٧ -----

اشاره ٣٥٧ -----

القراءه ٣٥٧ -----

الحجه ٣٥٧ -----

الإعراب ٣٥٧ -----

المعنى ٣٥٧ -----

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٢١ الى ٢٤] - ٣٥٩ -----

اشاره ٣٥٩ -----

اللغه ٣٥٩ -----

الإعراب ٣٥٩ -----

المعنى ٣٦١ -----

٣٦٥ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٥ الى ٢٧]

٣٦٥ اشارة

٣٦٥ القراءه

٣٦٥ الحججه

٣٦٧ المعنى

٣٦٨ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٨ الى ٢٩]

٣٦٨ اشارة

٣٦٨ القراءه

٣٦٨ الحججه

٣٦٩ اللغه

٣٧٠ المعنى

٣٧١ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٠ الى ٣١]

٣٧١ اشارة

٣٧٢ اللغه

٣٧٢ المعنى

٣٧٣ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٢ الى ٣٦]

٣٧٣ اشارة

٣٧٣ القراءه

٣٧٣ الحججه

٣٧٤ اللغه

٣٧٤ الإعراب

٣٧٤ المعنى

٣٧٦ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٧ الى ٤٤]

٣٧٦ اشارة

٣٧٦ القراءه

٣٧٧ الحججه

اللغه - ٣٧٩

الإعراب - ٣٧٩

المعنى - ٣٧٩

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٤٥ الى ٤٩] - ٣٨٢

اشاره - ٣٨٢

القراءه - ٣٨٢

الحجه - ٣٨٢

اللغه - ٣٨٢

الإعراب - ٣٨٢

المعنى - ٣٨٢

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٥٠ الى ٥٢] - ٣٨٦

اشاره - ٣٨٦

القراءه - ٣٨٦

الحجه - ٣٨٦

اللغه - ٣٨٦

الإعراب - ٣٨٧

المعنى - ٣٨٧

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٥٣ الى ٥٦] - ٣٨٩

اشاره - ٣٨٩

القراءه - ٣٨٩

الحجه - ٣٨٩

اللغه - ٣٨٩

المعنى - ٣٨٩

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٥٧ الى ٥٩] - ٣٩١

اشاره - ٣٩١

القراءه - ٣٩١

٣٩١ الحجه

٣٩١ الإعراب

٣٩١ المعنى

٣٩٣ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٦٠ الى ٦٤]

٣٩٣ اشاره

٣٩٣ القراءه

٣٩٣ اللغه

٣٩٣ الإعراب

٣٩٤ المعنى

٣٩٧ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٦٥ الى ٧٥]

٣٩٧ اشاره

٣٩٧ القراءه

٣٩٨ الحجه

٣٩٨ اللغه

٣٩٨ الإعراب

٣٩٨ المعنى

٤٠٢ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٧٦ الى ٨٢]

٤٠٢ اشاره

٤٠٢ القراءه

٤٠٣ الحجه

٤٠٤ اللغه

٤٠٦ الإعراب

٤٠٦ المعنى

٤١١ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٨٣ الى ٨٧]

٤١١ اشاره

٤١١ القراءه

٤١١ الحجه

٤١١ اللغه

٤١٣ الإعراب

٤١٣ المعنى

٤١٤ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٨٨ الى ٩٢]

٤١٤ اشاره

٤١٥ القراءه

٤١٥ الحجه

٤١٥ المعنى

٤١٦ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٩٣ الى ٩٨]

٤١٦ اشاره

٤١٦ القراءه

٤١٦ الحجه

٤١٩ اللغه

٤١٩ المعنى

٤٢٢ [سوره الكهف (١٨): الآيات ٩٩ الى ١٠٦]

٤٢٢ اشاره

٤٢٢ القراءه

٤٢٢ الحجه

٤٢٢ اللغه

٤٢٣ الإعراب

٤٢٣ المعنى

٤٢٥ [سوره الكهف (١٨): الآيات ١٠٧ الى ١١٠]

٤٢٥ اشاره

٤٢٥ القراءه

٤٢٥ الحجه

- ٤٢٥ اللغة
- ٤٢٤ الإعراب
- ٤٢٤ المعنى
- ٤٢٩ (١٩) سورة مريم مكيه و آياتها ثمان و تسعون (٩٨)
- ٤٢٩ اشاره
- ٤٢٩ [توضيح]
- ٤٢٩ عدد آيها
- ٤٢٩ اختلافها
- ٤٢٩ فضلها
- ٤٢٩ تفسيرها
- ٤٣٠ [سوره مريم (١٩): الآيات ١ الى ٦]
- ٤٣٠ اشاره
- ٤٣٠ القراءه
- ٤٣٠ الحججه
- ٤٣٢ اللغة
- ٤٣٣ الإعراب
- ٤٣٣ المعنى
- ٤٣٥ [سوره مريم (١٩): الآيات ٧ الى ١١]
- ٤٣٥ اشاره
- ٤٣٥ القراءه
- ٤٣٦ الحججه
- ٤٣٦ اللغة
- ٤٣٧ الإعراب
- ٤٣٧ المعنى
- ٤٣٨ [سوره مريم (١٩): الآيات ١٢ الى ١٥]
- ٤٣٨ اشاره

اللغه - ٤٣٩

الإعراب - ٤٣٩

المعنى - ٤٣٩

[سوره مريم (١٩): الآيات ١٦ الى ٢٠] - ٤٤٢

اشاره - ٤٤٢

القراءه - ٤٤٢

الحجه - ٤٤٢

اللغه - ٤٤٢

المعنى - ٤٤٢

[سوره مريم (١٩): الآيات ٢١ الى ٣٠] - ٤٤٥

اشاره - ٤٤٥

القراءه - ٤٤٥

الحجه - ٤٤٥

اللغه - ٤٤٧

المعنى - ٤٤٩

[سوره مريم (١٩): الآيات ٣١ الى ٣٥] - ٤٥٣

اشاره - ٤٥٣

القراءه - ٤٥٣

الحجه - ٤٥٣

اللغه - ٤٥٣

المعنى - ٤٥٥

[سوره مريم (١٩): الآيات ٣٦ الى ٤٠] - ٤٥٦

اشاره - ٤٥٦

القراءه - ٤٥٦

الحجه - ٤٥٦

[سوره مريم (١٩): الآيات ٤١ الى ٥٠] - ٤٥٩

٤٥٩ اشارة

٤٥٩ القراءه

٤٥٩ اللغه

٤٥٩ المعنى

٤٦٢ [سوره مريم (١٩): الآيات ٥١ الى ٥٥]

٤٦٢ اشارة

٤٦٢ القراءه

٤٦٢ الحجه

٤٦٢ اللغه

٤٦٢ المعنى

٤٦٤ [سوره مريم (١٩): الآيات ٥٦ الى ٦٠]

٤٦٤ اشارة

٤٦٤ اللغه

٤٦٤ المعنى

٤٦٦ [سوره مريم (١٩): الآيات ٦١ الى ٦٥]

٤٦٦ اشارة

٤٦٦ القراءه

٤٦٦ الحجه

٤٦٧ الإعراب

٤٦٧ المعنى

٤٦٩ [سوره مريم (١٩): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

٤٦٩ اشارة

٤٦٩ القراءه

٤٦٩ الحجه

٤٦٩ اللغه

٤٧٠ الإعراب

المعنى ٤٧١

[سوره مريم (١٩): الآيات ٧١ الى ٧٥] ٤٧٢

اشاره ٤٧٢

القراءه ٤٧٢

الحجه ٤٧٢

اللغه ٤٧٣

الإعراب ٤٧٤

المعنى ٤٧٤

[سوره مريم (١٩): الآيات ٧٦ الى ٨٢] ٤٧٨

اشاره ٤٧٨

القراءه ٤٧٨

الحجه ٤٧٨

الإعراب ٤٧٩

المعنى ٤٨٠

[سوره مريم (١٩): الآيات ٨٣ الى ٩٢] ٤٨١

اشاره ٤٨١

القراءه ٤٨٢

الحجه ٤٨٢

اللغه ٤٨٣

الإعراب ٤٨٣

المعنى ٤٨٣

[سوره مريم (١٩): الآيات ٩٣ الى ٩٨] ٤٨٦

اشاره ٤٨٦

اللغه ٤٨٧

الإعراب ٤٨٧

المعنى ٤٨٧

مجمع البيان في تفسير القرآن المجلد ٦

اشاره

سرشناسه: طبرسي، فضل بن حسن، ٤٦٨ - ٥٤٨ ق.

عنوان و نام پديدآور: مجمع البيان في تفسير القرآن

تاليف ابوعلی الفضل بن الحسن الطبرسي

مصصح: هاشم رسولي

مصصح: فضل الله يزدي طباطبائي

مشخصات نشر: دارالمعرفه - بيروت - لبنان

مشخصات ظاهري: ١٠ ج.

يادداشت: عربي

موضوع: تفاسير شيعه -- قرن ٦ ق.

ص: ١

اشاره

بسم الله الرحمن الرحيم

ص: ٢

مجمع البيان فى تفسير القرآن

تأليف ابو على الفضل بن الحسن الطبرسى

مصحح: هاشم رسولى

مصحح: فضل الله يزدى طباطبايى

ص: ٣

(١٣) سورة الرعد مدنيه و آياتها ثلاث و أربعون (٤٣)

أشاره

[توضيح]

مكيه كلها عن ابن عباس و عطاء و قال الكلبي و مقاتل مكيه إلا آخر آيه منها نزلت في عبد الله بن سلام و قال سعيد بن جبير كيف تكون هذه الآيه نزلت في عبد الله بن سلام و السوره كلها مكيه و قال الحسن و عكرمه و قتاده إنها مدنيه إلا آيتين نزلتا بمكه و لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ و ما بعدها.

عدد آياتها

أربعون و سبع آيات شامى و خمس بصرى أربع حجازى ثلاث كوفى.

اختلافها

خمس آيات لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ غير الكوفى الأعمى وَ البصيرُ و سُوءُ الْحِسَابِ* شامى مِنْ كُلِّ بَابٍ عراقى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأ سورة الرعد أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد كل سحاب مضى و كل سحاب يكون إلى يوم القيامة و كان يوم القيامة من الموفين بعهد الله تعالى

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) من أكثر قراءة الرعد لم يصبه الله بصاعقه أبداً و إن كان مؤمناً أدخل الجنة بغير حساب و شفع فى جميع من يعرفه من أهل بيته و إخوانه.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة يوسف بذكر قصص الأنبياء افتتح هذه السوره بأن جميع ذلك آيات الكتاب و أن الذى أنزله هو الحق تعالى فقال:

ص: ٤

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المر تَلَمَّكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ (١) اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ (٢)

[توضيح]

و لم يعد أحد «المر» آيه و عد الكوفيون طه و حم* آيه لأن طه مشاكله لرءوس الآي التي بعدها بالألف مع أنه لا يشبه الاسم المفرد كما أشبه صاد و قاف و نون لأنها بمنزله باب و نوح.

اللغه

العمد و العمد جميعا بمعنى واحد و هما جمع عمود و عماد إلا أن عمدا جمع عمود و عماد و عمدا اسم للجمع و مثله أديم و آدم و إهاب و أهب و أفيق و أفق.

الإعراب

الذي أنزل يجوز أن يكون موضعه رفعا على الابتداء و يجوز أن يكون موضعه بالعطف على آيات الكتاب و يكون الحق مرفوعا على إضمار هو و يجوز أن يكون في موضع جر بالعطف على الكتاب و تقديره تلك آيات الكتاب و آيات الذي أنزل إليك من ربك و يكون الحق مرفوعا على الإضمار و يجوز أن يكون الحق مجرورا صفة للذي إذا جعلته عطفًا على الكتاب و لكنه لم يقرأ به أحد من القراء.

المعنى

«المر» قد فسرناه في أول البقره و بينا ما قيل فيه و

روى أن معناه أنا الله أعلم و أرى

«تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ» أي هذه السوره هي آيات الكتاب التي تقدم الوعد بها ليست بمفتريات و لا بسحر و الكتاب القرآن عن ابن عباس و الحسن و قيل إن الكتاب عباره عن التوراه و الإنجيل عن مجاهد و قتاده و يكون تقديره تلك الأخبار التي قصصتها عليك آيات التوراه و الإنجيل و الكتب المتقدمه و الآيات الدلالات العجيبه المؤديه إلى المعرفه بالله سبحانه و أنه لا يشبه الأشياء و لا تشبهه «وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ» يعنى و هذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق فاعتصم بالله و اعمل بما فيه و على القول الأول فإنه وصف القرآن بصفتين إحداهما بأنه كتاب و الأخرى بأنه منزل «وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

يُؤْمِنُونَ» أى لا يصدقون بأنه منزل و أنه حق مع وضوحه «اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا» لما ذكر الله سبحانه أنهم لا يؤمنون عرف الدليل الذى يوجب التصديق بالخالق و يريد بالعمد

ص: ٥

السوارى و الدعائم و قيل فيه قولان (أحدهما) أن المراد رفع السماوات بغير عمد و أنتم ترونها كذلك عن ابن عباس و الحسن و قتاده و الجبائى و أبى مسلم و هو الأصح قال ابن عباس يعنى ليس من دونها دعامة يدعمها و لا فوقها علاقه تمسكها قال الزجاج و فى ذلك من القدر و الدلاله ما لا شىء أوضح منه لأن السماء محيطه بالأرض متبريه منها بغير عمد (و الآخر) أن يكون ترونها من نعت العمدة فيكون المعنى بغير عمد مرثيه فعلى هذا تعمدتها قدره الله عز و جل و روى ذلك عن ابن عباس و مجاهد «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» قد مضى تفسيره و إذا حملنا الاستواء على معنى الملك و الاقتدار فالوجه فى إدخال ثم فيه و لم يزل سبحانه كذلك أن المراد اقتداره على تصريفه و تقليبه و إذا كان كذلك فلا يكاد القديم سبحانه يوصف به إلا و قد وجد نفس العرش «وَسَيَخْرُ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ» أى ذللهما لمنافع خلقه و مصالح عباده و «كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى» أى كل واحد منهما يجرى إلى وقت معلوم و هو فناء الدنيا و قيام الساعة التى تكور عندها الشمس و يخسف القمر و تنكدر النجوم عن الحسن و قال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما و منازلهما التى ينتهيان إليها و لا يجاوزانها و للشمس مائه و ثمانون منزلا تنزل كل يوم منزلا- حتى ينتهى إلى آخر منازلها «يُدَبِّرُ الْأَمْرَ» أى يدبر الله كل أمر من أمور السماوات و الأرض و أمور الخلق على وجه توجيه الحكمة و تقتضيه المصلحه «يُفَضِّلُ الْآيَاتِ» أى يأتى بآيه فى إثر آيه فصلا مميزا بعضها عن بعض ليكون أمكن للاعتبار و التفكير و قيل معناه يبين الدلائل بما يحدثه فى السماوات و الأرض «لَعَلَّكُمْ يَلْقَاءَ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ» أى لكى توقنوا بالبعث و النشور و تعلموا أن القادر على هذه الأشياء قادر على البعث بعد الموت و فى هذا دلالة على وجوب النظر المؤدى إلى معرفه الله تعالى و على بطلان التقليد و لو لا ذلك لم يكن لتفصيل الآيات معنى.

إشارة

وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٣) وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٍ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفُضٌ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٤)

القراءة

قد ذكرنا الاختلاف في قوله «يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ» في سوره الأعراف وقرأ ابن كثير و أبو عمر و يعقوب و حفص «وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ» جميعها بالرفع و الباقر بالجر في الجميع وقرأ حفص صنوان بضم الصاد و كذلك رواه الحلواني عن القواس وقرأ الباقر بكسر الصاد و في الشواذ قراءة الحسن و قتاده صنوان وقرأ «يُسْقَى» بالياء ابن عامر و زيد و رويس عن يعقوب وقرأ الباقر تسقى بالتاء وقرأ أهل الكوفة غير عاصم وروح عن يعقوب و يفضل بالياء و الباقر بالنون.

الحج

قال أبو علي من رفع قوله «وَزُرُوعٌ» فتقديره و في الأرض زرع و نخيل صنوان فجعله محمولا- على قوله وَفِي الْأَرْضِ قَطْعٌ وَ لَمْ يَجْعَلْهُ مَحْمُولًا- على ما في الجنات من الأعناب و الجنة على هذا تقع على الأرض التي فيها الأعناب دون غيرها كما تقع على الأرض التي فيها الأعناب و النخيل دون غيرها و يقوى ذلك قول زهير

كان عيني في غربي مقتله من النواضح تسقى جنه سحقا

فالمعنى تسقى نخيل جنه فأما من قرأ بالجر فإنه حمل النخيل و الزرع على الأعناب فكأنه قال جنات من أعناب من زرع و نخيل و الدليل على أن الأرض إذا كان فيها النخل و الكرم و الزرع سميت جنه قوله «جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخِيلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا» فكما سميت الأرض ذات العنب و النخل و الزرع جنه كذلك يكون النخيل و الزرع محمولين على الأعناب فتكون الجنة من هذه الأشياء و يقوى ذلك قوله.

أقبل سيل جاء من أمر الله يحدد حرد الجنة المغله

و الغله إنما هي ما يكال بالقفيز في أكثر الأمر قال و الصنوان فيما يذهب إليه أبو عبيده

صفه للنخيل و المعنى أن يكون من أصل واحد ثم يتشعب من الرؤوس فيصير نخلا و نخلين قال و قال «يُسقى بِماءٍ واحدٍ» لأنها تشرب من أصل واحد وَ نُفَّضَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكْلِ وَ هِيَ التمر و أجاز غيره أن يكون الصنوان من صفه الجنات و كأنه يكون يراد به فى المعنى ما فى الجنات و إن جرى على لفظ الجنات و على هذا يجوز أن ترفع و إن جررت النخيل لأن الجنات مرفوعة و لم يحك هذا فى قراءه السبعه و أما الكسره التى فى صنوان فليست التى كانت فى صنو كما أن الكسره التى فى قنو ليست فى قنوان لأن تلك قد حذفت فى التكسير و عاقبتها الكسره التى يجتلبها التكسير و كذلك الكسره التى فى هجان و أنت تريد الجمع ليست الكسره التى كانت فى الواحد و لكنه مثل الكسره التى فى ظراف إذا جمعت عليه ظريفا و أما من ضم الصاد من صنوان فإنه جعله مثل ذئب و ذؤبان و ربما تعاقب فعلان و فعلان على البناء الواحد نحو حش و حشان و حشان و أما صنوان بفتح الصاد فليست من أمثله الجمع المكسر فإن صح ذلك فإنه يكون اسما للجمع لا مثالا له من أمثله التكسير فيكون بمنزله الجامل و السامر و مثله قولهم السعدان و الضمران فى الجمع و من قرأ تسقى بالتاء فالمراد تسقى هذه الأشياء و من قرأ بالياء حملة على الزرع وحده.

المعنى

لما ذكر سبحانه و تعالى فى الآيه من نعمائه و آلائه على عباده فى رفع السماوات و تسخير الشمس و القمر و دل بذلك على وحدانيته عقبه بذكر الأرض و ما فيها من الآيات فقال «وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ» أى بسطها طولا و عرضا ليتمكن الحيوانات من الثبات فيها و الاستقرار عليها «وَ جَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ» أى جبالا ثابتة لتمسك الأرض و لو أراد أن يمسكها من غير جبال لفعل إلا أنه أمسكها بالرواسي لأن ذلك أقرب إلى أفهام الناس و ادعى لهم إلى الاستدلال و النظر «وَ أَنهَاراً» أى و شق فيها أنهارا تجرى فيها المياه و لو لا الأنهار لضاع أكثر المياه و لما أمكن الشرب و السقى «وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحِينَ اثْنَيْنِ» أى و جعل فى الأرض من كل الثمرات لمأكلهم و مطعمهم صنفين أسود و أبيض و حلوا و حامضا و صيفيا و شتويا و رطبا و يابسا عن ابن عباس و قيل الزوج قد يكون واحدا و قد يكون اثنين يقال زوج نعل و زوج نعلين عن أبى عبيده و إنما قال اثنين للتأكيد و الزوج فى الحيوانات عباره عن الذكر و الأنثى و فى الثمار عباره عن لونين و قال الماوردى: واحد الزوجين ذكر و أنثى كفحول النخل و إنائها و كذلك كل جنس من النبات و إن خفى الزوج الآخر حلو و حامض أو عذب و مالح أو أبيض و أسود أو أحمر و أصفر فإن كل جنس من النبات ذو نوعين فصارت كل ثمره زوجين هما أربعة أنواع «يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ» أى يلبس ظلمه الليل ضياء النهار عن الحسن و قيل يدخل الليل فى النهار و النهار فى الليل عن ابن عباس و قيل معناه يأتى بالليل

ليذهب بضياء النهار ويستره ليسكن الحيوانات فيه و يأتي بضياء النهار ليمحو ظلام الليل و ينصرف الناس فيه لمعايشهم «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فيما سبق ذكره «لآياتٍ» أى لدلالات واضحات على وحدانيه الله تعالى «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فيها فيستدلون منها على أن لهم صناعا «وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ» أى أبعاض متقاربات مختلفات فى التفاضل منها جبل صلب و لا ينبت شيئا و منها سهل حر ينبت و منها سبخه لا تنبت عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك بين الله سبحانه باختلاف هذه الأرضين مع تجاورها و تقارب بعضها من بعض فى الهياه و المنظر أنه قادر على كل شىء من الأصناف المختلفه و المؤتلفه و قيل إنها متجاورات بعضها عامر و بعضها غير عامر عن الزجاج «وَجَنَّاتٌ» أى بساتين «مِنْ أَعْنَابٍ وَ زُرْعٌ وَ نَخِيلٌ صِنَوَانٌ» أى نخلات من أصل واحد «وَ غَيْرُ صِنَوَانٍ» أى نخلات من أصول شتى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الصنوا الأصل يقال هذا صنوه أى أصله عن ابن الأنبارى و قيل إن الصنوان النخله تكون حولها النخلات و غير صنوان النخل المتفرق عن البراء بن عازب و سعيد بن جبير و قيل الصنوا المثل و الصنوان الأمثال و منها

قوله ص عم الرجل صنوا أبيه

عن الجبائى «يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ» أى يسقى ما ذكرناه من القطع المتجاوره و الجنات و النخيل المختلفه بماء الأنهار أو بماء السماء «و يفضل بعضها على بعض فى الأكل» أى و يفضل الله و من قرأ بالنون فالمعنى نفضل نحن بعضها على بعض فى الطعم و اللون و الطبع مع أن البئر واحده و الشرب واحد و الجنس واحد حتى يكون بعضها حامضا و بعضها حلوا و بعضها مرا فلو كانت بالطبع لما اختلف ألوانها و طعومها مع كون الأرض و الماء و الهواء واحدا و فى هذا أوضح دلالة على أن لهذه الأشياء صناعا قادرا أحدثها و أبدعها و دبرها على ما تقتضيه حكمته و الأكل الثمر الذى يؤكل «إِنَّ فِي ذَلِكَ» أى فى اختلاف ألوانها و طعومها عن ابن عباس و قيل إن فيما تقدم ذكره «لآياتٍ» أى حججا و دلالات «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» دلائل الله تعالى و يتفكرون فيها و يستدلون بها و

روى عن جابر قال: سمعت النبي ص يقول لعلى (عليه السلام) الناس من شجر شتى و أنا و أنت من شجره واحده ثم قرأ «وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَ جَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ» الآية.

ص: ٩

إشارة

وَإِنْ تَعْجَبَ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَمْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٥) وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ (٦) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ (٧)

القراءة

قرأ أبو جعفر إذا كنا بغير استفهام إنا بهمزة واحدة مطولة وكذلك يفعل بكل استفهامين يجتمعان في القرآن يستفهم بالثاني ولا يستفهم بالأول إلا في سورة الصافات والواقعه وأما نافع ويعقوب وسهل فإنهم يستفهمون بالأول بهمزة واحدة غير مطولة ولا يستفهمون بالثاني إلا في سورة النمل والعنكبوت إلا أن قالون عن نافع وزيدا عن يعقوب يمدان الهمزة مثل أبي جعفر والكسائي أيضا يستفهم بالأول ولا يستفهم بالثاني إلا في سورة النمل غير أنه يهمز بهمزيين وابن عامر مثل أبي جعفر لا يستفهم في إذا كل القرآن إلا في سورة الواقعه فإنه يستفهم في أ إذا وإنا جميعا بهمزيين همزتين بينهما مد آ إنا يهمز ثم يمد ثم يهمز على وزن عاعنا ولا يجمع بين استفهامين إلا هاهنا وفي سورة النمل يستفهم أ إذا بهمزيين إنا بنونين والكسائي مثله في هذا الموضع وأبو عمرو يستفهم فيهما جميعا وفي جميع أشباههما بهمزة واحدة مطولة وابن كثير يستفهم فيهما جميعا بهمزة واحدة غير مطولة وعاصم وحمزة وخلف يستفهمون فيهما بهمزيين همزتين كل القرآن وخالف ابن كثير وحفص عن عاصم في حرف واحد في العنكبوت وسنذكره هناك إن شاء الله.

الحجج

قال أبو علي: من استفهم في الجملتين فموضع إذا نصب بفعل مضمّر يدل على قوله «أ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» لأن هذا الكلام يدل على نبعث ونحشر فكأنه قال أ نبعث إذا كنا ترابا ومن لم يدخل الاستفهام في الجملة الثانية كان موضع إذا أيضا نصبا بما دل عليه قوله «أ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» فكأنه قال أ نبعث إذا كنا ترابا وما بعد أن في أنه لا يجوز أن يعمل فيما قبله بمنزلة الاستفهام فكما قدرت هذا الناصب لإذا مع الاستفهام لأن الاستفهام لا يعمل فيما قبله كذلك تقدره في أن لأن ما بعدها أيضا لا يعمل فيما قبلها ومن قرأ إذا كنا من غير استفهام إنا ينبغي أن يكون على مضمّر كما حل من تقدم على ذلك لأن ما بعد الاستفهام منقطع مما قبله.

اللغة

العجب والتعجب هجوم ما لا يعرف سببه على النفس والغل طوق تشد به

اليد إلى العنق و الاستعجال طلب التعجيل بالأمر و التعجيل تقديم الأمر قبل وقته و السيئه خصله تسوء النفس و نقيضها الحسنه و هى خصله تسر النفس و المثالات العقوبات واحدها مثله بفتح الميم و ضم الثاء و من قال فى الواحد مثله بضم الميم و سكون الثاء قال فى الجمع مثلات بضميتين نحو غرفه و غرفات و قيل فى جمعها مثلات و مثلات أيضا قال الشاعر:

و لما رأونا باديا ركبانا على موطن لا يخلط الجد بالهزل

رووه بفتح الكاف فى ركبات.

المعنى

لما تقدم ذكر الأدله على أنه سبحانه قادر على الإنشاء و الإعاده عقبه بالتعجب من تكذيبهم بالبعث و النشور فقال «وَ إِنْ تَعْجَبْ» يا محمد من قول هؤلاء الكفار فى إنكارهم البعث مع إقرارهم بابتداء خلق الخلق فقد وضعت التعجب موضعه لأن هذا قول عجب و معناه عجب للمخلوقين فإن معنى العجب فى صفات الله لا يجوز لأن العجب أن يشتبه عليه سر أمره فيستطرفه «فَعَجِبْتُ قَوْلَهُمْ» أى فقولهم عجب «أَ إِذَا كُنَّا تُرَابًا أَوْ إِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ» أى أ نبعث و نعاد بعد ما صرنا ترابا هذا مما لا يمكن و هذا منهم نهايه فى الأعجوبه فإن الماء إذا حصل فى الرحم استحال علقه ثم مضغه ثم لحما فإذا مات و دفن استحال ترابا فإذا جاز أن يتعلق الإنشاء بالاستحاله الأولى فلم لا يجوز تعلقه بالاستحاله الثانيه و سمي الله تعالى الإعاده خلقا جديدا و اختلف المتكلمون فيما يصح عليه الإعاده فقال بعضهم كلما يكون مقدورا للتقديم سبحانه خاصه و يصح عليه البقاء يصح عليه الإعاده و لا يصح الإعاده على ما لا يقدر على جنسه غيره تعالى و هذا قول أبى على الجبائى و قال آخرون كلما كان مقدورا له و هو مما يبقى يصح عليه الإعاده و هو قول أبى هاشم و من تابعه فعلى هذا يصح إعاده أجزاء الحياه ثم اختلفوا فيما يجب إعادته من الحى فقال أبو القاسم البلخى يعاد جميع أجزاء الشخص و قال أبو هاشم يعاد الأجزاء التى بها يتميز الحى من غيره و يعاد التأليف ثم رجع عن ذلك و قال تعاد الحياه مع البنيه و قال القاضى أبو الحسن تعاد البنيه و ما عدا ذلك يجوز فيه التبديل و هذا هو الأصح «أُولَئِكَ» المنكرون للبعث «الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ» أى جحدوا قدره الله تعالى على البعث «وَ أُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ» فى الآخره و قيل أراد به أغلال الكفر أى كفرهم أغلال فى أعناقهم «وَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» مضى تفسيره «وَ يَسْتَعْجِلُونَكَ» أى يستعجلك يا محمد هؤلاء المشركون «بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ» أى بالعذاب قبل الرحمه عن ابن عباس و مجاهد أى بالعقاب الذى توعدوا به على التكذيب قبل الثواب الذى وعدوا به على الإيمان و ذلك حين قالوا فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنْ

السَّمَاءِ وَقِيلَ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ الَّذِي تُوَعِدُهُمْ بِهِ قَبْلَ الْإِحْسَانِ بِالْإِنْظَارِ فَإِنْ أَنْظَرَ مِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الْعِقَابُ إِحْسَانٌ إِلَيْهِ كَمَا أَنْذَرَ مِنْ وَجِبَ عَلَيْهِ الدِّينَ وَ سَمَّاها سَيِّئَةً لِأَنَّها جِزَاءُ السَّيِّئَةِ «وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ» أَي مَضَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ «الْمَثَلَاتُ» أَي الْعُقُوبَاتُ الَّتِي يَقَعُ بِهَا الْإِعْتِبَارُ وَ هُوَ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْمَسْخِ وَالْخَسْفِ وَالْغُرُقِ وَ قَدْ سَلَكَ هَؤُلَاءُ طَرِيقَتَهُمْ فَكَيْفَ يَتَجَسَّرُونَ عَلَى اسْتَعْجَالِهَا وَ قِيلَ هِيَ الْعُقُوبَةُ الْفَاضِحَةُ الَّتِي تَسِيرُ بِهَا الْأَمْثَالُ وَ تَقْدِيرُهُ وَ قَدْ خَلَّتِ الْمَثَلَاتُ بِأَقْوَامٍ أَوْ خَلَا أَصْحَابُ الْمَثَلَاتِ فَحُذِفَ الْمُضَافُ «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَمَعْدُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ» قَالَ الْمُرْتَضَى (رَه) فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى جَوَازِ الْمَغْفِرَةِ لِلْمُذْنِبِينَ مِنْ أَهْلِ الْقَبْلَةِ لِأَنَّهُ سَبَّحَانَهُ دَلَّا عَلَى أَنَّهُ يَغْفِرُ لَهُمْ مَعَ كَوْنِهِمْ ظَالِمِينَ لِأَنَّ قَوْلَهُ «عَلَى ظُلْمِهِمْ» إِشَارَةٌ إِلَى الْحَالِ الَّتِي يَكُونُونَ عَلَيْهَا ظَالِمِينَ وَ يَجْرَى ذَلِكَ مَجْرَى قَوْلِ الْقَائِلِ أَنَا أُوْدُ فُلَانًا عَلَى غَدْرِهِ وَ أَصْلُهُ عَلَى هَجْرِهِ «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ» لَمَنْ اسْتَحَقَّهُ وَ

رَوَى عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمَسِيْبِ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَوْ لَا عَفْوُ اللَّهِ وَ تَجَاوُزُهُ مَا هُنَا أَحَدًا الْعَيْشُ وَ لَوْ لَا وَعِيدُ اللَّهِ وَ عِقَابُهُ لَا تَكَلُّوا كُلَّ وَاحِدٍ

وَ تَلَا مَطْرَفٌ يَوْمَ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ قَدْرَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَ عَفْوِ اللَّهِ وَ تَجَاوُزِ اللَّهِ لَقَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ وَ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ قَدْرَ عَذَابِ اللَّهِ وَ بَأْسِ اللَّهِ وَ نِكَالِ اللَّهِ وَ نَقْمِ اللَّهِ مَا رَقَا لَهُمْ دَمْعٌ وَ لَا قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِشَيْءٍ «وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» مِثْلَ النَّاقَةِ وَ الْعَصَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ قَالَ الزُّجَاجُ طَلَبُوا غَيْرَ الْآيَاتِ الَّتِي أَتَى بِهَا فَالْتَمَسُوا مِثْلَ آيَاتِ مُوسَى وَ عِيسَى فَأَعْلَمَ اللَّهُ أَنَّ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ وَ الْمَعْنَى أَنَّهُ سَبَّحَانَهُ بَيْنَ سَوْءِ طَرِيقَتِهِمْ فِي اقْتِرَاحِ الْآيَاتِ كَمَا فِي قَوْلِهِ لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا إِلَى قَوْلِهِ أَوْ تَأْتِي بِاللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلاً وَ كَمَا قَالُوا اجْعَلِ الصِّفَا لَنَا ذَهَبًا حَتَّى نَأْخُذَ مِنْهُ مَا نَشَاءُ وَ إِنَّمَا لَمْ يَظْهَرَ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ الْآيَاتِ لِأَنَّهُ لَوْ أَجَابَ أَوْلِيَّكَ لِاقْتِرَاحِ قَوْمٍ آخَرُونَ آيَةَ أُخْرَى وَ كَذَلِكَ كُلُّ كَافِرٍ فَكَانَ يُؤدِي إِلَى غَيْرِ نَهَائِهِ «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ» فِيهِ أَقْوَالٌ (أَحَدُهَا) أَنَّ مَعْنَاهُ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ أَي مَخُوفٌ وَ هَادٍ لِكُلِّ قَوْمٍ وَ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنْزَالُ الْآيَاتِ عَنِ الْحَسَنِ وَ أَبِي الضُّحَى وَ عَكْرَمَةَ وَ الْجَبَائِيَّ وَ عَلَى هَذَا فَيَكُونُ أَنْتَ مُبْتَدَأٌ وَ مُنذِرٌ خَبْرُهُ وَ هَادٍ عَطْفٌ عَلَى مُنذِرٍ وَ فَصْلٌ بَيْنَ الْوَاوِ وَ الْمَعْطُوفِ بِالظَّرْفِ (وَ الثَّانِي) أَنَّ الْمُنذِرَ هُوَ مُحَمَّدٌ وَ الْهَادِي هُوَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَ الضُّحَاكِ وَ مُجَاهِدٍ (وَ الثَّلَاثُ) أَنَّ مَعْنَاهُ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ يَا مُحَمَّدٌ وَ لِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ نَبِيٌّ يَهْدِيهِمْ وَ دَاعٍ يَرشُدُهُمْ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى وَ قَتَادَةَ وَ الزُّجَاجَ وَ ابْنَ زَيْدٍ (وَ الرَّابِعُ) أَنَّ الْمُرَادَ بِالْهَادِي كُلَّ دَاعٍ إِلَى الْحَقِّ وَ فِي رِوَايَةِ أُخْرَى

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ الْآيَةُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَا الْمُنذِرُ وَ عَلَى الْهَادِي مِنْ بَعْدِي يَا عَلِيُّ بَكَ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ

وَ

رَوَى الْحَاكِمُ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَكَانِيُّ فِي كِتَابِ شَوَاهِدِ التَّنْزِيلِ بِالإِسْنَادِ عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْحَكَمِ بْنِ ظَهِيرٍ عَنْ أَبِيهِ

عن حكم بن جبير عن أبي بردة الأسلمي قال دعا رسول الله ص بالطهور و عنده على بن أبي طالب فأخذ رسول الله بيد على بعد ما تطهر فألزمها بصدره ثم قال إنما أنت منذر ثم ردها إلى صدر على ثم قال و لكل قوم هاد ثم قال إنك مناره الأنام و غايه الهدى و أمير القرى و أشهد على ذلك أنك كذلك

و على هذه الأقوال الثلاثة يكون هاد مبتدأ و لكل قوم خبره على قول سيبويه و يكون مرتفعا بالظرف على قول الأخفش.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٨ الى ١١]

اشاره

اللَّهُ يَغْلِبُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَ مَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَ مَا تَزْدَادُ وَ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ (٨) عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ (٩) سِوَاءَ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ (١٠) لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ (١١)

القراءة

فى الشواذ قراءة أبى البرهسم له معاقب من بين يديه و رقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) له معقبات من خلفه و رقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله

و

روى عن على (عليه السلام) و ابن عباس و عكرمه و زيد بن على يحفظونه بأمر الله.

الحججه

يجب أن يكون معاقب تكسير معقبه غير أنه لما حذف أحد القافين عوض منها الياء و قوله يحفظونه بأمر الله فمعناه يحفظونه مما يحاذره بأمر الله و المفعول هنا محذوف

ص: ١٣

قال ابن جنى و أما قراءه الجماعه «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» فتقديره له معقبات من أمر الله يحفظونه مما يخافه فمن على هذا مرفوعه الموضع لأنها صفه للمرفوع الذى هو معقبات و ليس هذا على معنى يحفظونه من أمر الله أن ينزل به لأنه لو كان كذلك لكانت منصوبه الموضع كقولك حفظت زيدا من الأسد و الذى ذكرته رأى أبى الحسن فإن قلت فهلا كان تقديره على يحفظونه من أمر الله بأمر الله و يستدل على إرادته الباء هنا بقراءه على (عليه السلام) يحفظونه بأمر الله و جاز أن يكون يحفظونه بأمر الله لأن هذه المصائب كلها فى علم الله و بإقداره فاعليها عليها فيكون هذا كقولك هربت من قضاء الله بقضاء الله قيل تأويل أبى الحسن اذهب فى الاعتداد عليهم و ذلك لأنه سبحانه و كل بهم من يحفظهم من حوادث الدهر و مخاوفه التى لا يعتد عليهم بتسليطها عليهم فهذا أسهل طريقا و أرسخ فى الاعتداد بالنعمة عليهم عرفا.

اللغة

الغيض ذهاب المائع فى جهه العمق و غاضت المياه نقصت و غيضته نقصته قال:

غيضن من عبراتهن و قلن لى ما ذا لقيت من الهوى و لقينا

المتعالى و العالى واحد و تعالى أى جل عن كل ثناء و قيل المتعالى المقتدر على وجه يستحيل أن يساويه غيره و السارب السارى الجارى بسرعه و السرب بفتح السين و الراء الماء السائل من المزاده قال ذو الرمه:

ما بال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلى مفريه سرب

و قيل السارب الذاهب فى الأرض و منه قول قيس بن الحطيم:

(إنى سربت و كنت غير سروب)

و يقال خل سربه أى طريقه و المعقبات المتناوبات التى يخلف كل واحد منها صاحبه و يكون بدلا منه و أصل التعقيب أن يكون الشىء عقيب آخر و المعقب الطالب دينه مره بعد مره قال الشاعر:

حتى تهجر فى الرواح وهاجها طلب المعقب حقه المظلوم

و منه العقاب لأنه يستحق عقيب الجرم و العقاب لأنها تعقب الصيد تطلبه مره بعد مره و قيل إن واحد المعقبات معقب و الجمع معقبه و معقبات جمع الجمع كما قالوا رجالات عن الفراء.

الإعراب

ما فى قوله «ما تَحْمِلُ» و «ما تَغِيضُ» و «ما تَزْدَادُ» استفهاميه و موضعها نصب بالفعل الذى بعدها معناه أى شىء تحمل و الجملة معلقه يعلم قال الزجاج «سواءً مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ» موضع من رفع بسواء و كذلك من الثانيه يرتفعان جميعا بسواء لأن سواء يطلب اثنين تقول سواء زيد و عمرو فى معنى ذو سواء لأن سواء مصدر فلا يجوز أن يرتفع ما بعده إلا على الحذف تقول عدل زيد و عمرو و المعنى ذو عدل زيد و عمرو لأن المصادر ليست بأسماء الفاعلين و إنما ترفع الأسماء أو صافها فإذا رفعتها المصادر فهى على الحذف كما قالت الخنساء.

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هى إقبال و إدبار

أى ذات إقبال و إدبار و كذلك زيد إقبال و إدبار و هذا مما كثر استعماله أعنى سواء فجرى مجرى أسماء الفاعلين و يجوز أن يرتفع على أن يكون فى موضع مستوى إلا- أن سيبويه يستقبح ذلك لا يجوز مستو زيد و عمرو لأن أسماء الفاعلين عنده إذا كانت نكرة لا يبتدأ بها لضعفها عن الفعل فلا يبتدأ بها و يجريها مجرى الفعل.

المعنى

«اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى» أى يعلم ما فى بطن كل حامل من ذكر أو أنثى تام أو غير تام و يعلم لونه و صفاته «و ما تَغِيضُ الْأَرْحَامُ» أى يعلم الوقت الذى تنقصه الأرحام من المده التى هى تسعه أشهر «و ما تَزْدَادُ» على ذلك عن أكثر المفسرين و قال الضحاك الغيض النقصان من الأجل و الزيادة ما يزداد على الأجل و ذلك أن النساء لا يلدن لأجل واحد و قيل يعنى بقوله «ما تَغِيضُ الْأَرْحَامُ» الولد الذى تأتى به المرأة لأقل من سته أشهر و ما تزداد الولد الذى تأتى به المرأة لأقصى مده الحمل عن الحسن و قيل معناه ما تنقص الأرحام من دم الحيض و هو انقطاع الحيض و ما تزداد بدم النفس بعد الوضع عن ابن عباس بخلاف و ابن زيد «و كُلُّ شَيْءٍ» أى و كل شىء من الرزق أو الأجل أو ما سبق ذكره من الحمل «عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ» أى بقدر واحد لا يجاوزه و لا يقصر عنه على ما توجه الحكمة «عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» أى عالم بما غاب عن حس العباد و بما يشاهده العباد لا يغيب عنه

شئ و قيل عالم بالمعدوم و الموجود و الغيب هو المعدوم و قيل عالم السر و العلانيه عن الحسن و الأولي أن يحمل على العموم و يدخل في هاتين الكلمتين كل معلوم نبه سبحانه بذلك على أنه عالم بجميع المعلومات الموجودات منها و المعدومات منها «الكبير» و هو السيد الملك القادر على جميع الأشياء و قيل هو الذى كل شئ ء دونه لكمال صفاته و لكونه عالما لذاته قادرا لذاته حيا لذاته و قيل هو الذى كبر عن شبه المخلوقين «المُتَعَالِ» و هو الذى علا كل شئ ء بقدرته فلا يساويه قادر و قيل هو المنزه عما لا يجوز عليه فى ذاته و فعله و عما يقوله المشركون «سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ» معناه سواء عند الله و فى علمه من أسر القول فى نفسه و أخفاه و من أعلنه و أبداه و لم يضمه فى نفسه «وَ مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ» أى و من هو مستتر متوار بالليل و من هو سالك فى سره أى فى مذهبه ماض فى حوائجه بالنهار معناه أنه يرى ما أخفته ظلمه الليل كما يرى ما أظهره ضوء النهار بخلاف المخلوقين الذين يخفى عليهم الليل أحوال أهله و قال الحسن معناه و من هو مستتر بالليل و من هو مستتر بالنهار و صحح الزجاج هذا القول لأن العرب تقول انسرب الوحش إذا دخل فى كناسه «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ» اختلف فى الضمير الذى فى له على وجوه (أحدها) أنه يعود إلى من فى قوله «مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَ مَنْ جَهَرَ بِهِ» (و الآخر) أنه يعود إلى اسم الله تعالى و هو عالم الغيب و الشهاده (و ثالثها) أنه يعود إلى النبي ص فى قوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ» عن ابن زيد و اختلف فى المعقبات على أقوال (أحدها) أنها الملائكة يتعاقبون تعقب ملائكة الليل ملائكة النهار و ملائكة النهار ملائكة الليل و هم الحفظه يحفظون على العبد عمله عن الحسن و سعيد بن جبير و قتاده و مجاهد و الجبائى و قال الحسن

هم أربعة أملاك يجتمعون عند صلاه الفجر و هو معنى قوله إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا و قد روى ذلك عن أئمتنا (عليه السلام)

أيضا (و الثانى)

أنهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحيلون بينه و بين المقادير عن على (عليه السلام)

و ابن عباس و قيل هم عشره أملاك على كل آدمى يحفظونه (و الثالث) أنهم الأمراء و الملوك فى الدنيا الذين يمنعون الناس عن المظالم و تكون لهم الأحراس و الشرط و المواكب يحفظونه عن عكرمه و الضحاك و روى أيضا عن ابن عباس و تقديره و من هو سارب بالنهار له أحراس و أعوان قدر أنهم يحرسونه و لم يتجه إحراسه من الله «مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ مَنْ خَلْفَهُ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» أى يطوفون به كما يطوف الموكل بالحفظه و قيل يحفظون ما تقدم من عمله و ما تأخر إلى أن يموت فيكتبونه عن الحسن و قيل يحفظونه من وجوه المهالك و المعاطب و من الجن و الإنس و الهوام و قال ابن عباس يحفظونه مما لم يقدر نزوله فإذا جاء المقدر بطل الحفظ و قيل من أمر الله أى بأمر الله عن الحسن و مجاهد و الجبائى و روى ذلك عن

ابن عباس و هذا كما يقال هذا الأمر بتدبير فلان و من تدبير فلان و قيل معناه يحفظونه عن خلق الله فتكون من بمعنى عن كما فى قوله وَ آمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ أَى عن خوف قال كعب: لو لا- أن الله وكل بكم ملائكه يذبون عنكم فى مطعمكم و مشربكم و عوراتكم لتخطفنكم الجن «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ» من النعمة و الحال الجميله «حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» من الطاعة فيعصون ربهم و يظلم بعضهم بعضا قال ابن عباس إذا أنعم الله على قوم فشكروها زادهم و إذا كفروها سلبهم إياها و إلى هذا المعنى

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله إذا أقبلت عليكم أطراف النعم فلا تنفروا أقصاها بقله الشكر

«وَ إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا» أى عذابا و إنما سماه سوءا لأنه يسوء «فَلَا مَرَدَّ لَهُ» أى لا مدفع له و قيل معناه إذا أراد الله بقوم بلاء من مرض و سقم فلا مرد لبلائه «وَ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ» يلى أمرهم و يمنع العذاب عنهم.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بقوله «وَ إِنْ تَعَجَبْ» الآيه فإنه احتجاج للبعث و المعنى أن من كان بهذه الصفه فى القدره و العلم فإنه يقدر على البعث و قيل إنها اتصلت بقوله «وَ يَسِّرْ تَعَجُّلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنِ» و قوله «لَوْ لَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةً مِنْ رَبِّهِ» يعنى أن من يعلم غوامض الأمور فهو أعلم بالمصالح و لو علم الصلاح فى إنزال العذاب أو الآيه لفعل عن البلخى و أبى مسلم و قوله «لَهُ مُعَقَّبَاتٌ» يتصل بقوله «وَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ» عن الجبائى و قيل يتصل بقوله «عَالِمُ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ» و «يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى» أى كما يعلمهم جعل عليهم حفظه يحفظونهم و قيل يتصل بقوله «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ» يعنى أنه (عليه السلام) محفوظ بالملائكه و اتصل قوله «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ» إلى آخره بقوله «وَ يَسِّرْ تَعَجُّلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ» [بالعذاب] يعنى أنه لا ينزل العذاب إلا بمن يعلم من جهتهم التغير حتى لو علم أن فيهم من يؤمن فى المستقبل أو يعقب مؤمنا لا ينزل العذاب و قيل بل اتصلت بالسارب بمعنى أنه إذا أتى بالمعصيه بطل به حفظه و حاق به عقابه و قيل بل هو على الإطلاق و العموم.

اشاره

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْبُرُوقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ (١٢) وَيَسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيَصِيْبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ (١٣) لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ (١٤) وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (١٥)

القراءة

فى الشواذ قراءة الأعرج شديد المحال بفتح الميم وقراءة أبى مجلز بالغدو والإيصال.

الحجه

قال ابن جنى المحال مفعول من الحيله قال أبو زيد يقال ما له حيله و لا محاله فيكون تقديره شديد الحيله و تفسيره قوله سبحانه سَسَّ تَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ و قوله وَ مَكْرُؤًا وَ مَكْرَ اللَّهُ و الإيصال مصدر آصلنا أى دخلنا فى وقت الأصيل و نحن موصلون.

اللغة

يقال أراه يريه إراءه و هو أن يجعله على صفة الرؤيه بإظهار المرئى له أو يجعله على صفة يرى و السحاب جمع سحابه و لذلك قال الثقال و لو قيل الثقل لجاز و الصواعق جمع صاعقه و هى نار تسقط من السماء و الرعد و البرق ذكرنا معناهما فى أول البقره و المحال الأخذ بالعقاب ها هنا فقال ما حله مما حله و محالا إذا قاواه حتى يتبين أيهما أشد و محلت به محلا قال الأعشى:

فرع نبع يهتر فى غصن المجد غزير الندى شديد المحال

و الاستجابه و الإجابه بمعنى غير أن فى الاستجابه معنى الطلب قال

(فلم يستجبه عند ذاك مجيب)

و الظلال جمع الظل و هو ستر الشخص ما بإزائه و الظل الظليل و هو ستر الشمس اللازم و أما الفى ء فهو الذى يرجع بعد ذهاب ضوئه و منه الظله لسترها و الآصال جمع أصل و أصل جمع أصل فهو جمع الجمع مأخوذ من الأصل فكأنه أصل الليل الذى ينشأ منه و هو ما بين العصر إلى مغرب الشمس و قد يقال فى جمعه أصائل قال أبو ذؤيب:

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله و أقعد فى أفنائه بالأصائل

خوفا وطمعا لا ينتصبان على الغرض لأن ما ينتصب لذلك يجب أن يكون فاعله و فاعل الفعل الأول واحدا و هاهنا الخائف و الطامع ليسا بالذى يرى البرق و هما فى قوله **يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا** ينتصبان على الغرض لأن الخائف و الطامع هناك هو الداعى فأعلمه فإنه جيد مفيد و المعنى هاهنا يخوفكم بما يريكم خوفا و يطمعكم طمعا فالمصدر وقع موقع الحال «**وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ**» جاز أن تكون هذه الواو واو الحال أى يصيب بها من يشاء فى حال جدالهم فى الله لأنه جاء فى التفسير أن رجلا جاء إلى النبى ص فجادله فقال يا محمد مم ربك أ من نحاس أم من حديد أم من لؤلؤ أم من ياقوت أم من ذهب أم من فضة فأرسل الله عليه صاعقه ذهب بقحفه و هو قول أنس بن مالك و مجاهد و يجوز أن يكون لما تمم الله أو صاف ما يدل على توحيده و قدرته قال بعد ذلك «**وَهُمْ يُجَادِلُونَ**» و الكاف من قوله «**كَبَّاسِطٍ كَفَيْهِ**» يتعلق بصفه مصدر تقديره إلا استجابته كائنه كاستجابته باسط كفيه إلى الماء هذا إذا كان الكاف حرفا و إذا كان اسما محضا فالتقدير إلا استجابته مثل استجابته باسط كفيه إلى الماء فلا يكون فى الكاف ضمير أى كما يستجيب الماء باسط كفيه إليه و اللام فى قوله «**لِيُبَلِّغَ فَاهُ**» يتعلق باسط كفيه «**وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ**» أى ما الماء ببالغ فاه و قيل ما فوه ببالغ الماء و قيل ما باسط كفيه إلى الماء ببالغ الماء و طوعا و كرها مصدران وضعا موضع الحال.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن كمال قدرته فقال «**هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا**» أى تخويفا و إطماعا فأقام الخوف و الطمع مقام التخويف و الإطماع و ذكر فيه وجوه (أحدها) أن المعنى خوفا من الصواعق التى يكون معها و طمعا فى الغيث الذى يزيل القحط عن الحسن و أبى مسلم (و الثانى) خوفا للمسافر من أن يضل الطريق فلا يمكنه المسير و طمعا للمقيم فى نمو الزرع و الخير الكثير عن قتاده و الضحاك و الجبائى (الثالث) خوفا لمن يخاف ضر المطر لأنه ليس كل بلد ينتفع فيه بالمطر و طمعا لمن يرجو الانتفاع به عن الزجاج «**وَ يُنَشِّئُ السَّحَابَ الثَّقَالَ**» أى و يخلق السحاب الثقال بالماء يرفعها من الأرض فيجريها فى الجو «**وَ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ**» تسبيح الرعد دلالة على تنزيه الله تعالى و وجوب حمده فكأنه هو المسبح و قيل إن الرعد هو الملك الذى يسوق السحاب و يزره بصوته و هو يسبح الله تعالى و يحمده و

روى عن النبى ص أنه قال إن ربكم سبحانه يقول لو أن عبادى أطاعونى لأسقيهم المطر بالليل و أطلعت عليهم الشمس بالنهار و لم أسمعهم صوت الرعد و كان ص إذا سمع صوت الرعد قال سبحان من يسبح الرعد بحمده

و كان ابن عباس يقول

روى سالم بن عبد الله عن أبيه قال كان رسول الله ص إذا سمع الرعد و الصواعق قال اللهم لا تقتلنا بغضبك و لا تهلكنا بعذابك و عافنا قبل ذلك

و قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذى يسبح الرعد بحمده و الملائكة من خيفته و هو على كل شىء قدير فإن أصابته صاعقه فعلى ديته «وَأَلْمَلَيْتُكَ مِنْ خَيْفَتِهِ» أى و يسبح الملائكة من خيفه الله تعالى و خشيته قال ابن عباس إنهم خائفون من الله تعالى ليس كخوف ابن آدم لا يعرف أحدهم من على يمينه و من على يساره و لا يشغله عن عباده الله طعام و لا شراب و لا شىء «وَأُزِيلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ» و يصرفها عن من يشاء إلا أنه حذف و

روى عن أبى جعفر الباقر أن الصواعق تصيب المسلم و غير المسلم و لا تصيب ذاكرا

«وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ» يعنى أن هؤلاء الجهال مع مشاهدتهم لهذه الآيات يخاصمون أهل التوحيد و يحاولون قتلهم عن مذاهبهم بجدالهم لأن معنى الجدال قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج

روى الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس أنه عنى بذلك أربد بن قيس أخا ليلى بن ربيعة العامري لأمه و عامر بن طفيل و ذلك أنهما أتيا النبي ص يجادلانه و يريدان الفتك به و كان عامر أوصى إلى أربد إذا رأيتنى أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاصم رسول الله ص و يراجعه الكلام فدار أربد خلف رسول الله ص ليضربه فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سله و جعل عامر يؤمى إليه فالتفت رسول الله ص فرأى أربدا و ما يصنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقه فى يوم صاح صائف فأحرقته و ولى عامر هاربا و قال يا محمد دعوت ربك فقتل أربدا و الله لأملأنها عليك خيلا- جردا و فتيانا مردا و لأربطن بكل نخله فرسا فقال ص الله يمنعك من ذلك فنزل بيت امرأه من سلول و خرج على ركبته فى الوقت غده عظيمه فكان يقول غده كغده البعير و موت فى بيت سلوليه حتى قتله و فى ذلك يقول ليلى بن ربيعة يرثى أخاه أربدا:

أخشى على أربد الحتوف و لا أرهب نوء السماك و الأسد

فجعنى البرق و الصواعق بالفارس يوم الكريهه النجد

«وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ» أى شديد الأخذ عن على (عليه السلام)

و قيل شديد القوه عن قتاده و مجاهد و قيل شديد النقمه عن الحسن و قيل شديد القدره و العذاب عن الزجاج و قيل شديد الكيد للكفار عن الجبائي «لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ» أى لله سبحانه دعوه الحق و اختلف فى معنى

دعوه الحق على أقوال (أحدها) أنها كلمه الإخلاص شهاده أن لا إله إلا الله عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد (و الثانى) أن الله تعالى هو الحق فدعاؤه دعوه الحق و من دعاه دعا الحق عن الحسن (و الثالث) أنها الدعوه التى يدعى بها الله على إخلاص التوحيد عن الجبائى و المعنى أن من دعاه على جهه الإخلاص فهو يجيبه فله سبحانه من خلقه دعوه الحق «و الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ» أى و الذين يدعوههم المشركون من دون الله لحاجاتهم من الأوثان و غيرها «لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَ مَا هُوَ بِبَالِغِهِ» هذا مثل ضربه الله لكل من عبد غير الله و دعاه رجاء أن ينفعه يقول إن مثله كمثل رجل بسط كفيه إلى الماء من مكان بعيد ليتناوله و يسكن به غلته و ذلك الماء لا يبلغ فاه لبعده المسافه بينهما فكذلك ما كان يعبده المشركون من الأصنام لا يصل نفعها إليهم و لا يستجيب دعاءهم عن ابن عباس و قيل كباسط كفيه إلى الماء أى كالذى يدعى الماء بلسانه و يشير إليه بيده فلا يأتيه الماء عن مجاهد و قيل كالذى يبسط كفيه إلى الماء ليلبغ فمات قبل أن يبلغ الماء فاه عن الحسن و قيل إنه تمثيل العرب لمن يسعى فيما لا يدركه فيقول هو كالقابض على الماء عن أبى عبيده و البلخى و أبى مسلم قال الشاعر:

فأصبحت مما كان بينى و بينها من الود مثل القابض الماء باليد

و قال الآخر

فإنى و إياكم و شوقاً إليكم كقابض ماء لم تسعه أنامله

«وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ» أى ليس دعاءهم الأصنام من دون الله إلا فى ذهاب عن الحق و الصواب و قيل فى ضلال عن طريق الإجابة و النفع ثم بين سبحانه كمال قدرته و سعه مملكته فقال «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» يعنى الملائكه و سائر المكلفين «طَوْعاً وَ كَرْهاً» اختلف فى معناه على قولين (أحدهما) أن معناه أنه يجب السجود لله تعالى إلا أن المؤمن يسجد له طوعاً و الكافر يسجد له كرهاً بالسيف عن الحسن و قتاده و ابن زيد (و الثانى) أن المعنى و لله يخضع من فى السماوات و الأرض إلا- أن المؤمن يخضع له طوعاً و الكافر يخضع له كرهاً لأنه لا يمكنه أن يمتنع من الخضوع لله لما يحل به من الآلام و الأسقام عن الجبائى «وَضَلَالُهُمْ» أى و يسجد ظلالمهم لله «بِالْعُدُوِّ وَ الْأَصَالِ» أى العشيات قيل إن المراد بالظل الشخص فإن من يسجد يسجد ظلّه معه قال الحسن يسجد ظل الكافر و لا يسجد الكافر و معناه عند أهل التحقيق أنه يسجد شخصه دون قلبه لأنه لا يريد بسجوده عباده ربه من حيث إنه يسجد للخوف و قيل إن الظلال على ظاهرها و المعنى فى

سجودها تمايلها من جانب إلى جانب و انقيادها بالتسخير بالطول و القصر.

[سوره الرعد (١٣): آيه ١٦]

اشاره

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَ
الْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ
الْقَهَّارُ (١٦)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير حفص أم هل يستوى الظلمات بالياء و الباقون بالتاء.

الحججه

من قرأ بالتاء فإنه مسند إلى مؤنث لم يفصل بينه و بين فاعله بشىء كقوله و قَالَتِ الْيَهُودُ و قَالَتِ الْأَعْرَابُ و قد جاء فى مثل ذلك التذكير كقوله و قَالَ نِسْوَةٌ و من قرأ بالياء فإنه مؤنث غير حقيقى.

المعنى

لما بين سبحانه فى الآيه الأولى أنه المستحق للعباده و أن له من فى السماوات و الأرض عقبه بما يجرى مجرى الحججه على ذلك فقال «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى من مدبرهما و مصرفهما على ما فيهما من البدائع فإذا استعجم عليهم الجواب و لا يمكنهم أن يقولوا الأصنام ف «قُلْ» أنت لهم رب السماوات و الأرض و ما بينهما من أنواع الحيوان و النباتات و الجماد «اللَّهُ» فإذا أقرؤا بذلك «قُلْ» لهم على وجه التبكيت و التوبيخ لفعالهم «أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» توجهون عبادتكم إليهم فالصوره الاستفهام و المراد به التقرير ثم بين أن هؤلاء الذين اتخذوهم من دونه أولياء «لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا» و من لا يملك لنفسه ذلك فالأولى و الأخرى أن لا يملك لغيره و من كان كذلك فكيف يستحق العباده و إذا قيل كيف يكون هو السائل و المجيب و الملزم بقوله «قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» فالجواب أنه إذا كان القصد بالحجاج ما بيينه من بعد من بعد لم يمتنع ذلك فكأنه قال الله الخالق فلما ذا اتخذتم من دون الله أولياء لأن الأمر

الظاهر الذى لا- يجب الخصم إلا به لا يمتنع أن يبادر السائل إلى ذكره ثم يورد الكلام عليه تفاديا من التطويل و يكون تقدير الكلام أ ليس الله رب السماوات و الأرض فلم اتخذتم من دونه أولياء ثم ضرب لهم سبحانه مثلا بعد إلزام الحجة فقال «قُلْ هَلْ يَشِيْتَوَى الْأَعْمَى وَ الْبَصِيرُ» أى كما لا يستوى الأعمى و البصير كذلك لا يستوى المؤمن و الكافر لأن المؤمن يعمل على بصيره و يعبد الله الذى يملك النفع و الضر و الكافر يعمل على عمى و يعبد من لا يملك النفع و الضر ثم زاد فى الإيضاح فقال «أَمْ هَلْ تَشِيْتَوَى الظُّلُمَاتُ وَ النُّورُ» أى هل يستوى الكفر و الإيمان أو الضلالة و الهدى أو الجهل و العلم «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ» أى هل جعل هؤلاء الكفار لله شركاء فى العبادة خلقوا أفعالا- مثل خلق الله تعالى من الأجسام و الألوان و الطعوم و الأرايح و القدره و الحياه و غير ذلك من الأفعال التى يختص سبحانه بالقدره عليها «فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ» أى فاشتبه لذلك عليهم ما الذى خلق الله و ما الذى خلق الأوثان فظنوا أن الأوثان تستحق العبادة لأن أفعالها مثل أفعال الله فإذا لم يكن ذلك مشتبهها إذ كان ذلك كله لله تعالى لم يبق شبهه أنه الإله لا يستحق العبادة سواه ف «قُلْ» لهم «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ» يستحق به العبادة من أصول النعم و فروعها «وَ هُوَ الْوَاحِدُ» و معناه أنه يستحق من الصفات ما لا يستحقه غيره فهو قديم لذاته قادر لذاته عالم لذاته حتى لذاته غنى لا مثل له و لا شبه و قيل الواحد هو الذى لا يتجزأ و لا يتبعض و قيل هو الواحد فى الإلهيه لا ثانى له فى القدم «الْقَهَّارُ» الذى يقهر كل قادر سواه و لا يمتنع عليه شىء و استدلت المجبره بقوله الله تعالى خالق كل شىء على أن أفعال العباد مخلوقه لله لأن ظاهر العموم يقتضى دخول أفعال العباد فيه و بقوله «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ» قالوا لأنه أنكر أن يكون خالق خلق كخلقه و أجيب عن ذلك بأن الآيه و ردت حجه على الكفار إذ لو كان المراد ما قالوا لكان فيها لهم على الله لأنه إذا كان الخالق لعبادتهم الأصنام هو الله فلا يتوجه التوييح إلى الكفار و لا يلحقهم اللوم بذلك بل يكون لهم أن يقولوا إنك خلقت فينا ذلك فلم توبخنا على فعل فعلته فينا فيبطل حينئذ فائده الآيه و أيضا فإن أكثر أصحابنا لا يطلقون على غيره سبحانه أنه يخلق أصلا فضلا عن أن يقولوا إنه يخلق كخلق الله و لكن يقولون إن العباد يفعلون و يحدثون و معنى الخلق عندهم ال-اختراع و لا يقدر العباد عليه و من جوز منهم إطلاق لفظ الخلق فى أفعال العباد فإنه يقول إنه سبحانه إنما نفى أن يكون أحد يخلق مثل خلقه و نحن لا نقول ذلك لأن خلق الله اختراع و إبداع و أفعال غيره مفعوله فى محل القدره عليها مباشرة أو متولدا فى الغير بسبب حال فى محل القدره و لا يقدر على اختراع الأفعال فى الغير على وجه من الوجوه إلا الله سبحانه الذى أبداع السماوات و الأرض

و ما فيهما و ينشئ الأجناس من الأعراض التي لا يقدر عليها غيره فكيف يشبه الخلق مع هذا التمييز الظاهر على أن عندهم كل حركه هي كسب للعبد و فعل لله تعالى و لا يتميز فقد حصل التشابه هنا و نحن نقول إن أحدنا يفعل بقدره محدثه يفعلها الله تعالى فيه و الله يفعل لكونه قادرا لذاته فالفرق و التمييز ظاهر فعلنا أن المراد بقوله «خالق كل شئ ء» ما قدمناه من أنه خالق كل شئ ء يستحق لخلقه العباده.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ١٧ الى ١٨]

اشاره

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨)

القراءه

قرأ أهل الكوفه إلا أبا بكر «يُوقِدُونَ» بالياء و الباكون بالتاء.

الحجه

قال أبو على من قرأ بالتاء فلما قبله من الخطاب و هو قوله «قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ» و يجوز أن يكون خطابا عاما يراد به الكافه كان المعنى و مما توقدون عليه أيها الموقدون زبد مثل زبد الماء الذي يحمله السيل و من قرأ بالياء فلأن ذكر الغيبه قد تقدم في قوله «أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ» و يجوز أن يراد به جميع الناس و يقوى ذلك قوله «وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ» فكما أن الناس يعم المؤمنين و الكافرين كذلك الضمير في يوقدون و قال «وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ» فجعل الظرف متعلقا بيوقدون لأنه قد يوقد على ما ليس في النار كقوله فَأَوْقَدَ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ فهذا إيقاد يقال على ما ليس في النار و إن كان يلحقه وهجها و لهبها.

الوادي سفح الجبل العظيم المنخفض الذي يجتمع فيه ماء المطر و منه اشتقاق الديره لأنه جمع المال العظيم الذي يؤدي عن القليل و القدر اقتران الشئ بغيره من غير زياده و لا نقصان و الوزن يزيد و ينقص فإذا كان مساويا فهو القدر و قرأ الحسن بقدرها بسكون الدال و هما لغتان يقال أعطى قدر شبر و قدر شبر و المصدر بالتخفيف لا غير و هم يختصمون في القدر معا بالسكون و الحركة قال:

ألا يا لقوم للنوائب و القدر و للأمر يأتي المرء من حيث لا يدرى

و الاحتمال رفع الشئ على الظهر بقوه الحامل له و يقال علا صوته على فلان فاحتمله و لم يغضبه و الزبد و ضر الغليان و هو خبث الغليان و منه زبد القدر و زبد السيل و الجفاء ممدود مثل الغناء و أصله الهمز يقال جفا الوادي جفاء قال أبو زيد: يقال جفأت الرجل إذا صرعته و أجفأت القدر بزبدها إذا ألقيت زبدها عنها قال الفراء: كل شئ ينضم بعضه إلى بعض فإنه يجى على فعال مثل الحطام و القماش و الغناء و الجفاء و الإيقاد إلقاء الحطب في النار و استوقدت النار و اتقدت و توقدت و المتاع ما تمتعت به و المكث الكون في المكان على مرور الزمان يقال مكث و مكث و مكث أي تلبث.

الإعراب

قال جامع العلوم البصير قوله «في النار» متعلق بمحذوف في موضع الحال من الضمير المجرور بقوله «عليه» أي و مما توقدون عليه ثابتا في النار «إتغاء حليته» أي مبتغين حليه فهو مصدر في موضع الحال من الضمير في يوقدون و لا يجوز أن يكون قوله «في النار» من صله يوقدون لأن المعنى ليس على ذلك فالمعنى أنهم يوقدون على الذهب في حال كونه في النار فافهمه من كلام أبي علي و لم يهتد إليه غيره و قوله «زبد» مبتدأ و مثله نعت له و الظرف الذي هو قوله «مما يوقدون» خبره على قول سيبويه و هو مرتفع بالظرف على قول الأخفش و موضع جفاء نصب على الحال أي يذهب على هذه الحالة قال الشاعر

إذا أكلت سمكا و فرضا ذهبت طولا و ذهبت عرضا

أي ذهبت على هذه الحالة و الفرض نوع من التمر.

المعنى

ثم ضرب سبحانه مثلين للحق و الباطل (أحدهما) الماء و ما يعلوه من الزبد (و الآخر) ما توقد عليه النار من الذهب و الفضة و غيرهما و ما يعلوه من الزبد على ما رتبته فقال «أنزل من السماء ماء» أي مطرا «فسالته أودية بقدرها» يعني فاحتمل الأنهار الماء كل نهر بقدره الصغير على قدر صغره و الكبير على قدر كبره فسالت كل نهر بقدره عن

الحسن و قتاده و الجبائي و قيل بقدرها بما قدر لها من مائها عن الزجاج «فَاخْتَمَلَ السَّنِيلُ زَبْدًا رَابِيًا» أى طافيا عاليا فوق الماء شبه سبحانه الحق و الإسلام بالماء الصافى النافع للخلق و الباطل بالزبد الذاهب باطلا و قيل إنه مثل القرآن النازل من السماء ثم تحتل القلوب حظها من اليقين و الشك على قدرها فالماء مثل اليقين و الزبد مثل الشك عن ابن عباس ثم ذكر المثل الآخر فقال «وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ» و هو الذهب و الفضة و الرصاص و غيره مما يذاب «ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ» أى طلب زينه يتخذ منه كالذهب و الفضة «أَوْ مَتَاعٍ» معناه أو ابتغاء متاع ينتفع به و هو مثل جواهر الأرض يتخذ منها الأواني و غيرها «زَيْدٌ مِثْلُهُ» أى مثل زيد الماء فإن هذه الأشياء التى تستخرج من المعادن و توقد عليها النار لتمييز الخالص من الخبيث لها أيضا زيد و هو خبيثها «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَ الْبَاطِلَ» أى مثل الحق و الباطل و ضرب المثل تسييره فى البلاد حتى يتمثل به فى الناس «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً» أى باطلا- متفرقا بحيث لا- ينتفع به «وَ أَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ» هو الماء الصافى و الأعيان التى ينتفع لها «فَيُمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» فينتفع به الناس فمثل المؤمن و اعتقاده كمثل هذا الماء المنتفع به فى نبات الأرض و حياه كل شىء به و كمثل نفع الذهب و الفضة و سائر الأعيان المنتفع بها و مثل الكافر و كفره كمثل هذا الزبد الذى يذهب جفاء و كمثل خبث الحديد و ما تخرجه النار من وسخ الذهب و الفضة الذى لا ينتفع به «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» للناس فى أمر دينهم قال قتاده هذه ثلاثه أمثال ضربها الله تعالى فى مثل واحد شبه نزول القرآن بالماء الذى ينزل من السماء و شبه القلوب بالأوديه و الأنهار فمن استقصى فى تدبره و تفكر فى معانيه أخذ حظا عظيما منه كالنهر الكبير الذى يأخذ الماء الكثير و من رضى بها أداه إلى التصديق بالحق على الجملة كان أقل خطأ منه كالنهر الصغير فهذا مثل ثم شبه الخطوات و وساوس الشيطان بالزبد يعلو على الماء و ذلك من خبث التربه لا- عين الماء كذلك ما يقع فى النفس من الشكوك فمن ذاتها لا من ذات الحق يقول فكما يذهب الزبد باطلا و يبقى صفوه الماء كذلك يذهب مخايل الشك هباء باطلا و يبقى الحق فهذا مثل ثان و المثل الثالث قوله «وَ مِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ» إلى آخره فالكفر مثل هذا الخبث الذى لا ينتفع به و الإيمان مثل الماء الصافى الذى ينتفع به و تم الكلام عند قوله «يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ» ثم استأنف بقوله «لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى» عن الحسن و البلخى و قيل بل يتصل بما قبله لأن معناه أن الذى يبقى مثل الذين استجابوا لربهم و الذى يذهب جفاء مثل الذى لا يستجيب و المراد به للذين استجابوا دعوه الله و آمنوا به و أطاعوه الحسنى و هى الجنة عن الحسن و الجبائي و قيل معناه الخصلة الحسنى و حاله الحسنى و هى صفه الثواب و الجنة أيضا عن أبى مسلم «وَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ» أى لله فلم يؤمنوا به «لَوْ

أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً وَ مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتِدَاؤًا بِهِ» أى جعلوا ذلك فديه أنفسهم من العذاب لم يقبل ذلك منهم «أولئك لهم سوء الحساب» قيل فيه أقوال (أحدها) أن سوء الحساب أخذهم بذنوبهم كلها من دون أن يغفر لهم شىء منها عن إبراهيم النخعي و يؤيد ذلك

ما جاء فى الحديث و من نوقش الحساب عذب

فيكون سوء الحساب المناقشه (و الثانى) هو أن يحاسبوا للتقريع و التوبيخ فإن الكافر يحاسب على هذا الوجه و المؤمن يحاسب ليسر بما أعد الله تعالى له عن الجبائى (و الثالث)

هو أن لا يقبل لهم حسنه و لا يغفر لهم سيئه عن الزجاج و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و الرابع) أن سوء الحساب هو سوء الجزاء فسمى الجزاء حساباً لأن فيه إعطاء المستحق حقه «و ماؤاهم جهنم» أى مصيرهم إلى جهنم «و بنس المهاد» أى و بنس ما مهدوا لأنفسهم و المهاد الفراش الذى يوطأ لصاحبه و تسمى النار مهادا لأنها موضع المهاد لهم.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ١٩ الى ٢٤]

اشاره

أَقَمَنْ يَغْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَ الَّذِينَ يَصْتَلِمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يَخْشُونَ رَبَّهُمْ وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ (٢١) وَ الَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرّاً وَ عَلَانِيَةً وَ يَدْرُونَ بِالْحَسَنَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتٍ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣)

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ (٢٤)

اللغه

الألّباب العقول و لب الشىء أجل ما فيه و أخلصه و أجوده و لب الإنسان عقله لأنه أجل ما فيه و لب الخله قلبها و الميثاق العهد الواقع على إحكام و الوصل ضم الثانى إلى

الأول من غير فاصله و الخوف و الخشييه و الفرع نظائر و هو انزعاج النفس بما لا يأمن منه من الضرر و السوء ورود ما يشق على النفس و الحساب إحصاء ما على العامل و له و هو هاهنا إحصاء ما على المجازى و له و السر هو إخفاء المعنى فى النفس و منه السرور لأنه لذه تحصل للنفس و منه السرير لأنه مجلس سرور و الدرء الدفع و العدن الإقامه الطويله و عدن بالمكان يعدن عدنا و منه المعدن و الصلاح استقامه الحال و المصلح من فعل الصلاح الذى يدعو إليه العقل و الشرع و الصالح المستقيم الحال فى نفسه و العقبى فعلى من العاقبه و هو الانتهاء الذى يؤدى إليه الابتداء من خير أو شر.

الإعراب

موضع الذين يوفون رفع لأنه صفة لقوله أولوا الأبواب و قيل إنه صفة لمن يعلم و ابتغاء نصب لأنه مفعول له و جنات عدن بدل من عقبى و من صلح موضعه رفع عطفًا على الواو فى قوله «يَدْخُلُونَهَا» و جائز أن يكون نصبا بأنه مفعول معه كما تقول قد دخلوا و زيدا أى مع زيد و الباء فى قوله «بِمَا صَبَرْتُمْ» يتعلق بمعنى سلام لأنه دل على السلامه لكم بما صبرتم و يحتمل أن يتعلق بمحذوف على تقدير هذه الكرامه لكم بما صبرتم و ما فى قوله «بِمَا صَبَرْتُمْ» مصدرية تقديره بصبركم و قيل إنه بمعنى الذى كأنه قال بالذى صبرتم على فعل طاعاته و تجنب معاصيه.

المعنى

ثم بين سبحانه الفرق بين المؤمن و الكافر فقال «أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ» يا محمد «مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى» عنه أخرج الكلام مخرج الاستفهام و المراد به الإنكار أى لا يكونان مستويين فإن الفرق بينهما هو الفرق بين الأعمى و البصير لأن المؤمن يبصر ما فيه رشده فيتبعه و الكافر يتعمى عن الحق فيتبع ما فيه هلاكه «إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ» أى إنما يتفكر فيه و يستدل به ذوو العقول و المعرفه قال على بن عيسى و فى هذا حث على طلب العلم و إلزام له لأنه إذا كانت حال الجاهل كحال الأعمى و حال العالم كحال البصير و أمكن هذا الأعمى أن يستفيد بصرا فما الذى يقعه عن طلب العلم الذى يخرج عن حال العمى بالجهل إلى حال البصير «الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ» أى يؤدون ما عهد الله إليه و ألزمهم إياه عقلا و سمعا فالعهد العقلى ما جعله فى عقولهم من اقتضاء صحه أمور و فساد أمور آخر كاقضاء الفعل للفاعل و إن الصنائع لا بد أن ترجع إلى صانع غير مصنوع و إلا- أدى إلى ما لا يتناهى و إن للعالم مدبرا لا يشبهه و العهد الشرعى ما أخذه النبى ص على المؤمنين من الميثاق المؤكد باليمين أن يطيعوه و لا- يعصوه و لا- يرجعوا عما التزموه من أوامر شرعه و نواهيه و إنما كرر ذكر الميثاق و إن دخل جميع الأوامر و النواهي فى لفظ العهد لثلاثا يظن ظان أن ذلك خاص فيما بين العبد و ربه فأخبر أن ما بينه و بين العباد من المواثيق كذلك فى الوجوب و اللزوم و قيل إنه كرره تأكيدا «وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا

أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» قيل المراد به الإيمان بجميع الرسل و الكتب كما فى قوله «لَا تُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ» و قيل هو صله محمد و موازرتة و معاونتة و الجهاد معه عن الحسن و قيل هو صله الرحم عن ابن عباس و

روى أصحابنا أن أبا عبد الله (عليه السلام) لما حضرته الوفاة قال أعطوا الحسن بن الحسين بن على بن الحسين و هو الأفتس سبعين دينارا فقالت له أم ولد له أ تعطى رجلا حمل عليك بالشفرة فقال لها ويحك أ ما تقرئين قوله تعالى «وَالَّذِينَ يَصِّمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» الآية

و قيل هو ما يلزم من صله المؤمنين بأن يتولاهم و ينصروهم و يذبوا عنهم و يدخل فيه صله الرحم و غير ذلك عن الجبائى و أبى مسلم و

روى جابر عن أبى جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص بر الوالدين و صله الرحم يهونان الحساب ثم تلا هذه الآية

روى محمد بن الفضيل عن موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام) فى هذه الآية قال صله آل محمد ص معلقه بالعرش تقول اللهم صل من وصلنى و اقطع من قطعنى و هى تجرى فى كل رحم

و

روى الوليد بن أبان عن أبى الحسن الرضا (عليه السلام) قال قلت له هل على الرجل فى ماله سوى الزكاة قال نعم أين ما قال الله «وَالَّذِينَ يَصِّمُونَ» الآية

«وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ» أى و يخافون عقاب ربهم فى قطعها «وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ» قد بينا ما قيل فيه و

روى هشام بن سالم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال سوء الحساب أن يحسب عليهم السيئات و لا يحسب لهم الحسنات و هو الاستعصاء

و

روى حماد بن عثمان عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال لرجل يا فلان ما لك و لأخيك قلت جعلت فداك لى عليه شىء فاستقصيت حقى عنه قال أبو عبد الله (عليه السلام) أخبرنى عن قول الله سبحانه «وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ» أ تراهم خافوا أن يجور عليهم أو يظلمهم لا و الله و لكن خافوا الاستقصاء و المداقه

«وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ» أى الذين صبروا على القيام بما أوجه الله عليهم و على بلاء الله من الأمراض و العقوبه و غير ذلك و عن معاصى الله سبحانه لطلب ثواب الله تعالى لأن ابتغاء وجه الله هو ابتغاء الله و ابتغاء الله يكون ابتغاء ثوابه تقول العرب فى تعظيم الشىء هذا وجه الرأى و هذا نفس الرأى للرأى المعظم فكذلك وجه ربهم هو نفسه المعظم فلا شىء أعظم منه و لا شىء يساويه فى العظم و قيل إن ذكر الوجه هنا عباره عن الإخلاص و ترك الرياء «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» أى أدوها بحدودها و قيل داموا على فعلها «وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» أى ظاهرا و باطنا «وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ» أى يدفعون بفعل الطاعة

المعصية قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح السيئ من العمل كما

روى عن النبي ص أنه قال لمعاذ بن جبل إذا عملت سيئه فاعمل بجنبها حسنه تمحها

وقيل معناه يدفعون إساءه من أساء إليهم بالإحسان و العفو و لا يكافئون كقوله سبحانه «ادْفَعِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ» عن قتاده و
ابن زيد و القتيبي قال الحسن إذا حرموا أعطوا و إذا

ص: ٢٩

ظلموا عفووا وإذا قطعوا وصلوا و قيل معناه يدفعون بالتوبه معره الذنب عن ابن كيسان «أُولَئِكَ» يعنى أن هؤلاء الذين هذه صفاتهم «لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ» أى ثواب الجنة فالدار الجنة و ثوابها عقباها التى هى العاقبه المحموده عن ابن عباس و الحسن ثم وصف الدار فقال «جَنَّاتٌ عَدْنٍ» أى بساتين إقامه تدوم و لا تبنى و قيل هى الدرجه العليا و سكانها الشهداء و الصديقون عن ابن عباس و قيل هى مدينه فى الجنة فيها الأنبياء و الأئمه و الشهداء عن الضحاک و قيل قصر من ذهب لا يدخله إلا نبى أو صديق أو شهيد أو حاكم عدل عن الحسن و عبد الله بن عمر ثم بين سبحانه ما يتكامل به سرورهم من اجتماع قومهم معهم فقال «يَدْخُلُونَهَا وَ مَنْ صَلَّحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَ أَزْوَاجِهِمْ وَ ذُرِّيَّاتِهِمْ» أى أولادهم يعنى من آمن منهم و صدق بما صدقوا به و ذلك أن الله سبحانه جعل من ثواب المطيع سروره بما يراه فى أهله من إلحاقهم به فى الجنة كرامه له كما قال ألحقنا بهم ذريتهم عن ابن عباس و مجاهد «وَ الْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ» من أبواب الجنة الثمانيه و قيل من كل باب من أبواب البر كالصلاه و الزكاه و الصوم و قيل من أبواب قصورهم و بساتينهم بالتحية من الله سبحانه و التحف و الهدايا عن ابن عباس و يقولون «سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ» و القول محذوف لدلاله الكلام عليه و السلام و التحيه و البشاره منهم بالسلامه و الكرامه و انتفاء كل أمر تشوبه مضره أى سلمكم الله من الأهوال و المكاره بصبركم على شدائد الدنيا و محنها فى طاعه الله تعالى «فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ» أى نعم عاقبه الدار ما أنتم فيه من الكرامه.

إشارة

وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ (٢٥) اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَ فَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ (٢٦) وَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أُنَابَ (٢٧) الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَ حُسْنُ مَا بٍ (٢٩)

اللغة

الإنباه الرجوع إلى الحق بالتوبه انتاب فلان القوم أتاهم مره بعد مره و يقال ناب ينوب نوبه إذا رجع مره بعد مره و طوبى فعلى من الطيب و هو تأنيث الأطيب و لم يغيروا طوبى بأن يقولوا طيبى كما قالوا ضيزى فقلبوا الواو ياء و الضمه كسره لأن طوبى اسم و ضيزى صفة فرقوا بين الاسم و الصفة.

الإعراب

«الَّذِينَ آمَنُوا» فى موضع نصب ردا على من. المعنى يهدى إليه الذين آمنوا و ألا- حرف تنبيه و ابتداء و حسن مآب عطف على طوبى لأن طوبى فى موضع رفع.

المعنى

لما ذكر سبحانه الذين يوفون بعهد الله و وصفهم بالصفات التى يستحقون بها الجنه عقبه بذكر من هو على خلاف حالهم فقال «وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» قد ذكرنا معنى عهد الله و ميثاقه و صلته ما أمر الله به أن يوصل «وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» بالدعاء إلى غير الله عن ابن عباس و قيل بقتال النبى ص و المؤمنين عن الحسن و قيل بالعمل فيها بمعاصى الله و الظلم لعباده و إخراب بلاده و هذا أعم «أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ» و هى الإبعاد من رحمه الله و التباعد من جنته «و لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» أى عذاب النار و الخلود فيها «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» أى يوسع الرزق على من يشاء من عباده بحسب ما يعلم من المصلحه و يضيقه على آخرين إذا كانت المصلحه فى التضييق «و فَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى فرحوا بما أوتوا من حطام الدنيا فرح البطر و نسوا فناءه و بقاء أمر الآخرة و تقديره و فرح الذين بسط لهم فى الرزق فى الحياه الدنيا «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ» أى ليست هذه الحياه الدنيا بالإضافه إلى الحياه الآخرة إلا قليل ذاهب لأن هذه فانيه و تلك دائمه باقيه عن مجاهد و قيل إنه مذكور على وجه التعجب أى عجباً لهم أن فرحوا بالدنيا الفانيه و تركوا النعيم الدائم و الدنيا فى جنب الآخرة متاع لا خطر له و لا بقاء له مثل القدرح و القصعه و القدر يتمتع به زماناً ثم ينكسر عن ابن عباس «و يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» أى هلا- أنزل على محمد معجزه من ربه يقترحها و يجوز أنهم لم يتفكروا فى الآيات المنزل فاعتقدوا أنه لم ينزل عليه آيه و لم يعتدوا بتلك الآيات فقالوا هذا القول جهلاً منهم بها «قُلْ» يا محمد «إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ» عن طريق الجنه بسوء

أفعاله و عظم معاصيه و قد مضى القول فى وجوه الإضلال و الهدى فلا معنى لإعادته «وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ» أى رجع إليه بالطاعة «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» معناه الذين اعترفوا بتوحيد الله على جميع صفاته و نبوه نبيه و قبول ما جاء به من عند الله و تسكن قلوبهم بذكر الله و تأنس إليه و الذكر حصول المعنى للنفس و قد يسمى العلم ذكرا و القول الذى فيه المعنى الحاضر للنفس أيضا يسمى ذكرا و قد وصف الله المؤمن ها هنا بأنه يطمئن قلبه إلى ذكر الله و وصفه فى موضع آخر بأنه إذا ذكر الله وجل قلبه لأن المراد بالأول أنه يذكر ثوابه و إنعامه و آلاءه التى لا تحصى و أياديه التى لا تجازى فيسكن إليه و بالثانى أنه يذكر عقابه و انتقامه فيخافه و يوجل قلبه «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» و هذا حث للعباد على تسكين القلب إلى ما وعد الله به من النعيم و الثواب و الطمأنينه إليه فإن وعده سبحانه صادق و لا شىء تطمئن النفس إليه أبلغ من الوعد الصادق و هو اعتراض وقع بين الكلامين إذا كان قوله «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ» فى موضع رفع بالابتداء و يكون قوله «الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» بدلا منه و قوله «طُوبَى لَهُمْ وَ حَسُنَ مَا أَتَى» جملة فى موضع الرفع بأنه خبر المبتدأ و إذا كان الذين آمنوا الأول فى موضع نصب على ما تقدم ذكره فيكون «الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» مبتدأ مستأنفا و طوبى لهم خبره و معناه أن الذين يؤمنون بالله و يعلمون ما يجب عليهم من الطاعات «طُوبَى لَهُمْ» و فيه أقوال (أحدها) أن معناه فرح لهم و قره عين عن ابن عباس (و الثانى) غبطه لهم عن الضحاك (و الثالث) خير لهم و كرامه عن إبراهيم النخعى (و الرابع) الجنة لهم عن مجاهد (و الخامس) معناه العيش المطيب لهم عن الزجاج و الحال المستطابه لهم عن ابن الأنبارى لأنه فعلى من الطيب و قيل أطيّب الأشياء لهم و هو الجنة عن الجبائى (و السادس) هنيئا بطيب العيش لهم (السابع) حسنى لهم عن قتاده (الثامن) نعم ما لهم عن عكرمه (التاسع) طوبى لهم دوام الخير لهم (العاشر)

أن طوبى شجره فى الجنة أصلها فى دار النبى ص و فى دار كل مؤمن منها غصن عن عبيد بن عمير و وهب و أبى هريره و شهر بن حوشب و رواه عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال لو أن راكبا مجدا سار فى ظلها مائه عام ما خرج منها و لو أن غرابا طار من أصلها ما بلغ أعلاها حتى يبيض هرما ألا فى هذا فارغبوا إن المؤمن نفسه منه فى شغل و الناس منه فى راحه إذا جن عليه الليل فرش وجهه و سجد لله يناجى الذى خلقه فى فكاك رقبتة ألا فكهدا فكونوا

و

روى على بن إبراهيم عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن على بن رثاب عن أبى عبيده الحذاء عن أبى عبد الله (عليه السلام) كان رسول الله ص يكثر تقبيل فاطمه (عليه السلام) فأنكرت عليه بعض نسائه ذلك فقال ص إنه لما أسرى بى إلى السماء دخلت الجنة

و أدنانى جبرائيل (عليه السلام) من شجره طوبى و ناولنى منها تفاحه فأكلتها فحول الله ذلك فى ظهرى ماء فهبطت إلى الأرض و
واقعت خديجه فحملت بفاطمه فكلما اشتقت إلى الجنة قبلتها و ما قبلتها إلا وجدت رائحه شجره طوبى فهى حوراء إنسيه

و

روى الثعلبى بإسناده عن الكلبي عن أبى صالح عن ابن عباس قال طوبى شجره أصلها فى دار على (عليه السلام) فى الجنة و فى
دار كل مؤمن منها غصن و رواه أبو بصير عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده عن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن أبيه عن آبائه (عليه السلام) قال سئل رسول
الله ص عن طوبى قال شجره أصلها فى دارى و فرعها على أهل الجنة ثم سئل عنها مره أخرى فقال فى دار على (عليه السلام)
ف قيل فى ذلك فقال إن دارى و دار على فى الجنة بمكان واحد

«وَحُسْنُ مَا بَ» أى و لهم حسن ما ب أى مرجع.

النظم

وجه اتصال قوله «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» الآية بما قبله أنه بين أن نقضهم للعهد إنما كان لحب الرئاسة و المنافسه فى
الدنيا و زهدهم فى المنافسه و أخبر بأنه يبسط الرزق لمن يرى صلاحه فيه و يرزق مقدار الكفايه من علم أن صلاحه فيه ثم لما
ذكر سبحانه سوء عاقبه الكفار عقب ذلك بذكر ما اقترحوه من الآيات و ترك تفكرهم فيما أنزل من الآيات الخارقه للعادات
فقال «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ لَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» و لما استعجلوا العذاب بين سبحانه أنه يضل من يشاء أى يهلك من يشاء
معجلا و يؤخر عذاب من يشاء عن أبى مسلم قال و المراد بقوله «آيَةٌ» آيات العذاب و قيل إنهم لما اقترحوا الآيات بين أنهم إنما
لم يجابوا إلى ذلك لأن فى المعلوم أنهم لا يؤمنون و أنه يهلكهم.

ص: ٣٣

إشارة

كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لَتَتْلُوا عَلَيْهِنَّ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ (٣٠) وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا أَ فَلَمْ يَنبَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصَِّبُهُمْ بِمَا صَدَّعُوا قَارِعَةً أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ (٣١)

القراءة

قرأ على و ابن عباس و على بن الحسين (عليه السلام) و زيد بن علي و جعفر بن محمد و ابن أبي مليكة و عكرمه و الجحدري و أبو يزيد المزني أ فلم يتبين و القراءة المشهورة «يُنَاسِ».

الحج

قال ابن جنى: هذه القراءة فيها تفسير قوله «أَفَلَمْ يَنبَأْسِ الَّذِينَ آمَنُوا» و روى عن على بن عياش أنها لغة فخذ من النخع قال:

ألم يئأس الأتوام أنى أنا ابنه و إن كنت عن أرض العشيره نائيا

و قال سحيم بن وثيل:

أقول لأهل الشعب إذ يأسرونى ألم يئأسوا أنى ابن فارس زهدم

و روى إذ ييسرونى أى يقسمونى أى ألم يعلموا قال و يشبه عندى أن يكون هذا أيضا راجعا إلى معنى اليأس و ذلك أن المتأمل للشىء المتطلب لعلمه ذاهب بفكره فى جهات تعرفه إياه فإذا ثبت نفسه على شىء اعتقده و أضرب عما سواه فلم ينصرف إليه كما ينصرف اليأس عن الشىء عنه و لا يلتفت إليه هذا طريق الصنعة فيها.

اللغة

المتاب التوبة تاب يتوب توبا و متابا و التوبة الفعل الواحد و التسيير تصيير الشىء بحيث يسير يقال سار يسير سيرا و سيره غيره و التقطيع تكثير القطع و القطع تفصيل المتصل و الحلول حصول الشىء فى الشىء كحصول العرض فى الجوهر و حصول الجوهر فى الوعاء و الأصل الأول و الثانى مشبه به و القارعه الشديده من شدائد الدهر و منه سميت القيامة قارعه و أصله من القرع و هو الضرب و مقارعه الأبطال ضرب بعضهم بعضا و قوارع القرآن الآيات التى من قرأها أمن من الشيطان كأنها تضرب الشياطين إذا قرئت.

النزول

نزلت الآيه الأولى فى صلح الحديبيه حين أرادوا كتاب الصلح فقال رسول

ص: ٣٤

الله ص لعلی (علیه السلام) اکتب بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل بن عمرو و المشركون ما نعرف الرحمن إلا صاحب اليمامة يعنون مسيلمه الكذاب أکتب باسمك اللهم و هكذا كان أهل الجاهليه يكتبون ثم قال رسول الله ص اکتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله فقال مشرکو قريش لئن كنت رسول الله ثم قاتلناک و صددناک لقد ظلمناک و لكن اکتب هذا ما صالح محمد بن عبد الله فقال أصحاب رسول الله ص دعنا نقاتلهم قال لا- و لكن اکتبوا كما يريدون فأنزل الله عز و جل «كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ فِي آيَةٍ»

عن قتاده و مقاتل و ابن جريج و قيل نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ص اسجدوا للرحمن قالوا و ما الرحمن عن الضحاك عن ابن عباس و نزلت الآيه الأخرى في نفر من مشرکی مکه منهم أبو جهل بن هشام و عبد الله بن أبي أميه المخزومي جلسوا خلف الكعبه ثم أرسلوا إلى النبي ص فأتاهم فقال له عبد الله بن أميه إن سرک أن تتبعک فسير لنا جبال مکه بالقرآن فأذهبها عنا حتى تنفسخ فإنها أرض ضيقه و اجعل لنا فيها عيونا و أنهارا حتى نغرس و نزرع فلست كما زعمت أهون على ربک من داود (عليه السلام) حيث سخر له الجبال تسبیح معه أو سخر لنا الريح فركبها إلى الشام فنقضى عليها مسيرتنا و حوائجنا ثم نرجع من يومنا فقد كان سليمان سخرت له الريح فكما زعمت لنا فلست أهون على ربک من سليمان و أحي لنا جدک قصيا أو من شئت من موتانا لنسأله أ حق ما تقول أم باطل فإن عيسى (عليه السلام) كان يحيى الموتى و لست بأهون على الله منه فأنزل الله سبحانه «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا» الآيه.

المعنى

لما ذكر سبحانه النعمه على من تقدم ذكره بالثواب و حسن المآب عقبه بذكر النعمه على من أرسل إليه النبي ص فقال «كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ» أى كما أنعمنا على المذكورين بالثواب في الجنة أنعمنا على المرسل إليهم بإرسالك و قيل إن معنى التشبيه أنا كما أرسلنا الأنبياء في الأمم قبلك أرسلناك «فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ» أى في جماعه قد مضت من قبلها قرون و جماعات «لِتَلْتَلُوا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» بين الغرض في إرساله و هو أن يقرأ عليهم القرآن ليتدبروا آياته و يتعظوا بها «وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ» أى و قريش يكفرون بالرحمن أى و يقولون قد عرفنا الله و لا ندري ما الرحمن كما أخبر عنهم بأنهم قالوا و ما الرحمن أنسجد لما تأمرنا عن الحسن و قتاده و قيل معناه أنهم يجحدون بالوحدانيه «قُلْ» يا محمد «هُوَ رَبِّي» أى الرحمن الذى أنكرتموه ربى أى خالقي و مدبرى «لا- إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» أى إليه فوضت أمرى متمسكا بطاعته راضيا بحكمه «وَإِلَيْهِ مَتَابٌ» أى مرجعى و قيل معناه إلى الرحمن توبتى «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ» أى تجعل به الجبال سائره فأذهبت من مواضعها و قلعت من أماكنها «أَوْ قُطِعَتْ بِهِ

الأرض» أى شققت فجعلت أنهارا و عيونا «أَوْ كَلَّمَ بِهِ الْمَوْتَى» أى أحيى به الموتى حتى يعيشوا و يتكلموا و حذف جواب لو لأن فى الكلام دليلا- عليه و التقدير لكان هذا القرآن لعظم محله و علو أمره و جلاله قدره قال الزجاج و الذى أتوهم و قد قاله بعضهم أن المعنى لو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لما آمنوا و دليله قوله «وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ» إلى قوله «ما كانوا ليؤمنوا» و حذف جواب لو يكثر فى الكلام قال امرؤ القيس:

فلو أنها نفس تموت سويه و لكنها نفس تساقط أنفسا

و هو آخر القصيده و قال:

و جدك لو شىء أانا رسوله سواك و لكن لم نجد لك مدفعا

«بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا» معناه أن جميع ما ذكر من تسيير الجبال و تقطيع الأرض و إحياء الموتى و كل تدبير يجرى هذا المجرى لله لأنه لا- يملكه سواه و لا- يقدر عليه غيره و لكنه لا- يفعل لأن فيما أنزل من الآيات مقنعا و كفايه للمنصفين و الأمر ما يصح أن يؤمر به و ينهى عنه و هو عام و أصله الأمر نقيض النهى «أَفَلَمْ يَيَّأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا» أى أفلم يعلموا و يتبينوا عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و سعيد بن جبير و أبى مسلم و قيل معناه أفلم يعلم الذين آمنوا علما يأسوا معه من أن يكون غير ما علموه عن الفراء و قيل معناه أفلم ييأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء الذين وصفهم الله عز و جل بأنهم لا يؤمنون عن الزجاج قال لأنه قال «أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا» أى أن الله لو أراد أن يهدى الخلق كلهم إلى جنته لهداهم لكنه كلفهم لينالوا الثواب بطاعتهم على وجه الاستحقاق و قيل أراد به مشيئة الإلجاء أى لو أراد أن يلجئهم إلى الاهتداء لقدر على ذلك لكنه ينافى التكليف و يبطل الغرض به «وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَبَّحُوا» من كفرهم و أعمالهم الخبيثة «قَارِعَةً» أى نازله و داهيه تفرعهم و مصيبه شديده من الحرب و الجذب و القتل و الأسر عليهم على جهه العقوبه للتنبيه و الزجر و قيل أراد بالقارعه سرايا النبى ص كان يبعثها إليهم و قيل أراد بذلك ما مر ذكره من حديث أربد و عامر «أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ» و قيل إن التاء فى تحل للتأنيث و المعنى أو تحل تلك القارعه قريبا من دارهم فتجاوزهم حتى يحصل لهم المخافه منه عن الحسن

وقتاده و أبى مسلم و الجبائى و قيل إن التاء للخطاب و المعنى أ و تحل أنت يا محمد بنفسك قريبا من دارهم «حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ» أى ما وعد الله من فتح مكة عن ابن عباس قال و هذه الآية مدنيه و قيل حتى يأتى يوم القيامة عن الحسن «إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ» ظاهر المعنى.

النظم

اتصلت الآية الأخرى بقوله «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» و التقدير أن مثل هذا القرآن أنزل عليهم و هم يطلبون آيات أخر عن الجبائى و قيل اتصلت بقوله «كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ» الآية لأن المفهوم من قوله «لِتَتْلُوا عَلَيْهِمْ» أنه قرأ عليهم القرآن و أنهم كفروا به.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٢ الى ٣٤]

اشاره

وَلَقَدْ اسْتَبْهَضُوا رِيسِيلَ مِنْ قَبْلِكَ فَامْلَيْتَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ (٣٢) أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زَيْنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَ صَدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَ مَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ (٣٣) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ لَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ (٣٤)

القراءه

قرأ أهل الكوفه و يعقوب «وَصَدُّوا» بضم الصاد و كذلك فى حم المؤمن و الباقون و صدوا بفتح الصاد.

الحججه

قال أبو الحسن: صد و صددته مثل رجع و رجعته قال:

صدت كما صد عما لا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام

قال عمرو بن كلثوم:

صددت الكأس عنا أم عمرو و كان الكأس مجراها اليمينا

و حجه من أسند الفعل إلى الفاعل قوله «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» * و فى موضع آخر يُصَدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ و صَدُّوكُمْ عَنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ * فلما أسند الفعل إلى الفاعل فى هذه الآية فكذلك فى هذه الآية أى صدوا الناس عن النبى ص و من بنى الفعل للمفعول به جعل فاعل الصد غواتهم و العتاه منهم فى كفرهم و قد يكون على نحو ما يقال صد فلان عن الخير و صد عنه بمعنى أنه لم يفعل خيرا و لا يراد به أن مانعا منعه.

اللغة

الاستهزاء طلب الهزاء و الهزاء إظهار خلاف الإضمار للاستصغار و الإملاء التأخير و هو من الملاوه و الملوان الليل و النهار قال ابن مقبل:

ألا يا ديار الحى بالسبعان ألح عليها بالبلى الملوان

و قال فى التهنته البس جديدا و تمل حيبا أى لتظل أيامك معه و الواقى المانع فاعل من الوقايه و هو الحجر بما يدفع الأذى و المكروه.

المعنى

ثم عزى سبحانه نبيه ص فقال «وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلِنا مِنْ قَبْلِكُمْ» كما استهزأ هؤلاء بك «فَأَمْلَيْتُمُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» أى فأمهلتهم و أطلت مدتهم ليتوبوا و لتتم عليهم الحجه «ثُمَّ أَخَذْتُمُ» أى أهلكتهم و أنزلت عليهم عذابي «فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ» أى فكيف حل عقابي بهم و هو إشارة إلى تفخيم ذلك العقاب و تعظيمه ثم عاد سبحانه إلى الحجاج مع الكفار «أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ» معناه أفمن هو قائم بالتدبير على كل نفس و حافظ كل نفس أعمالها يجازيها و قيل أفمن هو قائم عليها برزقها و حفظها و الدفع عنها كمن ليس بهذه الصفات من الأصنام التى لا تنفع و لا تضر و يدل على هذا المحذوف قوله «وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ» يعنى أن هؤلاء الكفار جعلوا لله شركاء فى العبادة من الأصنام التى لا تقدر على شىء مما ذكرنا «قُلْ» يا محمد «سَمُّوهُمْ» أى سموهم بما يستحقون من الصفات و إضافه الأفعال إليهم إن كانوا شركاء لله كما يوصف الله بالخالق و الرازق و المحيى و المميت و يعود المعنى إلى أن الصنم لو كان إلها لتصور منه أن يخلق الرزق فيحسن حينئذ أن يسمى بالخالق و الرازق و قيل سموهم بالأسماء

التي هي صفاتهم ثم انظروا هل تدل صفاتهم على جواز عبادتهم و اتخذهم آلهه و قيل معناه أنه ليس لهم اسم له مدخل في استحقاق الإلهيه و ذلك استحقاق لهم و قيل سموهم ما ذا خلقوا و هل ضرروا أو نفعوا و هو مثل قوله «أَرُونِي مَا ذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» عن الحسن «أَمْ تُبْتَوْنَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ» هذا استفهام منقطع مما قبله أى بل أ تخبرون الله بشريك له فى الأرض و هو لا- يعلمه على معنى أنه ليس و لو كان لعلم «أَمْ بَظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ» أى أم تقولون مجازاً من القول و باطلا- لا- حقيقه له عن مجاهد و قتاده و الضحاك و على هذا فالمعنى أنه كلام ظاهر ليس له فى الحقيقه باطن و معنى فهو كلام فقط و قيل أم بظاهر كتاب أنزل الله تعالى سميت الأصنام آلهه فبين أنه ليس هاهنا دليل عقلى و لا- سمعى يوجب استحقاق الأصنام الإلهيه عن الجبائى ثم بين سبحانه بطلان قولهم فقال «يَلْ زَيْنٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ» أى دع ذكر ما كنا فيه زين الشيطان لهم الكفر لأن مكرهم بالرسول كفر منهم عن ابن عباس و قيل بل زين لهم الرؤساء و الغواه كذبهم و زورهم «وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ» أى و صدوا الناس عن الحق أو صدوا بأنفسهم عن الحق و عن دين الله «وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ» سبق معناه فى مواضع «لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» بالقتل و السبى و الأسر و قيل بالمصائب و الأمراض «وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ» أى أعظم و أبلغ فى الشده على النفس لدوامه و خلوصه و كثرته «وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ» أى ما لهم من دافع يدفع عنهم عذاب الله تعالى.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٥ الى ٣٧]

اشاره

مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكْلُهَا دَائِمٌ وَظُلْمُهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ (٣٥) وَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مآبُ (٣٦) وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ (٣٧)

ص: ٣٩

الأنهار جمع نهر و نهر كفرد و أفراد و جمل و أجمال و النهر المجرى الواسع من مجارى الماء على وجه الأرض و أصله الاتساع و منه النهار لاتساع الضياء فيه و أنهرت الدماء وسعت مجراها و قال:

" ملكت بها كفى فأنهرت فتقها "

أى وسعته و الأكل بضم الهمزة المأكول و الأحزاب جمع الحزب و هم الجماعة التى تقوم بالنائبه يقال تحزب القوم إذا صاروا حزبا و حزبهام الأمر يحزبهام أى نالهم بمكروه.

الإعراب

«مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي» فيه أقوال (أحدها) أنه بمعنى الشبه و خبره محذوف و تقديره مثل الجنة التى هى كذا أجل مثل (و الثانى) أن تقديره فيما نقص عليكم مثل الجنة أو مثل الجنة فيما نقص عليكم فهو مرفوع أيضا على الابتداء و خبره محذوف و هو قول سيبويه و اختاره أبو على الفارسي (و الثالث) إن معناه صفه الجنة التى وعد المتقون تجرى من تحتها الأنهار فتجى من تحتها الأنهار مع ما بعده خبر المبتدأ الذى هو مثل الجنة قالوا و قوله سبحانه «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» معناه الصفه العليا و لم يرتض أبو على هذا القول.

المعنى

لما تقدم ذكر ما أعد الله للكافرين عقبه سبحانه بذكر ما أعد للمؤمنين فقال «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعِدَ الْمُتَّقُونَ» أى شبهها عن مقاتل و قيل صفتها و صورتها عن الحسن قال ابن قتيبه المثل الشبه فى أصل اللغة ثم قد يصير بمعنى صورته الشىء و صفته يقال مثلت لك كذا أى صورته و وصفته و قيل إن مثل مقحم و التقدير الجنة التى وعد المتقون «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أَكُلُهَا دَائِمٌ» يعنى أن ثمارها لا تنقطع كثمار الدنيا و ظلها لا يزول و لا تنسخه الشمس عن الحسن و قيل معناه نعيمها لا ينقطع بموت و لا آفه عن ابن عباس و قيل لذتها فى الأفواه باقيه عن إبراهيم التيمى «و ظِلُّهَا» أيضا دائم لا يكون مره شمسا و مره ظلا كما يكون فى الدنيا «تَلْمِكُ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا» أى تلك الجنة عقبه المتقين فالطريق إليها التقوى «و عُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ» أى و عقبه أمر الكفار النار و لما تقدم ذكر الوعد و الوعيد أخبر سبحانه عن المتقين و الكافرين فقال «و الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ» يريد أصحاب النبى ص الذين آمنوا به و صدقوه أعطوا القرآن و فرحوا بإنزاله «و مِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ» يعنى اليهود و النصرارى و المجوس أنكروا بعض معانيه و ما يخالف أحكامهم عن الحسن و قتاده و مجاهد و قيل الذين آتيناهم الكتاب هم الذين آمنوا من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام و أصحابه فرحوا بالقرآن لأنهم يصدقون به و الأحزاب بقيه أهل الكتاب و سائر المشركين عن ابن عباس قال لأن عبد الله بن سلام

و أصحابه أساءهم قله ذكر الرحمن فى القرآن مع كثره ذكره فى التوراه فأنزل الله «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ» ففرحوا بذلك وكفر المشركون بالرحمن وقالوا ما نعرف الرحمن إلا-رحمن اليمامة و يريد بالأحزاب الذين تحزبوا على رسول الله ص بالمعاداه و من ينكر بعضه يعنى ذكر الرحمن و هو قوله «وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ» «قُلْ» يا محمد «إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَ لَا أُشْرِكَ بِهِ» أى أمرت أن أوجه عبادتى إلى الله و لا أشرك به فى عبادته أحدا «إِلَيْهِ ادْعُوا» يعنى إلى الله أو إلى الإقرار بتوحيده و صفاته و توجيه العباده إليه وحده أدعو «وَ إِلَيْهِ مَأْبٍ» أى إليه مرجعى و مصيرى أى أرجع و أصير إلى حيث لا يملك الضر و النفع إلا هو وحده فإنه لا يملك يوم القيامة الأمر أحدا من عباده كما ملكهم فى الدنيا «وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا» أى كما أنزلنا الكتب إلى من تقدم من الأنبياء بلسانهم أنزلنا إليك حكمه عربيه أى جاريه على مذاهب العرب فى كلامهم يعنى القرآن فالحكم هاهنا بمعنى الحكمه كما فى قوله «وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» و قيل إنما سماه حكما لما فيه من الأحكام فى بيان الحلال و الحرام و سماه عربيا لأنه أتى به نبي عربى «وَ لَئِنْ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ» خطاب للنبي ص و المراد به الأمه أى لئن واقفت و طلبت أهواء الذين كفروا و الأهواء جمع الهوى و هو ميل الطباع إلى شىء بالشهوه «بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ» بالله تعالى لأن ما آتيناك من الدلالات و المعجزات موجب للعلم الذى يزول معه الشبهات «مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ» أى ناصر يعينك عليه و يمنعك من عذابه «وَ لَا وَاقٍ» يقيقك منه «مِنْ وَلِيٍّ» فى موضع رفع و من مزیده.

[سوره الرعد (١٣): الآيات ٣٨ الى ٤٠]

إشارة

وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَ جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٍ (٣٨) يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَ يَثْبُتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ (٣٩) وَ إِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ (٤٠)

القراءة

قرأ أهل البصره و ابن كثير و عاصم «يُثْبِتُ» بالتخفيف و قرأ الباقر يثبت بالتشديد.

قال أبو علي: المعنى يمحو ما يشاء و يثبتته فاستغنى بتعديه الأول من الفعلين عن تعديه الثاني و مثل ذلك و الحافظين فُروجهُهم و الحافظات و الذَّاكِرِينَ اللّهُ كَثِيرًا و الذَّاكِرَاتِ و زعم سيبويه إن من العرب من يعمل الأول من الفعلين و لا يعمل الثاني فى شىء من كلامهم كقولهم متى رأيت أو قلت زيدا منطلقا قال الكميت:

بأى كتاب أم بأيه سنه ترى حبهام عارا على و تحسب

فلم يعمل الثاني و هذا و الله أعلم فيما يحتمل النسخ و التبديل من الشرائع الموقوفه على المصالح على حسب الأوقات فأما غير ذلك فلا يمحي و لا يبدل و حجه من قال يثبت قوله و أَشَدَّ تَثْبِيْتًا و حجه من قرأ «يُثْبِتُ» ما

روى عن عائشه كان رسول الله ص إذا صلى صلاه أثبتها

و قوله «ثَابِتٌ» لأن ثبت مطاوع أثبت.

النزول

قال ابن عباس: عيروا رسول الله ص بكثره تزويج النساء و قالوا لو كان نبيا لشغلته النبوه عن تزويج النساء فنزلت الآيه «و لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ».

المعنى

«و لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «و جَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَ ذُرِّيَّةً» أى نساء و أولادا أكثر من نسائك و أولادك و كان لسليمان (عليه السلام) ثلاث مائه امرأه مهيره و سبعمائه سريه و لداود (عليه السلام) مائه امرأه عن ابن عباس أى فلا ينبغى أن يستنكر منك أن تتزوج و يولد لك و

روى أن أبا عبد الله (عليه السلام) قرأ هذه الآيه ثم أوماً إلى صدره فقال نحن و الله ذريه رسول الله ص

«و ما كان لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَهُ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللّهِ» أى لم يكن لرسول يرسله الله أن يجىء بآيه و دلالة إلا بعد أن يأذن فى ذلك و يطلق له فيه «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ» ذكر فيه وجوه (أحدها) أن معناه لكل أجل مقدر كتاب أثبت فيه و لا تكون آيه إلا بأجل قد قضاه الله فى كتاب على وجه ما يوجبه التدبير فالآيه التى اقترحوها لها وقت أجله الله لا على شهواتهم و اقتراحاتهم عن البلخى (و الثانى) لكل أمر قضاه الله كتاب كتبه فيه فهو عنده كأجل الحياه و الموت و غير ذلك عن أبى على الجبائى (و الثالث) أنه من المقلوب و المعنى لكل كتاب ينزل من السماء أجل ينزل فيه عن ابن عباس و الضحاك و معناه لكل كتاب وقت يعمل به فلتتوراه وقت و للإنجيل وقت و كذلك القرآن «يَمْحُوا اللّهُ مَا يَشَاءُ وَ يُثْبِتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ» قيل فى المحو و الإثبات أقوال (أحدها) إن ذلك فى الأحكام من الناسخ

و المنسوخ عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد و ابن جريج و هو اختيار أبي على الفارسي (و الثاني) أنه يمحو من كتاب الحفظه المباحات و ما لا- جزء فيه و يثبت ما فيه الجزء من الطاعات و المعاصي عن الحسن و الكلبي و الضحاك عن ابن عباس و الجبائي (و الثالث) أنه يمحو ما يشاء من ذنوب المؤمنين فضلا فيسقط عقابها و يثبت ذنوب من يريد عقابه عدلا عن سعيد بن جبير (الرابع) أنه عام في كل شيء فيمحو من الرزق و يزيد فيه و من الأجل و يمحو السعاده و الشقاوه و يثبتهما عن عمر بن الخطاب و ابن مسعود و أبي وائل و قتاده و أم الكتاب أصل الكتاب الذي أثبت فيه الحادثات و الكائنات و

روى أبو قلابه عن ابن مسعود أنه كان يقول اللهم أن كنت كتبتني في الأشقياء فامحني من الأشقياء و أثبتني في السعداء فإنك تمحو ما تشاء و تثبت و عندك أم الكتاب و روى مثل ذلك عن أئمتنا (عليه السلام) في دعواتهم المأثوره

و

روى عكرمه عن ابن عباس قال هما كتابان كتاب سوى أم الكتاب يمحو الله منه ما يشاء و يثبت و أم الكتاب لا يغير منه شيء و رواه عمران بن حصين عن النبي ص

و

روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر قال سألته عن ليله القدر فقال ينزل الله فيها الملائكه و الكتب إلى السماء الدنيا فيكتبون ما يكون من أمر السنه و ما يصيب العباد و أمر ما عنده موقوف له فيه المشيئه فيقدم منه ما يشاء و يؤخر ما يشاء و يمحو و يثبت و عنده أم الكتاب

و

روى الفضيل قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول العلم علمان علم ملائكته و رسله و أنبياءه و علم عنده مخزون لم يطلع عليه أحد يحدث فيه ما يشاء

و

روى زراره عن حمران عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال هما أمران موقوف و محتوم فما كان من محتوم أمضاه و ما كان من موقوف فله فيه المشيئه يقضى فيه ما يشاء

(و الخامس) أنه في مثل تقشير الأرزاق و المحن و المصائب يثبت في أم الكتاب ثم يزيله بالدعاء و الصدقه و فيه حث على الانقطاع إليه سبحانه (و السادس) إنه يمحو بالتوبه جميع الذنوب و يثبت بدل الذنوب حسنات يبينه قوله «إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» عن عكرمه (و السابع)

أنه يمحو ما يشاء من القرون و يثبت ما يشاء منها كقوله «ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ» و قوله «كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ» و روى ذلك عن علي (عليه السلام)

(و الثامن) إنه يمحو ما يشاء يعنى القمر و يثبت يعنى الشمس و بيانه فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً عَنِ السَّيِّدِ وَ أَم الكتاب هو اللوح المحفوظ الذى لا- يغير و لا- يبدل لأن الكتاب المنزله انتسخت منه فالمحو و الإثبات إنما يقع فى الكتاب المنتسخه لا- فى أصل الكتاب عن أكثر المفسرين و قيل إن ابن عباس سأل كعبا عن أم الكتاب فقال علم الله ما هو خالق و ما خلقه عاملون فقال لعلمه كن كتابا فكان كتابا و قيل إنما سمي أم الكتاب لأنه الأصل الذى كتب فيه أو سيكون كذا و كذا لكل

ما

ص: ٤٣

يكون فإذا وقع كتب أنه قد كان ما قيل إنه سيكون و الوجه في ذلك ما فيه من المصلحة و الاعتبار لمن تفكر فيه من الملائكة الذين يشاهدونه إذا قابلوا ما يكون بما هو مكتوب فيه و علموا أن ما يحدث على كثرته قد أحصاه الله تعالى و علمه قبل أن يكون مع أن ذلك أهول في الصدور و أعظم في النفوس حتى كان من تصوره و فكر فيه شاهدا له «وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ» يا محمد «بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ» أي نعد هؤلاء الكفار من نصر المؤمنين عليهم بتمكينك منهم بالقتل و الأسر و اغتنام الأموال «أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ» أي و نقبضنك إلينا قبل أن نريك ذلك و بين بهذا أنه يكون بعض ذلك في حياته و بعضه بعد وفاته أي فلا تنتظر أن يكون جميع ذلك في أيام حياتك و أن يكون مما لا بد أن تراه «فَإِنَّمَا عَلَيَّكَ الْبَلَاءُ وَ عَلَيْنَا الْحِسَابُ» أي عليك أن تبلغهم ما أرسلناك به إليهم و تقول بما أمرناك بالقيام به و علينا حسابهم و مجازاتهم و الانتقام منهم إما عاجلا و إما آجلا و في هذه دلالة على أن الإسلام سيظهر على سائر الأديان و يبطل الشرك في أيامه و بعد وفاته و قد وقع المخبر به على وفق الخبر.

النظم

اتصلت الآية الأولى بما تقدمها من قولهم «لَوْ لَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ» فبين سبحانه أنه بشر كما أن الرسل الذين كانوا قبله كانوا بشرا و البشر لا يقدر على الآيات بل إنما يأتي سبحانه بها إذا اقتضت المصلحة ذلك عن أبي مسلم و قيل إنه لما تقدم ذكر إرساله بين سبحانه أنه أرسل قبله بشرا كما أرسله فحاله مثل حالهم عن القاضي و إنما اتصلت الآية الثانية بقوله «لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ» لأن الظاهر اقتضى أن يكون كل مكتوب لا يجوز محوه فبين سبحانه أنه يمحو ما يشاء و يثبت لثلاثا يتوهم أن المعصية مثبتة مع التوبة كما أنها كذلك قبل التوبة عن علي بن عيسى و قيل لما نزلت «وَ مَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» قالت قريش ما نراك يا محمد تملك شيئا فلقد فرغ من الأمر فأنزل هذه الآية تخويفا و وعيدا لهم إنا لو شئنا أحدثنا من أمرنا ما شئنا و نمحو و نثبت في ليله القدر ما نشاء من أرزاق الناس و مصائبهم عن مجاهد و إنما اتصل قوله «وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ» الآية بما قبله من وعيد الله بالعذاب فبين سبحانه أنه يفعل ذلك لا محاله إما في حياته أو بعد وفاته بشاره له و قيل إنه لما تقدم أن لكل أجل كتابا بين أن لعذابهم وقتا سيفعله فيه لا محاله إما في حياته أو بعد وفاته.

إشارة

أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٤١) وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ (٤٢) وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسِيًّا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ (٤٣)

القراءة

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و سيعلم الكافر على لفظ الواحد و الباقر «الْكُفَّارُ» على الجمع و فى الشواذ

قراءة النبى ص و على و ابن عباس و سعيد بن جبير و عكرمه و ابن أبى إسحاق و الضحاك و الحكم بن عيينه و من عنده علم الكتاب

بكسر الميم و الدال و قراءة على و الحسن و ابن السميع و من عنده علم الكتاب.

الحج

قال أبو على العلم فى قوله «وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ» هو المتعدى إلى مفعولين بدلالة تعليقه و وقوع الاستفهام بعده تقول علمت لمن الغلام فتعلقه مع الجار كما تعلقه مع غيره فى نحو فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ و موضع الجار مع المجرور نصب من حيث سد الكلام الذى هو فيه مسد المفعولين لا من حيث حكمت فى نحو مررت بزید بأن موضعه نصب و لكن اللام الجاره كانت متعلقه فى الأصل بفعل فكان مثل علمت بمن تمر فى أن الجار يتعلق بالمرور و الجملة التى هى منها فى موضع نصب و قد علق الفعل عنها فأما من قرأ الكافر فإنه جعل الكافر اسما شائعا كالإنسان فى قوله «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ» و زعموا أن لا ألف فيه و هذا الحذف إنما يقع فى كل فاعل نحو خالد و صالح و لا يكاد الحذف فى فعال و زعموا أن فى بعض الحروف و سيعلم الذين كفروا فهذا يقوى الجمع و قد جاء فاعل يراد به اسم الجنس أنشد أبو زيد:

إن تبخلى يا جمل أو تعتلى و تصبى فى الظاعن المولى

فهذا إنما يكون فى الكسره و ليس المراد على كل كافر واحد و الجمع الذى هو الكفار المراد فى الآيه لا إشكال فيه فأما من قرأ و من عنده علم الكتاب فمعناه و من فضله و لطفه أم الكتاب و من قرأ من عنده علم الكتاب فالمعنى مثل ذلك إلا أن الجار هاهنا يتعلق بعلم و فى الأول بمحذوف و علم الكتاب مبتدأ و مرفوع بالظرف على ما تقدم ذكره فى قوله «وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ».

اللغة

النقص أخذ الشىء من الجملة ثم يستعمل فى نقصان المنزله و الطرف منتهى

الشيء و هو موضع من الشيء ليس وراءه ما هو منه و أطراف الأرض نواحيها و التعقيب رد الشيء بعد فصله و منه عقب العقاب على صيده إذا رد الكرور عليه بعد فصله عنه و منه قول لبيد:

" طلب المعقب حقه المظلوم "

و المكر القتل عن البغيه بطريق الحيله و الشهيد و الشاهد واحد إلا أن في شهيد مبالغه و الشهاده البينه على صحه المعنى من طريق المشاهده.

الإعراب

«نَنْقُضُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا» جملة منصوبه الموضع على الحال و كذلك قوله «لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ» و الباء في قوله «كَفَى بِاللَّهِ» زائده قال على بن عيسى دخلت لتحقيق الإضافه من وجهين جهه الفاعل و جهه حرف الإضافه و ذلك أن الفعل لما جاز أن يضاف إلى غير فاعله بمعنى أنه أمر به أزيل هذا الاحتمال بهذا التأكيد و نظيره في تأكيد الإضافه قوله «لَمَّا خَلَقْتُ يَدَيَّ».

المعنى

ثم ذكر سبحانه ما يكون للكفار كالبينه على الاعتبار فقال «أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُضُهَا» أى نقصدها «مِنْ أَطْرَافِهَا» و اختلف فى معناه على أقوال (أحدها) أ و لم ير هؤلاء الكفار أنا نقص أطراف الأرض بإماته أهلها و مجازه نقص أهلها من أطرافها كقوله «وَسئَلِ الْقَرْيَةَ» أى أ فلا يخافون أن نفعل مثل ذلك بهم عن ابن عباس و قتاده و عكرمه (و ثانيها)

نقصها بذهاب علمائها و فقهاءها و خيار أهلها عن عطا و مجاهد و البلخى و روى نحو ذلك عن ابن عباس و سعيد بن جبير و عن أبى عبد الله (عليه السلام)

قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلمه فى الإسلام لا يسدها شىء ما اختلف الليل و النهار (و ثالثها) أن المراد نقصد الأرض نقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين معناه فنقص من أهل الكفر و نزيد فى المسلمين يعنى ما دخل فى الإسلام من بلاد الشرك عن الحسن و الضحاك و مقاتل قال الضحاك أ و لم ير أهل مكة أنا نفتح لمحمد ص ما حولها من القرى و قال الزجاج: علم الله تعالى أن بيان ما وعد المشركون من قهرهم قد ظهر أى أ فلا يخافون أن نفتح لمحمد أرضهم كما فتحنا له غيرها و قد روى ذلك أيضا عن ابن عباس قال القاضى و هذا القول أصح لأنه يتصل بما وعده من إظهار دينه و نصرته (و رابعها) أن معناه أ و لم يروا ما يحدث فى الدنيا من الخراب بعد العماره و الموت بعد الحياه و النقصان بعد الزيادة عن الجبائى «وَاللَّهُ يَحْكُمُ» أى يفصل الأمر «لَا مُعَقَّبَ لِحُكْمِهِ» و لا راد لقضائه عن ابن عباس و معناه لا يعقب أحد حكمه بالرد و النقص «هُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» أى سريع

المجازاه على أفعال العباد على الطاعات بالثواب و على المعاصى بالعقاب ثم بين سبحانه أن مكرهم يضمحل عند نزول العذاب بهم فقال «وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» يريد أن الكفار الذين كانوا قبل هؤلاء قد مكروا بالمؤمنين و احتالوا فى كفرهم و دبروا فى تكذيب الرسل بما فى وسعهم فأبطل الله مكرهم كذلك يبطل مكر هؤلاء «فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا» أى له الأمر و التدبير جميعا فيرد عليهم مكرهم بنصب الحجج لعباده و قيل معناه فالله يملك الجزاء على المكر عن أبى مسلم و قيل يريد بالمكر ما يفعل الله تعالى بهم من المكروه عن الجبائى «يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ» فلا يخفى عليه ما يكسبه الإنسان من خير و شر لأنه عالم بجميع المعلومات و قيل يعلم ما يمكرونه فى أمر الرسول فيبطل أمرهم و يظهر أمره و دينه «وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقِبِيَ الدَّارِ» هذا تهديد لهم بأنهم سوف يعلمون من تكون له عاقبه الجنه حين يدخل المؤمنون الجنه و الكافرون النار و قيل معناه و سيعلمون لمن العاقبه المحموده لكم أم لهم إذا أظهر الله دينه «وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا» لك يا محمد «لَسْتَ مُرْسِيًّا» من جهه الله تعالى إلينا «قُلْ» لهم «كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ» أى كفى الله شاهدا بينى و بينكم بما أظهر من الآيات و أبان من الدلالات على نبوتى «وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن من عنده علم الكتاب هو الله عن الحسن و الضحاك و سعيد بن جبير و اختاره الزجاج قال و يدل عليه قراءه من قرأ و من عنده علم الكتاب (و الثانى) إن المراد به مؤمنوا أهل الكتاب منهم عبد الله بن سلام و سلمان الفارسى و تميم الدارى عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و اختاره الجبائى و أنكر الأولون هذا القول بأن قالوا السوره مكيه و هؤلاء أسلموا بعد الهجره (و الثالث)

إن المراد به على بن أبى طالب و أئمه الهدى (عليه السلام) عن أبى جعفر و أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى عن بريد بن معاويه عن أبى عبد الله أنه قال إيانا عنى و على أولنا و أفضلنا و خيرنا بعد النبى ص

و

روى عنه عبد الله بن كثير أنه وضع يده على صدره ثم قال عندنا و الله علم الكتاب كملا

و يؤيد ذلك ما روى عن الشعبى أنه قال ما أحد أعلم بكتاب الله بعد النبى من على بن أبى طالب (عليه السلام) و من الصالحين من أولاده و روى عن عاصم بن أبى النجود عن أبى عبد الرحمن السلمى قال ما رأيت أحدا أقرأ من على بن أبى طالب (عليه السلام) للقرآن و روى أبو عبد الرحمن أيضا عن عبد الله بن مسعود قال لو كنت أعلم أن أحدا أعلم بكتاب الله منى لأتيته قال فقلت له فعلى و قال أ و لم آته.

(١٤) سورة إبراهيم مكيه و آياتها ثنتان و خمسون (٥٢)

اشاره

[توضيح]

قال ابن عباس و قتاده و الحسن هي مكيه إلا آيتان نزلتا في قتلى بدر من المشركين «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا» إلى قوله «وَبِئْسَ الْقَرَارُ».

عدد آياتها

خمس و خمسون آيه شامى أربع حجازى آيتان كوفى آيه بصرى.

اختلافها

سبع آيات «إِلَى النُّورِ» فى الموضوعين حجازى و شامى «وَعَادٍ وَ ثَمُودَ» حجازى بصرى و «بِخَلْقِ جَدِيدٍ» كوفى شامى و المدنى الأول و «فَزَعُهَا فِي السَّمَاءِ» غير المدنى الأول و «اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ» غير البصرى «عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ» شامى.

فضلها

أبى بن كعب قال قال رسول الله ص من قرأ سورة إبراهيم (عليه السلام) و الحجر أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من عبد الأصنام و بعدد من لم يعبدها

و

روى عيينه بن مصعب عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة إبراهيم و الحجر فى ركعتين جميعا فى كل جمعه لم يصبه فقر و لا جنون و لا بلوى.

تفسيرها

لما ختم الله سورة الرعد بإثبات الرساله و إنزال الكتاب افتتح هذه السوره ببيان الغرض فى الرساله و الكتاب فقال:

ص: ٤٨

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ (١) اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ (٢) الَّذِينَ يَشْتَرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ (٣)

القراءه

الله الذى بالرفع مدنى شامى و الباقون بالجر.

الحجه

قال أبو على من قرأ بالجر جعله بدلا من الحميد و لم يكن صفه لأن الاسم و إن كان مصدرا فى الأصل و المصادر يوصف بها كما يوصف بأسماء الفاعلين فكذلك كان هذا الاسم فى الأصل الإله و معناه ذو العباده أى العباده تجب له قال أبو زيد التأله التنسك و أنشد لرؤبه:

" سبحان و استرجعن عن تألهي "

فهذا فى أنه فى الأصل مصدر قد وصف به مثل السلام و العدل إلا أن هذا الاسم غلب حتى صار فى الغلبه لكثره استعمال هذا الاسم كالعلم و قد يغلب ما أصله الصفه فيصير بمنزله العلم قال:

و نابغه الجعدى بالرمل بيته عليه صفيح من تراب و جندل

و الأصل النابغه و لما غلب نزع منه الألف و اللام كما ينزع من الأعلام نحو زيد و جعفر و ربما استعمل فى هذا النحو الوجهان قال:

تقعدهم أعراق حذيم بعد ما رجا الهتم إدراك العلى و المكارم

و قال:

" وجلت عن وجوه الأهاتم "

و من قرأ بالرفع قطعه من الأول و جعل الذى الخبر أو جعله صفه و أضمر الخبر و مثل ذلك فى القطع قُلْ بَلَى وَ رَبِّيَ لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ و من قطع و رفع جعل قوله لا يَغْرُبُ عَنْهُ خبرا لقوله عَالِمِ الْغَيْبِ و من جر أجرى عالم

الغيب صفة على الأول و على هذا يجوز مَنْ بَعَثْنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ أَى إِن شئت جعلت هذا صفة لقوله مِنْ مَرْقَدِنَا و أضمرت خبرا لقوله مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ و إن شئت جعلت قوله هذا ابتداء و مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ خبرا.

اللغة

العزیز القادر على الأشياء الممتنع بقدرته من أن يضام و الحمید المحمود على كل حال و الاستحباب طلب محبه الشىء بالتعرض لها و المحبه إرادته منافع المحبوب و قد يستعمل بمعنى ميل الطباع و الشهوه و البغيه و الابتغاء الطلب.

المعنى

«الر» قد ذكرنا معانى الحروف المقطعه فى أوائل السور و ذكرنا اختلاف الأقاويل فيه فى أول البقره «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ» يعنى القرآن نزل به جبرئيل (عليه السلام) من عند الله تعالى أى هذا كتاب منزل إليك يا محمد ص ليس بسحر و لا بشعر «لِتُخْرِجَ النَّاسَ» أى جميع الخلق «مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» أى من الضلاله إلى الهدى و من الكفر إلى الإيمان «يَاذُنِ رَبِّهِمْ» أى بإطلاق الله ذلك و أمره به و فى هذا دلالة على أنه سبحانه يريد الإيمان من جميع المكلفين لأن اللام لام الغرض و لا يجوز أن يكون لام العاقبه لأنه لو كان ذلك لكان الناس كلهم مؤمنين و المعلوم خلافه ثم بين سبحانه ما النور فقال «إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ» أى يخرجهم من ظلمات الكفر إلى طريق الله المؤدى إلى معرفه الله المنيع فى سلطانه المحمود فى فعاله و نعمه التى أنعم بها على عباده «اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَا فِي الْأَرْضِ» أى له التصرف فيهما على وجه لا اعتراض عليه «وَ وَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ» أخبر أن الويل للكافرين الذين يجحدون نعم الله و لا يعترفون بوحدايته من عذاب تتضاعف الأمه ثم وصف الكافرين بقوله «الَّذِينَ يَشْتَهُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ» أى يختارون المقام فى هذه الدنيا العاجله على الكون فى الآخرة و إنما دخلت على لهذا المعنى و ذمهم سبحانه بذلك لأن الدنيا دار انتقال و فناء و الآخرة دار مقام و بقاء «وَ يَصِيدُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى يمنعون غيرهم من اتباع الطريق المؤدى إلى معرفه الله و يجوز أن يريد أنهم يعرضون بنفوسهم عن اتباعها «وَ يَبْغُونَهَا عِوَجًا» أى يطلبون للطريق عوجا أى عدولا عن الاستقامه و السبيل يذكر و يؤنث و قيل معناه يلتمسون الدنيا من غير وجهها لأن نعمه الله لا تستمد إلا بطاعته دون معصيته «أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ» أى فى عدول عن الحق بعيد عن الاستقامه و الصواب.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢ الى ٦]

اشاره

وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٤) وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ ذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٥) وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يُسَيِّئُونَ بِنِسَاءِكُمْ وَ فِي ذَلِكَمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ (٦)

التذكير التعريض للذكر الذى هو خلاف السهو و الصبار كثير الصبر.

الإعراب

أن أخرج يحتمل أن تكون أن بمعنى أى على وجه التفسير و يصلح أن تكون أن التى توصل بالأفعال إلا- أنها وصلت ها هنا بالأمر و التأويل الخبر كما تقول أنت الذى فعلت و المعنى أنت الذى فعل «يَسْؤُمُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ» جملة فى موضع الحال.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه إنما يرسل الرسل إلى قومهم بلغتهم ليكون أقرب إلى الفهم و أقطع للعدر فقال «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» أى لم يرسل فيما مضى من الأزمان رسولا إلا بلغه قومه حتى إذا بين لهم فهموا عنه و لا يحتاجون إلى من يترجمه عنه و قد أرسل الله تعالى نبينا محمدا ص إلى الخلق كافة بلسان قومه و هم العرب بدلاله قوله «وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا» قال الحسن امتن الله على نبيه محمد ص أنه لم يبعث رسولا إلا إلى قومه و بعثه خاصة إلى جميع الخلق و به قال مجاهد و قيل إن معناه أنا كما أرسلناك إلى العرب بلغتهم لتبين لهم الدين ثم أنهم يبينونه للناس كذلك أرسلنا كل رسول بلغه قومه ليظهر لهم الدين ثم استأنف فقال «فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ» عن طريق الجنة إذا كانوا مستحقين للعقاب «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» إلى طريق الجنة و قيل يلطف لمن يشاء ممن له لطف و يضل عن ذلك من لا لطف فمن تفكر و تدبر اهتدى و ثبته الله و من أعرض عنه خذله الله «وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» ظاهر المعنى ثم ذكر سبحانه إرساله

موسى فقال «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا» أى بالمعجزات و الدلالات «أَنْ أَخْرِجَ قَوْمَكَ» أى بأن أخرج قومك «مِنَ الظُّلْمَاتِ إِلَى النُّورِ» مر معناه أى أمرناه بذلك و إنما أضاف الإخراج إليه لأنهم بسبب دعائه خرجوا من الكفر إلى الإيمان «وَذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه و أمرناه بأن يذكر قومه وقائع الله فى الأمم الخالية و إهلاك من أهلك منهم ليحذروا ذلك عن ابن زيد و البلخى و يعضده قول عمرو بن كلثوم:

و أيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن نديننا

فيكون المعنى الأيام التى انتقم الله فيها من القرون الأولى (و الثانى)

أن المعنى ذكرهم بنعم الله سبحانه فى سائر أيامه عن ابن عباس و أبى بن كعب و الحسن و مجاهد و قتاده و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

(و الثالث) أنه يريد بأيام الله سننه و أفعاله فى عباده من إنعام و انتقام و كنى بالأيام عنهما لأنها ظرف لهما جامع لكل منهما عن أبى مسلم و هذا جمع بين القولين المتقدمين «إِنَّ فِي ذَلِكَ» التذكير «لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» أى دلالات لكل من كان عادته الصبر على بلاء الله و الشكر على نعمائه و إنما جمع بينهما لأن حال المؤمن لا يخلو من نعمه يجب شكرها أو محنه يجب الصبر عليها فالشكر و الصبر من خصال المؤمنين فكأنه قال لكل مؤمن و لأن التكليف لا يخلو من الصبر و الشكر «وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ» و التقدير و اذكر يا محمد إذ قال موسى لهم «اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ» أى فى الوقت الذى أنجاكم «مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ» أى يذيقونكم «سُوءَ الْعَذَابِ وَ يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ» أى يستبقونهن أحياء للاسترقاق «وَ فِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ» و الآيه مفسره فى سورة البقره قال الفراء: و إنما دخلت الواو هنا للعطف لأنهم كانوا يعذبون أنواعا من العذاب سوى الذبح فجاز العطف فإذا حذف الواو كان يذبحون تفسيرا للعذاب.

إشارة

وَ إِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَ لَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ (٧) وَ قَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ (٨) أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبُؤُا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَ قَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَ إِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٌ (٩) قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَ فِى اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ (١٠)

اللغة

التأذن الإعلام يقال أذن و تأذن و مثله أوعد و توعد قال الحارث بن حلزة:

آذنتنا بينها أسماء رب ثاو يمل منه الثواء

و النبأ الخبر عما يعظم شأنه لهذا الأمر نبأ عظيم أى شأن و نبأ الله محمداً و تنبأ مسيلمه الكذاب ادعى النبوه و الريب أخبث الشك و الريب المتهم و هو الذى يأتى بما فيه التهمه يقال أراب يريب إذا أتى بما يوجب الريبه.

الإعراب

قوم نوح و ما بعده مجرور بأنه بدل من قوله «الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» و فاطر مجرور بأنه صفة لله فى قوله «أَفِى اللَّهِ شَكٌّ» و من فى قوله «مِنْ ذُنُوبِكُمْ» للتبعيض و قيل إن من زائده عن أبى عبيده و أنكر سيبويه زيادتها فى الإيجاب.

المعنى

لما تقدم ذكر النعمة أتبعه سبحانه بذكر ما يلزم عليها من الشكر فقال «وَ إِذِ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ» التقدير و اذكر إذ أعلم ربكم عن الحسن و البلخى و قيل معناه و إذ قال لكم ربكم

عن ابن عباس وقيل أخبر ربكم عن الجبائي «لَيْتَ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ» أى لئن شكرتم لى على نعمتى لأزيدنكم فى النعم «وَلَيْتَ كَفَرْتُمْ» أى جحدتم نعمتى «إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» لمن كفر نعمتى و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) فى هذه الآيه أيما عبد أنعمت عليه نعمه فأقر بها بقلبه و حمد الله عليها بلسانه لم ينفذ كلامه حتى يأمر الله له بالزياده

«وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا» أى تجحدوا نعم الله سبحانه «أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» من الخلق لم تضروا الله شيئاً و إنما يضركم ذلك بأن تستحقوا عليه العقاب «فَإِنَّ اللَّهَ» سبحانه «لَغَنِيٌّ» عن شكركم «حَمِيدٌ» فى أفعاله و قد يكون كفر النعمه بأن يشبه الله بخلقه أو يجور فى حكمه أو يرد على نبي من أنبيائه فإن الله سبحانه قد أنعم على خلقه فى جميع ذلك بأن أقام الحجج الواضحه و البراهين الساطعه على صحته و عرض بالنظر فيها للثواب الجزيل «أَلَمْ يَأْتِكُمْ» قيل إن هذا الخطاب متوجه إلى أمه نبينا ص فذكرت بأخبار من تقدمها من الأمم و قيل إنه من قول موسى (عليه السلام) لأنه متصل به فى الآيه المتقدمه و المعنى أ لم يجئكم «تَبَوُّوا الدِّينَ مِنْ قَبْلِكُمْ» أى أخبار من تقدمكم «قَوْمِ نُوحٍ وَ عَادٍ وَ ثَمُودَ وَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ» أى لا يعلم تفاصيل أحوالهم و عددهم و ما فعلوه و فعل بهم من العقوبات إلا الله قال ابن الأنبارى: إن الله تعالى أهلك أمما من العرب و غيرها فانقطعت أخبارهم و عفت آثارهم فليس يعرفهم أحد إلا الله و كان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآيه قال كذب النسابون و قيل إن النبي ص كان لا يجاوز فى انتسابه معد بن عدنان فعلى هذا يكون قوله «وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ» مبتدأ و خبرا «جاءتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» أى بالأدله و الحجج و الأحكام و الحلال و الحرام «فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ» اختلفوا فى معناه على أقوال (أحدها) أن معناه عضوا على أصابعهم من شدة الغيظ لأنه ثقل عليهم مكان الرسل عن ابن مسعود و ابن عباس و الجبائي (و ثانيها) أن معناه جعلوا أيديهم فى أفواه الأنبياء تكذيبا لهم و ردا لما جاءوا به فالضمير فى أيديهم للكفار و فى أفواههم للأنبياء فكأنهم لما سمعوا وعظ الأنبياء و كلامهم أشاروا بأيديهم إلى أفواه الرسل تسكيتا لهم عن الحسن و مقاتل (و ثالثها) أن معناه وضعوا أيديهم على أفواههم مومنين بذلك إلى الرسل أن اسكتوا عما تدعوننا إليه كما يفعل الواحد منا مع غيره إذا أراد تسكيتة عن الكلبى فيكون على هذا القول الضميران للكفار (و رابعها) أن كلام الضميرين للرسل أى أخذوا أيدي الرسل فوضعوها على أفواههم ليسكتوهم و يقطعوا كلامهم فيسكتوا عنهم لما يسوا منهم هذا كله إذا حمل معنى الأيدي و الأفواه على الحقيقيه و من حملها على التوسع و المجاز فاختلفوا فى معناه فليل المراد باليد ما نطقت به الرسل من الحجج و المعنى فردوا حججهم من حيث جاءت لأن الحجج تخرج من الأفواه عن أبى مسلم و قيل إن المعنى ردوا

ما جاءت به الرسل و كذبوهم عن مجاهد و قتاده و قيل معناه تركوا ما أمروا به و كفوا عن قبول الحق عن أبى عبده و الأخفش قال القتيبي: و لم يسمع أحد أن العرب تقول رد يده فى فيه بمعنى ترك ما أمر به و إنما المعنى أنهم عضوا على الأيدى حنقا و غيظا كقول الشاعر:

" يردون فى فيه عشر الحسود "

يعنى أنهم يغيظون الحسود حتى يعض على أصابعه العشر و قال آخر:

قد أفنى أنامله أزمه فأضحى يعض على الوظيفا

و قيل المعنى ردوا بأفواههم نعم الرسل أى وعظهم و بيانهم فوقع فى موقع الباء عن مجاهد قال الفراء: أنشدنى بعضهم:

و أرغب فيها عن لقيط و رهطه و لكننى عن سنبس لست أرغب

قال أراد أرغب بها يعنى بنتا له يقول أرغب بها عن لقيط و قبيلته «و قالوا إنا كفرنا» أى جحدنا «بما أرسلمتم به» أى برسالاتكم «و إنا لفي شك مما تدعوننا إليه» من الدين «مريب» متهم أى يوقنا فى الريب بكم أنكم تطلبون الرئاسه و تفترون الكذب «قالت رسلهم» حينئذ لهم «أفى الله شك» مع قيام الأدله على وحدانيته و صفاته «فاطر السماوات و الأرض» أى خالقتها و منشئها لا يقدر على ذلك غيره فوجب أن يعبد وحده و لا يشرك به من لا يقدر على اختراع الأجسام «يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم» أى يدعوكم إلى الإيمان به لينفعكم لا يضركم و قال من ذنوبكم بمعنى ليغفر لكم بعض ذنوبكم لأنه يغفر ما دون الشرك و لا يغفر الشرك و قال الجبائي: دخلت من للتبويض و وضع البعض موضع الجميع توسعا «و يؤخركم إلى أجل مسمى» أى يؤخركم إلى الوقت الذى ضربه الله لكم أن يميتمكم فيه و لا يؤاخذكم بعاجل العقاب «قالوا» أى قال لهم قومهم «إن أنتم» أى ما أنتم «إلا بشر مثلنا» أى خلق مثلنا «تريدون أن تصدونا» أى تمنعونا «عما كان يعبد آباؤنا» من الأصنام و الأوثان «فأتونا بسيلطان ميين» أى بحجه واضحة على صحه ما تدعونه و بطلان ما نحن فيه و إنما قالوا ذلك لأنهم اعتقدوا أن جميع ما جاءت به الرسل من المعجزات ليست بمعجزه و لا دلاله و قيل إنهم طلبوا معجزات مقترحات سوى ما ظهرت فيما بينهم و فى هذه الآيه دلاله على أنه سبحانه لا يريد الكفر و الشرك و إنما يريد الخير و الإيمان و أنه إنما بعث الرسل إلى الكفار رحمة و فضلا و إنعاما عليهم ليؤمنوا فإنه قال يدعوكم ليغفر لكم.

إشارة

قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ (١١) وَ مَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ (١٢)

المعنى

ثم حكى سبحانه جواب الرسل للكفار فقال «قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» فى الصورة و الهياه و لسنا ملائكة «وَ لَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» أى ينعم عليهم بالنبوه و ينبئهم بالمعجزه فلقد من الله علينا و اصطفانا و بعثنا أنبياء «وَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ» أى بحجه على صحه دعوانا «إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ» أى بأمره و إطلاقه لنا فى ذلك «وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ» المصدقون به و بأنبيائه «وَ مَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ» معناه و أى شىء لنا إذا لم نتوكل على الله و لم نفوض أمورنا إليه و على هذا تكون ما للاستفهام و قيل أن معناه و لا وجه لنا و لا عذر لنا فى أن لا نتوكل على الله و لا نثق به فتكون ما للنفى و إذا كانت للاستفهام فمعناه النفى أيضا «وَ قَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا» أى عرفنا طريق التوكل و قيل معناه هداانا إلى سبيل الإيمان و دلنا على معرفته و وفقنا لتوجيه العباده إليه و أن لا نشرك به شيئا و ضمن لنا على ذلك جزيل الثواب و المراد أنا إذا كنا مهتدين فلا ينبغي لنا أن لا نتوكل على الله «وَ لَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا» فإنه تعالى يكفيننا أمركم و ينصرنا عليكم «وَ عَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ» و إنما قص هذا و أمثاله فى القرآن على نبينا ليقتدى بمن كان قبله من المرسلين فى تحمل أذى المشركين و الصبر على ذلك و التوكل و

روى الواقدي بإسناده عن أبى مريم عن أبى الدرداء قال قال رسول الله ص إذا آذاك البرغيث فخذ قدحا من الماء فاقرأ عليه سبع مرات «وَ مَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ» الآيه و قل فإن كنتم آمنتم بالله فكفوا شركم و أذاكم عنا ثم ترش الماء حول فراشك فإنك تبيت تلك الليله آمننا من شرها.

اشاره

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعْرِوُدَنَّ فِي مَلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ (١٣) وَ لَنَشْكِنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَ خَافَ وَعِيدِ (١٤) وَ اسْتَفْتَحُوا وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ (١٥) مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَ لَا يَكَادُ يُسِغُهُ وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ مَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَ مِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ (١٧)

مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ؕ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ (١٨)

القراءه

في الشواذ قراءه ابن عباس و مجاهد و ابن محيصر و استفتحوا و قراءه ابن أبي إسحاق في يوم عاصف بالإضافه.

الحجه

قوله «وَ اسْتَفْتَحُوا» معطوف على ما سبق من قوله «فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ» أي و قال لهم استفتحوا أي استنصروا الله عليهم و استفصوه بينكم و في

الحديث كان ص يستفتح بصعاليك المهاجرين

أي يستنصر بهم و قيل معناه أنه يقدمهم و يبدأ أمره بهم و كأنهم إنما سمو القاضى فتاحا لأنه يفتح باب الحق الذى هو مسند فيعمل عليه و أما قوله «فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ» فمعناه في يوم ريح عاصف فحذف الموصوف و أقيمت الصفه مقامه و كذلك في قراءه الجماعه في يوم عاصف هو الريح لا اليوم.

اللغه

الاستفتاح طلب الفتح بالنصر. و الخيبه إخلاف ما قدر به المنفعه و ضده النجاح و هو إدراك الطلبه و الجبريه طلب علو المنزله بما ليس له غايه في الوصف و إذا وصف العبد بأنه جبار كان ذما و إذا وصف الله سبحانه به كان مدحا لأن له علو المنزله بما ليس وراءه غايه في الصفه و العنيد مبالغه العائد و العناد الامتناع من الحق مع العلم به كبيرا و بغيا قال:

إذا نزلت فاجعلانى و سطا إني كبير لا أطيق العندا

و الوراء و الخلف واحد و هو الجبهه المقابله لجبهه القدام و قد يكون وراء بمعنى قدام قال:

أ يرجو بنو مروان سمعى و طاعتى و قومى تميم و الفلاه وراثيا

قال الزجاج: الورا ما يوارى عنك و ليس من الأضداد قال النابغة:

حلفت و لم أترك لنفسي ريبه و ليس وراء الله للمرء مذهب

و الصديد القيح يسيل من الجرح أخذ من أنه يصد عنه تكرها له و القيح دم مختلط بمده و قوله «صَدِيدٌ» بيان للماء الذى يسقون
فلذلك أعرب بإعرابه و التجرع تناول المشروب جرعه جرعه على الاستمرار و الإساعه إجراء الشراب فى الحلق يقال ساغ الشىء
و أسغته أنا و الاشتداد الإسراع بالحركة على عظم القوه يقال اشتد به الوجد من هذا لأنه أسرع إليه على قوه ألمه و يوم عاصف
شديد الريح و العصف شده الريح و إنما جعل العصف صفه لليوم لأنه يقع فيه كما يقال ليل نائم و يوم ماطر و يجوز أن يكون
المراد يوم عاصف ريحه و مثله جحر ضب خرب أى خرب جحره.

الإعراب

أو فى قوله «أَوْ لَتَعُودَنَّ» بمعنى إلا- أن كما يقال لا أكلمك أو تدعونى و قال الفراء: لا يكاد يستعمل فيما يقع و فيما لا يقع فما
يقع مثل قوله «وَلَا يَكَادُ يَسِيغُهُ» و ما لم يقع مثل قوله «لَمْ يَكَادُ يَرَاهَا» لأن المعنى لم يرها. «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا» تقديره فيما يتلى
عليكم مثل الذين كفروا بربهم فيكون رفعا بالابتداء و يجوز أن يكون مثل مقحما كأنك قلت الذين كفروا بربهم فيكون رفعا
بالابتداء و أعمالهم رفع على البدل و هو بدل الاشتمال و كرماد الخبر.

المعنى

«وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا» أى من بلادنا «أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا» أى إلا أن ترجعوا إلى أدياننا و مذاهنا
التي نحن عليها «فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ» أى فأوحى الله إلى رسله لما ضاقت صدورهم بما لقوا من قومهم إنا نهلك
هؤلاء الظالمين الكافرين «وَلَنَسِيكَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ» أى نسكنكم أرضهم من بعدهم يريد اصبروا فإنى أهلك عدوكم و
أورثكم أرضهم و فى معناه ما جاء فى

الحديث من آذى جاره ورثه الله داره

«ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي» أى ذلك الفوز لمن خاف وقوفه للحساب و الجزاء بين يدي فى الموضع الذى أقيمه فيه و أضاف
المقام إلى نفسه لأنهم يقومون بأمره «وَوَخَّافَ وَعِيدِ» أى عقابى و إنما قالوا «أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا» و هم لم يكونوا على ملتهم قط
إما لأنهم توهموا على غير حقيقه أنهم كانوا على ملتهم و إما لأنهم ظنوا بالنشوء أنهم كانوا عليها «وَأَشِدَّتْ تُرْسُوهُ» أى طلبت الرسل
الفتح و النصر من قبل الله تعالى على

الكفار عن مجاهد و قتاده و قيل هو سؤالهم أن يحكم الله بينهم و بين أممهم لأن الفتح الحكم و الفتح الحاكم عن الجبائي «وَ خَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ» أى خسر كل متكبر معاند بجانب للحق دافع له و قيل معناه و استفتح الكفار العذاب الذى توعدهم به الأنبياء على جهه التكذيب لهم «مَنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ» أى جهنم بين يدى هذا الجبار عن الزجاج أى له مع الخبيث نار جهنم بين يديه و قيل معناه من خلفه و إنما جاز فى الزمان أن يسمى الأمام وراء و إن لم يجز فى غيره لأن الزمان المستقبل كأنه خلفهم لأنه يأتى فيلحقهم كما يلحق الإنسان من خلفه

«وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ» أى و يسقى مما يسيل من الدم و القيح من فروج الزوانى فى النار عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و أكثر المفسرين أو لونه لون الماء و طعمه طعم الصيد و

روى أبو أمامه عن النبى ص فى قوله «وَ يُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ» قال يقرب إليه فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه و وقعت فروه رأسه فإذا شرب قطع أمعاءه حتى يخرج من دبره يقول الله عز و جل «وَ سِيقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ» و يقول «وَ إِنِ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ»

و

قال رسول الله ص من شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين يوما فإن مات و فى بطنه شىء من ذلك كان حقا على الله أن يسقيه من طينه خبال و هو صديد أهل النار و ما يخرج من فروج الزناه فيجتمع ذلك فى قدور جهنم فيشربه أهل النار فيصهر به ما فى بطونهم و الجلود رواه شعيب بن واقد عن الحسين بن زيد عن الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليه السلام) عنه ص

«يَنْجَرُّهُ» أى يشرب ذلك الصديد جرعه جرعه «وَ لَا يَكَادُ يَسْتَيْغُهُ» أى لا يقارب أن يشربه تكرها له و هو يشربه و المعنى أن نفسه لا تقبل لحرارته و نتنه و لكن يكره عليه «وَ يَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» أى تأتبه شدايد الموت و سكراته من كل موضع من جسده ظاهره و باطنه حتى تأتبه من أطراف شعره عن إبراهيم التيمى و ابن جريج و قيل يحضره الموت من كل موضع و يأخذه من كل جانب من فوقه و من تحته و عن يمينه و شماله و من قدامه و خلفه عن ابن عباس و الجبائي «وَ مَا هُوَ بِمَيِّتٍ» أى و مع إتيان أسباب الموت و الشدايد التى يكون معها الموت من كل جهه و أنواع العذاب التى كان يموت بدونها فى الدنيا لا يموت فيستريح و هذا كقوله «لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا» «وَ مِنْ وَرَائِهِ» أى وراء هذا الكافر «عَذَابٌ غَلِيظٌ» و هو الخلود فى النار و قيل معناه و من بعد هذا العذاب الذى سبق ذكره عذاب أشد و أوجع مما تقدم عن الكلبى ثم أخبر سبحانه عما ينال الكفار من الحسره فيما تكلفوه من الأعمال فقال «مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ» و قيل أن معناه مثل أعمال الذين كفروا بربهم

فحذف المضاف اعتمادا على ذكره بعد المضاف إليه عن الفراء وقيل معناه مما نقص عليك مثل الذين كفروا عن سيئويه «أَعْمَالُهُمْ» في قلبه انتفاعهم بها «كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ» أى ذرته و نسفته «فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ» أى شديد الريح فكما لا يقدر أحد على جمع ذلك الرماد المتفرق و الانتفاع به فكذلك هؤلاء الكفار «لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ» أى لا يقدرون على الانتفاع بأعمالهم و مثل قوله «وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا» «ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ البُعِيدُ» يعنى أن عملهم ذلك هو الذهاب البعيد عن النفع و قيل الخطأ البعيد عن الصواب عن ابن عباس و فى هذه الآية دلالة واضحة على بطلان قول المجبره لأنه أضاف العمل إليهم و لو كان مخلوقا له سبحانه لما صح إضافته إليهم.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ١٩ الى ٢١]

إشارة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ يَاشَأُ يَذْهَبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ (١٩) وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ (٢٠) وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ؕ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَمْ جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ (٢١)

القرء

قرأ خالق السماوات هاهنا و فى النون أهل الكوفة غير عاصم و الباقون «خَلَقَ».

الحج

قال أبو على من قرأ «خَلَقَ» فلائن ذلك فعل ماض فأخبر عنه بلفظ الماضى و من قرأ خالق على اسم الفاعل جعله مثل فاطر السماوات لأن فاطر بمعنى خالق.

اللغة

البروز خروج الشىء عما كان ملتبسا به إلى حيث يقع عليه الحس يقال برز للقتال إذا ظهر له. الضعفاء جمع ضعيف و الضعف نقصان القوه يقال أضعفه فضعف و الاستكبار و التكبر و التجبر واحد و هو رفع النفس فوق مقدارها فى الوصف و التبج جمع تابع كالغيب جمع غائب قال الزجاج: و يجوز أن يكون مصدرا و وصف به فيكون بمعنى ذوى تبع و أغنى عنه أى دفع عنه فأغناه أى نفى الحاجه عنه بما فيه كفايته و حاص يحيص حيصا و حيوصا مثل حاد و الحيد الزوال عن المكروه و الجزع انزعاج النفس بورود ما يغم و نقيضه الصبر قال:

. المعنى

ثم بين سبحانه أنه إنما خلق الخلق ليعبدوه و ليؤمنوا به لا ليكفروا فقال «أَلَمْ تَرَ» أى أ لم تعلم لأن الرؤيه قد تكون بمعنى العلم كما تكون بمعنى الإدراك للبصر و هاهنا لا يمكن أن يكون بمعنى الرؤيه بالبصر و الخطاب للنبي ص و المراد به الأمة «أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» على ما تقتضيه الحكمة و الخلق فعل الشىء على تقدير و ترتيب «بِالْحَقِّ» أى بقوله الحق و قيل أراد للحق أى للغرض الصحيح و الأمر الحق و هو الدين و العباده أى ليعبدوه فيستحقوا به الثواب عن ابن عباس و الجبائى «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ» أى إن يشأ يهلككم و يخلق قوما آخرين مكانكم لأن من قدر على بناء الشىء كان على هدمه أقدر إذ لم يخرج عن كونه قادرا «وَ مَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ» أى و ما إهلاككم و الإتيان بخلق جديد بممتنع و لا متعذر على الله تعالى «وَ بَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا» أخبر سبحانه أن الخلق يبرزون يوم القيامة لله أى يظهرون من قبورهم و يخرجون منها لحكم الله فاللفظ للماضى و المراد به الاستقبال للتحقيق و صحه الوقوع و قيل معناه سيرزون لله جميعا القاده و الاتباع عن ابن عباس و هو يتصل بقوله «وَ لَا يَكَادُ يُسِيغُهُ». لما تقدم ذلك الوعيد بين صفه ذلك اليوم و ما يجرى بين الأتباع و المتبوعين من المجادله و قال «فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا» أى تكبروا عن الإيمان فلم يؤمنوا و هم القاده فى الدنيا الذين هم الأكابر و الرؤساء و القاده فى الدين الذين هم علماء السوء «إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا» فى الكفر على وجه التقليد «فَهَلْ أَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» أى هل أنتم دافعون عنا شيئا من عذاب الله الذى قد نزل بنا إن لم تقدرنا على دفع الكل و من للتبعيض «قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ» أى قال المتبوعون للأتباع لو هदानا الله إلى طريق الخلاص من العقاب و الوصول إلى النعيم و الثواب لهديناكم إلى ذلك و المعنى لو خالصنا لخلصناكم أيضا لكن لا مطعم فيه لنا و لكم عن الجبائى و أبى مسلم و قيل معناه لو هदानا الله إلى الرجعه إلى الدنيا فنصلح ما أفسدناه لهديناكم و قيل لو هदानا الله بإجابتنا إلى الطلب لهديناكم بالمسأله له سبحانه ذكر هذين الوجهين القاضى عبد الجبار فى تفسيره «سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَمْ جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ» يعنى أن الصبر و الجزع سيان مثلان ليس لنا محيص و لا- مهرب من عذاب الله أى انقطعت حيلتنا و يئسنا من النجاه. حث الله سبحانه فى هذه الآيه على النظر و حذر من التقليد و

إلى هذا أشار أمير المؤمنين على (عليه السلام) فى قوله للحارث الهمدانى يا حار الحق لا يعرف

بالرجال اعرف الحق تعرف أهله.

[سوره إبراهيم (١٤): آيه ٢٢]

اشاره

وَ قَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ وَ وَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَ مَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلْمُزُونِي وَ لَوْلَمْؤُوا أَنْفُسَهُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَ مَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)

القراءه

قرأ حمزه وحده بمصرخي بكسر الياء و الباقون بفتحها.

الحجه

قال أبو علي قال الفراء في كتابه في التصريف هو قراءه الأعمش و يحيى بن وثاب قال و زعم القاسم بن معن أنه صواب قال و كان ثقه بصيرا و زعم قطرب أنه لغه من بنى يربوع يزيدون على ياء الإضافه ياء و أنشد:

ماض إذا ما هم بالمضى قال لها هل لك يا ناقي

قالت له ما أنت بالمرضى

و أنشد الفراء ذلك أيضا و وجه ذلك من القياس أن الياء ليست تخلو من أن تكون في موضع النصب أو الجر فالياء في النصب و الجر كالهاء فيهما و كالكاف في أكرمتك و هذا لك فكما أن الهاء قد لحقتها الزيادة في هذا كهو و ألحقت أيضا الكاف الزيادة في قول من قال أعطيتكاه و أعطيتكيه فيما حكاه سيبويه و هما أختا الياء كذلك ألحقوا الياء الزيادة في المد فقالوا فيي ثم حذفت الياء الزائده على الياء كما حذفت الزيادة من الهاء في قول من قال له أرقان و زعم أبو الحسن أنها لغه فكما حذفت الزيادة من الكاف في قول من قال أعطيتكيه و أعطيتكه كذلك حذفت الياء اللاحقه للياء و بالجمله حذفت الزيادة من الياء كما حذفت من أختيها و أقرت الكسره التي كانت تلى الياء المحذوفه فبقيت الياء على ما كانت عليها من الكسره و كما لحقت الكاف و الهاء و الياء الزيادة كذلك لحقت التاء الزيادة نحو:

" رميته فأصبتيه و ما أخطأت الرمي "

فإذا كانت هذه الكسره في الياء على هذه اللغه و إن كان غيرها

أفشى منها وعضده من القياس ما ذكرنا لم يجز لقائل أن يقول إن القراءه بذلك لحن لاستفاضه ذلك فى السماع و القياس قال البصير كسر الياء ليكون طبقا لكسره همزه قوله «إِنِّي كَفَرْتُ» لأنه أراد الوصل دون الوقف و الابتداء بأنى كفرت لأن الابتداء بأنى كفرت محال فلما أراد هذا المعنى كان كسر الياء أدل على هذا من فتحها.

اللغة

الإصراخ الإغاثة بإجابه الصارخ و يقال استصرخنى فلان فأصرخته أى استغاث بى فأغثته.

المعنى

لما تقدم وعيد الكافر و صفه يوم الحشر و ما يجرى فيه من الجدل بين الأتباع و المتبوعين عقب ذلك سبحانه بكلام الشيطان فى ذلك اليوم فقال «وَقَالَ الشَّيْطَانُ» و هو إبليس باتفاق المفسرين يقول لأوليائه الذين اتبعوه «لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ» أى فرغ من الحكم بين الخلائق و دخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار عن ابن عباس و الحسن و قالوا أنه لم يخاطبهم بذلك قال الحسن و هو أحقر و أذل من أن يخاطب لو لا أن الله أذن فيه توييخا لأهل النار و قيل إنه يوضع له منبر فى النار فيرقاه و يجتمع الكفار عليه بالأئمه عن مقاتل «إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ» من البعث و النشور و الحساب و الثواب و العقاب «وَوَعَدْتُكُمْ» أن لا بعث و لا نشور و لا جنة و لا نار و قيل وعدتكم الخلاص من العقاب بارتكاب المعاصى «فَأَخَلَّفْتُكُمْ» أى كذبتكم و قيل لم أوف لكم بما وعدتكم «وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ» أى و ما كان لى عليكم سلطان بالإكراه و الإجبار على الكفر و المعاصى و إنما كان لى سبيل الوسوسه و الدعوه «فَأَشَيْتُكُمْ لِي» بسوء اختياركم و قيل معناه لكن دعوتكم إلى الضلال و أغويتكم فصدقتمونى و أحبتمونى و قبلتم مقالتي بسوء اختياركم لأنفسكم «فَلَا تَلُومُونِي» على ما حل بكم من العقاب بسوء اختياركم «وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ» حيث عدلتم عن أمر الله إلى اتباعى من غير دليل و برهان «مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ» أى ما أنا بمغيثكم و لا معينكم و ما أنتم بمغيثى و لا معينى «إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ» أى كفرت الآن بما كان من إشراككم إياى مع الله فى الطاعه أى جحدت أن أكون شريكا لله تعالى فيما أشركتمونى فيه من قبل هذا اليوم و قال الفراء و جماعه تقديره إنى كفرت بما أشركتمونى به أى بالله و يعنى بقوله «مِنْ قَبْلُ» فى وقت آدم (عليه السلام) حين أمر بالسجود فأبى و استكبر «إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قيل إنه من تمام قول الشيطان لأهل النار و قيل أنه ابتداء وعيد من الله تعالى لهم و هو الأظهر و فى هذه الآيه دلالة على أن الشيطان لا يقدر على أكثر من الدعاء و الإغواء و أنه ليس عليه إلا عقاب الدعوه فحسب.

إشارة

وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ (٢٣) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ (٢٤) تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ (٢٥) وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ (٢٦)

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن و أدخل الذين آمنوا برفع اللام.

الحجج

قال ابن جنى: هذه القراءة على أن أدخل من كلام الله كأنه قطع الكلام و استؤنف فقال الله و أنا أدخل المؤمنين جنات و على هذا فقوله «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» أى بإذنى إلا أنه أعاد ذكر الرب ليضيفه إليهم فيكون أذهب فى الإكرام و التقريب منه لهم.

اللغة

التحية التلقى بالكرامه فى المخاطبه و أما قوله (التحيات لله) فإن فى ذلك ثلاثة أقوال (أولها) المعنى أن الملك لله يقال حياك الله أى ملكك (و ثانيها) البقاء لله يقال حياك الله أى أبقاك الله فيكون بمعنى أحياك الله كما يقال وصى و أوصى و مهل و أمهل (و ثالثها) أن ذلك بمعنى السلام قال القتيبي و إنما جمع لأنه كان فى الأرض ملوك يحيون بتحيات مختلفه فيقال لبعضهم أبيت اللعن و لبعضهم أسلم و أنعم و لبعضهم عش ألف سنه فقيل لنا قولوا التحيات لله أى كل الألفاظ التى يحيا بها الملوك هى لله و الاجتثاث اقتلاع الشىء من أصله يقال جثه و اجتثه و الجثه أخذت منه.

المعنى

لما تقدم وعيد الكافرين عقبه سبحانه بالوعد للمؤمنين فقال «وَأَدْخَلَ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» أى الطاعات «جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا» قد سبق معناه «بِإِذْنِ رَبِّهِمْ» أى بأمر ربهم و إطلاقه

«تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ» مر تفسيره فى سورة يونس ثم ضرب الله سبحانه مثل يقرب من أفهام السامعين ترغيبا للخلق فى اتباع الحق فقال «أَلَمْ تَرَ» أى ألم تعلم يا محمد «كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا» أى بين الله شبيها ثم فسر ذلك المثل فقال «كَلِمَةً طَيِّبَةً» و هى كلمه التوحيد شهاده أن لا إله إلا الله عن ابن عباس و قيل هى كل كلام أمر الله تعالى به من الطاعات عن أبى على قال و إنما سماها طيبه لأنها زاكبه ناميه لصاحبها بالخيرات و البركات «كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَ فَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ» أى شجره زاكبه ناميه راسخه أصولها فى الأرض عاليه أغصانها و ثمارها فى السماء و أراد به المبالغه فى الرفعه و الأصل سافل و الفرع عال إلا أنه يتوصل من الأصل إلى الفرع و

روى أنس عن النبى ص أن هذه الشجره الطيبه هى النخله

و قيل إنها شجره فى اللجنه عن ابن عباس و

روى ابن عقده عن أبى جعفر (عليه السلام) أن الشجره رسول الله ص و فرعها على (عليه السلام) و عنصر الشجره فاطمه و ثمرتها أولادها و أغصانها و أوراقها شيعتنا ثم قال (عليه السلام) أن الرجل من شيعتنا ليموت فيسقط من الشجره ورقه و أن المولود من شيعتنا ليولد فيورق مكان تلك الورقه ورقه

و

روى عن ابن عباس قال قال جبريل (عليه السلام) للنبي ص أنت الشجره و على غصنها و فاطمه ورقها و الحسن و الحسين ثمارها و قيل أراد بتلك شجره هذه صفتها و أن لم يكن لها وجود فى الدنيا لكن الصفه معلومه و قيل إن المراد بالكلمه الطيبه الإيمان و بالشجره الطيبه المؤمن «تُؤْتِي أُكْلَهَا» أى تخرج هذه الشجره ما يؤكل منها

«كُلِّ حِينٍ» أى فى كل سته أشهر عن ابن عباس و أبى جعفر (عليه السلام)

و قال الحسن و سعيد بن جبير أراد بذلك أنه يؤكل ثمرها فى الصيف و طلعتها فى الشتاء و ما بين صرام النخله إلى حملها سته أشهر و قال مجاهد و عكرمه كل حين أى كل سنه لأنها تحمل فى كل سنه مره و قال سعيد بن المسيب فى كل شهرين لأن من وقت ما يطعم النخل إلى صرامه يكون شهرين و قيل لأن من وقت أن يصرم النخل إلى حين يطعم يكون شهرين و قال الربيع بن أنس كل حين أى كل غدوه و عشيه و روى ذلك عن ابن عباس أيضا و قيل معناه فى جميع الأوقات لأن ثمر النخل يكون أولا طلعا ثم يصير بلحا ثم بسرا ثم رطبا ثم تمرا فيكون ثمره موجودا فى كل الأوقات و يدل على أن الحين بمنزله الوقت قول النابغه فى صفه الحيه و الملدوغ:

تناذرهما الراقون من سوء سمها تطلقه حينا و حينا تراجع

يعنى أن السم يخف ألمه وقتا و يعود وقتا و قيل إنه سبحانه شبه الإيمان بالنخلة لثبات الإيمان فى قلب المؤمن كثبات النخلة فى منبتها و شبه ارتفاع علمه إلى السماء بارتفاع فروع النخلة و شبه ما يكسبه المؤمنون من بركة الإيمان و ثوابه فى كل وقت و حين بما ينال من ثمره النخلة فى أوقات السنه كلها من الرطب و التمر و قيل إن معنى قوله «تَوْتَى أَكَلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا» ما يفتى به الأئمه من آل محمد ص و شيعتهم فى الحلال و الحرام «وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أى لكى يتدبروا فيعرفوا الغرض بالمثل «وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ» و هى كلمه الكفر و الشرك عن ابن عباس و غيره و قيل هو كل كلام فى معصيه الله تعالى عن أبى على «كَشَجَرِهِ خَبِيثَةٍ» غير زاكيه و هى شجره الحنظل عن ابن عباس و أنس و مجاهد و قيل إنها شجره هذه صفتها و هو أنه لا قرار لها فى الأرض عن الحسن و قيل إنها الكشوث عن الضحاك و

روى أبو الجارود عن أبى جعفر (عليه السلام) أن هذا مثل بنى أميه

«اجْتَسَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ» أى اقتطعت و استوصلت و اقتلعت جثته من الأرض «ما لها من قرارٍ» أى ما لتلك الشجره من ثبات فإن الريح تنسفها و تذهب بها فكما أن هذه الشجره لا ثبات لها و لا بقاء و لا ينتفع بها أحد فكذلك الكلمه الخبيثه لا ينتفع بها صاحبها و لا يثبت له منها نفع و لا ثواب و روى عن ابن عباس أيضا أنها شجره لم يخلقها الله بعد و إنما هو مثل ضربه بهذا و هذا القول حسن لأن الحنظل و غيره قد ينتفع بذلك فى الأدوية.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٢٧ الى ٣٠]

أشاره

يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَ أَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ (٢٨) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَ بئْسَ الْقَرَارُ (٢٩) وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ (٣٠)

اللغه

الإحلام وضع الشىء فى محل إما بمجاوره إن كان من قبيل الأجسام أو بمدخله إن كان من قبيل الأعراض و البوار الهلاك يقال بار الشىء يبور بورا إذا هلك و رجل

ص: ٦٦

بور أى هالك و قوم بور أيضا قال ابن الزبيرى:

يا رسول المليك إن لسانى راتق ما فتقت إذ أنا بور

و الأنداد الأمثال المنادون قال:

تهدى رءوس المترفين الأنداد إلى أمير المؤمنين الممتاد

. الإعراب

جهنم انتصب على البدل من قوله «دَارَ الْبُورِ» و «يَصْلُوْنَهَا» فى موضع نصب على الحال من قومهم و إن شئت كان حالا من جهنم و إن شئت فمنهما كقوله تَحْمِلُهُ بعد قوله فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الكلمه الطيبه عقبه بذكر ما يحصل لصاحبها من المثوبه و الكرامه فقال «يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ» أى يثبتهم فى كرامته و ثوابه بالقول الثابت الذى وجد منهم و هو كلمه الإيمان لأنه ثابت بالحجج و الأدله و قيل معناه يثبت الله المؤمنين بسبب كلمه التوحيد و حرمتها فى الحياه الدنيا حتى لا يزلوا و لا يضلوا عن طريق الحق و يثبتهم بها حتى لا يزلوا و لا يضلوا عن طريق الجنه و قيل معناه يثبتهم بالتمكين فى الأرض و النصره و الفتح فى الدنيا و بإسكانهم الجنه فى الآخره عن أبى مسلم و قال أكثر المفسرين إن المراد بقوله «فِي الْآخِرَةِ» فى القبر و

الآيه وردت فى سؤال القبر و هو قول ابن عباس و ابن مسعود و هو المروى عن أئمتنا (عليه السلام)

و

روى محمد بن يعقوب الكلينى فى كتاب الكافى بإسناده عن سويد بن غفله عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) قال إن ابن آدم إذا كان فى آخر يوم من الدنيا و أول يوم من الآخره مثل له ماله و ولده و عمله فيلتفت إلى ماله فيقول و الله إنى كنت عليك لحريصا شحيحا فما لى عندك فيقول خذ منى كفنك فيلتفت إلى ولده فيقول و الله إنى كنت لكم لمحبا و عليكم لمحاميا فما ذا لى عندكم فيقولون نؤديك إلى حفرتك نواريك فيها قال فيلتفت إلى عمله فيقول و الله إنى كنت فيك لزاهدا و إن كنت على لثقيلا فما ذا لى عندك فيقول أنا قرينك فى قبرك و يوم نشرك حتى أعرض أنا و أنت على ربك قال فإن كان لله وليا أتاه أطيب الناس ريحا و أحسنهم منظرا و أحسنهم ريشا فقال أبشر بروح و ريحان و جنه نعيم و مقدمك خير مقدم فيقول له من أنت فيقول أنا عملك الصالح ارتحل من الدنيا إلى الجنه و أنه ليعرف غاسله و يناشد حامله أن يعجله فإذا أدخل قبره أتاه ملكا القبر يجران أشعارهما و يخدان الأرض بأنيابهما أصواتهما

كالرعد القاصف و أبصارهما كالبرق الخاطف فيقولان له من ربك و ما دينك و من نبيك فيقول الله ربي و ديني الإسلام و نبيي محمد ص فيقولان ثبتك الله فيما تحب و ترضى و هو قوله سبحانه «يُبَيِّنُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ» ثم يفسحان له في قبره مد بصره ثم يفتحان له بابا إلى الجنة ثم يقولان له نم قرير العين نوم الشاب الناعم فإن الله يقول أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَ أَحْسَنُ مَقِيلًا قَالَ وَ إِذَا كَانَ لِرَبِّهِ عُدُوًّا فَإِنَّهُ يَأْتِيهِ أَقْبَحُ خَلْقِ اللَّهِ زِيَا وَ أَنْتَنَ رِيحًا فيقول أبشر بنزل من حميم و تصليه جحيم و إنه ليعرف غاسله و يناشد حملته أن يحتبسوه فإذا أدخل القبر أتاه ملكا القبر فألقيا أكفانه ثم يقولان له من ربك و ما دينك و من نبيك فيقول لا أدري فيقولان له لا دريت و لا هديت فيضربان يافوخه بمرزبه معهما ضربه ما خلق الله من دابه إلا تدعر لها ما خلا الثقلين ثم يفتحان له بابا إلى النار ثم يقولان له نم بشر حال فيه من الضيق مثل ما فيه القناه من الزج حتى أن دماغه ليخرج من بين ظفره و لحمه و يسלט الله عليه حيات الأرض و عقاربها و هوامها فتنهشه حتى يبعثه الله من قبره و أنا ليطمني قيام الساعه مما هو فيه من الشر نعوذ بالله من عذاب القبر

«وَ يُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ» أى و يضلهم عن هذا التثبيت فى الدنيا و فى الآخرة «وَ يَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ» من الإمهال و الانتقام و ضغطه القبر و مساءله منكر و نكير لا اعتراض عليه فى ذلك و لا قدره لأحد على منعه و هذا من تمام الترغيب و التهيب ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا» يحتمل أن يكون المراد ألم تر إلى هؤلاء الكفار عرفوا نعمه الله بمحمد ص أى عرفوا محمدا ثم كفروا به فبدلوا مكان الشكر كفرا و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال نحن و الله نعمه الله التى أنعمها أنعم بها على عباده و بنا يفوز من فاز. ذكره على بن إبراهيم فى تفسيره

و يحتمل أن يكون المراد جميع نعم الله على العموم بدلوها أقبح التبديل إذا جعلوا مكان شكرها الكفر بها و اختلف فى المعنى بالآيه

فروى عن أمير المؤمنين على (عليه السلام) و ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك و مجاهد أنهم كفار قريش كذبوا نبيهم و نصبوا له الحرب و العداوه

و

سأل رجل أمير المؤمنين عليا (عليه السلام) عن هذه الآيه فقال هم الأفجران من قريش بنو أميه و بنو المغيرة فأما بنو أميه فمتعوهم إلى حين و أما بنو المغيرة فكفيتهم يوم بدر

و قيل إنهم جبله بن الأبيهم و من اتبعوه من العرب تنصروا و لحقوا بالروم «وَ أَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبُورِ» أى أنزلوا قومهم دار الهلاك بأن أخرجوهم إلى بدر و قيل معناه أنزلوهم دار الهلاك و هى النار بدعائهم إياهم إلى الكفر بالنبي و إغوائهم إياهم «جَهَنَّمَ يَصِفُ لَوْ أَنَّهَا وَ بَسَّ الْقُرْآنُ» و هذا تفسير لدار البوار يعنى أن تلك الدار هى جهنم يدخلونها و بسس القرار قرار من قراره النار «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا» أى و جعل

هؤلاء الكفار الذين بدلوا نعمه الله كفرًا لله نظراء و أمثالا في العباده زياده على كفرهم و جحدهم «لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ» أى ليكون عاقبه أمرهم إلى الضلال الذى هو الهلاك و ليست هذه اللام لام الغرض لأنهم لم يعبدوا الأوثان من دون الله و غرضهم أن يهلكوا و من قرأ «لِيُضِلُّوا» بضم الياء فمعناه ليضل الناس عن سبيل الله ثم قال سبحانه لنيبه ص «قُلْ» لهؤلاء الكفار الذين وصفناهم «تَمَتَّعُوا» و انتفعوا بما تهبون من عاجل هذه الدنيا و المراد به التهديد و إن كان بصوره الأمر «فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ» أى مرجعكم و ما لكم «إِلَى النَّارِ» و الكون فيها و كان قد يكون.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣١ الى ٣٤]

اشاره

قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خِلَالَ (٣١) اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (٣٤)

القراءه

قرأ زيد عن يعقوب

من كل ما سألتموه بالتونين و هو قراءه ابن عباس و الحسن و محمد بن على الباقر (عليه السلام) و جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)

و الضحاك و عمرو بن قائد و قرأ سائر القراء «مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ» بالإضافه.

الحجه

أما القراءه بالتونين فإن المفعول فيها ملفوظ به أى و آتاكم ما سألتموه من كل شىء سألتموه أن يؤتيكم منه و قال الضحاك أن ما للنفي معناه و آتاكم من كل شىء لم تسألوه إياه أما القراءه على الإضافه فالمفعول فيها محذوف أى و آتاكم سؤالكم من كل شىء سألتموه.

ص: ٦٩

الخلال مصدر خالته مخاله و خلالا أى صادفته قال امرؤ القيس:

صرفت الهوى عنهن من خشيه الردى و لست بمقلى الخلال و لا قال

و قد يكون الخلال جمع خله و يكون مثل قله و قلال و الدءوب مرور الشىء فى العمل على عادة جاريه فيه يقال دأب يدأب دأبا و دئوبا فهو دائب.

الإعراب

يقيموا جزم من ثلاثه أوجه (أحدها) أنه جواب الأمر الذى هو قل لأن المعنى فى قل أن تقل لهم يقيموا الصلاه (و الثانى) أنه جواب أمر محذوف و تقديره قل لعبادى أقيموا الصلاه يقيموا الصلاه (و الثالث) أنه على حذف لام الأمر كأنه قال قل لعبادى لقيموا الصلاه و إنما جاز حذف اللام هنا لأن فى الكلام دليلا على المحذوف ألا ترى أن لفظ الأمر بقل قد دل على الغائب تقول قل لزيد ليضرب عمروا و إن شئت قلت قل لزيد يضرب عمروا و لا يجوز أن تقول يضرب زيد عمروا بالجزم حتى تقول ليضرب لأن لام الغائب ليس هاهنا عوض منها إذا حذفها و قوله «لا يَبِيعُ فِيهِ وَ لا خِلالٌ» إن شئت رفعت البيع و الخلال جميعا و إن شئت فتحتهما و إن شئت فتحت أحدهما و رفعت الآخر و قد شرحنا ذلك فيما مضى.

المعنى

«قُلْ» يا محمد «لِعِبَادِي الَّذِينَ آمَنُوا» أى اعترفوا بتوحيد الله و عدله عنى به أصحاب النبى ص عن ابن عباس و قيل أراد به جميع المؤمنين عن الجبائى «يُقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى يؤدوا الصلوات الخمس لمواقيتها فإن الصلاه لا تصير قائمه إلا بإقامتهم «وَ يُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً» أى و قل لهم ينفقوا من أموالهم فى وجوه البر من الفرائض و النوافل ينفقون فى النوافل سرا ليدفعوا عن أنفسهم تهمة الرياء و فى الفرائض علانية ليدفعوا تهمة المنع «مَنْ قَبِيلٍ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمَ لا- يَبِيعُ فِيهِ» يعنى يوم القيامة و المراد بالبيع إعطاء البدل ليتخلص به من النار لا أن هناك مبايعه «وَ لا خِلالٌ» أى و لا مصادقه و هذا مثل قوله الأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ثم بين سبحانه أنه المستحق للإلهيه فقال «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ» أى أنشأهما من غير شىء و بدأ بذكرهما لعظم شأنهما فى القدره و النعمه «وَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فَأَخْرَجَ بِهِ» أى بذلك الماء «مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ» يعنى أن الغرض فى ذلك أن يؤتيكم أرزاقكم «وَ سَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْمَكَ» أى السفن و المراكب «لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ» أى بأمر الله لأنها يسير بالرياح

و الله هو المنشىء للرياح «وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ» التى تجرى بالمياه التى ينزلها من السماء و يجريها فى الأودية و ينصب منها فى الأنهار «وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» أى ذلل لمنافعكم الشمس و القمر فى سيرهما لتنتفعا بضوء الشمس نهارا و بضوء القمر ليلا- و ليبلغ بها الثمار و النباتات فى النضج الحد الذى عليه تتم النعمة فيهما «دَائِمِينَ» أى دائمين لا- يفتران فى صلاح الخلق و النباتات و منافعهم «وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ» أى ذللها لكم و مهدهما لمنافعكم لتسكنوا فى الليل و لتبتغوا فى النهار من فضله «وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ» معناه أن الإنسان قد يسأل الله العافية فيعطى و يسأله النجاه فيعطى و يسأله الغنى فيعطى و يسأله الولد و العز فيعطى و يسأله تيسير الأمور و شرح الصدور فيعطى فهذا فى الجملة حاصل فى الدعاء لله تعالى ما لم يكن فيه مفسده فى الدين أو على غيره فأين يذهب به مع هذه النعم التى لا تحصى كثره عن الله الذى هو فى كل حال محتاج إليه و هو مظاهره بالنعم عليه و دخلت من للتبعيض لأنه لو قال و آتاكم كل ما سألتموه لاقتضى أن جميع ما يسأله العبد يعطيه الله تعالى و الأمر بخلافه لأن ما فيه مفسده لا يعطيه الله إياه و تقديره و آتاكم من كل ما سألتكم شيئا و قيل معناه و آتاكم من كل ما بكم إليه حاجه فما من شىء يحتاج إليه العباد إلا و هو موجود فيما بينهم و هو كقوله خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا و لم يخصص كل واحد من الخلق بإيتاء كل ما سأله و قيل معناه و آتاكم من كل شىء سألتموه و لم تسألوه فما هاهنا نكره موصوفه و الجملة صفه له و حذف الجملة المعطوفه و هى لم تسألوه كقوله سَيَّرَ لَكُمْ الْحَرْثَ وَ الْمَعْنَى وَ تَقِيكُمْ الْبَرْدَ وَ إِنْ فِيمَا أَبْقَى دَلِيلًا عَلَى مَا أَلْقَى «وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا» أى لا تقدرها على إحصائها لكثرتها و النعمه هنا اسم أقيم مقام المصدر و لذلك لم يجمع فيبين سبحانه أنه هو المنعم على الحقيقه و أنه المستحق للعباده و يروى عن طليق بن حبيب أنه قال إن حق الله تعالى أثقل من أن يقوم به العباد فإن نعم الله أكثر من أن تحصيها العباد و لكن أصبحوا تائبين و أمسوا تائبين «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ» أى كثير الظلم لنفسه «كَفَّارٌ» أى كثير الكفران لنعم ربه و قيل معناه ظلوم فى الشده يشكو و يجزع كفار فى النعمه يجمع و يمنع و لم يرد بالإنسان هاهنا العموم بل هو مثل ما فى قوله وَ الْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ.

النظم

اتصل قوله سبحانه «قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ» بما تقدم من قوله «قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ» فإنه عقب ذلك بالأمر للمؤمنين بما يوجب النعيم المقيم و مرافقه الأبرار ليكون قد عقب الوعيد بالوعد و العقاب بالثواب و اتصلت الآية الثانية بقوله «وَ جَعَلُوا لِلَّهِ أُنْدَادًا» فإنه سبحانه لما ذكر ما هم عليه من اتخاذ الأنداد لله سبحانه بين

ص: ٧١

بعده أن واجب الوجود المستحق للإلهية الذي يحق له العبادة هو الله الذي خلق السماوات والأرض الآيه.

[سوره إبراهيم (١٤): الآيات ٣٥ الى ٤١]

اشاره

وَ إِذْ قَالَ اِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ اٰمِنًا وَّ اجْنُبْنِي وَّ بَنِيَّ اَنْ نَّعْبُدَ الْاَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ اِنَّهُمْ اضَلُّنَّ كَثِيْرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِىْ فَاِنَّهٗ
مِنِّىْ وَّ مَنْ عَصَانِىْ فَاِنَّكَ غَفُوْرٌ رَّحِيْمٌ (٣٦) رَبَّنَا اِنِّىْ اَسْـَٔكْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِيْ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيْمُوا الصَّلَاةَ
فَاجْعَلْ اَفْتَدَهٗ مِنَ النَّاسِ تَهْوِيْ اِلَيْهِمْ وَّ ارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُوْنَ (٣٧) رَبَّنَا اِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِيْ وَّ مَا نُعْلِنُ وَّ مَا يَخْفَى
عَلَى اللّٰهِ مِنْ شَيْءٍ فِى السَّمٰوٰتِ وَّ لَا فِى السَّمٰوٰتِ (٣٨) الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِىْ وَهَبَ لِيْ عَلَى الْكِبَرِ اِسْمَاعِيْلَ وَّ اِسْحٰقَ اِنَّ رَبِّىْ لَسَمِيْعُ
الدُّعٰءِ (٣٩)

رَبِّ اجْعَلْنِيْ مُقِيْمَ الصَّلَاةِ وَّ مِنْ ذُرِّيَّتِيْ رَبَّنَا وَّ تَقَبَّلْ دُعَاىِ (٤٠) رَبَّنَا اغْفِرْ لِيْ وَّ لِوَالِدَيَّْ وَّ لِلْمُؤْمِنِيْنَ يَوْمَ يَقُوْمُ الْحِسَابُ (٤١)

القرءاء

فى الشواذ قرءاءه الجحدرى و الثقفى و أبى الجحجاح و أجنبى بقطع الهمزه و

قرأ أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) و أبو جعفر الباقر (عليه السلام) و جعفر بن محمد (عليه السلام) و مجاهد
تهوى إليهم

بفتح الواو وقرأ ابن كثير و أبو عمرو و حمزه و هبيرة عن حفص و تقبل دعائى ربنا بإثبات الياء فى الوصل و فى روايه البزى عن
ابن كثير أنه يصل و يقف بياء و قال

ص: ٧٢

قبيل أنه يشم اليباء فى الوصل و لا يثبتها و يقف عليها بالألف و الباقون «دُعَاء» بغير ياء و

قرأ الحسن بن على (عليه السلام) و أبو جعفر محمد بن على (عليه السلام) و الزهرى و إبراهيم النخعى و لولدى

و قرأ يحيى بن يعمر و لولدى و قرأ سعيد بن جبير و لوالدى.

الحجج

يقال جنبت الشىء ء أجنبه جنوبا و من العرب من يقول أجنبته أجنبه أى تجنبتة عن الشىء ء و كان معنى قوله «اجْتَنَيْتَنِى وَ بَيْنَى أَنْ نَعْتِدَ الْأَضْيَانَامَ» اصرفنى و إياهم عن عباده الأصنام و معنى اجنبنى اجعلنى كالجنيب عن ذلك و أما قوله تهوى إليهم بفتح الواو فهو من هويت الشىء ء أهواه إذا أحببته و إنما جاز تعديته بالى لأن معنى هويت الشىء ء ملت إليه فكأنه قال تميل إليهم فهو محمول على المعنى و مثله قوله سبحانه أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصَّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ فعدى الرفث بالى و أنت لا تقول رفثت إلى فلانته و إنما تقول رفثت بها أو معها و لكنه لما كان معنى الرفث هنا معنى الإفضاء عداه بالى فكأنه قال أحل لكم الإفضاء إلى نسائكم قال ابن جنى: المعنى فى قراءه الجماعه «تَهْوَى إِلَيْهِمْ» تميل إليهم أى تحبهم فهذا فى المعنى كقولهم و هو ينحط فى هواك أى يخلد إليه و يقيم عليه و ذلك أن الإنسان إذ أحب الشىء ء أكثر من ذكره و أقام عليه و إذا كرهه خف إلى سواه و قولهم هويت فلانا من لفظ هوى إلى الشىء ء يهوى إلا- أنهم خالفوا بين المثالين لاختلاف ظاهر الأمرين و إن كانا على معنى واحد متلاقين و أما من وصل دعائى بياء فهو القياس من شم اليباء فى الوصل و لا يثبتها فللدلالة الكسره على اليباء قال أبو على: حذف اليباء فى الوقف أقيس من حذفها فى الوصل لأن الوقف موضع تغيير يغير فيه الحرف الموقوف عليه كثيرا قال الأعشى:

فهل يمنعى ارتيادى البلاد من حذر الموت أن يأتين

و قال:

و من شأنى كاسف وجهه إذا ما انتسبت له أنكرن

و من قرأ لولدى فإنه يعنى إسماعيل و إسحاق و من قرأ لولدى فإن الولد قد يكون واحدا و جمعا تقول العرب ولدك من دمي عقبيك و معناه ولدك من ولده فسال دمك على عقبيك عند ولادته لا من اتخذته ولدا و إذا كان جمعا فيجوز أن يكون جمع ولد فهو كأسد و أسد و يجوز أن يكون جمع ولد أيضا فيكون مثل الفلك فى أنه جمع الفلك.

اللغة

الوادى سفح الجبل العظيم و منها قيل للأنهار العظام أوديه لأن حافاتهما كالجبال لها و منه الديه لأنه مال عظيم يحتمل فى أمر عظيم.

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ» معناه و اذكر يا محمد إذ قال إبراهيم «رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا» يعنى مكه و ما حولها من الحرم و قيل إن إبراهيم (عليه السلام) لما فرغ من بناء الكعبه دعا بهذا الدعاء و قد تقدم تفسيره فى سورة البقره و إنما قال هناك بَلَدًا آمِنًا و قال هنا «هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا» معرفا لأن النكره إذا تكررت و أعيدت صارت معرفه و مثله فى التنزيل فِيهَا مِصْبَاحٌ مِصْبَاحٌ فِي زُجَاجِهِ الزُّجَاجُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ فاستجاب الله دعاء إبراهيم (عليه السلام) حتى كان الإنسان يرى قاتل أبيه فيها فلا يتعرض له و يدنو الوحش فيها من الناس فيأمن منهم «وَاجْتَنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ» أى و الطف لى و لبنى لطفا نتجنب به عن عباده الأصنام و دعاء الأنبياء لا يكون إلا مستجابا فعلى هذا يكون سؤاله ذلك مخصوصا بمن علم الله من حاله أن يكون مؤمنا لا يعبد إلا الله و يكون الله سبحانه قد أذن له فى الدعاء لهم و استجاب دعاءه فيهم «رَبِّ إِنَّهُمْ أَضَلُّنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ» معناه ضل بسببهن و عبادتهن كثير من الناس كما يقال ففتنتى فلانه يعنى افتتنت بحبها لا لأنها عملت شيئا و كما فى قول الشاعر:

هبونى امراء منكم أضل بعيره له ذمه إن الذمام كبير

و إنما أراد ضل بعيره لأن أحدا لا- يضل بعيره قاصدا إلى إضلاله «فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي» يريد فمن تبعنى من ذريتى الذين أسكنتهم هذا البلد على دينى فى عباده الله وحده و ترك عباده الأصنام فإنه من جملتى و حاله كحالى «وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ» أى ساتر على العباد معاصيهم رحيم بهم فى جميع أحوالهم منعم عليهم ثم حكى سبحانه تمام دعاء إبراهيم (عليه السلام) و أنه قال «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي» أى أسكنت بعض أولادى و لا خلاف أنه يريد إسماعيل (عليه السلام) مع أمه هاجر و هو أكبر ولده و

روى عن الباقر (عليه السلام) أنه قال نحن بقيه تلك العتره و قال كانت دعوه إبراهيم (عليه السلام) لنا خاصه

«بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ» يريد وادى مكه و هو الأبطح و إنما قال غير ذى زرع لأنه لم يكن بها يومئذ ماء و لا زرع و لا ضرع و لم يذكر مفعول أسكنت لأن من يفيد بعض القوم كما يقال قتلنا من بنى فلان و أكلنا من الطعام و كما قال سبحانه أَلِفُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ و تقديره أسكنت من ذريتى أناسا أو ولدا عن البلخي «عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ» إنما أضاف البيت إليه سبحانه لأنه مالكة لا يملكه أحد سواه و ما عداه من البيوت قد ملكه غيره من العباد و يسأل فيقال كيف سماه بيتا و لم يبنه إبراهيم (عليه السلام) بعد و الجواب من وجهين (أحدهما) أنه لما كان من المعلوم أنه يبنه سماه بيتا و المراد عند بيتك الذى مضى فى سابق علمك كونه (و الثانى) أن البيت قد كان

قبل ذلك و إنما خربه طسم و جديس و قيل إنه رفعه الله إلى السماء أيام الطوفان و إنما سماه المحرم لأنه لا يستطيع أحد الوصول إليه إلا بالإحرام و قيل لأنه حرم فيه ما أحل في غيره من البيوت من الجماع و الملابس بشىء من الأقدار و الدماء و قيل معناه العظيم الحرمه «رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ» أى أسكنتهم هذا الوادى ليدوموا على الصلاة و يقيموا بشرائطها و اللام تتعلق بقوله أَشَكَّنْتُ و فصل بينه و بين ما تعلق بقوله رَبَّنَا لأن الفصل بالنداء مستحب فى هذا و إذا جاء نحو قوله:

على حين ألهى الناس جل أمورهم فندلا زريق المال ندل الثعالب

أى اندل المال يا زريق ففصل بالنداء بين المصدر و ما تعلق به كان هذا أولى «فَأَجْعَلْ أُنْدَهُ مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ» هذا سؤال من إبراهيم (عليه السلام) أن يجعل الله قلوب الخلق تحن إلى ذلك الموضع ليكون فى ذلك أنس لذريته بمن يرد عليهم من الوفود و ليدر أرزاقهم على مرور الأوقات و لو لا لطفه سبحانه بإماله قلوب الناس إليه إما للدين كالحج و العمره و إما للتجاره لما صح أن يعيش ساكنوه قال سعيد بن جبیر لو قال أُنْدَهُ الناس لحجت اليهود و النصارى و المجوس و لكنه قال من الناس فهم المسلمون و روى مجاهد أنه قال إن إبراهيم (عليه السلام) لو قال أُنْدَهُ الناس لآزدحت عليه فارس و الروم و

روى الفضل بن يسار و غيره عن الباقر (عليه السلام) أنه قال إنما أمر الناس أن يطوفوا بهذه الأحجار ثم ينفروا إلينا فيعلمونا ولا يتهم و يعرضوا علينا نصرهم ثم قرأ هذه الآيه

و قيل إن معنى تهوى إليهم ينزع إليهم و يميل عن ابن عباس و قتاده و قيل معناه و ينزل و يهبط إليهم لأن مكة فى غور عن أبى مسلم «وَ أَرْزُقَهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ» أى لكى يشكروا لك و يعبدوك «رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفَى وَ مَا نُغَلِّبُ» هذا اعتراف من إبراهيم (عليه السلام) لله سبحانه بأنه يعلم ما يبطن الخلق و ما يظهره و أنه لا يخفى عليه شىء مما فى الأرض و السماء و قيل إن قوله «وَ مَا يُخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَ لَا فِي السَّمَاءِ» إنما هو إخبار منه سبحانه بذلك و ابتداء كلام من جهته لا على سبيل الحكايه عن إبراهيم (عليه السلام) بل هو اعتراض عن الجبائى قال ثم عاد إلى حكايه كلام إبراهيم (عليه السلام) فقال «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ» و هذا

اعتراف منه بنعم الله سبحانه و حمد له على إحسانه بأن وهب له على الكبر كبر سنه ولدين قال ابن عباس ولد له إسماعيل و هو ابن تسع و تسعين سنه و ولد له إسحاق و هو ابن مائه و اثنتى عشره سنه و قال سعيد بن جبير لم يولد لإبراهيم (عليه السلام) إلا بعد مائه و سبع عشره سنه «إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ» أى قابله و مجيبه عن ابن عباس و يؤيده قوله (سمع الله لمن حمده) «رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي» تقديره و اجعل من ذريتي مقيم الصلاة فحذف الفعل لأن ما قبله يدل عليه و هذا سؤال من إبراهيم (عليه السلام) من الله تعالى بأن يلفظ له اللطف الذى عنده يقيم الصلاة و يتمسك بالدين و أن يفعل مثل ذلك بجماعه من ذريته و هم الذين أسلموا منهم فسأل لهم مثل ما سأل لنفسه «رَبَّنَا وَ تَقَبَّلْ دُعَاءِ» أى و أجب دعائى فإن قبول الدعاء إنما هو الإجابة و قبول الطاعة الإثابه «رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَ لِوَالِدَيَّ» و استدل أصحابنا بهذا على ما ذهبوا إليه من أبوى إبراهيم (عليه السلام) لم يكونا كافرين لأنه إنما يسأل المغفره لهما يوم القيامة فلو كانا كافرين لما سأل ذلك لأنه قال فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ فصح أن أباه الذى كان كافرا إنما هو جده لأمه أو عمه على الخلاف فيه و من قال إنما دعا لأبيه لأنه كان وعده أن يسلم فلما مات على الكفر تبرأ منه على ما روى الحسن فقله فاسد لأن إبراهيم (عليه السلام) إنما دعا بهذا الدعاء بعد الكبر و بعد أن وهب له إسماعيل و إسحاق و قد تبين له فى هذا الوقت عداوه أبيه الكافر لله فلا يجوز أن يقصده بدعائه «وَ لِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ» أى و اغفر للمؤمنين أيضا يوم يقوم الخلق للحساب و قيل معناه يوم يظهر وقت الحساب كما يقال قامت السوق.

النظم

اتصلت الآيات بما قبلها لأن النهى عن عباده الأصنام و الأمر بعباده الله سبحانه قد تقدم فبين الله سبحانه عقيب ذلك ما كان عليه إبراهيم (عليه السلام) من التشدد فى إنكار عباده الأصنام و الدعاء بما دعا به و قيل إنه معطوف على ما تقدم من قوله وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَ قِيلَ إِنَّهُ لَمَّا قَالَ وَ آتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ بَيْنَ عَقِيبِهِ مَا دَعَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ (عليه السلام) و سألته إياه و إجابته لدعائه و سؤاله.

إشاره

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمَ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (٤٢) مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤْسِهِمْ لَا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ (٤٣) وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرَّسُولَ أَوْ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلِ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ (٤٤) وَسَيَكْفُرْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ (٤٥)

اللغه

الإهطاع الإسراع قال:

في مهطع سرع كان زمامه في رأس جذع من أراك مشذب

وقال آخر:

بدجله أهلها و لقد أراهم بدجله مهطعين إلى السماع

أى مسرعين وقيل إن الإهطاع مد العنق و الهطع طول العنق قال أحمد بن يحيى المهطع الذى ينظر فى ذل و خشوع لا يقلع بصره و الإقناع رفع الرأس و قال الزجاج المقنع الرافع و المقنع المرتفع قال الشماخ:

يباكرن العضاه بمقنعات نواجذهن كالحدهء الوقيع

أى كالفئوس المحدبه يصف إبلا ترعى الشجر و الطرف مصدر طرفت عين فلان إذا نظرت و هو أن ينظر ثم يغمض و الطرف العين أيضا و أفئدتهم هواء أى متجوفه لا تعى شيئا للخوف و الفرع شبهها بهواء الجوق قال حسان:

ألا أبلغ أبا سفيان عنى فأنت مجوف نخب هواء

و قال زهير:

كان الرجل منها فوق صعل من الظلمان جؤجؤه هواء

و الأجل الوقت المضروب لانقضاء الأمد.

الإعراب

«يَوْمَ يَأْتِيهِمْ» نصب على أنه مفعول به و العامل فيه أنذرهم و لا يكون على الظرف لأنه لم يؤمر بالإنذار فى ذلك اليوم. فيقول عطف على يَأْتِيهِمْ و ليس جواب الأمر لأنه لو كان جوابا له لجاز فيه نصب و الرفع فالنصب مثل قول الشاعر:

يا ناق سيري عنقا فسيحا إلى سليمان فنستريحا

و الرفع على الاستئناف «و تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ» فاعل تبين محذوف أى تبين لكم فعلنا بهم و لا- يكون الفاعل كيف لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله و لأن كيف لا يخبر عنه و إنما يخبر به و كيف هنا منصوب بقوله «فَعَلْنَا».

المعنى

لما ذكر سبحانه يوم الحساب وصفه و بين أنه لا- يمهل الظالمين عن غفله لكن لتأكيد الحجة قال «و لا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ» و فى هذا وعيد للظالم و تعزیه للمظلوم و معناه و لا تظنن الله ساهيا عن مجازاه الظالمين على أعمالهم و قيل إن تقديره و لا تحسبن الله لا يعاقب الظالمين على أفعالهم و لا ينتصف للمظلومين منهم «إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ» و معناه إنما يؤخر عقابهم و مجازاتهم إلى يوم القيامة و هو اليوم الذى تكون فيه الأبصار شاخصه عن مواضعها لا تغمض لهول ما ترى فى ذلك اليوم و لا- تطرف عن الجبائى و قيل تشخص أبصارهم إلى إجابته الداعى حين يدعوهم عن الحسن و قيل تبقى أبصارهم مفتوحة لا تنطبق للتحير و الرعب «مُهْطِعِينَ» أى مسرعين عن الحسن و سعيد بن جبیر و قتاده و قيل يريد دائمى النظر إلى ما يرون لا يطوفون عن ابن عباس و مجاهد «مُقْنَعِي رُؤْسِهِمْ» أى رافعى رؤوسهم إلى السماء حتى لا يرى الرجل مكان قدمه من شدة رفع الرأس و ذلك من هول يوم القيامة و قال مؤرج معناه ناكسى رؤوسهم بلغه قريش «لَا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ» أى لا ترجع إليهم أعينهم و لا- يطبقونها و لا- يغمضونها و إنما هو نظر دائم «و أَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ» أى قلوبهم خاليه من كل شىء فزعا و خوفا عن ابن عباس و قيل خاليه من كل سرور و طمع فى الخير لشده ما يرون من الأهوال كالهواء الذى بين السماء

و الأرض و قيل معناه و أفئدتهم زائله عن مواضعها قد ارتفعت إلى حلوقهم لا- تخرج و لا- تعود إلى أماكنها بمنزله الشىء
الذاهب فى جهات مختلفه المتردد فى الهواء عن سعيد بن جبیر و قتاده و قيل معناه خاليه عن عقولهم عن الأخفش «وَ أَنْذِرِ
النَّاسَ» معناه و دم يا محمد على إنذارك الناس و هو عام فى كل مكلف عن الجبائى و أبى مسلم و قيل معناه و خوف أهل مكه
بالقرآن عن ابن عباس و الحسن «يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ» و هو يوم القيامة أو يأتيهم العذاب عذاب الاستئصال فى الدنيا و قيل هو
يوم المعايينه عند الموت و الأول أظهر «فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا» نفوسهم بارتكاب المعاصى «رَبَّنَا أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ
دَعْوَتَكَ» أى ردنا إلى الدنيا و اجعل ذلك مده قريبه نجب دعوتك فيها «وَ نَتَّبِعِ الرُّسُلَ» أى نتبع رسلك فيما يدعوننا إليه فيقول
الله تعالى مخاطبا لهم أو يقول الملائكه بأمره «أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَىٰ مِمَّنْ» أى حلفتكم «مِنْ قَبْلُ» فى دار الدنيا «مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ» أى
ليس لكم من انتقال من الدنيا إلى الآخرة عن مجاهد و قيل معناه من زوال من الراحة إلى العذاب عن الحسن و فى هذه دلالة
على أن أهل الآخرة غير مكلفين خلافا لما يقول النجار و جماعه لأنهم لو كانوا مكلفين لما كان لقولهم «أَخْرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ»
وجه و لكان ينبغى لهم أن يؤمنوا فيخلصوا من العقاب إذا كانوا مكلفين «وَ سَيَكْتُمُ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ
كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ» هذا زياده توييح لهم و تعنيف أى و سكتكم ديار من كذب الرسل قبلكم فأهلكهم الله و عرفتم ما نزل بهم من
البلاء و الهلاك و العذاب المعجل عن ابن عباس و الحسن و مساكينهم دورهم و قراهم و قيل إنهم عاد و ثمود و قيل هم
المقتولون بيد «وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ» و بينا لكم الأشباه و أخبرناكم بأحوال الماضين قبلكم لتعتبروا بها فلم تعتبروا و لم تتعظوا و
قيل الأمثال ما ذكر فى القرآن مما يدل على أنه تعالى قادر على الإعادة كما هو قادر على الإنشاء و الابتداء و قيل هى الأمثال
المنبهه على الطاعة الزاجره عن المعصيه عن الجبائى و فى هذه الآيات دلالة على أن الإيمان من فعل العبد إذ لو كان من فعل الله
تعالى لم يكن لتمنى العود إلى الدنيا معنى.

اشاره

وَقَدْ مَكَرُوا مَكَرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكَرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكَرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ (٤٦) فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخَلَّفَ وَعْدِهِ رَسُولَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ (٤٧) يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ (٤٨) وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ (٤٩) سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطْرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهُهُمُ النَّارُ (٥٠)

لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (٥١) هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَليَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَليَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ (٥٢)

القراءه

قرأ الكسائي وحده لتزول بفتح اللام الأولى و رفع الثانيه و الباقون «لتزول» بكسر اللام الأولى و نصب الثانيه و فى الشواذ

عن على (عليه السلام) و عمرو بن مسعود و أبى بن كعب و إن كاد مكرهم لتزول

و قرأ زيد عن يعقوب من قطر آن على كلمتين منونتين و هو قراءه أبى هريره و ابن عباس و سعيد بن جبير و الكلبي و قتاده و عيسى الهمداني و الربيع و قرأ سائر القراء «قطران».

الحجه

قال أبو على من قرأ «لتزول» بالنصب فإن إن هى النافيه فيكون مثل قوله و ما كانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ فمعناه و ما كان مكرهم لتزول منه الجبال و الجبال كأنه أمر النبى ص و إعلامه و دلائله أى ما كان مكرهم لتزول منه ما هو مثل الجبال فى امتناعه ممن أراد إزالته و من قرأ لتزول كانت إن هى المخففه من الثقيله على تعظيم أمر مكرهم بخلاف القراءه الأولى فيكون كقوله و مَكَرُوا مَكْرًا كَبِيرًا أى قد كان مكرهم لعظمه و كبره يكاد يزيل ما هو مثل الجبال فى الامتناع على من أراد إزالتها و ثباتها و مثل هذا فى التعظيم للأمر قول الشاعر:

ألم تر صدعا فى السماء مبينا على ابن لبينى الحارث بن هشام

و قال:

بكى الحارث الجولان من موت ربه و حوران منه خاشع متضائل

قال أوس:

ألم تكسف الشمس شمس النهار مع النجم و القمر الواجب

و يدل على أن الجبال يعنى بها أمر النبي ص قوله بعد «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفاً وَعَدِهِ رُسُيْلَهُ» أى فقد وعد الظهور عليهم و الغلبه لهم فى قوله لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ و قوله لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَيُغْلَبُونَ و قد استعمل لفظ الجبال فى غير هذا الموضع فى تعظيم الشىء و تفخيمه قال ابن مقبل:

إذا مت عن ذكر القوافى فلن ترى لها شاعرا مثلى أظب و أشعرا

و أكثر بيتا شاعرا ضربت به بطون جبال الشعر حتى تيسرا

و من قرأ و إن كاد مكرهم لتزول فهى مخففه من الثقيله أيضا فتقديره و أنه كاد مكرهم لتزول منه الجبال قال ابن جنى القطر الصفر و النحاس و هو أيضا الفلز روينا عن قطرب و هو أيضا الصاد و منه قدور الصاد أى قدور الصفر و الآنى الذى قد أنى و أدرك أنى الشىء أى أنى أنيا و أنا مقصور و منه قوله عز سبحانه عَيْرَ نَاطِرِينَ إِنَاهُ أى بلوغه و إدراكه قال أبو على و منه الإناء لأنه الظرف الذى قد بلغ غايته المراده منه من حرز و صياغه و نحو ذلك قال أميه:

و سليمان إذ يسيل له القطر على ملكه ثلاث ليال

و أما القطران ففيه ثلاث لغات قطران على فعلان و قطران بفتح القاف و إسكان الطاء و قطران بكسر القاف و إسكان الطاء و الأصل فيهما قطران فأسكنا على ما يقال فى كلمه كلمه و كلمه لغه تميميه قال أبو النجم:

جون كان العرق المنتوحا ألبيه القطران و المسوحا

و قال:

كان قطرانا إذا تلاها ترمى به الريح إلى مجراها.

اللغة

البروز الظهور و الأصفاد جمع الصفد و هو الغل الذى يقرن به اليد إلى العنق و يجوز أن يكون السلسله التى يقع بها التقرين و التقرين جمع الشىء إلى نظيره و القران الحبل يقرن به شيان يقال صفدته بالحديد و أصفدته و صفدته قال عمرو بن كلثوم:

فأبوا بالنهاج و بالسبايا و أبنا بالملوك مصفدنا

و منه أصفدته إصفادا إذا أعطيته مالا و الصفد العطيه و هو من الأول لأن العطيه تصفد الموده و تقيدها و إلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله:

" و من وجد الإحسان قيذا تقيدا "

و الاختبار فى الحديد صفدته و فى العطيه أصفدته قال الأعشى:

تضيفته يوما فقرب مجلسى و أصفدنى على الزمانه قائدا

و معناه و أعطانى قيذا و قال النابغه فى الصفد الذى هو العطيه:

هذا الثناء فإن تسمع لقائله فما عرضت أبيت اللعن للصفد

و السربال القميص قال امرؤ القيس:

و مثلك بيضاء العوارض طفله لعوب تنسينى إذا قمت سربالى

و البلاغ الكفاهيه و منه البلاغه و هو البيان الكافى و البليغ هو الذى يبلغ بلسانه كنه ما فى ضميره.

الإعراب

«مُخْلِفَ وَعِدِهِ رُسَيْلَهُ» إضافة مخلف إلى وعده إضافة غير محضه لأنها فى تقدير الانفصال و وعده و إن كان مجرورا فى اللفظ فإنه منصوب فى المعنى لأنه مفعول فى المعنى فإن الإخلاف يقتضى مفعولين يقال أخلفت زيدا وعده فعلى هذا يكون تقديره مخلفا وعده رسله و قيل أنه قرأ فى الشواذ مخلف وعده بالنصب رسله بالجر و هى رديئه للفصل بين المضاف و المضاف إليه و أنشدوا فى ذلك:

" فرجبتها بمزجه زج القلوص أبى مزاده "

و معناه فرجبتها زج أبى مزاده القلوص و العامل فى قوله «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ» قوله «مُخْلِفَ وَعِدِهِ» أو «انتقام» أى ينتقم ذلك اليوم أو يكون محذوفا على تقدير و اذكر يوم تبدل الأرض و إن شئت جعلته نعتا لقوله يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ و الأرض مرفوعه على ما لم يسم فاعله و غير منصوب على أنه مفعول ما لم يسم فاعله تقول بدل الخاتم خاتما آخر إذا كسر و صيغ صيغه أخرى و قد تقول بدل زيد إذا تغير حاله.

المعنى

ثم أبان سبحانه عن مكر الكفار و دفعه ذلك عن رسله (عليه السلام) تسليه لنبينا ص فقال «وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ» أى و قد مكروا بالأنبياء قبلك ما

أمكنهم من المكر كما مكروا بك فعصمهم الله من مكرهم كما عصمك و قيل عنى به كفار قريش الذين دبوا فى أمر النبى ص و احتالوا عليه و مكروا بالمؤمنين و خدعوههم «وَ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ» أى جزاء مكرهم فحذف المضاف كما حذف من قوله «تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا» و هو واقع بهم أى جزاؤه يريد و قد عرف الله مكرهم فهو يجازيهم عليه «وَ إِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتُرُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ» أى و لم يكن مكرهم ليبتل حجج القرآن و ما معك من دلائل النبوات فإن ذلك ثابت بالدليل و البرهان و المعنى لا تزول منه الجبال فكيف يزول منه الدين الذى هو أثبت من الجبال و على القراءه الأخرى فالمعنى أن مكرهم و إن بلغ كل مبلغ فلا يزيل دين الله تعالى على ما تقدم بيانه و لا يضر ذلك أنبياءه و لا يزيل أمرهم و لا سيما أمر محمد ص فإنه أثبت من الجبال و قد قيل إن المراد به نمرود بن كوش بن كنعان حين أخذ التابوت و أخذ أربعة من النسور فأجاعها أياما و علق فوقها لحما و ربط التابوت إليها و طارت النسور بالتابوت و هو و وزيره فيه إلى أن بلغت حيث شاء الله تعالى و ظن أنه بلغ السماء ففتح باب التابوت من أعلاه فرأى بعد السماء منه كبعدها حين كان فى الأرض و فتح بابا من أسفل التابوت فرأى الأرض قد غابت عنه فهاله الأمر فصوب النسور و سقط التابوت و كانت له و جبهه عن ابن عباس و ابن مسعود و جماعه «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعْظِهِ رُشِيَّةً» أى فلا تظنن الله عز اسمه مخلفا رسله ما وعدهم به من النصر و الظفر بالكفار و الظهور عليهم «إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ» أى ممتنع بقدرته من أن ينال باهتضام و هو من الكفار «ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ» قيل فيه قولان (أحدهما) إن المعنى تبدل صورته الأرض و هيئتها عن ابن عباس فقد روى عنه أنه قال تبدل آكامها و آجامها و جبالها و أشجارها و الأرض على حالتها و تبقى أرضا بيضاء كالفضه لم يسفك عليها دم و لم يعمل عليها خطيئه و تبدل السماوات فيذهب بشمسها و قمرها و نجومها و كان ينشد:

فما الناس بالناس الذين عهدتهم و لا الدار بالدار التى كنت أعرف

و يعضده

ما رواه أبو هريره عن النبى ص قال يبذل الله الأرض غير الأرض و السماوات فيبسطها و يمددها مد الأديم العكاظى لا ترى فيها عوجا و لا أمثا ثم يزجر الله الخلق زجره فإذا هم فى هذه المبدله مثل مواضعهم من الأولى. ما كان فى بطنها كان فى بطنها و ما كان على ظهرها كان على ظهرها

(و الآخر) أن المعنى تبدل الأرض و تنشأ أرض غيرها و السماوات كذلك تبدل غيرها و تفنى هذه عن الجبائى و جماعه من المفسرين و

فى تفسير

ص: ٨٣

أهل البيت (عليه السلام) بالإسناد عن زراره و محمد بن مسلم و حمران بن أعين عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام) قالوا
تبدل الأرض خبزه نقيه يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ

و هو قول سعيد بن جبير و محمد بن كعب و

روى سهل بن سعد الساعدي عن النبي ص أنه قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصه النقي ليس فيها معلم
لأحد

و روى عن ابن مسعود أنه قال تبدل الأرض بنار فتصير الأرض كلها يوم القيامة نارا و الجنة من ورائها يرى كوابها و أكوابها و
يلجم الناس العرق و لم يبلغ الحساب بعد و قال كعب تصير السماوات جنانا و يصير مكان البحر النار و تبدل الأرض غيرها و

روى عن أبي أيوب الأنصاري قال أتى النبي ص حبر من اليهود فقال أ رأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ
الْأَرْضِ وَ السَّمَاوَاتُ» فأين الخلق عند ذلك فقال أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه

و قيل تبدل الأرض لقوم بأرض الجنة و لقوم بأرض النار و قال الحسن يحشرون على الأرض الساهرة و هي أرض غير هذه و هي
أرض الآخرة و فيها تكون جهنم و تقدير الكلام و تبدل السماوات غير السماوات إلا أنه حذف لدلاله الظاهر عليه «وَ بَرَزُوا لِلَّهِ»
أى يظهرون من أرض قبورهم للمحاسبه لا يستترهم شىء و جعل ذلك بروزا لله لأن حسابهم معه و إن كانت الأشياء كلها بارزه
له لا- يسترها عنه شىء «الْوَاحِدِ» الذى لا- شبه له و لا- نظير «الْقَهَّارِ» المالك الذى لا يضام يقهر عباده بالموت الزؤام «وَ تَرَى
الْمُجْرِمِينَ» يعنى الكفار عن ابن عباس و الحسن و هو الظاهر لأنه تقدم ذكرهم «يَوْمَئِذٍ» أى يوم القيامة «مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ» أى
مجمعين فى الأغلال قرنت أيديهم بها إلى أعناقهم و قيل يقرن بعضهم إلى بعض عن الجبائى و قيل مشدودين فى قرن أى حبل
من الأصفاد و القيود عن أبي مسلم و قيل يقرن كل كافر مع شيطان كان يضلّه فى غل من حديد عن ابن عباس و الحسن و بينه
قوله تعالى احشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَ أَزْوَاجَهُمْ أى قرناءهم من الشياطين و قوله وَ إِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ «سِرَابِيلُهُمْ» أى قميصهم «مِنْ
قَطْرَانٍ» و هو ما يطلى به الإبل شىء أسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار فيهم لتكون أسرع إليهم و
أبلغ فى الاشتعال و أشد فى العذاب عن الحسن و الزجاج و قيل نحاس أو صفر مذاب قد انتهى حره عن ابن عباس و مجاهد و
قتاده و جوز الجبائى على القراءتين أن يسربلوا سربالين أحدهما من القطران و الآخر من القطر الآنى «وَ تَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ» أى
و تصيب و جوههم النار لا قطران عليها «لِيُجْزَىٰ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» اللام تعلقت بما تقدم أخير سبحانه أنه إنما

فعل ذلك بهم لتجزي كل نفس بما كسبت خيرا بأن آمنت و أطاعت أتابها الله بالنعيم المقيم و إن كسبت شرا بأن كفرت و جحدت عاقبها بالعذاب الأليم في نار الجحيم «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ» أى سريع المجازاه و قد سبق بيانه «هَذَا بَلَاغٌ لِلنَّاسِ» هو إشاره إلى القرآن عن ابن عباس و الحسن و ابن زيد و غيرهم أى هذا القرآن عظه للناس بالغه كفايه و قيل هو إشاره إلى ما تقدم ذكره أى هذا الوعيد كفايه لمن تدبره من الناس و الأول هو الصحيح «وَلْيُنذِرُوا بِهِ» أى أنزل ليبلغوا و يندروا به و ليخوفوا بما فيه من الوعيد «وَلْيُعَلِّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ» لا شريك له بالنظر في أدله التوحيد التي بينها الله في القرآن «وَلْيَذَكِّرُوا وَلُؤْلُوا الْأَلْبَابِ» أى و ليتعظ به أهل العقول و ذوو النهى و في هذه الآيه دلالة على أن القرآن كاف في جميع ما يحتاج الناس إليه في أمور الدين لأن جميع أمور الدين جملها و تفاضيلها يعلم بالقرآن إما بنفسه و إما بواسطة فيجب على المؤمن المجتهد المهتم بأمر الدين أن يشمر عن ساق الجد في طلب أمور القرآن و يصدق عنايته بمعرفه ما فيه من بدائع الحكمة و مواضع البيان مكتفيا به عما سواه لينال السعادة في دنياه و عقباه و في قوله «وَلْيُعَلِّمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ» دلالة على أنه سبحانه أراد من الناس علم التوحيد خلافا لأهل الجبر في قولهم أنه سبحانه أراد من النصارى إثبات التثليث و من الزنادقة القول بالتثنيه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا و في قوله «لِيَذَكِّرَ» دلالة على أنه أراد من الجميع التدبر و التذكر و على أن العقل حجه لأن ذوى العقول لا يمكنهم الفكر و الاعتبار.

النظم

اتصلت الآيه الثانيه بقوله «وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ» أى فلا تحسبوا أن الله يخلف وعده بل يجازيهم و ينصر رسله و قيل اتصلت بقوله «إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ» أى فلا تحسبوه مخلف وعده في العقوبه للكفار بل إن شاء أخر و إن شاء عجل و اتصل قوله «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ» بقوله «فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلَفًا وَوَعْدِهِ رُسُلُهُ» أى لا يخلفهم وعده لا في الدنيا و لا في الآخرة عن أبى مسلم و قيل المراد به أنه ذو انتقام من الكفار ذلك اليوم و اتصل قوله «لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ» بقوله «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ».

(١٥) سورة الحجر مكيه و آياتها تسع و تسعون (٩٩)

اشاره

[توضيح]

مكيه فى قول قتاده و مجاهد و قال الحسن إلا- قوله «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» و قوله «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» و هى تسع و تسعون آيه بالإجماع.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد المهاجرين و الأنصار و المستهزين بمحمد ص.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة إبراهيم (عليه السلام) بذكر القرآن و أنه بلاغ و كفايه لأهل الإسلام افتتح هذه السوره بذكر القرآن و أنه مبين للأحكام فقال:

[سورة الحجر (١٥): الآيات ١ الى ٥]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ (١) رَبِّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ (٢) ذَرُهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِيهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٣) وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤)

مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجْلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ (٥)

القراءه

قرأ أهل المدينة و عاصم «رَبِّمَا يَوَدُّ» خفيفه الباء و الباقون بالتشديد و روى محمد

ص: ٨٦

بن حبيب الشمونى عن الأعشى عن أبى بكر ربتما بالتاء.

الحجج

قال أبو على أنشد أبو زيد:

ماوى بل ربتما غاره شعواء كاللدعه بالميسم

و أنشد أيضا:

يا صاحبا ربت إنسان حسن يسأل عنك اليوم أو تسأل عن

وقال السكرى ربما و ربتما و ربما و ربتما و رب و رب ست لغات قال سيبويه رب حرف و يلحقها ما على وجهين (أحدهما) أن يكون نكره بمعنى شىء و ذلك كقوله:

ربما تكره النفوس من الأمر له فرجه كحل العقال

فما فى هذا البيت اسم لما يقدر من حذف الضمير إليه من الصفه و المعنى رب شىء تكرهه النفوس و إذا عاد إليه الهاء كان اسما و لم يجر أن يكون حرفا كما أن قوله أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُبَدِّهُم بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَيْنَ لِمَا عَادَ إِلَيْهِ الذِّكْرَ عَلِمْتَ بِذَلِكَ أَنَّهُ اسْمٌ وَ قوله فرجه يرتفع بالظرف فى قول الناس جميعا و لا يرتفع بالابتداء و قد يقع أيضا لفظه من بعد رب فى مثل قوله:

إلا رب من تغتشه لك ناصح و مؤتمن بالغيب غير أمين

فكما دخلت رب على من و كانت نكره فى معنى شىء كذلك تدخل على ما و الآخر أن تدخل كافه كما فى الآيه و نحو قول الشاعر:

ربما أوفيت فى علم ترفعن ثوبى شمالات

و النحويون يسمون ما هذه كافه يريدون أنها بدخولها كفت الحرف عن العمل الذى كان له و هيأته لدخوله على ما لم يكن يدخل عليه ألا ترى أن رب إنما تدخل على الاسم المفرد نحو رب رجل كريم يقول ذلك و ربه رجلا يقول ذلك و لا يدخل على الفعل فلما دخلت ما عليها سوغت لها الدخول على الفعل فمن ذلك قوله «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» فوقع

الفعل بعدها فى الآيه و هو على لفظ المضارع و وقع فى قوله ربما أوفيت فى علم على لفظ الماضى و هكذا ينبغى فى القياس لأنها تدل على أمر قد مضى و إنما وقع فى الآيه على لفظ المضارع لأنه حكاية لحال آتية كما أن قوله إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ حكاية لحال آتية و من حكاية الحال قول القائل:

جاريه فى رمضان الماضى تقطع الحديث بالإيماض

و من زعم أن الآيه على إضمار كان و تقديره ربما كان يود فقد خرج بذلك عن قول سيبويه أ لا ترى أن كان لا يضمه و لم يجز عبد الله المقتول و أنت تريد كن عبد الله المقتول فأما إضمارها بعد إن فى قولهم إن خيرا فخير فإنما جاز ذلك لاقتضاء الحرف له فصار اقتضاء الحرف له كذكره فأما ما أنشده ابن حبيب لنبهان بن مسور:

لقد رزيت كعب بن عوف و ربما فتى لم يكن يرضى بشىء يضيئه

فإن قوله فتى فى ربما فتى يحتمل ضروبا (أحدها) أن يكون لما جرى ذكر رزيت استغنى بجرى ذكره من أن يعيده فكأنه قال ربما رزيت فتى فيكون انتصاب فتى برزيت هذه المضمرة كقوله آلآنَ وَ قَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ فاستغنى بذكر آمنت له المتقدم عن إظهاره بعد و قد يجوز أن ينتصب فتى برزيت هذه المذكورة كأنه قال لقد رزيت كعب بن عوف فتى و ربما لم يكن يرضى أى رزئت فتى لم يكن يضاوم و يكون هذا الفصل فى أنه أجنبى بمنزله قوله:

(أبو أمه حى أبوه يقاربه)

و قد يجوز أن يكون مرتفعا بفعل مضمرة كأنه قال ربما لم يرض فتى كقوله:

(وقلما وصال على طول الصدود يدوم)

و يجوز أن يكون ما نكره بمنزله شىء فيكون فتى وصفا لها لأنها لما كانت كالأسماء المبهمة فى إبهامها وصفت بأسماء الأجناس كأنه قال رب شىء فتى لم يكن كذا فهذه الأوجه كلها ممكنة و يجوز فى الآيه أن يكون ما بمنزله شىء و يود صفه له لأن ما لعمومها يقع على كل شىء فيجوز أن يعنى بها الود كأنه قال رب و د يوده الذين كفروا و يكون يود فى هذا الوجه أيضا حكاية حال أ لا ترى أنه لم يكن بعد و هذه الآيه فى المعنى كقوله فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا وَ كَقَوْلِهِ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ

و كتمنيهم الرد في قوله يا لَيْتِنَا نُزُدُّ وَلَا نُكَذِّبُ و أما قول من قال ربما بالتخفيف فلأنه حرف مضاف و الحرف و الحروف المضاعفه قد تحذف و إن لم يحذف غير المضاعف فمن المضاعف الذى حذف أن و إن و لكن و ليس كل المضاعف يحذف لم أعلم الحذف فى ثم و أما دخول التاء فى ربما فإن من الحروف ما يدخل عليه حرف التانيث نحو ثم و ثمث و لا و لات قال:

ثمث لا يجوزنى عند ذاكم و لكن سيجزىنى المليك فيعقبا

فكذلك ألحقت التاء فى قولهم ربما و أنشد الزجاج فى تخفيف رب قول الحادره:

أسمى ما يدريك أن رب فتية باكرت لذتهم بأدكن مترع

قال و قد يسكنون فى التخفيف يقولون رب رجل جاءنى و أنشدوا بيت الهذلى:

أزهير إن يشب القذال فإننى رب هيضل مرس لففت بهيضل

و يقولون رب رجل و ربت رجل بفتح الراء و رب رجل و ربما رجل جاءنى و ربما رجل فيفتحون حكى ذلك قطرب.

الإعراب

قرآن عطف على الكتاب و إنما عطفه عليه و إن كان الكتاب هو القرآن لاختلاف اللفظين و ما فيهما من الفائدةين و إن كانا لموصوف واحد لأن وصفه بالكتاب يفيد أنه مما يكتب و يدون و وصفه بالقرآن يفيد أنه مما يؤلف و يجمع بعض حروفه إلى بعض كما قال الشاعر:

إلى الملك القرم و ابن الهمام و ليث الكتيبه فى المزدحم

و ذى الرأى حين تغم الأمور بذات الصليل و ذات اللجم

و يقال لم جاز «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا» و رب للتقليل و جوابه على و جهين (أحدهما) أنه أبلغ فى التهديد كما تقول ربما ندمت على هذا و أنت تعلم أنه يندم ندما طويلا أى يكفيك قليل الندم فكيف كثيره (و الثانى) أنه يشغلهم العذاب عن تمنى ذلك إلا فى أوقات قليله.

المعنى

«الر» قد تقدم الكلام فى هذه الحروف و أقوال العلماء فيها «تلك آياتُ

الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُّبِينٍ» أى هذه آيات الكتاب و آيات قرآن مميز بين الحق و الباطل و قيل المبين البين الواضح عن أبى مسلم و قيل هو المبين للحلال و الحرام و الأوامر و النواهي و الأدله و غير ذلك و قيل المراد بالكتاب التوراه و الإنجيل عن مجاهد و قيل المراد به الكتب المنزله قبل القرآن عن قتاده «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ» أى ربما يتمنى الكفار الإسلام فى الآخره إذا صار المسلمون إلى الجنه و الكفار إلى النار و يجوز أن يتمنوا ذلك وقت اليأس و روى مجاهد عن ابن عباس قال ما يزال الله يدخل الجنه و يرحم و يشفع حتى يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنه فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين و

قال الصادق (عليه السلام) ينادى مناد يوم القيامه يسمع الخلائق أنه لا يدخل الجنه إلا مسلم فثم يود سائر الخلائق أنهم كانوا مسلمين

و

روى مرفوعا عن النبى ص قال إذا اجتمع أهل النار فى النار و معهم من يشاء الله من أهل القبله قال الكفار للمسلمين ألم تكونوا مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم و قد صرتم معنا فى النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيسمع الله عز و جل ما قالوا فأمر من كان فى النار من أهل الإسلام فاخرجوا منها فحينئذ يقول الكفار يا ليتنا كنا مسلمين

«ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا» معناه دعهم يأكلوا فى دنياهم أكل الأنعام و يتمتعوا فيها بما يريدون و التمتع التلذذ و هو طلب اللذاه حالا بعد حال «وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ» أى و تشغلهم آمالهم الكاذبه عن اتباع النبى ص و القرآن يقال ألهاه الشىء أى شغله و أنساه «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» وبال ذلك فيما بعد حين يحل بهم العذاب يوم القيامه و صاروا إلى ما يجحدون به و فى هذه الآيه إشارة إلى أن الإنسان يجب أن يكون مقصور الهمة على أمور الآخره مستعدا للموت مسارعا إلى التوبه و لا- يأمل الآمال المؤديه إلى الصد عنها و قد

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال إن أخوف ما أخاف عليكم اثنان اتباع الهوى و طول الأمل فإن اتباع الهوى يصد عن الحق و طول الأمل ينسى الآخره

«وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَوْمِهِ إِلَّا وَ لَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ» معناه و لم نهلك أهل قريه فيما مضى على وجه العقوبه إلا و كان لهم أجل مكتوب لا بد أن سيبلغونه يريد فلا يغرن هؤلاء الكفار إمهالى إياهم إنما ينزل العذاب بهم فى الوقت المكتوب المقدر لذلك «ما تَسْبِقُ مِنْ أُمَّه أَجَلَهَا وَ ما يَسْتَأْخِرُونَ» أى لم تكن أمه فيما مضى تسبق أجلها فتهلك قبل ذلك و لا تتأخر عن أجلها الذى قدر لها بل إذا استوفت أجلها أهلكها الله.

إشارة

وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ (٦) لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٧) مَا نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ (٨) إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (٩) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِعَابِ الْأَوَّلِينَ (١٠) وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (١١) كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ (١٢) لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ (١٤) لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ (١٥) وَ لَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَ زِينًا لِلنَّاطِرِينَ (١٦) وَ حَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ (١٧) إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ مُبِينٌ (١٨)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير أبي بكر «ما نُزِّلُ» بنونين «المَلَائِكَةُ» بالنصب وقرأ أبو بكر عن عاصم ما تنزل بضم التاء الملائكه بالرفع وقرأ الباقون ما تنزل بفتح التاء و الزاى الملائكه بالرفع وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف و الباقون بالتشديد و فى الشواذ قراءه الزهرى سكرت.

الحجه

قال أبو على: حجه من قرأ تنزل قوله تَنَزَّلَ الْمَلَائِكَةُ وَ الرُّوحُ فِيهَا و حجه من قرأ تنزل قوله وَ نُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا و حجه من قرأ «نُزِّلُ» قوله وَ لَوْ أَنَّآ نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ و وجه التثقيل فى «سُكَّرَتْ» أن الفعل مسند إلى جماعه فهو مثل مُفْتَحَهُ لَهُمُ الْأَبْوَابُ و وجه التخفيف أن هذا النحو من الفعل المسند إلى جماعه قد يخفف قال:

" ما زلت أفتح أبوابا و أغلقها".

اللغه

الشيعة الفرق عن الزجاج و كل فرقه شيعه و أصله من المشايعه و هى المتابعه يقال شايح فلان فلانا على أمره أى تابعه عليه و منه شيعه على (عليه السلام) و هم الذين تابعوه على أمره و دانوا بإمامته و

فى حديث أم سلمه عن النبى ص شيعه على هم الفائزون يوم القيامه

و سلك و أسلك بمعنى و المصدر السلك و السلوك قال عدى بن زيد:

و كنت لزاز خصمك لم أعرد و قد سلوك في يوم عصيب

و قال آخر:

حتى إذا أسلكوهم في قتائده شلا كما تطرد الجماله الشردا

و العروج الصعود في الدرج و المضارع يعرج و يعرج أبو عبيده «سُكْرَتْ أَبْصَارُنَا» غشيت قال أبو علي: فكان معناه لا ينفذ نورها و لا يدرك الأشياء على حقيقتها و معنى الكلمه انقطاع الشىء عن سننه الجارى فمن ذلك سكر الماء و هو رده عن سننه في الجرى و قالوا التسكير في رأى قبل أن يعزم على الشىء و إذا عزم على أمر ذهب التسكير و منه السكر في الشراب إنما هو أن ينقطع عما هو عليه من المصافى حال الصحو فلا ينفذ رأيه و نظره على حد نفاذه في صحوه و قالوا سكران لا يثبت فعبروا عن هذا المعنى فيه قال الزجاج: فسروا سكرت أغشيت و سكرت تحيرت و سكرت عن أن تنظر و العرب تقول سكرت الريح سكرت و كذلك سكر الحر قال الشاعر:

جاء الشتاء و اجتأل القبر و جعلت عين الحرور تسكر

و البرج أصله الظهور و منه البرج من بروج السماء و برج الحصن و يقال تبرجت المرأة إذا أظهرت زينتها و الرجيم المرجوم و الرجم الرمى بالشىء بالاعتماد من غير آله مهياه للإصابة فإن القوس يرمى عنها و لا يرجم بها و رجمته شتمته و الشهاب القطعه من النار قال الزجاج:

و الشهب المنقضه من آيات النبی ص و الدليل على أنها كانت بعد مولد النبی ص أن شعراء العرب الذين كانوا يمثلون في السرعه بالبرق و بالسيل و بالأشياء المسرعه لم يوجد في أشعارهم بيت واحد فيه ذكر الكواكب المنقضه فلما حدثت بعد مولد النبی ص استعملت الشعراء ذكرها قال ذو الرمه:

كأنه كوكب في إثر عفریه مسوم في سواد الليل منقضب.

لو ما دعاء إلى الفعل و تحريض عليه و هو بمعنى لو لا و هلا و قد جاءت لو ما فى معنى لو لا التى لها جواب قال ابن مقبل:

لو ما الحياء و لو لا الدين عبتكما ببعض ما فيكما إذ عبتما عورى

«إِلَّا مَنْ اشْتَرَقَ السَّمْعَ» استثناء منقطع و المعنى لكن من استرق السمع يتبعه شهاب و قال الفراء: هو استثناء صحيح لأن الله تعالى لم يحفظ السماء ممن يصعد إليها ليسترق السمع لكن إذا سمعه و أداه إلى الكهنة أتبعه شهاب.

المعنى

«وَقَالُوا» أى قال المشركون للنبي ص «يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ» أى القرآن فى زعمه و دعواه «إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ» فى دعواك أنه نزل عليك و فى توهمك أنا نتبعك و تؤمن بك «لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ» يشهدون لك على صدق قولك «إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ» فيما تدعيه عن ابن عباس و الحسن ثم أجابهم سبحانه بالجواب المقنع فقال «مَا نُنزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ» أى لا ننزل الملائكة إلا- بالحق الذى هو الموت لا- يقع فيه تقديم و تأخير فيقبض أرواحهم عن ابن عباس و قيل لا- ينزلون إلا- بعذاب الاستئصال إن لم يؤمنوا عن الحسن و مجاهد و الجبائى و قيل ما ينزلون فى الدنيا إلا بالرسالة عن مجاهد «وَمَا كَانُوا إِذَا» أى حين ننزل الملائكة «مُنْظَرِينَ» مؤخرين مهملين أى لا- يمهلون ساعه ثم زاد سبحانه فى البيان فقال «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ» أى القرآن «وَأِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» عن الزيادة و النقصان و التحريف و التغيير عن قتاده و ابن عباس و مثله لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه و قيل معناه متكفل بحفظه إلى آخر الدهر على ما هو عليه فتقله الأمه و تحفظه عصرا بعد عصر إلى يوم القيامة لقيام الحجة به على الجماعه من كل من لزمته دعوه النبي ص عن الحسن و قيل يحفظه من كيد المشركين و لا يمكنهم إبطاله و لا يندرس و لا- ينسى عن الجبائى و قال الفراء يجوز أن يكون الهاء فى له كناية عن النبي ص فكأنه قال إنا نزلنا القرآن و إنا لمحمد ص لحافظون و فى هذه الآيه دلالة على أن القرآن محدث إذ المنزل و المحفوظ لا يكون إلا محدثا «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد رسلا عن ابن عباس فحذف المفعول لدلاله الإرسال عليه «فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ» أى فى فرق الأولين عن الحسن و الكلبي و قيل فى الأمم الأولين عن عطا عن ابن عباس «وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ» و هذا تسليه للنبي ص إذ أخبره أن كل رسول كان مبتلى بقومه و استهزاؤهم بالرسول إنما حملهم على ذلك استبعادهم ما دعوهم إليه و استيحاشهم منه و استنكارهم له حتى توهموا أنه مما لا يكون و لا يصح مع مخالفته لما وجدوا عليه أسلافهم «كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ» فيه قولان

(أحدهما) أن معناه أن نسلك الذكر الذي هو القرآن في قلوب الكفار ياخطاره عليها و إلقائه فيها و بأن نفهمهم إياه و أنهم مع ذلك «لا يُؤْمِنُونَ بِهِ» ماضين على سنه من تقدمهم في تكذيب الرسل كما سلطنا دعوه الرسل في قلوب من سلف من الأمم عن البلخي و الجبائي و المراد أن إعراضهم عن القرآن لا- يمنعنا من أن ندخله في قلوبهم تأكيداً للحجه عليهم (الآخر) أن المعنى نسلك الاستهزاء في قلوبهم عقوبه لهم على كفرهم و الأول هو الصحيح و قد رووا عن جماعه من المفسرين أن المراد نسلك الشرك في قلوب الكفار و ذلك لا يصح لأنه لم يجر للشرك ذكر و قد جرى ذكر الذكر و هو القرآن و لأنه قال «لا يُؤْمِنُونَ بِهِ» و لو عاد الضمير في قوله به إلى الشرك لكان الكفار محمودين إذا كانوا لا يؤمنون بالشرك و لا خلاف أن الآيه وردت على سبيل الذم لهم و لو كان الله سبحانه قد سلك الكفر في قلوبهم لسقط عنهم الذم و لما جاز أن يقول لهم كَيْفَ تَكْفُرُونَ وَ أَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِذَا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ كَيْفَ يَنْكُرُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْإِنْكَارَ وَ هُوَ الْوَاضِعُ لَذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ وَ كَيْفَ يَأْمُرُهُمْ بِإِخْرَاجِهِ مِنْ حَيْثُ وَضَعَهُ فِيهِ تَعَالَى وَ تَقَدَّسَ عَنْ ذَلِكَ «وَ قَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ» أى مضت طريقه الأمم المتقدمه بأن كانت رسالهم تدعوهم إلى كتب الله المنزله ثم لا يؤمنون و قيل مضت سنه الأولين بأن عوجلوا بعذاب الاستئصال عند الإتيان بالآيات المقترحه مع إصرارهم على الكفر عن أبى مسلم و قيل مضت سنتهم فى التكذيب كما أن قومك كذبوك عن ابن عباس ثم قال بعد ما تقدم ذكر اقتراحهم للآيات «وَ لَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ» أى على هؤلاء المشركين «بَاباً مِنَ السَّمَاءِ» ينظرون إليه «فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ» أى فظلت الملائكه تصعد و تنزل فى ذلك الباب عن ابن عباس و قتاده و قيل فظل هؤلاء المشركون يعرجون إلى السماء من ذلك الباب و شاهدوا ملكوت السماوات عن الحسن و الجبائي و أبى مسلم «لَقَالُوا إِنَّمَا سُكَّرَتْ أَبْصَارُنَا» أى سدت و غطيت عن مجاهد و قيل أغشيت و عميت عن ابن عباس و الكلبي و أبى عمرو و الكسائي و قيل تحيرت و سكنت عن أن تنظر «بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ» سحرنا محمد ص فلا ننظر ببصر و يخيل الأشياء إلينا على خلاف حقيقتها ثم ذكر سبحانه دلالات التوحيد فقال سبحانه «وَ لَقَدْ جَعَلْنَا» أى خلقنا و هيأنا «فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً» أى منازل الشمس و القمر

«وَ زَيَّنَّا لِلنَّازِحِينَ» بالكواكب النيره عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و هى اثنا عشر برجاً و قيل البروج النجوم عن ابن عباس و الحسن و قتاده «وَ حَفِظْنَاهَا» أى و حفظنا السماء «مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ» أى مرجوم مرمى بالشهب عن أبى على الجبائي و أبى مسلم و قيل رجيم ملعون مشنوم عن ابن عباس و حفظ الشىء جعله على ما ينفى عنه الضياع فمن ذلك حفظ القرآن بدرسه حتى لا ينسى و حفظ المال بإحرازه

حتى لا يضيع و حفظ السماء من الشيطان بالمنع حتى لا يدخلها و لا يبلغ إلى موضع يتمكن فيه من استراق السمع بما أعد له من الشهاب «إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ» و السرقة عند العرب أن يأتي الإنسان إلى حرز خفيه فيأخذ ما ليس له و المراد بالسمع هنا المسموع و المعنى إلا- من حاول أخذ المسموع من السماء في خفيه «فَأَتْبَعَهُ» أى لحقه «شَهَابٌ مُبِينٌ» أى شعله نار ظاهر لأهل الأرض بين لمن رآه و نحن فى رأى العين نرى كأنهم يرمون بالنجوم و الشهاب عمود من نور يضىء ضياء النار لشده ضيائه و روى عن ابن عباس أنه قال كان فى الجاهلية كهنة و مع كل واحد شيطان فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن فى الأرض فينزل و يخبر به الكاهن فيفشيهِ الكاهن إلى الناس فلما بعث الله عيسى (عليه السلام) منعوا من ثلاث سماوات و لما بعث محمد ص منعوا من السماوات كلها و حرست السماء بالنجوم فالشهاب من معجزات نبينا محمد ص لأنه لم ير قبل زمانه و قيل إن الشهاب يحرق الشياطين و يقتلهم عن الحسن و قيل إنه يخبل و يحرق و لا يقتل عن ابن عباس.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ١٩ الى ٢٥]

إشاره

وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ (١٩) وَ جَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَ مَنْ لَسِيْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ (٢٠) وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَ مَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢١) وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَ مَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ (٢٢) وَ إِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَ نُمِيتُ وَ نَحْنُ الْوَارِثُونَ (٢٣)

وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ (٢٤) وَ إِنْ رَبِّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (٢٥)

القراءة

قرأ حمزه وحده الريح لواقح و الباقون «الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ».

قال أبو عبيده لا- أعرف لذلك وجها إلا أن يريد أن الريح تأتي مختلفه من كل وجه فكانت بمنزله الرياح و حكى الكسائي أرض إغفال و أرض سباسب قال المبرد يجوز ذلك على أن يجعل الريح جنسا و ليس بجيد لأن الرياح ينفصل بعضها عن بعض و معرفه كل واحده منها و الأرض ليست كذلك لأنها بساط واحد.

اللغه

الرواسى الثوابت واحدها راسيه و المراسى ما يثبت به و الوزن وضع أحد الشئيين بإزاء الآخر على ما يظهر به مساواته فى المقدار و زيادته و المعایش جمع معيشه و هى طلب أسباب الرزق مده الحياه و قد يطلبها الإنسان لنفسه بالتصرف و التكسب و قد يطلب له فإن أتاه أسباب الرزق من غير طلب فذلك العيش الهنىء و اللواقح الرياح التى تلتحح السحاب حتى يحمل الماء أى يلقى إليه ما يحمل به الماء يقال لقتح الناقه إذا حملت و ألقحها الفحل فاللواقح فى معنى الملقحات و قيل فى عله ذلك قولان (أحدهما) أنه فى معنى ذات لقاح و مثله هم ناصب أى ذو نصب قال النابغه:

كلينى لهم يا أميمه ناصب و ليل أقاسيه بطىء الكواكب

أى منصب و قال نهشل بن جرى:

لييك يزيد ضارع لخصومه و مختبط مما تطيح الطوائح

أى المطاوح (و الآخر) أن الرياح لاقحه بحملها الماء ملقحه بإلقائها إياه إلى السحاب و يقال سقيته فيما يشربه بشفته و استقيته بالألف فيما تشربه أرضه قال على بن عيسى و قد يجىء أحدهما بمعنى الآخر كقوله نُشِقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ و قال ذو الرمه:

وقفت على ربيع لميه ناقتى فما زلت أبكى عنده و أخاطبه

و أسقيه حتى كاد مما أبته تكلمنى أحجاره و ملاعبه

. الإعراب

«وَالْأَرْضَ» منصوب بفعل مضمّر تقديره و مددنا الأرض «مَدَدْنَاهَا» كقوله وَ الْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ أى و قدرنا القمر قدرناه «وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ» من فى موضع نصب عطفا على معایش و المراد به العبيد و الإماء و الأنعام و الدواب عن مجاهد و قال الفراء العرب لا تكاد تجعل من إلا فى الناس خاصه فإن كان مع الدواب العبيد حسن حينئذ قال و قد يجوز أن

يكون من فى موضع جر عطفًا على الكاف و الميم فى لكم و قال المبرد و الظاهر المخفوض لا يعطف على المضمر المخفوض نحو مررت بك و زيد إلا أن يضطر شاعر و أنشد الفراء:

نعلق فى مثل السوارى سيوفنا و ما بينها و الكعب غوط نفائف

فرد الكعب على الهاء فى بينها و قال:

هلا سألت بذى الجماجم عنهم و أبى نعيم ذى اللواء المحرق

فرد أبا نعيم على هم فى عنهم قال و يجوز أن يكون من فى موضع رفع لأن الكلام قد تم و يكون التقدير على قوله و لكم فيها من لستم له برازقين قال الزجاج و الأ-جود من الأقوال الأول و جاز أن يكون عطفًا على تأويل لكم لأن معنى قوله «لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشٌ» أعشناكم «وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ» أى رزقناكم و من لستم له برازقين «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ» من مزیده و شىء مبتدأ و عندنا خبر له و خزائنه مرفوع بالظرف لأن الظرف جرى خبرًا على المبتدأ لا خلاف فى هذا بين سيويه و الأخفش.

المعنى

لما تقدم ذكر السماء و ما فيها من الأدله و النعم أتبعه بذكر الأرض فقال «وَ الْأَرْضَ مَدَدْنَا» أى بسطانها و جعلنا لها طولًا و عرضًا «وَ أَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ» أى طرحنا فيها جبالًا ثابتة «وَ أَنْبَتْنَا فِيهَا» أى فى الأرض «مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ» أى مقدر معلوم عن ابن عباس و سعيد بن جبیر و مجاهد و قيل من كل شىء يوزن فى العاده كالذهب و الفضة و الصفر و النحاس و نحوها عن الحسن و قيل يعنى بذلك كل ما تخرجه الأرض عن أبى مسلم قال و إنما خص الموزون بالذكر دون المكييل لوجهين (أحدهما) أن غايه المكييل تنتهى إلى الوزن لأن جميع المكييلات إذا صار طعامًا دخل فى الوزن فالوزن أهم (و الآخر) أن فى الوزن معنى الكيل لأن الوزن هو طلب المساواه و هذا المعنى ثابت فى الكيل فخص الوزن بالذكر لاشتماله على معنى الكيل و رد عليه السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه فقال ظاهر لفظ الآيه يشهد بغير ما قاله فإن المراد بالموزون المقدار الواقع بحسب الحاجه فلا يكون ناقصًا عنها و لا زائدًا عليها زياده مضره داخله فى باب العبث و نظير ذلك قولهم كلام فلان

موزون و أفعاله موزونه و المراد ما ذكرناه و على هذا المعنى تأول المفسرون ذكر الموازين فى القرآن على أحد التأويلين و أنها التعديل و المساواه بين الثواب و العقاب «وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ» أى خلقنا لكم فى الأرض معاش من زرع أو نبات عن ابن عباس و الحسن و قيل معاش أى مطاعم و مشارب تعيشون بهما و قيل هى التصرف فى أسباب الرزق مده الحياه «وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ» يعنى العبيد و الدواب يرزقهم الله و لا ترزقونهم و معناه يدور على ما تقدم ذكره فى الإعراب و أتى بلفظه من دون لفظه ما لأنه غلب العقلاء على غيرهم «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ» أى و ليس من شىء ينزل من السماء و ينبت من الأرض «إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ» معناه إلا و نحن مالكوه و القادرون عليه و خزائن الله سبحانه مقدوراته لأنه تعالى يقدر أن يوجد ما شاء من جميع الأجناس و يقدر من كل جنس على ما لا نهاية له و قيل المراد به الماء الذى منه النبات و هو مخزون عنده إلى أن ينزله و نبات الأرض و ثمارها إنما تنبت بماء السماء و قال الحسن المطر خزائن كل شىء «وَمَا نُنزِّلُهُ» أى و ما ننزل المطر «إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ» تقتضيه الحكمة و قيل إنه سبحانه استعار الخزائن للقدره على إيجاد الأشياء و عبر عن الإيجاد بالإنزال لأن الإنزال فى معنى الإعطاء و الرزق و المعنى أن الخير كله من عند الله لا يوجد و لا يعطى إلا بحسب المصلحه و الحاجه ثم بين سبحانه كيفية الإنزال فقال «وَ أَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ» أى أجرينا الرياح لواقح أى ملقحه للسحاب محمله بالمطر «فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا «فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ» أى فأسقيناكم ذلك الماء و مكناكم منه «وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ» أى و ما أنتم أيها الناس له بحافظين و لا محرزين بل الله يحفظه ثم يرسله من السماء ثم يحفظه فى الأرض ثم يخرج من العيون بقدر الحاجه و لا يقدر أحد على إحراز ما يحتاج إليه من الماء فى موضع «وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ» أخبر سبحانه أنه يحيى الخلق إذا شاء و يميتهم إذا أراد «وَ نَحْنُ الْوَارِثُونَ» الأرض و من عليها أخبر أنه يرث الأرض لأنه إذا أفنى الخلق و لم يبق أحد كانت الأشياء كلها راجعه إليه يتفرد بالتصرف فيها «وَ لَقَدْ عَلَّمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَ لَقَدْ

عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن معناه و لقد علمنا الماضين منكم و لقد علمنا الباقين عن مجاهد و الضحاك و قتاده (و ثانيها) علمنا الأولين منكم و الآخرين عن الشعبي (و ثالثها) علمنا المتقدمين فى صفوف الحرب و المتأخرين عنها عن سعيد بن المسيب (و رابعها) علمنا المتقدمين فى الخير و المبطلين عنه عن الحسن (و خامسها) علمنا المتقدمين إلى الصف الأول فى الصلاة و المتأخرين عنه فإنه كان يتقدم بعضهم إلى الصف الأول ليدركوا فضيلته و كان يتأخر بعضهم لينظروا إلى أعجاز النساء فنزلت الآية فيهم عن ابن عباس (و سادسها)

أن النبى ص حث الناس على الصف الأول فى الصلاة و قال خير صفوف الرجال أولها و شرها آخرها و خير صفوف النساء آخرها و شرها أولها

و

قال ص أن الله و ملائكته يصلون على الصف المتقدم

فازدحم الناس و كانت دور بنى عذره بعيدة عن المسجد فقالوا لنبيعن دورنا و لنشترين دورا قريبه من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية عن الربيع بن أنس فعلى هذا يكون المعنى إنا نجازى الناس على نياتهم «وَ إِنْ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ» معناه إن ربك يا محمد أو أيها السامع هو الذى يجمعهم يوم القيامة و يبعثهم بعد إمامتهم للمجازاة و المحاسبه «إِنَّهُ حَكِيمٌ» فى أفعاله «عَلِيمٌ» بما استحق كل منهم.

النظم

إنما اتصل قوله «وَ إِنْ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ» و ما بعده بما ذكره فيما قبل من أنواع النعم فبين سبحانه أنه يرثهم كل ما خولهم من ذلك تزهيدا فى الدنيا و ترغيبا فى الآخرة عن أبى مسلم و قيل إنه لما بين أنواع نعمه عرفهم بعد أنه لم يخلق ذلك للبقاء و إنما أنعم به عليهم ليكون طريقا إلى نعم الآخرة عن القاضى و قيل إنه لما ذكرهم نعم الدنيا نبه بالإحياء و الإمامته و علمه بجميع الأشياء و حشر الخلق على و جوب الانقطاع إليه و العبادة و الطاعة له.

ص: ٩٩

اشاره

وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٦) وَ الْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ (٢٧) وَ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٢٨) فَبَإِذَا سَوَّيْتَهُ وَ نَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ (٢٩) فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ (٣٠)

إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣١) قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ (٣٢) قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ (٣٣) قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَ إِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥)

اللغه

الصلصال الطين اليابس أخذ من الصلصلة و هي القعقعه و يقال لصوت الحديد و لصوت الرعد صلصلة و هي صوت شديد متردد في الهواء و صل يصل إذا صوت قال:

رجعت إلى صوت كجره حنتم إذا قرعت صفرا من الماء صلت

و يقال الصلصال الممتن أخذ من صل اللحم و أصل إذا أنتن و الحمأ جمع حمأه و هو الطين المتغير إلى السواد يقال حمئت البثر و أحمأتها أنا و المسنون المصبوب من سنتت الماء على وجهه أى صببته و يقال سنتت بالسين غير معجمه أرسلت الماء و شنتت بالسين معجمه صببت و قيل إنه المتغير من قولهم سنتت الحديد على المسن إذا غيرتها بالتحديد و أصلها الاستمرار في جهه من قولهم هو على سنن واحد و السنه الطريقه و سنه الوجه صورته قال ذو الرمه:

تريك سنه وجه غير مقرفه ملساء ليس بها خال و لا ندب

قال سيويه جمع الجان جنان فهو مثل حائط و حيطان و راع و رعيان و السموم الريح الحاره أخذ من دخولها بلطفها في مسام البدن و منه السم القاتل يقال سم يومنا يسم إذا هبت فيه ريح السموم.

الإعراب

من جعل الجان جمعا قال و لم يقل خلقناها كما قال مِمَّا فِي بُطُونِهِ وَ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَ قوله «مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» ما مبتدأ و لك خبره و التقدير أى شىء ثابت لك و إلا تكون تقديره فى أن لا تكون فحذف فى و هى متعلقه بالخبر أيضا فلما حذفت فى

انتصب موضع أن لا- تكون على قول سيبويه و بقى على الجر على قول الخليل و أبو الحسن حمل أن على الزيادة و لا تكون فى موضع الحال قال و تقديره ما لك خارجا عن الساجدين.

المعنى

لما ذكر سبحانه الإحياء و الإماتة و النشأ الثانية عقبه بيان النشأ الأولى فقال «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ» يعنى آدم «مِنْ صِيْلِصَالٍ» أى من طين يابس يسمع له عند النقر صلصلة أى صوت عن ابن عباس و الحسن و قتاده و أكثر المفسرين و قيل طين صلب يخالطه الكثيب عن الضحاك و قيل متنن عن مجاهد و اختاره الكسائى «مِنْ حَمًا» أى من طين متغير «مَسِيُونٍ» أى مصبوب كأنه أفرغ حتى صار صوره كما يصب الذهب و الفضة و قيل إنه الرطب عن ابن عباس و قيل مسنون مصور عن سيبويه قال أخذ من سنه الوجه «وَالْحَيَّانَ» و هو إبليس عن الحسن و قتاده و قيل هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر عن ابن عباس و قيل هم الجن نسل إبليس و هو منصوب بفعل مضمر معناه و خلقنا الجن «خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ» أى من قبل خلق آدم «مِنْ نَارِ السَّمُومِ» أى من نار لها ريح حاره تقتل و قيل هى نار لا دخان لها و الصواعق تكون منها و روى أبو روق عن الضحاك عن ابن عباس قال كان إبليس من حى من أحياء الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم من بين الملائكة و خلق الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار و قيل السموم النار الملتهبه عن أبى مسلم و فى هذا إشاره إلى أن الإنسان لا يفضل بأصله و إنما يفضل بدينه و علمه و صالح عمله و أصل آدم (عليه السلام) كان من تراب و ذلك قوله خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثم جعل التراب طينا و ذلك قوله وَ خَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ* ثم ترك ذلك الطين حتى تغير و استرخى و ذلك قوله «مِنْ حَمًا مَسِيُونٍ» ثم ترك حتى جف و ذلك قوله «مِنْ صِيْلِصَالٍ» فهذه الأقوال لا- تناقض فيها إذ هى إخبار عن حالته المختلفه «وَأِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ» تقديره و اذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة «إِنِّي خَالِقٌ» أى سأخلق «بَشَرًا» أى آدم و سمي بشرا لأنه ظاهر الجلد لا يواريه شعر و لا صوف «مِنْ صِيْلِصَالٍ مِنْ حَمًا مَسِيُونٍ» مر معناه «فَإِذَا سَوَّيْتُهُ» بإتمام خلقته و إكمال خلقه و قيل معناه عدلت صورته «وَأَنفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي» و النفخ إجراء الريح فى الشىء باعتماد فلما أجرى الله سبحانه الروح فى آدم على هذه الصفه كان قد نفخ الروح فيه و إنما أضاف روح آدم إلى نفسه تكرمه له و تشريفا و هى إضافة الملك «فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ» أى اسجدوا له قال الكلبي أى فخروا له ساجدين «فَسَبَّجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ» هذا توكيد بعد توكيد عند سيبويه و قال المبرد و يدل قوله «أَجْمَعُونَ» على اجتماعهم فى السجود أى فسجدوا كلهم فى حاله واحده قال الزجاج و قول سيبويه أجود لأن أجمعون معرفه فلا يكون حالا «إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ» أى امتنع أن يكون معهم فلم يسجد معهم و قد سبق القول فى أن إبليس هل كان

من الملائكة أو لم يكن و اختلاف العلماء فيه و ما لكل واحد من الفريقين من الحجج و ذكرنا ما يتعلق بذلك من الكلام فى سورة البقره فلا معنى للإعاده و أن يكون فى محل نصب أى أبى الكون مع الساجدين «قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين» قال الزجاج معناه أى شىء يقع لك فى أن لا تكون مع الساجدين فموضع أن نصب بإسقاط فى و إفضاء الناصب إلى أن و هذا خطاب من الله سبحانه لإبليس و معناه لم لا تكون مع الساجدين فتسجد كما سجدوا و إنما قال سبحانه بنفسه على وجه الإهانه له كما يقول لأهل النار اخسؤا فيها و لا تكلمون و قال الجبائى إنما قال سبحانه ذلك على لسان بعض رسله لأنه لا يصح أن يكلمه الله بلا واسطه فى زمان التكليف «قال» أى قال إبليس مجيبا لهذا الكلام «لم أكن لأسجد» أى ما كنت لأسجد و قيل معناه ما كان ينبغى أن أسجد «لئش خلقته من صلصال من حمى مسنون» لأنى أشرف أصلا منه و لم يعلم أن التفاضل بالدين و الأعمال لا بالأصل «قال فأخرج منها» أى من الجنة «فإنك رجيم» أى مشئوم مطرود ملعون و قيل معناه اخرج من السماء عن أبى مسلم و قيل من الأرض فألحقه بالبحار لا يدخل الأرض إلا كالسارق و قيل رجيم مرجوم أى إن رجعت إلى السماء رجمت بمثل الشهب التى يرمم به الشياطين عن الجبائى «و إن عليك اللعنه» أى و إن عليك مع ذلك اللعنه أى الإبعاد من رحمه الله و لذلك لا يجوز أن يلعن بهيمه «إلى يوم الدين» أى يوم الجزاء و هو يوم القيامة و المراد أن الله سبحانه قد لعنك و أهل السماء و الأرض يلعنونك لعنه لازمه لك إلى يوم القيامة ثم يحصل بعد ذلك على الجزاء بعذاب النار و فيه بيان أنه لا يؤمن قط و قال بعض المحققين إنما قال سبحانه هنا «و إن عليك اللعنه» بالألف و اللام و قال فى سورة ص لعنتى بالإضافة لأن هناك يقول لما خلقت يدي مضافا فقال و إن عليك لعنتى على المطابقه و قال هنا «ما لك ألا تكون مع الساجدين» و ساق الآيه على اللام فى قوله «و لقد خلقنا الإنسان» و قوله «و الجان» فأتى باللام أيضا فى قوله «و إن عليك اللعنه».

إشارة

قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (٤٠)

قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ (٤٤)

القراءة

قرأ يعقوب صراط على بالرفع و هي قراءة أبي رجاء و ابن سيرين و قتاده و الضحاك و مجاهد و قيس بن عباد و عمرو بن ميمون و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و الباقون من القراء قرءوا «عَلَيَّ».

الحج

قال ابن جنى على هنا كقولهم كريم شريف و ليس المراد به علو الشخص و النصبه و قال أبو الحسن فى قراءة الجماعة «هذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ» هو كقولك الدلالة اليوم على أى هذا صراط فى ذمتى و تحت ضمانى كقولك صحه هذا المال على و توفيه عدته على و ليس معناه عنده مستقيم على كقولنا قد استقام على الطريق و استقر على كذا و ما أحسن ما ذهب إليه أبو الحسن فيه.

اللغة

الإغواء الدعاء إلى الغى و الإغواء خلاف الإرشاد و هذا أصله و قد يكون بمعنى الحكم بالغى على وجه الهم و التزيين جعل الشىء متقبلا فى النفس من جهة الطبع أو العقل بحق أو باطل و إغواء الشيطان تزيينه الباطل حتى يدخل صاحبه فيه.

المعنى

ثم بين سبحانه ما سأله إبليس عند إياسه من الآخرة فقال عز اسمه «قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي» أى فأمهلىنى و أخرنى «إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ» أى يحشرون للجزاء استنظره إبليس إلى يوم القيامة لثلاث يموت إذ يوم القيامة لا يموت فيه أحد فلم يجبه الله تعالى إلى ذلك بل «قَالَ» له «فإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ» الذى هو آخر أيام التكليف و هو النفخة الأولى حين يموت الخلائق عن ابن عباس و قيل الوقت المعلوم يوم القيامة أنظره الله سبحانه فى رفع العذاب عنه إلى يوم القيامة عن الحسن و الجبائى و أبى مسلم و قيل هو الوقت الذى قدر الله أجله فيه و هو معلوم لله سبحانه غير معلوم لإبليس فأبهم و لم يبين لأن فى بيانه إغراء بالمعصية عن البلخى و اختلف فى تجويز إجابته دعاء الكافر و قال الجبائى لا يجوز لأن فى إجابته الدعاء تعظيما له و قال ابن

الإخشيذ يجوز ذلك لأن الإجابة كالنعمه فى احتمالها أن يكون ثوابا و تعظيما و أن يكون استصلاحا و لطفا «قال» إبليس «رَبِّ
بِما أَعْوَيْتَنى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُم فى الأَرْضِ وَ لأُغْوِيَنَّهُم أَجْمَعِينَ» قيل فيه أقوال (أحدها) أن الإغواء الأول و الثانى بمعنى

ص: ١٠٣

الإضلال أى كما أضللتنى لأضلنهم و هذا لا يجوز لأن الله سبحانه لا يضل عن الدين إلا أن يحمل على أن إبليس كان معتقدا للخير (و ثانيها) إن الإغواء الأول و الثانى بمعنى التخييب أى بما خيبتنى من رحمتك لأخيبنهم بالدعاء إلى معصيتك عن الجبائى (و ثالثها) إن معناه بما أضللتنى عن طريق جنتك لأضلنهم بالدعاء إلى معصيتك (و رابعها) بما كلفتنى السجود لآدم الذى غويت عنده فسمى ذلك غوايه كما قال فَرَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ لما ازدادوا عندها عن البلخى و الباء فى قوله «بما أَغْوَيْتَنِي» قيل إن معناها القسم هاهنا عن أبى عبيده و قيل هى بمعنى السبب أى بكونى غاويا لأزينن كما يقال بطاعته لندخلن الجنة و بمعصيته لندخلن النار و مفعول التزيين محذوف و تقديره لأزينن الباطل لهم أى لأولاد آدم حتى يقعوا فيه ثم استثنى من جملتهم فقال «إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ» و هم الذين أخلصوا عبادتهم لله و امتنعوا عن عباده الشيطان و انتهوا عما نهاهم الله عنه و من قرأ المخلصين بفتح اللام فهم الذين أخلصهم الله بأن وفقهم لذلك و لطف لهم فيه ليس للشيطان عليهم سبيل «قال» الله سبحانه «هذا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ» قيل فيه وجوه (أحدها) إنه على وجه التهديد له كما تقول لغيرك افعل ما شئت و طريقك على أى لا تفوتنى عن مجاهد و قتاده و مثله قوله إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ (و ثانيها) معناه أن ما نذكره من أمر المخلصين و الغاوين طريق ممره على أى ممر من مسلكه على مستقيم لا عدول فيه عنى و أجاز لى كلا من الفريقين بما عمل (و ثالثها) أن معناه هذا دين مستقيم على بيانه و الهدايه إليه «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» هذا إخبار منه تعالى بأن عباده الذين يطيعونه و ينتهون إلى أوامره لا- سلطان للشيطان عليهم و لا- قدره له على أن يكرههم على المعصيه و يحملهم عليها و لكن من يتبعه فإنما يتبعه باختياره قال الجبائى و ذلك يدل على أن الجن لا يقدرون على الإضرار ببني آدم لأنه على عمومه ثم استثنى سبحانه من جملة العباد من يتبع إبليس على إغوائه و ينقاد له و يقبل منه فقال «إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ» لأنه إذا قبل منه صار له عليه سلطان بعدوله عن الهدى إلى ما يدعوه إليه من اتباع الهوى و قيل إن الاستثناء منقطع و المراد لكن من اتبعك من الغاوين جعل لك على نفسه سلطانا «وَ إِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ» أى موعد إبليس و من تبعه «لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ» فيه قولان (أحدها) ما

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أن جهنم لها سبعة أبواب أطباق بعضها فوق بعض و وضع إحدى يديه على الأخرى فقال هكذا و إن الله وضع الجنان على العرض و وضع النيران بعضها فوق بعض فأسفلها جهنم و فوقها لظى و فوقها الحطمه و فوقها سقر و فوقها الجحيم و فوقها السعير و فوقها الهاويه

و فى روايه الكلبى أسفلها الهاويه و أعلاها جهنم و عن ابن عباس أن الباب الأول جهنم و الثانى سعير و الثالث سقر و الرابع

جحيم و الخامس لظى و السادس الحطمة و السابع الهاويه اختلفت الروايات فى ذلك كما ترى و هو قول مجاهد و عكرمه و الجبائى قالوا إن أبواب النيران كإطباق اليد على اليد (و الآخر) ما روى عن الضحاک قال للنار سبعة أبواب و هى سبعة أدراك بعضها فوق بعض فأعلاها فيه أهل التوحيد يعذبون على قدر أعمالهم و أعمارهم فى الدنيا ثم يخرجون و الثانى فيه اليهود الثالث فيه النصارى و الرابع فيه الصابئون و الخامس فيه المجوس و السادس فيه مشركو العرب و السابع فيه المنافقون و ذلك قوله إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ و هو قول الحسن و أبى مسلم و القولان متقاربان «لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمُ» أى من الغاوين «جُزْءٌ مَقْسُومٌ» أى نصيب مفروض عن ابن عباس.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٤٥ الى ٥٠]

إشارة

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَ عُيُونٍ (٤٥) اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ (٤٦) وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَ مَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ (٤٨) تَبَّتْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَ أَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ (٥٠)

اللغة

الغل الحقد الذى ينغل فى القلب و منه الغل الذى يجعل فى العنق و الغلول الخيانه التى يطوق عارها صاحبها و السرير المجلس الرفيع موطأ للسرور و جمعه الأسره و السرر و النصب التعب و الوهن الذى يلحق من العمل مشتق من الانتصاب لأن صاحبه ينتصب بالانقطاع عن العمل للوهن الذى يلحقه.

المعنى

لما ذكر سبحانه عباده المخلصين عقبه بذكر حالهم فى الآخرة فقال «إِنَّ الْمُتَّقِينَ» الذين يتقون عقاب الله باجتناح معاصيه «فِي جَنَّاتٍ» أى فى بساتين خلقت لهم «وَ عُيُونٍ» من ماء و خمر و عسل يفور من الفواره ثم يجرى فى مجاريها «اذْخُلُوهَا بِسَلَامٍ» أى يقال لهم ادخلوا الجنات بسلامه من الآفات و براءه من المكاره و المضرات «آمَنِينَ» من الإخراج منها ساكنى النفس إلى انتفاء الضرر فيها «وَ نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ» أى و أزلنا عن صدور أهل الجنة ما فيها من أسباب العداوه من الغل أى الحقد و الحسد و التنافس

والتباغض «إخواناً» منصوب على الحال أى وهم يكونون إخواناً متوادين يريد مثل الإخوان فيصفو لذلك عيشهم «على سُرُرٍ» أى كائنين على مجالس السرور «مُتَقَابِلِينَ» متواجهين ينظر بعضهم إلى وجه بعض قال مجاهد لا يرى الرجل فى الجنة قفا زوجته ولا ترى زوجته قفاه لأن الأسره تدور بهم كيف ما شاءوا حتى يكونوا متقابلين فى عموم أحوالهم وقيل متقابلين فى الزيادة إذا تزاوروا استوت مجالسهم و منازلهم و إذا افترقوا كانت منازل بعضهم أرفع من بعض «لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا» أى فى الجنة «نَصَبٌ» أى عناء و تعب لأنهم لا يحتاجون إلى إعتاب أنفسهم لتحصيل مقاصدهم إذ جميع النعم حاصله لهم «و ما هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ» أى يبقون فيها مؤبدين ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يخبر عباده بكثرة عفوه و مغفرته و رحمته لأوليائه و شدة عذابه لأعدائه فقال «تَبِيُّ» يا محمد «عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغُفُورُ» أى كثير الستر لذنوب المؤمنين «الرَّحِيمُ» كثير الرحمة لهم «وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ» فلا تعولوا على محض غفرانى و رحمتى و خافوا عقابى و نعمتى.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٥١ الى ٦٠]

إشارة

وَبَشِّرْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ (٥١) إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ (٥٢) قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ (٥٣) قَالَ أَ بَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبْرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ (٥٤) قَالُوا بَشِّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ (٥٥)

قَالَ وَمَنْ يَفْتِنُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ (٥٦) قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ (٥٧) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ (٥٨) إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٩) إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَرْنَا لَهَا لِمَنِ الْغَابِرِينَ (٦٠)

القراءة

قرأ نافع وحده فبم تبشرون خفيفه النون مكسوره وقرأ ابن كثير وحده فبم تبشرون مشدده النون مكسوره وقرأ الباقون «تُبَشِّرُونَ» مفتوحه النون خفيفه و روى أبو علي

الضريير عن روح و غيره عن يعقوب فبم تبشروني بإثبات الياء و قرأ أبو عمرو و الكسائي يقنط و يقنطوا بكسر النون حيث كان و الباقون بفتح النون و قرأ لمنجوهم خفيفه أهل الكوفه غير عاصم و يعقوب و الباقون بالتشديد و قرأ قدرنا بالتخفيف أبو بكر عن عاصم و كذلك في النمل و الباقون بالتشديد.

الحج

قال أبو على الوجه في قراءه نافع أنه أراد تبشروني إلا أنه حذف النون الثانيه استتقالا لأن التكرير بها وقع و لم يحذف النون الأولى التي هي علامه الرفع و قد حذفوا هذه النون في كلامهم لأنها زائده و لأن علامه الضمير الياء من دونها قال:

أ بالموت الذي لا بد إنى ملاق لا أباك تخوفيني

و قال:

تراه كالثغام يعل مسكا يسوء الفاليات إذا فلينى

و الوجه في تشديد ابن كثير النون أنه أدغم النون الأولى التي هي علامه الرفع في الثانيه المتصله بالياء التي هي المضممر المنصوب المتكلم و من فتح النون فلأنه لم يعد الفعل إلى المفعول به كما عدى غيره و حذف المفعول به كثير و النون علامه الرفع و قنط يقنط و قنط يقنط لغتان و كان قنط يقنط أعلى و يدل على ذلك إجماعهم في قوله قنطوا و حكى أن يقنط لغه و هذا يدل على أن يقنط أكثر لأن مضارع فعل يجى ء على يفعل و يفعل و حجه من قرأ «لَمَنْجُوهُمْ» قوله نَجَّيْنَا هُودًا وَ الَّذِينَ آمَنُوا و حجه من قرأ بالتخفيف قوله فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ و قدرت بالتخفيف لغه في قدرت يدل على ذلك قول الهذلى:

و مفرهه عنس قدرت لساقها فخرت كما تتابع الريح بالقفل

و المعنى قدرت ضربتى لساقها فضربتها فحذف لدلاله الكلام عليه فمن قرأ قدرنا مخففا كان في معنى التشديد.

اللغه

الضيف هو المنصوى إلى غيره لطلب القرى و هو يقع على الواحد و الاثنين و الجمع لأنه في الأصل مصدر وصف به و قد يجمع بالأضياف و الضيوف و الضيفان و الوجل

ص: ١٠٧

الخوف يقال وجل يوجل و يأجل و يبجل و يبجل إذا خاف و الخطب الأمر الجليل و منه الخطبه و الخطبه و المجرم المنقطع عن الحق إلى الباطل و هو القاطع لنفسه عن المحاسن إلى القبائح و الغابر الباقي فيمن يهلك قال الشاعر:

فما وني محمد مذ أن غفر له الإله ما مضى و ما غبر

. الإعراب

سلاما منصوب على المصدر كأنهم قالوا سلمنا إلا آل لوط قال الزجاج هو استثناء ليس من الأول و قوله «إِلَّا امْرَأَتَهُ» استثناء من الهاء و الميم فى قوله «إِنَّا لَمَنْجُوهُمْ» و قوله «قَدَرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ» فى معنى علمنا أنها لمن الغابرين قال أبو عبيده فى الآيه معنى فقهى كان أبو يوسف يتأوله فيها و هو أن الله استثنى آل لوط من المجرمين ثم استثنى امرأه لوط من آل لوط فرجعت امرأته فى التأويل إلى القوم المجرمين و كذلك كل استثناء فى الكلام إذا جاء بعد استثناء آخر دعا المعنى إلى أول الكلام كقول الرجل لفلان على عشره دراهم إلا أربعة إلا درهما فإنه يكون إقرارا بسبعه و كذلك لو قال له على خمسه إلا درهما إلا ثلثا كان إقرارا بأربعة و ثلث.

المعنى

لما ذكر سبحانه الوعد و الوعيد عقبه بذكر قصه إبراهيم (عليه السلام) و قوم لوط مصدقا لما ذكره و إرشادا إلى الدلاله بالعاجل على الآجل فقال «وَتَبَّتْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ» أى و أخبرهم عن أضياف إبراهيم «إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ» يعنى الملائكه و إنما سماهم ضيفا لأنهم جاءوه فى صوره الأضياف «فَقَالُوا سَلَامًا» أى سلموا عليه سلاما على وجه الدعاء و التحيه و بشروه بالولد و بإهلاك قوم لوط «قَالَ» إبراهيم «إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ» أى خائفون «قَالُوا لَا تَوْجَلْ» أى لا تخف «إِنَّا نُبَشِّرُكَ» أى نخبرك بما يسرك «بِغُلَامٍ عَلِيمٍ» أى بولد يكون غلاما إذا ولد و يكون عليما إذا بلغ «قَالَ» إبراهيم «أَبَشَّرْتُمُونِي» بالمولود «عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكَبِيرُ» أى فى حال الكبر الذى يوجب اليأس عن الولد «فَبِمَ تُبَشِّرُونَ» أى بأمر الله تعالى فأتق به أم من جهه أنفسكم و معنى مسنى الكبر غيرنى الكبر عن حال الشباب الذى يطمع فى الولد إلى حال الهرم و قيل معناه عن رأس الكبر «قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ» أى قالت الملائكه لإبراهيم إنا بشرناك بذلك على وجه الحقيقه بأمر الله «فَلَا تَكُنْ مِنَ الْفَانِينَ» أى اليائسين فأجابهم إبراهيم (عليه السلام) بأن «قَالَ وَ مَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ» أى و من الذى ييأس من رحمه الله و حسن إنعامه إلا العادلون عن الحق الضالون عن طريق الهدى الجاهلون بقدرته على خلق الولد من الشيخ الكبير و هذا القول من إبراهيم (عليه السلام) يدل على أنه لم يكن قانطا و لكنه استبعد ذلك فظنت الملائكه قنوطا فنفى ذلك عن نفسه «قَالَ» إبراهيم (عليه السلام) بعد ذلك

ص: ١٠٨

للملائكة «فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ» أى ما الأمر الجليل الذى بعثتم له و ما شأنكم و سماهم مرسلين لما علم أنهم ملائكة «قالوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ» أى مذنبين و قيل كافرين أخبروه بهلا-كهم و اقتصروا على هذا لأن من المعلوم أن الملائكة إنما يرسلون إلى المجرمين للهلاك «إِلَّا آلَ لُوطٍ» استثنى منهم آل لوط و هم خاصته و عشيرته و إنما استثناهم منهم و إن لم يكونوا مجرمين من حيث كانوا من قوم لوط و ممن بعث إليهم و قيل إن معناه لكن آل لوط «إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ» أى نخلصهم أجمعين من العذاب «إِلَّا امْرَأَتَهُ» استثنى امرأه لوط من آل لوط لأنها كانت كافره «فَدَرَزْنَا بِهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ» أى من الباقين فى المدينه مع المهلكين أى قضينا أنها تهلك كما يهلكون.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٦١ الى ٧٢]

إشاره

فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ (٦١) قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّكَرُونَ (٦٢) قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ (٦٣) وَ أَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ (٦٤) فَاسْرِبْ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَ اتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ (٦٥)

وَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ (٦٦) وَ جَاءَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ يَسْتَبِشِرُونَ (٦٧) قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ ضَٰئِفَىٰ فَلَا تُفْضِحُونَ (٦٨) وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ لَا تُخْزَوْنَ (٦٩) قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ (٧٠)

قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ (٧١) لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (٧٢)

اللغه

الإسراء سير الليل يقال سرى يسرى سرى و أسرى إسراء لغتان قال امرؤ القيس:

سريت بهم حتى تكل مطيهم و حتى الجياد ما يقدن بأرسان

و القطع كأنه جمع قطعه مثل يسره و يسر و تمره و تمر و الاتباع اقتفاء الأثر و الاتباع فى المذهب و الاقتداء بمعنى و خلافه الابتداع و الأدبار جمع دبر هو جهه الخلف و القبل جهه القدام و قد يكنى بهما عن الفرج و الدابر الأصل و قيل إن الدابر الآخر و عقب الرجل دابره و العمر و العمر واحد غير أنه لا- يجوز فى القسم إلا- بالفتح لأن الفتح أخف عليهم و هم يكثرون القسم بلعمرى و لعمرك فلزموا الأخف.

الإعراب

«أَنَّ دَابِرَ هُوَلَاءِ مَقْطُوعٌ» موضع أن نصب بأنه بدل من ذلك الأمر لأنه تفسيره و يجوز أن يكون نصبا على حذف الجار فكأنه قال و قضينا إليه بأن دابره م مقطوع و قوله «مُضِيَّ بَحِينٍ» نصب على الحال و «يَسْتَبِيحُونَ» أيضا فى موضع نصب على الحال لعمرك مرفوع على الابتداء و خبره محذوف و التقدير لعمرك قسمى أو لعمرك ما أقسم به و لا يستعمل إظهار هذا الخبر قال الزجاج إن باب القسم يحذف معه الفعل تقول و الله لأفعلن و بالله لأفعلن و المعنى أحلف بالله فحذف الفعل للعلم به فكذلك حذف خبر الابتداء لدلاله الكلام عليه.

المعنى

ثم أخبر سبحانه أن الملائكة لما خرجوا من عند إبراهيم (عليه السلام) أتوا لوطا (عليه السلام) يبشرونه بهلاك قومه فقال «فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطِ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ» و إنما قال لهم لوط ذلك لأنهم جاءوه على صفه المرد على هيئه و جمال لم ير مثلهم قط فأنكر شأنهم و هيأتهم و قيل إنه أراد إنى أنكركم فعرفونى أنفسكم ليطمئن قلبى «قَالُوا يَلِيلَ جِنَّاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ» أى بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه إذا خوفتهم به «وَ أَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ» أى بالعذاب المستيقن به «وَ إِنَّا لَصَادِقُونَ» فيما أخبرناك به و قيل معناه و أتيناك بأمر الله تعالى و لا شك أن أمره سبحانه حق «فَأَسْرِبْ أَهْلِكَ بِقِطْعِ مِنَ اللَّيْلِ» و معناه سر بأهلك بعد ما يمضى أكثر الليل و يبقى قطعه منه «وَ اتَّبِعْ أَذْبَارَهُمْ» أى اقتف أثرهم و كن وراءهم لتكون عينا عليهم فلا يتخلف أحد منهم «وَ لَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ» أى لا يلتفت أحد منكم إلى ما خلف وراءه فى المدينة و هذا كما يقول القائل امض لشأنك و لا تعرج على شىء و قيل لا ينظر أحد منكم وراءه لئلا يروا العذاب فيفزعوا و لا يحتمل قلبهم ذلك عن الحسن و أبى مسلم «وَ امْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ» أى اذهبوا إلى الموضع الذى أمركم الله بالذهاب إليه و هو الشام عن السدى «وَ قَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ» أى أعلمنا لوطا و أخبرناه و أوحينا إليه ما نزل به من العذاب «أَنَّ

دَابِرَ هُوْلَاءِ مَقْطُوعٍ» يعنى أن آخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح و هو قوله «مُضِيَّيْحِينَ» أى داخلين فى وقت الصبح و المراد أنهم مستأصلون بالعذاب وقت الصباح على وجه لا- يبقى منهم أثر و لا نسل و لا عقب «وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ» يبشر بعضهم بعضا بنزول من هو فى صوره الأضياف بلوط و إنما فرحوا طمعا فى أن ينالوا الفجور منهم «قَالَ» لوط لهم «إِنَّ هُوْلَاءِ ضَيَّفِي فَلَا تَفْضَحُونِ» فيهم و الفضيحة إلزام العار و الشنار بالإنسان و معناه لا تلمونى فيهم عارا بقصدكم إياهم بالسوء «وَأْتَقُوا اللَّهَ» باجتنب معاصيه «وَلَا تُخْزُونِ» فى ضيفى و الخزى الانقماع بالعيب الذى يستحي منه «قَالُوا أَوْ لَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ» معناه أ و لم نهك أن تجير أحدا أو تضيف أحدا قال الجبائى و هذا القول إنما كان من لوط لقومه قبل أن يعلم إنهم ملائكة بعثوا لإهلاك قومه و إنما ذكر مؤخرا و هو فى المعنى مقدم كما ذكر فى غير هذه السوره «قَالَ» لوط لهم و أشار إلى بناته لصلبه «هُوْلَاءِ بَنَاتِي» فتزوجهن إن كان لكم رغبه فى التزويج عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قوله «إِنَّ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ» كناية عن النكاح إن كنتم متزوجين قيل و إنما قال ذلك للرؤساء الذين يكفون الاتباع و قد كان يجوز تزويج المؤمنه من الكافر يومئذ و قد كان ذلك أيضا جائزا فى صدر شريعتنا ثم حرم عن الحسن و الجبائى و قيل إنهن كن بنات قومه عرضهن عليهم بالتزويج و الاستغناء بهن عن الذكران و الأول أوضح «لَعَمْرُكَ» أى و حياتك يا محمد و مده بقائك حيا و قال المبرد هو دعاء و معناه أسأل الله عمرك قال ابن عباس ما خلق الله عز و جل و لا ذرا و لا برأ نفسا أكرم عليه من محمد ص و ما سمعت الله أقسم بحياه أحد إلا- بحياته فقال لعمر ك «إِنَّهُمْ لَفِي سَيِّئَاتِهِمْ يَعْصُونَ» و معناه إنهم لفي غفلتهم يتحiron و يترددون فلا- يبصرون طريق الرشد.

إشارة

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ (٧٣) فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ (٧٤) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ (٧٥)
وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ (٧٦) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ (٧٧)

وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ (٧٨) فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لِيَإِمَامٍ مُّبِينٍ (٧٩) وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَ
آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ (٨٢)

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ (٨٣) فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (٨٤)

القراءة

قرأ جميع القراء «الأَيْكَةِ» هاهنا لأنها مكتوبة بالألف إلا ورشا عن نافع فإنه يترك الهمزة و يرد حركتها إلى اللام.

الحج

إذا خففت الهمزة في الأَيْكَةِ وقد ألحقتها الألف و اللام حذفها و ألقيت حركتها على اللام و يجوز فيه إذا استأنف لغتان فمن
قال الحمر قال اليكه و من قال الحمر قال ليكه.

اللغة

الأَيْكَةِ الشجر الملتف و جمعها أَيْكٌ مثل شجره و شجر قال أمية:

كَبِكا الحمَامِ على فروع الأَيْكِ في الطير الجوانح

وقيل الأَيْكَةِ الغيضة و المتوسم الناظر في السمه الداله و هي العلامه و يقال وسمت الشئ ء و سما إذا أثرت فيه بسمه و منه
الوسمى أول المطر لأنه يسم الأرض بالنبات و توسم الرجل طلب كلاً الوسمى قال:

و أصبحن كالدوم النواعم غدوه على وجهه من طاعن متوسم

و توسم فيه الخبر إذا عرف سمه ذلك فيه و الإمام الطريق و الإمام المبين اللوح المحفوظ و الإمام في اللغة هو المتقدم الذى
يتبعه من بعده الحجر أخذ من الحجر الذى هو المنع و منه سمي العقل حجراً لأنه يمنع من القبائح.

الإعراب

انتصب قوله «مُشْرِقِينَ» و «مُصْبِحِينَ» على الحال يقال أشرقوا و هم مشرقون إذا صادفوا شروق الشمس و هو طلوعها كما يقال
أصبحوا إذا صادفوا الصبح فمعنى مشرقين مصادفين لطلوع الشمس و إن فى قوله «وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ» مخففه من الثقيله

آمين منصوب على الحال.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن كيفية عذاب قوم لوط فقال «فَأَخَذْتُهُمُ الصَّيْحَةَ مُشْرِقِينَ» أى أخذهم الصوت الهائل فى حال شروق الشمس «فَجَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا»

ص: ١١٢

وَ أَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ» مضى تفسيره فى سورة هود «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ» معناه إن فيما سبق ذكره من إهلاك قوم لوط لدلالات للمتفكرين المعتبرين عن قتاده و ابن زيد و قيل للمتفرسين عن مجاهد و

قد صح عن النبى ص أنه قال اتقوا فراسه المؤمن فإنه ينظر بنور الله

و

قال إن لله عبادا يعرفون الناس بالتوسم ثم قرأ هذه الآيه

و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال نحن المتوسمون و السبيل فينا مقيم و السبيل طريق الجنة ذكره على بن إبراهيم فى تفسيره

«وَ إِنَّهَا لِبَسِيبِلٍ مُّقِيمٍ» معناه إن مدينه لوط لبطريق مسلوک يسلكها الناس فى حوائجهم فينظرون إلى آثارها و يعتبرون بها لأن الآثار التى يستدل بها مقيمه ثابتة بها و هى مدينه سدوم و قال قتاده إن قرى قوم لوط بين المدينه و الشام «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً» أى عبره و دلاله «لِلْمُؤْمِنِينَ» و خص المؤمنين لأنهم هم الذين انتفعوا بها «وَ إِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لظَالِمِينَ» و أصحاب الأيكة هم أهل الشجر الذين أرسل إليهم شعيب (عليه السلام) و أرسل إلى أهل مدين فأهلكوا بالصيحه و أما أصحاب الأيكة فأهلكوا بالظله التى احترقوا بناها عن قتاده و جماعه من المفسرين و معنى الآيه أنه كان أصحاب الأيكة لظالمين فى تكذيب رسولهم و كانوا أصحاب غياض فعاقبهم الله تعالى بالحر سبعة أيام ثم أنشأ سبحانه سحابه فاستظلوا بها يلتمسون الروح فيها فلما اجتمعوا تحتها أرسل منها صاعقه فأحرقتهم جميعا «فَأَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ» أى من قوم شعيب و من قوم لوط أى عذبناهم بما انتقمناه منهم و الانتقام هو المجازاه على جنايه سابقه و فرق على بن عيسى بين الانتقام و العقاب بأن الانتقام هو نقيض الإنعام و العقاب هو نقيض الثواب «وَ إِنَّهُمَا لِيَأْمُرَانِ بِالْمَعْرُوفِ» معناه و إن مدينتى قوم لوط و أصحاب الأيكة بطريق يؤم و يتبع و يهتدى به عن ابن عباس و مجاهد و الحسن و قتاده و سمي الطريق إماما لأن الإنسان يؤمه و قيل معناه و إن حديث مدينتيهما لمكتوب مذکور فى اللوح المحفوظ أو حديث لوط و حديث شعيب عن الجبائى فيكون نظير قوله «وَ كُلُّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ» و المبين الظاهر ثم أخبر سبحانه عن إهلاك قوم صالح فقال «وَ لَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ» و الحجر اسم البلد الذى كان فيه ثمود و إنما سما أصحاب الحجر لأنهم كانوا سكانه كما يسمى الأعراب الذين يسكنون البوادي أصحاب الصحارى لأنهم كانوا يسكنونها و قيل إن الحجر اسم لواد كان يسكنها هؤلاء عن قتاده و إنما قال تعالى «الْمُرْسَلِينَ» لأن فى تكذيب صالح تكذيب المرسلين لأنه كان يدعوهم إلى ما دعا إليه المرسلون و إلى الإيمان بالمرسلين فكان فى تكذيب أحدهم تكذيب الجميع و قيل بعث الله إليهم رسلا منهم صالح عن الجبائى «وَ آتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا» أى آتينا أصحاب الحجر الحجج و المعجزات و الدلالات الداله على صدق الأنبياء و قيل آتينا الرسل

الآيات عن الحسن «فكانوا عنها» أى عن الآيات «مُعْرِضِينَ» أعرضوا عن التفكير فيها و الاستدلال بها «وَ كَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ» أى و كان قوم صالح فى القوه بحيث ينحتون من الجبال بيوتا يسكنونها و كانوا آمنين من خرابها و سقوطها عليهم و قيل كانوا آمنين من عذاب الله و قيل آمنين من الموت لطول أعمارهم «فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُضِعِّينَ» أى فأهلكوا بالصيحه فى وقت دخولهم فى الصباح «فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ» أى فما دفع عنهم العذاب و لم يغنهم «مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أى يجمعون من المال و الأولاد و أنواع الملاذ.

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٨٥ الى ٩١]

اشاره

وَ مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَ إِنَّ السَّاعَةَ لَأْتِيَةٌ فَاصْرِفْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (٨٥) إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨٦) وَ لَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ (٨٧) لَا تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ (٨٨) وَ قُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ (٨٩) كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ (٩٠) الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ (٩١)

اللغه

عضين جمع عضه و أصله عضوه فنقصت الواو و لذلك جمعت عضين بالنون كما قال عزه و عزون و الأصل عزوه و التعضيه التفريق مأخوذ من الأعضاء يقال عضيت الشىء أى فرقته و بعضته قال رؤبه:

" و ليس دين الله بالمعضى "

و قال آخر:

تلك ديار تآزم المأزما و عضوات تقطع اللهازما

و قيل أصل عضه عضه فحذفت الهاء كما حذفت من شفه و شاه و أصلها شففه و شاهه بدلاله أن الجمع شفاه و شياه بالهاء و التصغير شففيه و شويهه.

ص: ١١٤

«وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ» معناه و ما خلقناهما عبثا بل لما اقتضته الحكمة و هى أنا قد تعبدنا أهلها ثم نجازيهم بما عملوا «وَإِنَّ السَّاعَةَ» و هى يوم القيامة «لَأَتِيَهُ» أى جائيه بلا شك بعدابهم و قيل بمجازاه الخلائق كلهم و قيل هو تفسير قوله «إِلَّا بِالْحَقِّ» «فَأَصْفَحَ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ» أى فأعرض يا محمد عن مجازاه المشركين و عن مجاوبتهم و أعف عنهم عفوا جميلا و اختلف فى الآيه فقليل إنها منسوخه بآيه القتال عن ابن عباس و قتاده و مجاهد و الضحاك و قيل لا نسخ فيه بل هو فيما بين النبى ص و بينهم لا- فيما أمر به من جهه جهادهم. أمره بالصفح عنهم فى موضع الصفح لقوله «فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَ عَظُّهُمْ» عن الحسن قال القاضى و الصفح ممدوح فى سائر الحالات و هو كالحلم و التواضع و قد يلزما الصفح الجميل مع لزوم التشدد فى أمر الجهاد و

حكى عن على بن أبى طالب (عليه السلام) إن الصفح الجميل هو العفو من غير عتاب

و قيل هو العفو بغير تعنيف و توبيخ «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ» للأشياء «الْعَلِيمُ» بتدبير خلقه فلا يخفى عليه ما يجرى بينكم و يجوز أن يريد إن ربك هو الذى خلقكم و علم ما هو الأصلح لكم و قد علم إن الصفح أصلح الآن إلى أن يؤمر بالسيف ثم ذكر سبحانه ما خص به نبيه ص من النعم فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» و قد تقدم الكلام فيه و

إن السبع المثاني هى فاتحه الكتاب و هو قول على (عليه السلام) و ابن عباس و الحسن و أبى العالى و سعيد بن جبیر و إبراهيم و مجاهد و قتاده و روى ذلك عن أبى عبد الله و أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل هى السبع الطوال و هى السور السبع من أول القرآن و إنما سميت مثاني لأنه يثنى فيها الأخبار و العبر عن ابن عباس فى روايه أخرى و ابن مسعود و ابن عمر و الضحاك و قيل المثاني القرآن كله لقوله «كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي» عن أبى مالك و طاووس و روى نحو ذلك عن عباس و مجاهد و من قال هى فاتحه الكتاب اختلفوا فى سبب تسميتها مثاني فقليل

لأنها تثنى قراءتها فى الصلاة عن الحسن و أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل لأنها تثنى بها مع ما يقرأ من القرآن عن الزجاج و قيل لأن فيها الثناء مرتين و هو الرحمن الرحيم و

قيل لأنها مقسومه بين الله و عبده على ما روى فى الخبر

و قيل لأن نصفها ثناء و نصفها دعاء و قيل لأنها نزلت مرتين تعظيما و تشريفا لها و قيل لأن حروفها كلها مثناه نحو الرحمن الرحيم إياك و إياك و الصراط و صراط و قيل لأنها تثنى أهل الفسق عن الفسق و من قال المراد بالمثاني القرآن كله فإن من فى قوله «مِنَ الْمَثَانِي» يكون للتبعيض و من قال إنها الحمد كان من للتبيين و قال الراجز:

نشدتكم بمنزل القرآن أم الكتاب السبع من مثاني

ثنتين من آى من القرآن و السبع سبع الطول الدواني

«وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ» تقديره و آتيناك القرآن العظيم وصفه بالعظيم لأنه يتضمن جميع ما يحتاج إليه من أمور الدين بأوجز لفظ و أحسن نظم و أتم معنى «لا- تَمِدَّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ» أى لا ترفعن عينيك من هؤلاء الكفار إلى ما متعناهم و أنعمنا عليهم به أمثالا- فى النعم من الأموال و الأولاد و غير ذلك من زهرات الدنيا فإنها فى معرض الزوال و الفناء مع ما يتبعها من الحساب و الجزاء و على هذا فيكون أزواجاً منصوباً على الحال و المراد به الأشباه و الأمثال و قيل إن معناه لا تنظرن إلى ما فى أيديهم من النعم التى هى أشباه يشبه بعضها بعضاً فإن ما أنعمنا عليك و على من اتبعك من أنواع النعم و هى النبوه و القرآن و الإسلام و الفتوح و غيرها أكثر و أوفر مما آتيناهم و قيل إن معناه و لا تنظرن و لا تعظمن فى عينيك و لا تمدهما إلى ما متعنا به أصنافاً من المشركين و الأزواج الأصناف و يكون على هذا مفعولاً به نهى الله رسوله عن الرغبة فى الدنيا فحظر عليه أن يمد عينيه إليها و كان رسول الله لا ينظر إلى ما يستحسن من الدنيا «وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ» أى على كفار قريش إن لم يؤمنوا و نزل بهم العذاب عن الكلبى و قيل لا- تحزن عليهم بما يصيرون إليه من عذاب النار بكفرهم عن الحسن و قيل لا- تحزن لما أنعمت عليهم دونك عن الجبائى «وَ اخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ» أى أَلن لهم جانبك و ارفق بهم عن ابن عباس و العرب تقول فلان خافض الجناح إذا كان وقوراً حليماً و أصله أن الطائر إذا ضم فرخه إلى نفسه بسط جناحه ثم خفضه فالمعنى تواضع للمؤمنين لكى يتبعك الناس فى دينك «وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ» معناه و قل إنى أنا المعلم بموضع المخافة ليتقى المبين لكم ما تحتاجون إليه و ما أرسلت به إليكم «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ» قيل فيه قولان (أحدهما) إن معناه أنزلنا القرآن عليك كما أنزلنا على المقتسمين و هم اليهود و النصارى «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» أى فرقوه و جعلوه أعضاء كالأعضاء الجزور فآمنوا ببعضه و كفروا ببعضه عن قتاده قال آمنوا بما وافق دينهم و كفروا بما خالف دينهم و قيل سماهم مقتسمين لأنهم اقتسموا كتب الله تعالى فآمنوا ببعضها و كفروا ببعضها عن ابن عباس (و الآخر) إن معناه إنى أنذركم عذاباً كما أنزلنا على المقتسمين الذين اقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله ص و الإيمان به قال مقاتل و كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة أيام الموسم يقولون لمن أتى مكة لا- تغتروا بالخارج منا و المدعى النبوه فأنزل الله بهم عذاباً فماتوا شرمته ثم وصفهم فقال «الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» أى جزءوه أجزاء فقالوا سحر و قالوا أساطير الأولين و قالوا مفترى عن ابن عباس.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها هو أن الأمم لما خالفوا الحق أهلكوا لأن

ص: ١١٦

الله تعالى ما خلق السماوات والأرض إلا بالحق وإن الساعه آتية للجزاء وإن جميع ما خلق الله يرجع إلى عالم يدبره و اتصل قوله «وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي» بقوله «فَاصْبِرْ فَحَالِ الصَّفْحِ الْجَمِيلِ» فإنه سبحانه لما أمره بالصفح عن أذاهم بين ما خصه الله به من النعم و ما له من الحجه عليهم و اتصل قوله «كَمَا أَنْزَلْنَا» على القول الأول بهذا أى كما أنزلنا عليهم أنزلنا إليك القرآن و على القول الثانى يتصل بقوله «أَنَا النَّذِيرُ».

[سوره الحجر (١٥): الآيات ٩٢ الى ٩٩]

اشاره

فَو رَبِّكَ لَنَسْتَلْتَهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٣) فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَ أَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ (٩٤) إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ (٩٥) الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (٩٦)

وَ لَقَدْ نَعَلْنَاكَ يُضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ (٩٧) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ (٩٩)

اللغه

الصدع و الفرق و الفصل نظائر و صدع بالحق إذا تكلم به جهارا قال أبو ذؤيب:

و كأنهن ربابه و كأنه يسر يفيض على القداح و يصدع

و الصديع الصبح قال:

"كان بياض غرته الصديع"

. الإعراب .

«فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ» إن جعلت ما بمعنى الذى كان العائد من الصله إلى الموصول محذوفا و يكون تقديره على استعمال الصيغه فيه فاصدع بما تؤمر بالصدع به ثم تحذف الباء التى فى به فيصير بالصدعه و لا يجوز الإضافه مع لام المعرفة فتحذف لام المعرفة توصلا بحذفه إلى الإضافه فيصير بما تؤمر بصدعه ثم يحذف المضاف و يقيم المضاف إليه مقامه فيبقى بما تؤمر به ثم يحذف حرف الجر على حد قولك أمرتك الخير فى

ص: ١١٧

أمرتك بالخير فيصير بما تؤمره ثم يحذف العائد المنصوب من الصلة على ما قد تكرر بيانه في مواضع فيصير بما تؤمر و هذا من لطائف أسرار النحو و إن جعلت ما مصدرية كان على تقدير فاصدع بالأمر كما تقول عجبت مما فعلت و التقدير عجبت من فعلك و لا- يحتاج هنا إلى عائد يعود إلى ما لأنه حرف و حكى يونس النحوى عن رؤبه أنه قال فى هذه اللفظه أفصح ما فى القرآن.

المعنى

لما بين سبحانه كفرهم بالقرآن و تعصيتهم له بين عقيب ذلك لنيه ص أنه يسألهم عما فعلوه و يجازيهم عليه فقال «فَو رَبِّكَ» يا محمد «لَنْسِيَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ» أقسم بنفسه و أضاف نفسه إلى نبيه ص تشريفا له و تنبيها للخلق على عظيم منزلته عنده لنسألن هؤلاء الكفار سؤال توبيخ و تفرير بأن نقول لهم لم عصيتم و ما حجتكم فى ذلك فيظهر عند ذلك خزيهم و فضيحتهم عند تعذر الجواب «عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ» معناه عما عملوا فيما عملوا عن سفيان بن عيينه و قيل عن لا إله إلا الله و الإيمان برسله عن الكلبي و قيل عما كانوا يعبدون و بما ذا أجابوا المرسلين عن أبى العالیه «فَأَصِدْعُ بِمَا تُؤْمَرُ» أى أظهر و أعلن و صرح بما أمرت به غير خائف عن ابن عباس و ابن جريج و مجاهد و ابن زيد و قيل معناه فافرق بين الحق و الباطل بما أمرت به عن الجبائي و الأخفش و قيل ابن ما تؤمر به و أظهره عن الزجاج قال و تأويل الصدع فى الزجاج و فى الحائط أن تبين بعض الشئ عن بعض «وَ أَعْرَضَ عَنِ الْمُشْرِكِينَ» أى لا تخصصهم إلى أن تؤمر بقتالهم و قيل معناه لا تلتفت إليهم و لا تخف عنهم عن أبى مسلم و قيل و أعرض عن مجاوبتهم إذا آذوك عن الجبائي «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ» أى كفيناك شر المستهزين و استهزاءهم بأن أهلكتناهم و كانوا خمسه نفر من قريش العاص بن وائل و الوليد بن المغيرة و أبو زمعه و هو الأسود بن المطلب و الأسود بن عبد يغوث و الحرث بن قيس عن ابن عباس و سعيد بن جبير و قيل كانوا سته رهط عن محمد بن ثور و سادسهم الحارث بن الطلائه و أمه عيطله قالوا و أتى جبرائيل النبى ص و المستهزءون يطوفون بالبيت فقام جبرائيل و رسول الله إلى جنبه فمر به الوليد بن المغيرة المخزومى فأومى بيده إلى ساقه فمر الوليد على قين لخراعه و هو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة فمنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعه و جعلت تضرب ساقه فخدشته فلم يزل مريضا حتى مات و مر به العاص بن وائل السهمى فأشار جبرائيل إلى رجله فوطئ العاص على شوكة فدخلت فى أخص رجله فقال لدغت فلم يزل يحكها حتى مات و مر به الأسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمى و قيل رماه بورقه خضراء فعمى و جعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك و مر به

الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى فمات وقيل أصابه السموم فصار أسود فأتى أهله فلم يعرفوه فمات وهو يقول قتلنى رب محمد و مر به الحارث بن الطلائطه فأومى إلى رأسه فامتخط قيحا فمات وقيل إن الحرث بن قيس أكل حوتا مالحا فأصابه العطش فما زال يشرب حتى أنقذ بطنه فمات ثم وصفهم سبحانه بالشرك فقال «الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أى اتخذوا معه إلهاً يعبدونه «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» هذا وعيد لهم و تهديد «وَلَقَدْ نَعَلْنَا أَنفُسَنَا بِالشِّرْكِ» أى قلبك «بِمَا يَقُولُونَ» من تكذيبك و الاستهزاء بك و هذا تعزیه من الله تعالى لنبیه و تطیب لقلبه «فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» أى قل سبحان الله و بحمده «وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ» أى المصلين عن الضحاک و ابن عباس قال و كان رسول الله ص إذا حزنه أمر فرع إلى الصلاة و قيل معناه احمد ربك على نعمه إليك و كن من الذين يسجدون لله و يوجهون بعبادتهم إليه «وَ اعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» أى إلى أن يأتيك الموت عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل حتى يأتيك اليقين من الخير و الشر عند الموت عن قتاده و سمى الموت يقينا لأنه موقن به و يحتمل أن يكون أراد حتى يأتيك العلم الضرورى بالموت و الخروج من الدنيا الذى يزول معه التكليف قال الزجاج المعنى اعبد ربك أبد الأبدین و لو قال اعبد ربك بغير توقيت لجاز أن يكون الإنسان مطيعا إذا عبد الله مره فإذا قال حتى يأتيك اليقين فقد أمر بالإقامه على العباده أبدا ما دام حيا.

(١٦) سورة النحل مكيه و آياتها ثمان و عشرون و مائه (١٢٨)

اشاره

[توضيح]

أربعون آيه من أولها مكيه و الباقي من قوله «وَ الَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَبُوْنَهُمْ» إلى آخر السوره مدنيه عن الحسن و قتاده و قيل مكيه كلها غير ثلاث آيات نزلت في انصراف النبي ص من أحد «وَ إِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا» إلى آخر السوره نزلت بين مكه و المدينه عن ابن عباس و عطا و الشعبي و في إحدى الروايات عن ابن عباس بعضها مكي و بعضها مدني فالمكي من أولها إلى قوله «وَ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» و المدني قوله «وَ لَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» إلى قوله «بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ».

عدد آياتها

مائه و ثمان و عشرون آيه ليس فيها اختلاف.

فضلها

أبي بن كعب عن النبي ص قال من قرأها لم يحاسبه الله تعالى بالنعم التي أنعمها عليه في دار الدنيا و أعطى من الأجر كالذي مات و أحسن الوصيه و إن مات في يوم تلاها أو ليله كان له من الأجر كالذي مات فأحسن الوصيه

و

روى محمد بن مسلم عن أبي جعفر (عليه السلام) قال من قرأ سورة النحل في كل شهر كفى المغرم في الدنيا و سبعين نوعا من أنواع البلاء أهونه الجنون و الجذام و البرص و كان مسكنه في جنه عدن و هي وسط الجنان.

تفسيرها

لما ختم الله سبحانه سورة الحجر بوعيد الكفار كان افتتاح هذه السوره بوعيدهم أيضا فقال:

ص: ١٢٠

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (١) يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ (٢)

القراءة

تشركون بالتاء كوفى غير عاصم و الباقون بالياء تنزل الملائكة بفتح التاء و الزاى و التشديد و رفع الملائكة روح و زيد عن يعقوب و سهل و هى قراءة الحسن و الباقون بالياء بكسر الزاى و نصب «الملائكة» و ابن كثير و أبو عمرو يخفان ينزل على أصلها و كذلك رويس عن يعقوب و الباقون يشددون.

اللغة

قيل إن التسبيح بالتشديد فى اللغة على أربعة أقسام (الأول) التنزيه كقوله «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى» (و الثانى) بمعنى الاستثناء كقوله «لَوْ لَا تَسْبِيحُونَ» أى تستنون بقولكم إن شاء الله (و الثالث) بمعنى الصلاه كقوله «فَلَوْ لَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ» (و الرابع) بمعنى النور كما

جاء فى الحديث فلو لا سبحات وجهه

أى نوره و الروح يأتى على عشره أقسام الروح حياه النفوس بالإرشاد و الروح الرحمه كما ورد فى القراءة فَرُوْحٌ وَ رِيْحَانٌ وَ الروح النبوه كقوله «يُلْقَى الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» و الروح عيسى روح الله لأنه خلق من غير بشر و قيل من غير فحل و قيل لكونه رحمه على عباده بما يدعوهم إلى الله و الروح جبرائيل (عليه السلام) و الروح النفخ يقال أحييت النار بروحى أى بنفخى قال ذو الرمه يصف الزند و الزنده:

فلما بدت كفتتها و هى طفله بطلساء لم تكمل ذراعا و لا شبرا

و قلت له ارفعها إليك و أحيها بروحك و اقتته لها قيته قدرا

و الروح الوحى فى قوله «وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا» و قيل إنه جبرائيل و الروح ملك فى السماء من أعظم من خلق الله فإذا كان يوم القيامة وقف صفا و الملائكة كلهم صفا و الروح روح الإنسان و قال ابن عباس فى الإنسان روح و نفس فالنفس هى التى يكون فيها التمييز و الكلام و الروح هو الذى يكون به الغطيظ و النفس فإذا نام العبد خرجت نفسه و بقى روحه و إذا مات خرجت نفسه و روحه معا.

«أتى أمرُ اللَّهِ» فيه أقوال (أحدها) إن معناه قرب أمر الله تعالى بعقاب هؤلاء المشركين المقيمين على الكفر و التكذيب عن الحسن و ابن جريج قال الحسن إن

المشركين قالوا للنبي ص ائنا بعذاب الله فقال سبحانه إن أمر الله آت و كل ما هو آت قريب دان (و ثانيها) إن أمر الله أحكامه و فرائضه عن الضحاك (و ثالثها) إن أمر الله هو يوم القيامة عن الجبائي و روى نحوه عن ابن عباس و على هذا الوجه فيكون أتى بمعنى يأتي و جاء وقوع الماضي هاهنا لصدق المخبر بما أخبر به فصار بمنزله ما قد مضى و لأن سبحانه قرب أمر الساعه فجعله أقرب من لمح البصر و قال اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ «فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ» خطاب للمشركين المكذبين بيوم القيامة لعذاب الله المستهزئين به و كانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ و تقديره قل لهؤلاء الكفار لا تستعجلوا القيامة و العذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منهما فى وقته و حينه كما تقتضيه حكيمته «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ» هذه كلمه تنزيه لله تعالى عما لا يليق به و بصفاته و تنزيه له من أن يكون له شريك فى عبادته أى جل و تقدس و تنزه من أن يكون له شريك تعالى و تعظم و ارتفع من جميع صفات النقص «يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ» أى ينزل الله الملائكه أو تنزل الملائكه «بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ» أى بالوحي عن ابن عباس و قيل بالقرآن عن ابن زيد و هما واحد و سمي روحا لأنه حياه القلوب و النفوس بالإرشاد إلى الدين و قيل بالنبوه عن الحسن و قوله «مِنْ أَمْرِهِ» أى بأمره و نظيره قوله «يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ» أى بأمر الله لأن أحدا لا يحفظه عن أمره «عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» ممن يصلح للنبوه و السفاره بينه و بين خلقه «أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونَ» هذا تفسير للروح المنزل و بدل منه فإن المعنى تنزل الملائكه بأن أنذروا أهل الكفر و المعاصى بأنه لا إله إلا أنا أى مروهم بتوحيدي و بأن لا يشركوا بى شيئا و معنى «فَاتَّقُونَ» فاتقوا مخالفتى و فى هذا دلالة على أن الغرض من بعثه الأنبياء الإنذار و الدعاء إلى الدين.

النظم

وجه اتصال قوله «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ» بما تقدم إن الكفار كانوا يستعجلون العذاب على وجه التكذيب به و يكذبون البعث و القيامة فبين سبحانه أنه منزه عما يصفون به فإن الحكيم إذا كلف و جب أن يجازى المكلف فترك المجازاه قبيح و قيل إنهم كانوا ينكرون قدره الله تعالى سبحانه على إعاده الخلق فزده نفسه عن قولهم و اتصل قوله «يُنزِلُ الْمَلَائِكَةَ» بما تقدم فإنه سبحانه لما أوعدهم بالعذاب بين أنه ينزل الملائكه للتخويف و أنه لا يأخذ أحدا من المشركين حتى يحتج عليه بالندر و قيل إنه سبحانه بين أن الحال حال التكليف لا حال نزول العذاب و إن الصلاح الآن إنزال الملائكه إلى النبي ص بالوحي و الكتاب للإنذار و بيان الأدله و لذلك أتبعه بذكر الأدله.

إشاره

خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ (٤) وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا يَشِقُّ الْإِنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ (٧)

القراءه

قرأ أبو جعفر بشق الأنفس بفتح الشين و الباقون بكسرها.

الحجه

الشق و الشق بكسر الشين و فتحها بمعنى و كلاهما المشقه قال عمرو بن ملقط و هو جاهلي:

" و الخيل قد تجشم أربابها الشق و قد تعتسف الروايه "

و الروايه بفتح الشين.

اللغه

الأنعام جمع نعم و هى الإبل و البقر و الغنم سميت بذلك لنعمة مشيها بخلاف الحافر الذى يصلب مشيها و الدفء ما استدفأت به و دفى يومنا دفا فهو دفى و الإراحه رد الماشيه بالعشى من مراعيها إلى مباركها و المكان الذى يراح فيه مراح و السروح خروج الماشيه إلى المرعى بالغداه يقال سرحت الماشيه سرحا و سروحا و سرحها أهلها قال:

كان بقايا الأثر فوق متونه مدب الدبا فوق النقا و هو سارح

و الأثقال جمع الثقل و هو المتاع الذى يثقل حمله.

الإعراب

و الأنعام منصوب بفعل مقدر يفسره ما بعده و التقدير و خلق الأنعام خلقها و قوله «لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ» جملة منصوبه الموضع على الحال من الأنعام و التقدير كائنه بهذه الصفه.

المعنى

لما تقدم ذكر بعث الملائكه للإنذار و بيان التوحيد و شرائع الإسلام أتبعه

سبحانه بالاحتجاج على الخلق بالخلق و تعداد صنوف الأنعام فقال «خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» و معناه أنه خلقهما ليستدل بهما على معرفته و يتوصل بالنظر فيهما إلى العلم بكمال قدرته و حكمته و قيل خلقهما لينتفع بهما في الدين و الدنيا و ليعمل بالحق «تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ» أى تقدر عن أن يكون له شريك ثم بين سبحانه دلالته أخرى فقال «خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ» و النطفة الماء القليل غير أنه بالتعارف صار اسما لماء الفحل «فَإِذَا هُوَ خَصَّ بِمِائِيْنٍ» اختصر هاهنا ذكر تقلب أحوال الإنسان لذكره ذلك فى أمكنه كثيره من القرآن فالمعنى أنه خلق الإنسان من نطفه سياله ضعيفه مهينه دبرها و صورها بعد أن قلبها حالا بعد حال حتى صارت إنسانا يخاصم عن نفسه و يبين عما فى ضميره فبين سبحانه أنقص أحوال الإنسان و أكملها منبها على كمال قدرته و علمه و قيل خصيم مجادل بالباطل مبين ظاهر الخصومه عن ابن عباس و الحسن فعلى هذا يكون المعنى أنه خلقه و مكنه فأخذ يخاصم فى نفسه و فيه تعريض لفاحش ما ارتكبه الإنسان من تضييع حق نعمه الله عليه ثم بين سبحانه نعمته فى خلق الأنعام فقال «وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا» معناه و خلق الأنعام من الماء كما خلقكم منه يدل عليه قوله «وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ» و أكثر ما يتناول الأنعام الإبل و يتناول البقر و الغنم أيضا و فى اللغة هى ذوات الأخفاف و الأظلاف دون ذوات الحوافر «لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ» أى لباس عن ابن عباس و مجاهد و قيل ما يستدفا به مما يعمل من صوفها و وبرها و شعرها عن الحسن فيدخل فيه الأوكسيه و اللحف و الملابس و غيرها قال الزجاج أخبر سبحانه أن فى الأنعام ما يدفئنا و لم يقل و لكم فيها ما يكنكم من البرد لأن ما ستر من الحر ستر من البرد و قال فى موضع آخر سِرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ فعلم أنها تقى البرد أيضا فكذلك هاهنا و قيل إن معناه و خلق الأنعام لكم أى لمنافعكم ثم ابتداء و أخبر و قال «فِيهَا دِفْءٌ» عن الحسن و جماعه «وَمَنَافِعُ» معناه و لكم فيها منافع آخر من الحمل و الركوب و إثارة الأرض و الزرع و النسل «وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ» أى و من لحومها تأكلون «وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ» أى حسن منظر و زينه «حِينَ تَرِيحُونَ» أى حين تردونها إلى مراحها و هى حيث تأوى إليه ليلا «وَحِينَ تَسْرَحُونَ» أى حين ترسلونها بالغداه إلى مراعيها و أحسن ما يكون النعم إذا راحت عظاما ضروعها ممتلئة بطونها منتصبه أسنمتها و كذلك إذا سرحت إلى المراعى رافعه رءوسها فيقول الناس هذه جمال فلان و مواشيه فيكون له فيها جمال «وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ» أى أمتعتكم «إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ» أى و تحمل الإبل و بعض البقر أحمالكم الثقيله إلى بلد بعيد لا يمكنكم أن تبلغوه من دون الأحمال إلا بكلفه و مشقه تلحق أنفسكم فكيف تبلغونه مع الأحمال لو لا أن الله تعالى سخر هذه الأنعام لكم حتى حملت أثقالكم إلى

أين شئتم وقيل إن الشق معناه الشطر والنصف فيكون المراد إلا- بأن يذهب شطر قوتكم أى نصف قوه الأنفس وقيل معناه تحمل أثقالكم إلى مكة لأنها من بلاد الفلوات عن ابن عباس وعكرمه «إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَوْفٌ» أى ذو رأفه «رَحِيمٌ» أى ذو رحمه و لذلك أنعم عليكم بخلق هذه الأنعام ابتداء منه بهذه الأنعام.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٨ الى ١٣]

إشاره

وَ الْخَيْلَ وَ الْبِغَالَ وَ الْحَمِيرَ لَتَرْكَبُوهَا وَ زِينَهُ وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨) وَ عَلَى اللَّهِ قَضِيْدُ السَّبِيلِ وَ مِنْهَا جَائِرٌ وَ لَوْ شَاءَ لَهَيَّدَاكُمْ أَجْمَعِينَ (٩) هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَ مِنْهُ شَجْرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ (١٠) يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنَابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَمَآيَهَ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (١١) وَ سَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (١٢)

وَ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَهَ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٣)

القراءه

قرأ حماد و يحيى عن أبى بكر عن عاصم نبت بالنون و الباقون بالياء و قرأ ابن عامر و الشمس و القمر و النجوم مسخرات كلها بالرفع و قرأ حفص عن عاصم «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» بالنصب «وَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٌ» بالرفع و قرأ الباقون كل ذلك بالنصب.

الحجه

من قرأ «يُنْبِتُ» بالياء فلما تقدم من قوله «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ» فالياء أشكل بما تقدم من الأفراد و النون لا يمتنع أيضا و يقال نبت البقل و أنبته الله قال أبو على و النصب فى قوله «وَ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ» أحسن ليكون معطوفا على ما قبله و داخلا فى إعرابه ألا ترى أن ما فى التنزيل من نحو قوله «وَ كُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ» «وَ الظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» يختار فيه

النصب ليكون مثل ما يعطف عليه و مشاكلا له فكذلك هنا إذا حمل ذلك على التسخير كان أشبه فإن قلت فقد جاء «مُسَخَّرَاتٌ» بعد هذه الأشياء المنصوبه المحموله على سخر فإن ذلك لا يمتنع لأن الحال تكون مؤكده و مجىء الحال مؤكده في التنزيل و غيره كثير كقوله «وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا» و:

أنا ابن داره معروفًا و كفى بالنأي من أسماء كاف "

و يقوى النصب قوله تعالى «وَسَيَخَّرْ لَكُمْ الشَّمْسَ وَ الْقَمَرَ دَائِمِينَ» فكما حمل هنا على التسخير كذلك في الأخرى و كذلك النجوم قد حملت على التسخير في قوله «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَ الْبَحْرِ» و كان ابن عامر قطعه عن سخر لثلا يجعل الحال مؤكده فابتدأ الشمس و القمر و النجوم و جعل مسخرات خبرا عنها و يدل على جواز ذلك أنه إذا جاء سخر لكم الشمس و القمر و النجوم علم من هذا أنها مسخرات فجاز الإخبار بالتسخير عنها لذلك و أما حفص فإنما رفع «وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ» لأنه لا يصح أن يقال و سخر النجوم مسخرات فقطعها مما قبلها فعلى هذا يكون حجه من نصب أن يقدر فعلا آخر و تقديره و جعل النجوم مسخرات.

اللغة

القصده استقامه الطريق يقال طريق قصد و قاصد إذا قصد إلى ما يريد و الجائر المائل عن الحق و الشجر ما ينبت من الأرض و قام على ساق و له ورق و جمعه أشجار و منه المشاجره لتداخل بعض الكلام في بعض كتداخل ورق الشجر و قال الأزهري الشجر ما ينبت من الأرض قام على ساق أو لم يقم تسمون من الإسامه يقال أسمت الإبل إذا رعيتها و أطلقتها فترعى متصرفه حيث شاءت و سامت هي إذا رعت و هي تسوم و إبل سائمه و يقال سمته إذا قصرتها على مرعى بعينه و سمته الخسف إذا تركتها على غير مرعى و منه قيل سيم فلان خسفا إذا ذل و اهتضم قال الكمي في الإسامه:

راعيا كان مسجحا ففقدناه و فقد المسيم هلك السوام

و قال آخر:

و أسكن ما سكنت ببطن واد و اضعن إن ظعنت فلا أسيم

و ذهب قوم إلى أن السوم في البيع من هذا لأن كل واحد من المتبايعين يذهب فيما يبيعه من زياده ثمن أو نقصانه إلى ما يهواه كما تذهب السائمه حيث شاءت و قد

جاء في الحديث لا سوم قبل طلوع الشمس

فحملة قوم على أن المواشى لا- تسأم قبل طلوع الشمس لثلا- تنتشر و حملة آخرون على أن البيع في ذلك الوقت مكروه لأن المبيع لا تنكسر عيوبه

فيدخل في بيع الغرر المنهى عنه و الذراً إظهار الشىء بإيجاده يقال ذراه يذرؤه و ذراه و فطره و أنشأه نظائر و ملح ذرى أى ظاهر البياض.

الإعراب

نصب «الْخَيْلَ وَ الْبُغَالَ وَ الْحَمِيرَ» على أنها مفعول فى المعنى أى و خلق الخيل و البغال و الحمير و نصب زينه لأنها مفعول لها. و خلقها زينه «وَ مَا ذَرَأَ» "ما" بمعنى الذى و موضعه نصب على تقدير و خلق ما ذراً لكم و قيل هو فى موضع الجر بالعطف على ذلك أى أن فى ذلك ما ذراً لكم. مختلفا نصب على الحال و ألوانه فاعله.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما عدده من صنوف أنعامه فقال «وَ الْخَيْلَ» أى و خلق لكم الخيل «وَ الْبُغَالَ وَ الْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوها» فى حوائجكم و تصرفاتكم «وَ زِينَهُ» أى و لتزينوا بها من الله تعالى على خلقه بأن خلق لهم من الحيوان ما يركبونه و يتجملون به و ليس فى هذا ما يدل على تحريم أكل لحومها و قد روى البخارى فى الصحيح مرفوعا إلى أسماء بنت أبى بكر قال أكلنا لحم فرس على عهد رسول الله ص «وَ يَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ» من أنواع الحيوان و النبات و الجماد لمنافعكم «وَ عَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ» أى بيان قصد السبيل عن ابن عباس و معناه واجب على الله فى عدله بيان الطريق المستقيم و هو بيان الهدى من الضلاله و الحلال من الحرام ليتبع الهدى و الحلال و يجتنب الضلاله و الحرام و هذا مثل قوله إِنَّ عَلَيْنَا لِلْهُدَى «وَ مِنْهَا جَائِزٌ» معناه من السبيل ما هو جائز أى عادل عن الحق «وَ لَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ» إلى قصد السبيل بالإلجاء و القهر فإنه قادر على ذلك و قيل معناه لهداكم إلى الجنة و الثواب تفضلا عن الجبائى و أبى مسلم و قيل إن معنى الآية و على الله الممر. و من الطرق التى الممر فيها على الله جائز و كلاهما على الله لا يخرج أحدا عن قبضته و حكمه كقوله «إِنَّ رَبَّكَ لَبَلْمُرْصِدٍ» و قيل على الله ممر ذى السبيل القصد و السبيل الجائر و إليه مرجع كل واحد منهما لا- يخرج واحد عن سلطانه و لو أراد أن يحمل الجميع على الحق لفعل و من عدل عن الطريق المستقيم فليس ذلك لعجز من الله تعالى ثم عد سبحانه نعمه أخرى داله على وحدانيته فقال «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى مطرا «لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ» أى لكم من ذلك الماء شراب تشربونه «وَ مِنْهُ شَجَرٌ» فيه وجهان (أحدهما) أن يكون المراد و منه شرب شجر أو سقى شجر فحذف المضاف (و الآخر) أن يكون المراد و من جهة الماء شجر و من سقيه و إنباته شجر فحذف المضاف إلى الهاء فى منه كما قال زهير:

أمن أم أوفى دمنه لم تكلم بحومانه الدراج فالمتلّم

أى أمن ناحيه أم أوفى وقال أبو ذؤيب:

أمنك البرق أرقبه فهاجا فبت أخاله دهما خلاجا

أى أمن جهتك وقال الجعدى:

لمن الديار عفون بالتهطال بقيت على حجج خلون طوال

أى على مر حجج والمعنى وينبت منه شجر و نبات «فِيهِ تُسَيِّمُونَ» أى ترعون أنعامكم من غير كلفه و التزام مئونه لعلفها «يُنْبِتْ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَ الزَّيْتُونَ وَ النَّخِيلَ وَ الْأَعْنَابَ وَ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» أى ينبت الله لكم بذلك المطر هذه الأشياء التى عددها لتنتفعوا بها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً» أى دلالة و حجه واضحه «لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» فيه فيعرفون الله تعالى به و خص المتفكرين فيه لأنهم المنتفعون به «وَ سَيَخْرُ لَكُمْ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ وَ الشَّمْسُ وَ الْقَمَرُ» قد مضى بيانه و التسخير فى الحقيقه للشمس و القمر لأن النهار هو حركات الشمس من وقت طلوع الفجر إلى وقت غروب الشمس و الليل حركات الشمس تحت الأرض من وقت غروب الشمس إلى وقت طلوع الفجر إلا أنه سبحانه أجرى التسخير على الليل و النهار على سبيل التجوز و الاتساع «وَ النُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ» مضى بيانه «إِنَّ فِي ذَلِكَ» التسخير «لآياتٍ» أى دلالات «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» عن الله و يثبتون أن المسخر لذلك على هذا تقدير الذى لا يختلف لأجل منافع خلقه و مصالحهم و المدبر لذلك قادر عالم حكيم «وَ مَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ» أى سخر لكم ما خلقه لكم فى الأرض أى لقوام أبدانكم من الملابس و المطاعم و المناكح من أنواع الحيوان و النبات و المعادن و سائر النعم «مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ» لا يشبه بعضها بعضا «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً» أى دلالة «لِقَوْمٍ يَذَكَّرُونَ» أى يتفكرون فى الأدله فينظرون فيها و يتعظون و يعتبرون بها.

إشاره

وَ هُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَ تَسِيَّ تَخْرُجُوا مِنْهُ حَلِيَّةً تَلْبَسُونَهَا وَ تَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَ لِيَبْتَلِيَهُمْ فَمَنْ يَنْتَبِغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (١٤) وَ أَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٥) وَ عِلَامَاتٍ وَ بِاللَّيْلِ هُمْ يَهْتَدُونَ (١٦) أَمْ مَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (١٧) وَ إِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١٨)

القراءة

في الشواذ قراءة الحسن و بالنجم بضم النون.

الحجه

هو جمع نجم مثل سقف و سقف و رهن و رهن.

اللغه

المخر شق الماء من عن يمين و شمال مخرت السفينه الماء تمخر مخرا فهي ماخره و المخر أيضا صوت هبوب الريح إذا اشتد هبوبها و مخر الأرض شقها للزراعه و مخرها بالماء إذا أرسل عليها الماء لتطيب و الميد الميل يمينا و شمالا و هو الاضطراب ماد يميد ميذا و العلامه صورته يعلم بها المعنى من خط أو لفظ أو إشاره أو هيئه و قد تكون وضعيه و قد تكون برهانيه.

الإعراب

قوله «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» في موضع نصب بأنه مفعول له و تقديره كراهه أن تميد بكم و انتصب قوله «وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا» بمحذوف تقديره و جعل لكم أنهارا لدلاله قوله «أَلْقَى» عليه لأنه لا يجوز أن يكون عطفا على ألقى و مثله قوله:

علفتها تبنا و ماء باردا

و قول الآخر:

تسمع في أجوافهن سردا و في اليدين جساء و بددا

أى و ترى في اليدين يبسا و تفرقا و علامات منصوب عطف على قوله «وَ أَنْهَارًا وَ سُبُلًا» و قيل و خلق لكم علامات.

ثم عدد سبحانه نوعا آخر من أنواع نعمه فقال «وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ» أى ذلله لكم و سهل لكم الطريق إلى ركوبه و استخراج ما فيه من المنافع «لِيَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا» أى لتصطادوا منه أنواع السمك و تأكلوا لحمه «طَرِيًّا» و لا يجوز أن يهمز طريا لأنه من الطراوه «وَتَسِيَّحُوا مِنْهُ حَلِيَّةً» يعنى اللآلىء التى تخرج من البحر بالغوص «تَلْبَسُونَهَا» و تزينون بها و تلبسونها نساء كم و لو لا تسخيره سبحانه ذلك لكم لما قدرتم على الدنو منه و الغوص فيه «وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ» أى و ترى أياها الإنسان السفن شواق فى البحر و قواطع لمائه عن عكرمه و قيل جوارى عن ابن عباس «وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى و لتركبوه للتجاره و تطلبوا من فضل الله تعالى «وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى و لكى تشكروا الله على نعمه ليزيدكم منها و يثيبكم و الواو إنما دخلت فى ذلك للدلالة على أن الله سبحانه أراد جميع ما ذكره إنعاما منه على عباده «وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ» أى جبالا عاليه ثابتة واحدها راسيه «أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ» الأرض أى كراهه أن تميد بكم أو لثلا تميد بكم أى تتحرك و تضطرب «وَأَنْهَارًا» أى و جعل فيها أنهارا «وَسُبُلًا» أى طرقا لكى تجروا الماء فى الأنهار إلى بساتينكم و حيث تريدون و تهتدوا بالطرق إلى حيث شئتم من البلاد و قيل أراد بالأنهار النيل و الفرات و دجله و سيحان و جيحان و أمثالها «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» قد ذكرنا معناه و قيل لتهتدوا بها إلى توحيد الله «وَعَلَامَاتٍ» و جعل لكم علامات أى معالم تعلم بها الطرق و قيل العلامات الجبال يهتدى بها نهارا «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» ليلا عن ابن عباس و المراد بالنجم الجنس أى جميع النجوم الثابتة و قيل تم الكلام عند قوله «وَعَلَامَاتٍ» ثم ابتداء «وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ» و قيل إن العلامات هى النجوم أيضا لأن من النجوم ما يهتدى بها و منها يكون علامات لا يهتدى بها عن قتاده و مجاهد و قيل أراد به الاهتداء فى القبله

قال ابن عباس سألت رسول الله ص عنه فقال الجدى علامه قبلتكم و به تهتدون فى بركم و بحركم

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) نحن العلامات و النجم رسول الله ص و قال إن الله جعل النجوم أمانا لأهل السماء و جعل أهل بيتى أمانا لأهل الأرض

«أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ» معناه أفمن يخلق هذه الأشياء فى استحقاق العباده و الإلهيه كالأصنام التى لا تخلق شيئا حتى يسوى بينها فى العباده و بين خالق جميع ذلك «أَفَلَا تَذَكَّرُونَ» أى أفلا تتذكرون أياها المشركون فتعتبرون و تعرفون أن ذلك من الخطأ الفاحش و جعل من فيما لا يعقل لما اتصل بذكر الخلق ثم عطف سبحانه على ذلك تذكرا كثره نعمه فقال «وَأِنْ تَعِيدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا» معناه و إن أردتم تعداد نعم الله سبحانه عليكم و معرفه تفاصيلها لم يمكنكم إحصاؤها و لا تعديدها و إنما يمكنكم أن تعرفوا جملها بين

سبحانه أن من وراء النعم التي ذكرها نعماء له لا تحصي «إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ» لما حصل منكم من تقصير في شكر نعمه «رَحِيمٌ» بكم حيث لم يقطعها عنكم بتقصيركم في شكرها.

[سوره النحل (١٦): الآيات ١٩ إلى ٢٣]

إشارة

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ (١٩) وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ (٢١) إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ (٢٢) لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ (٢٣)

القرءاء

«وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ» بالياء عاصم غير الأعشى و البرجمي عن أبي بكر و يعقوب و سهل و الباقون بالتاء.

الحجة

من قرأ بالتاء فلأن ما بعده و ما قبله خطاب و من قرأ بالياء وجه الخطاب إلى النبي ص و يكون الخبر عن المشركين.

المعنى

لما قدم سبحانه الدعاء إلى عبادته بذكر نعمه و كمال قدرته عقبه ببيان علمه بسريره كل أحد و على نيته ثم ذكر بطلان الإشراك في عبادته فقال «وَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَ مَا تُعْلِنُونَ» أخبر سبحانه أنه يعلم ما يسرونه و ما يظهرونه فيجازيهم على أفعالهم إذ لا- يخفى عليه الجلى و الخفى من أحوالهم «وَ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» إلها «لَا يَخْلُقُونَ شَيْئاً وَ هُمْ يُخْلَقُونَ» يعنى الأصنام لا- يمكنها خلق شىء بل هى مخلوقه مربوبه منحوته من الحجر و الخشب و نحوهما مما هو مخلوق لله تعالى ثم قال «أَمْوَاتٌ» أى هى أموات «غَيْرُ أَحْيَاءٍ» أكد كونها أمواتا بقوله «غَيْرُ أَحْيَاءٍ» لنفى الحياه عنها على الإطلاق فإن من الأموات من سبقت له حاله فى الحياه و له حاله منتظره فى الحياه بخلاف الأصنام فإنه ليس لها حياه سابقه و لا منتظره و قال «أَمْوَاتٌ» و لم يقل موات و إن كان الأموات جمع الميت الذى كان فيه حياه فزال لأنهم صور و الأصنام على صور العقلاء و هيئاتهم و عاملوها معاملة العقلاء تسميه

و اعتقادا و لذلك قال «لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَ هُمْ يُخْلَقُونَ» (وَ مَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) معناه و ما تشعر هذه الأصنام متى تبعث عن الفراء و قيل فى الآيه إن معناه هم أموات يعنى أن الكفار فى حكم الأموات لذهابهم عن الحق و الدين و لا يدرون متى يبعثون و قيل إن المعنى و لا- تدرى الأصنام متى يبعث الخلق عن الجبائى و أيان فى موضع نصب يبعثون و قرئ فى الشواذ إيان بكسر الهمزة و الفتح أفصح و أصح ثم خاطب سبحانه عباده فقال «إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ» لا يقدر على ما يستحق به العباده من خلق أصول النعم سواء فاثبتوا على عبادته «فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ» أى جاحده للحق تستبعد ما يرد عليها من المواعظ «وَ هُمْ مُسْتَكْبِرُونَ» عن الانقياد للحق ذاهبون عنه دافعون له من غير حجه و الاستكبار طلب الترفع بترك الإذعان للحق ثم قال سبحانه «لَا جَرَمَ» أى حقا و هو بمنزله اليمين قال الخليل و هو كلمه تحقيق و لا يكون إلا جوابا لقول فعلوا كذا فيقول السامع لا جرم يندمون و قال الزجاج معناه حق أن الله و وجب أن الله و لا رد لفعلهم قال الشاعر:

و لقد طعنت أبا عينه طعنه جرمت فزاره بعدها أن يغضبوا

المعنى أحقت فزاره بالغضب و قال أبو مسلم أصله من الكسب فكأنه قال لا يحتاج فى معرفه هذا الأمر إلى اكتساب علم بل هو معلوم «أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِّرُونَ وَ مَا يُعْلِنُونَ» و هذا تهديد لهم بأنه عالم بجميع أحوالهم فيجازيهم على أقوالهم و أفعالهم «إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ» أى المتعظمين الذين يأنفون أن يكونوا أتباعا للأنبياء أى لا يريد ثوابهم و تعظيمهم.

إشارة

وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٤) لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ (٢٥) قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَآتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَ أَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٢٦) ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَ يَقُولُ أَيِّنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ الشُّوْءَ عَلَى الْكَافِرِينَ (٢٧) الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)

فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ (٢٩)

القراءه

قرأ نافع وحده تشاقون بكسر النون و الباقون بفتحها و قرأ حمزه و خلف في الموضعين يتوفاهم بالياء و الباقون بالتاء و في الشواذ قراءه مجاهد عليهم السقف بضم السين و

روى عن أهل البيت (عليه السلام) فأتى بنيتهم من القواعد.

الحجه

قد تقدم الوجه في قراءه نافع في سوره الحجر عند قوله «فِيمَ تُبَشِّرُونَ» فأما قراءه حمزه يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم و الإماله حسنه في هذا النحو من الفعل و من قرأ بالتاء فلأن الجماعه مؤنثه كما جاء و إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ.

اللغه

قد مضى معنى الأساطير و الأوزار في سوره الأنعام و القواعد الأساس و الواحده القاعده و قواعد اليهودج خشبات أربع معترضات في أسفله و الشقاق الخلاف في المعنى و تشاقون تكونون في جانب و المسلمون في جانب و من ثم قيل لمن خرج عن طاعه الإمام و عن جماعه المسلمين شق عصا المسلمين أى صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعا معهم في كلمتهم و هو مأخوذ من الشق الذى هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم.

الإعراب

ما أنزل ما مبتدأ و ذا بمعنى الذى و المعنى ما الذى أنزل ربكم و أساطير مرفوعه على الجواب كأنهم قالوا الذى أنزل أساطير الأولين و تقديره و إذا قيل لهم هذا القول فالذى قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة و الفاعل يجوز إضماره و المضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف المعارف و قوله «وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ» من زياده على قول الأخفش أى و أوزار الذين يضلونهم و على قول سيويه هو صفة مصدر محذوف و تقديره و أوزار من أوزار الذين يضلونهم و ما يزررون

فى موضع رفع كما ىرفع بعد بئس و نعم و تقديره و بئس الشىء و زرهف ففما حرف موصول و يزرون صلته و ظالمى أنفسهم

ص: ١٣٣

نصب على الحال أى فى حال ظلمهم أنفسهم.

المعنى

ثم أبان سبحانه عن أحوال المشركين و أقوالهم فقال «وَ إِذَا قِيلَ لَهُمْ» أى لمشركى قريش «مَا ذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ» على محمد ص «قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ» أى أجابوا فقالوا هذا المنزل فى زعمكم هو عندنا أحاديث الأولين الكاذبه عن ابن عباس و غيره و يروى أنها نزلت فى المقتسمين و هم ستة عشر رجلا- خرجوا إلى عقاب مكة أيام الحج على طريق الناس على كل عقبه أربعة منهم ليصدوا الناس عن النبى ص و إذا سألهم الناس عما أنزل على رسول الله ص قالوا أحاديث الأولين و أباطيلهم عن الكلبى و غيره «لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» اللام للعاقبه و المعنى كان عاقبه أمرهم حين فعلوا ذلك أن حملوا أوزار كفرهم تامه يوم القيامة «وَ مِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ» أى و يحملون مع أوزارهم بعض أوزار الذين أضلوهم عن سبيل الله و أغووهم عن اتباع الحق و هو وزر الإضلال و الإغواء و لم يحملوا وزر غوايتهم و ضلالهم و قوله «بِغَيْرِ عِلْمٍ» معناه من غير علم منهم بذلك بل جاهلين به و على هذا ما

روى عن النبى ص أنه قال أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيئا و أيما داع دعا إلى ضلاله فاتبع عليه فإن عليه مثل أوزار من اتبعه من غير أن ينقص من أوزارهم شيئا

«أَلَا- سَاءَ مَا يَزُرُونَ» أى بشس الحمل حملهم و هو ما يحملونه من الآثام لأنه إذا تحمل إثمه و دخل النار كان سببا فكيف إذا تحمله بسبب فعل غيره «قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أى من قبل هؤلاء المشركين بأنبيائهم من جهه التكذيب و غيره و هذا على سبيل التسليه لنبينا ص و الوعيد لقومه «فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ» أى أتى أمر الله بنيانهم التى بنوها من جوانب قواعدها فهدمها عن ابن عباس قال يعنى نمرود بن كنعان بنى صرحا طويلا و رام منه الصعود إلى السماء ليقاتل أهلها بزعمه فأرسل الله ريحا فألقت رأس الصرح فى البحر و خر عليهم الباقي و قال الزجاج «مِنَ الْقَوَاعِدِ» يريد من أساطين البناء التى تعمده و قيل هو بخت نصر و قيل إن هذا مثل ضربه الله سبحانه لاستئصالهم و لا قاعده هناك و لا سقف و المعنى فأتى الله مكرهم من أصله أى عاد ضرر المكر عليهم و بهم عن الزجاج و ابن الأنبارى و هذا الوجه أليق بكلام العرب كما قالوا أتى فلان من مأمنه أى أتاه الهلاك من جهه مأمنه و إنما أسند سبحانه الإتيان إلى نفسه من حيث كان تخريب قواعدهم من جهته «فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ» إنما قال «مِنْ فَوْقِهِمْ» مع حصول العلم بأن السقف لا يكون إلا من فوق لأحد وجوه (منها) إنه للتوكيد كما تقول لمن خاطبته قلت أنت كذا و كذا و كما يقال مشيت برجلي و تكلمت بلسانى (و منها) إنما قال ذلك ليدل على أنهم كانوا تحته فإن الإنسان قد يقول بيتى قد تهدم على

و إن لم يكن هو تحته (و منها) أن يكون على فى قوله «فَخَزَّ عَلَيْهِمْ» بمعنى عن فىكون المعنى فخر عنهم السقف من فوقهم أى خر عن كفرهم و جردهم بالله و آياته و المراد من أجل كفرهم كما يقال اشتكى فلان عن دواء شربه و على دواء شربه أى من أجل الدواء قال الشاعر:

" أرمى عليها و هى فرع أجمع "

أراد أرمى عنها و لو قال على هذا المعنى فخر عليهم السقف و لم يقل من فوقهم لجاز أن يتوهم متوهم أن السقف خر و ليس هم تحته و العرب لا تستعمل لفظه على فى مثل هذا الموضع إلا فى الشر و الأمر المكروه «وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» أى جاءهم عذاب الاستئصال من حيث لا يعلمون لأنهم ظنوا أنهم على حق فكانوا لا يتوقعون العذاب و هذا مثل قوله «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» «ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ» معناه ثم أنه تعالى مع ذلك يذلهم و يفضحهم يوم القيامة على رءوس الخلائق و يهينهم بالعذاب أى لا يقتصر بهم على عذاب الدنيا «وَيَقُولُ» على سبيل التوبيخ لهم و التهجين «أَيْنَ شُرَكَائِيَ» الذين كنتم تشركونهم معى فى العبادة على زعمكم «الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقِقُونَ فِيهِمْ» أى تعادون المؤمنين على قراءه فتح النون و على الكسر تعادوننى فيهم «قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» بالله تعالى و بدینه و شرائعه من المؤمنين و قيل هم الملائكة عن ابن عباس «إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَ السُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى أن الهوان اليوم و العذاب الذى يسوء على الجاحدين لنعم الله المنكرين لتوحيده و صدق رسله «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» الذين فى موضع جر بأنه بدل من الكافرين أو صفه لهم و معناه الذين يقبض ملك الموت و أعوانه أرواحهم ففارقوا الدنيا و هم ظالمون لأنفسهم بإصرارهم على الكفر «فَأَلْقُوا السَّلَمَ» أى استسلموا للحق و انقادوا حين لا ينفعهم الانقياد و الإذعان «مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ» أى يقولون ما كنا نعمل عند أنفسنا من سوء أى من معصيه فكذبهم الله تعالى و قال بلى قد فعلتم «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» فى الدنيا من المعاصى و غيرها و قيل إنه يقول لهم ذلك المؤمنون الذين أوتوا العلم و الملائكة «فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ» أى طبقات جهنم و دركاتها «خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ» أى بئس منزل المتعظمين عن قبول الحق و اللام للتوكيد.

إشارة

وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَ لِمَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَ لِنِعْمِ دَارِ الْمُتَّقِينَ (٣٠)
 جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ (٣١) الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ
 يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣٢) هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٣٣) فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ
 (٣٤)

الإعراب

«ما إذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ» ما و ذا هنا كالشيء الواحد و تقديره أى شىء أنزل ربكم و خيرا منصوب على أنه جواب ما إذا أى أنزل خيرا
 و قوله «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ» يجوز أن يكون تفسيراً لقوله «خَيْرًا» و يجوز أن يكون ابتداءً لكلام «وَ لِنِعْمِ دَارِ
 الْمُتَّقِينَ» المخصوص بالمدح محذوف المعنى و نعم دار المتقين دار الآخرة و المبين لقوله «دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ» و تقديره
 هى جنات عدن فيكون خبر مبتدأ محذوف و يجوز أن يكون جنات عدن مرتفعه بالابتداء و تكون المخصوصه بالمدح و التقدير
 جنات عدن نعم دار المتقين.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر أقوال الكافرين فيما أنزله على نبيه ص عقبه بذكر أقوال المؤمنين فى ذلك فقال «وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا»
 الشرك و المعاصى و هم المؤمنون «ما إذا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا» أى أنزل الله خيرا لأن القرآن كله هدى و شفاء و خير «لِلَّذِينَ
 أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ» و يجوز أن يكون هذا ابتداءً لكلام من الله تعالى معناه للمحسنين فى هذه الدنيا حسنة مكافاه لهم و
 هى الثناء و المدح على ألسنة المؤمنين و الهدى و التوفيق للإحسان «وَ لِمَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ» أى و ما يصل إليهم من الثواب فى
 الآخرة خير مما يصل إليهم فى الدنيا و يجوز أن يكون الجمع من كلام المتقين و أجاز الحسن و الزجاج كلا الوجهين

وقوله «وَلِنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ» أى و الآخره نعم دار المتقين الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه و اجتناب معاصيه و قيل معناه و لنعم دار المتقين الدنيا لأنهم نالوا بالعمل فيها الثواب و الجزاء عن الحسن و قيل معناه و لنعم دار المتقين «جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا» كما يقال نعم الدار دار ينزلها «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» سبق معناه «لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ» أى يشتهون من النعم «كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ» أى كذلك يجازى الله الذين اتقوا معاصيه «الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ» أى طيبى الأعمال طاهرى القلوب من دنس الشرك و قيل معناه طيبه نفوسهم بالمصير إليه لعلمهم بما لهم عنده من الثواب و قيل طيبين أى صالحين بأعمالهم الجميله و قيل بطيب وفاتهم فلا يكون صعوبه فيها «يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ» أى تقول الملائكه سلام عليكم أى سلامه لكم من كل سوء «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» قيل إنهم لما بشروهم بالسلامه صارت الجنه كأنها دارهم و هم فيها فقولهم «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ» بمعنى حصلت لكم الجنه و قيل إنما يقولون ذلك عند خروجهم من قبورهم «هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ رَبِّكَ» قد مضى تفسيره فى سورتي البقره و الأنعام «كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» أخبر سبحانه أن الذين مضوا من الكفار فعلوا مثل ما فعل هؤلاء من تكذيب الرسل و جحد التوحيد فأهلكهم الله فما الذى يؤمن هؤلاء من أن يهلكهم الله «وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بالمعاصى التى استحقوا بها الهلاك «فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتٌ مَا عَمِلُوا» أى عقاب سيئاتهم فسمى العقاب سيئه كما قال «وَجَزَاءٌ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» «وَوَاقٍ بِهِمْ» أى و حل بهم جزاء «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ».

إشارة

وَ قَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥) وَ لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ (٣٦) إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَ مَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٣٧)

القراءة

قرأ أهل الكوفة «لا يَهْدِي» بفتح الياء و الباقون بضم الياء و فتح الدال و لم يختلفوا في «يُضِلُّ» أنها مضمومة الياء مكسورة الضاد.

الحجة

قال أبو علي الراجح على اسم أن هو الذكر الذي في قوله «يُضِلُّ» في قراءه من قرأ يهدي و من قرأ «يَهْدِي» فمن جعل يهدي من هديته جاز أن يعود الذكر الفاعل الذي فيه إلى اسم أن و من جعل يهدي في معنى يهتدى و جعل من يضل مرتفعا به فالراجح إلى اسم أن الذكر الذي في يضل كما كان كذلك في قول من قال يهدي و الراجح إلى الموصول الذي هو من الهاء المحذوفه من الصلة تقديره يضل و المعنى أن من حكم بإضلاله لكفره و تكذيبه فلا يهدي و مثل هذا المعنى قوله «فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ» تقديره من بعد إضلال الله إياه و المفعول محذوف أي من بعد حكمه بإضلاله و من قرأ «لا يَهْدِي» فهو في المعنى كقوله «مَنْ يُضِلُّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ» و هذا كقوله «وَ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»* و قوله «وَ مَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ» فموضع من نصب يهدي و قد قيل إن يهدي في معنى يهتدى بدلاله قوله «لا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى» فموضع من على هذا رفع كما أنه لو قال يهتدى كان كذلك و قوله «لا يُضِلُّ» من قولك ضل الرجل و أضله الله أي حكم بإضلاله كقولك كفر زيد و كفره الناس أي نسبه إلى الكفر فقالوا إنه كافر كما أن أسقيته قلت له سقاك الله قال ذو الرمة:

و أسقيه حتى كاد مما أثبه تكلمني أحجاره و ملاعبه.

اللغة

البلاغ و الإبلاغ إيصال المعنى إلى الغير و الحرص طلب الشيء بجد و اجتهاد يقال حرص يحرس حرصا و حرص يحرس بكسر الراء في الماضي و فتحها في المستقبل لغه و قد روى في الشواذ عن الحسن و إبراهيم إن تحرص بفتح الراء و الأول لغه أهل الحجاز و الأصل من السحابه الحارصه و هي التي تقشر وجه الأرض و شجبه حارصه التي تقشر جلده الرأس و كذلك الحرص كان صاحبه ينال من نفسه لشده اهتمامه بما هو حريص فيه.

المعنى

ثم عاد سبحانه إلى حكاية قول المشركين فقال «وَ قَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا»

مع الله إليها آخر «لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» أى لو أراد الله ما عبدنا من دونه شيئا من الأصنام والأوثان «نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا» الذين اقتدينا بهم «وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ» من البحيره والسائبه وغيرهما بل شاء ذلك منا و أراد بذلك فعلنا فأنكر الله سبحانه هذا القول عليهم وقال «كَذَلِكَ» أى مثل ذلك «فَعَلَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ» من الكفار والضلال كذبوا رسل الله و جحدوا آياته قالوا مثل قولهم و فعلوا مثل فعلهم «فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» أى ليس عليهم إلا إبلاغ الرساله و قد سبق بيان مثل هذه الآيه فى سورة الأنعام «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ» أى فى كل جماعه و قرن «رَسُولًا» كما بعثناك يا محمد رسولا إلى أمتك «أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ» أى ليقول لهم اعبدوا الله «وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» أى عباده الطاغوت و أن هذه هى المفسره و يعنى بالطاغوت الشيطان و كل داع يدعو إلى الضلاله «فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ» معناه فمنهم من هداه الله بأن لطف له بما علم أنه يؤمن عنده فآمن فسمى ذلك اللطف هدايه و يجوز أن يريد فمنهم من هداه الله إلى الجنه بإيمانه و لا يجوز أن يريد بالهدايه هنا نصب الأدله كما فى قوله «وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» لأنه سبحانه سوى فى ذلك بين المؤمن و الكافر «وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ» معناه و منهم من أعرض عما دعاه إليه الرسول فخذله الله فثبتت عليه الضلاله و لزمته فلا يؤمن قط و قيل معناه وجبت عليه الضلاله و هى العذاب و الهلاك و قيل معناه و منهم من حقت عليه عقوبه الضلاله عن الحسن و قد سمي الله سبحانه العقاب ضلالا بقوله «إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ» «فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ» أى أرض المكذبين الذين عاقبهم الله أن لم تصدقونى «فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ» أى فانظروا كيف حقت عليهم العقوبه و حلت بهم فلا تسلكوا طريقهم فينزل بكم مثل ما نزل بهم «إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ» أى على أن يؤمنوا بك «فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ» هذا تسليه للنبي ص فى دعائه لمن لا يفلح بالإجابة لانهماكه فى الكفر و إشاره إلى أن ذلك ليس لتقصير وقع من جهته ص و إعلام له أنهم لا يؤمنون أبدا و إذا كانوا هكذا فإن الله لا يهديهم بل يضلهم على المعنى الذى فسرناه قبل «وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» أى ليس لهم من ناصر ينصرهم و يخلصهم من العقاب و فى هذا بيان أن الإضلال فى الآيه ليس المراد به ما ذكره أهل الجبر.

اشاره

وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَيُعَلِّمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ (٣٩) إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٤٠)

القراءة

قرأ ابن عامر و الكسائي فيكون بالنصب و فى يس مثله و الباقون بالرفع.

الحجه

من نصب فإنه يحمله على أن قال الزجاج الرفع على فهو يكون على معنى أن ما أراد الله فهو يكون فالنصب على ضربين (أحدهما) أن يكون عطفًا على أن تقول (و الآخر) أن يكون نصبا على جواب كن قال أبو على اعلم أن الذى أجازه من النصب على أن يكون جواب كن لم يجزه أحد من أصحابنا غيره لأن كن و إن كان على لفظ الأمر فليس القصد به هنا الأمر إنما هو و الله أعلم بالإخبار عن كون الشئ و حدوثه.

الإعراب

«جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» مصدر وضع موضع الحال و التقدير يجتهدون اجتهادا فى إيمانهم و هذا مثل قولهم طلبته جهداً أى تجهد جهداً و عدا منصوب لتوكيد المعنى فإن المعنى بلى يبعثهم الله و وعد الله ذلك و عدا و قوله «لِيُبَيِّنَ» اللام فيه يتعلق بالبعث أيضا أى يبعثهم ليبيّن لهم و ليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين و يجوز أن يتعلق بقوله «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا» أى و لقد بعثنا فى كل أمة رسولا ليبيّن لهم اختلافهم و قولنا مرفوع بالابتداء و خبره أن القول و المعنى إنما قولنا لكل مراد قولنا له كن.

النزول

قالوا كان لرجل من المسلمين على مشرك دين فتقاضاه فوقع فى كلامه و الذى أرجوه بعد الموت أنه لكذا فقال المشرك و إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت و أقسم بالله لا يبعث الله من يموت فأنزل الله الآية عن أبى العالیه.

المعنى

ثم حكى سبحانه عن المشركين نوعا آخر من كفرهم فقال «وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ» أى حلفوا بالله مجتهدين فى إيمانهم و المعنى أنهم قد بلغوا فى القسم كل مبلغ «لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ» أى لا يحشر الله أحدا يوم القيامة و لا يحيى من يموت بعد موته ثم كذبهم الله تعالى فى ذلك فقال «بَلَىٰ» يحشرهم الله و يبعثهم «وَعْدًا» و عدهم به «عَلَيْهِ» إنجازه و تحقيقه من حيث الحكمه «حَقًّا» ذلك الوعد ليس له خلف إذ لو لا البعث لما حسن التكليف لأن التكليف إنما يحسن لإثابه من عوض به «وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ» صحه ذلك لكفرهم بالله و جحدهم نبوه أنبيائه و قيل لا يعلمون وجه الحكمه فى

البعث فلا يؤمنون به «لَيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ» هذا بيان من الله تعالى إنه إنما يحشر الخلائق يوم القيامة ليبين لهم الحق فيما كانوا فيه يختلفون فيه في دار الدنيا لأنه يخلق فيهم العلم الضروري يوم القيامة الذي يزول معه التكليف «وَلْيُعَلِّمِ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ» في الدنيا في قولهم إن الله لا يبعث أحداً بعد موته و إذا تعلق اللام قوله «وَلَقَدْ بَعَثْنَا» فالمعنى بعثنا إلى كل أمه رسولا ليبين لهم ذلك الرسول ما يختلفون فيه و يهديهم إلى طريق الحق و ينبههم عليه «إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» قد ذكرنا تفسيره في سورة البقره و المراد به هاهنا بيان أنه قادر على البعث لا يتعذر عليه ذلك فإنه إذا أراد شيئا كونه.

[سورة النحل (١٦): الآيات ٤١ الى ٤٤]

إشارة

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ لَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١) الَّذِينَ صَبَرُوا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٤٢) وَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَيَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٤٣) بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لُبِّيِّنًا لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ (٤٤)

القراءة

قرأ حفص نوحى بالنون و قد تقدم ذكره فى سورة يوسف و

روى عن على (عليه السلام) لثنويهم

بالثاء و القراءة «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ» بالباء.

الحجج

قال ابن جنى نصب حسنه هاهنا أى نحسن إليهم إحسانا و وضع حسنه موضع الإحسان كأنه واحد من الحسن دال عليه و دل قوله «لَنُبَوِّئَنَّهُمْ» على ذلك الفعل لأنه إذا أفرهم على الفعل بإطاله مدتهم فقد أحسن إليهم كما قال لَيْسَ يَخْلُقْنَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ ذَلِكَ ضِدُّ مَا يَعْمَلُ بِالْعَاصِينَ الَّذِينَ يَصْطَلِمُهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَ جَرَائِمِ أَعْمَالِهِمْ.

النزول

الآيه الأولى نزلت فى المعذبين بمكه مثل صهيب و عمار و بلال و خباب

وغيرهم مكنهم الله بالمدينه و ذكر أن صهيبا قال لأهل مكه أنا رجل كبير إن كنت معكم لم ينفعكم و إن كنت عليكم لم يضركم فخذوا مالي و دعوني فأعطاهم ماله و هاجر إلى رسول الله ص فقال له أبو بكر ربح البيع يا صهيب و يروى أن عمر بن الخطاب كان إذا أعطى أحدا من المهاجرين عطاء قال له خذ هذا ما وعدك الله في الدنيا و ما أخره لك أفضل ثم تلا هذه الآيه.

المعنى

«وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا» معناه و الذين فارقوا أوطانهم و ديارهم و أهليهم فرارا بدينهم و اتباعا لنبیهم في الله أى في سبيله لا بتغاء مرضاته من بعد ما ظلمهم المشركون و عذبوهم بمكه و بخسوهم حقوقهم «لَتَبَوَّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسِبَ» أى بلده حسنه بدل أوطانهم و هى المدينه عن ابن عباس و قيل لنعطينهم حاله حسنه و هى النصر و الفتح و قيل هى ما استولوا عليه من البلاد و فتح لهم من الولايات «وَلَمَّا جَزَّ الْمَآخِرَ أَكْبَرُ» مما أعطيناهم في الدنيا «لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» أى لو كان الكفار يعلمون ذلك و قيل معناه لو علم المؤمنون تفاصيل ما أعد الله لهم في الجنة لآزادوا سرورا و حرصا على التمسك بالدين «الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» هذا وصف لهؤلاء المهاجرين أى صبروا في طاعه الله على أذى المشركين و فوضوا أمورهم إلى الله تعالى ثق به ثم خاطب سبحانه نبیه ص فقال «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» إلى الأمم الماضيه «إِلَّا رِجَالًا» من البشر «نُوحِي إِلَيْهِمْ» أى أوحينا إليهم كما أوحينا إليك و أرسلناهم إلى أممهم كما أرسلناك إلى أمتك و ذلك أن مشركى مكه كانوا ينكرون أن يرسل إليهم بشر مثلهم فبين سبحانه أنه لا يصلح أن يكون الرسل إلى الناس إلا من يشاهدونه و يخاطبونه و يفهمون عنه و أنه لا وجه لاقتراحهم إرسال الملك «فَسَيَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ» فيه أقوال (أحدها) أن المعنى بذلك أهل العلم بأخبار من مضى من الأمم سواء أ كانوا مؤمنين أو كفارا و سمي العلم ذكرا لأن الذكر منعقد بالعلم فإن الذكر هو ضد السهو فهو بمنزله السبب المؤدى إلى العلم فى ذكر الدليل فحسن أن يقع موقعه و ينبئ عن معناه إذا تعلق به هذا التعلق عن الرمانى و الزجاج و الأزهرى (و ثانيها) أن المراد بأهل الذكر أهل الكتاب عن ابن عباس و مجاهد أى فاسألوا أهل التوراه و الإنجيل «إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» يخاطب مشركى مكه و ذلك أنهم كانوا يصدقون اليهود و النصارى فيما كانوا يخبرون به من كتبهم لأنهم كانوا يكذبون النبى ص لشده عداوتهم له (و ثالثها) أن المراد بهم أهل القرآن لأن الذكر هو القرآن عن ابن زيد و يقرب منه ما

رواه جابر و محمد بن مسلم عن أبى جعفر (عليه السلام) أنه قال نحن أهل الذكر

و قد سمي الله رسوله ذكرا فى قوله ذكراً رسولاً على أحد الوجهين و قوله «بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ» العامل فيه قوله «أَرْسَلْنَا» و التقدير و ما

أرسلنا بالبينات و الزبر أى بالبراهين و الكتب إلا رجلا نوحى إليهم و قيل إن فى الكلام إضمارا و حذفاً و التقدير أرسلناهم بالبينات كما قال الأعشى:

و ليس مجيرا أن أتى الحى خائف و لا قائلا إلا هو المتعبيا

أى أعنى المتعبيا و نظير الأول قول الشاعر:

نبأتهم عذبوا بالنار جارتهم و هل يعذب إلا الله بالنار

«وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذُّكْرَ» يعنى القرآن «لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ» فيه من الأحكام و الشرائع و الدلائل على توحيد الله «وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ» فى ذلك فيعلموا أنه حق و فى هذا دلالة على أن الله تعالى أراد من جميعهم التفكير و النظر المؤدى إلى المعرفة بخلاف ما يقوله أهل الجبر.

النظم

قيل فى اتصال الآيه الأولى بما قبلها وجوه (أحدها) أنها اتصلت بقوله «لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ» فيكون المعنى ليبين لهم و ليعلم الكافرين كونهم كاذبين و ليجزى المؤمنين المهاجرين على ما فعلوه من الهجره و قيل لما تقدم ذكر الكفار و ما أعد لهم من الدمار و دخول النار عقبه بذكر المؤمنين المهاجرين و الأنصار تحريضا لغيرهم فى الاقتداء بهم فاتصل به اتصال النقيض بالنقيض و قيل إنه لما تقدم ذكر البعث بين بعده حكم يوم البعث و أنه ينتصف فيه للمظلوم من الظالم.

ص: ١٤٣

إشارة

أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ (٤٥) أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ (٤٦) أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ (٤٧) أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَتِّهُوا ظُلُمًا عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ (٤٨) وَاللَّهُ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٤٩)

يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٥٠)

القراءة

قرأ أ و لم تروا بالتاء أهل الكوفة غير عاصم و الباقون بالياء و كذلك في العنكبوت و قرأ أهل البصرة تفتيوا بالتاء و الباقون بالياء.

الحج

حجج الباء أن ما قبله غيبه و هو قوله «أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمْ» «أَوْ يَأْخُذَهُمْ» «أَوْ لَمْ يَرَوْا» و من قرأ بالتاء أراد جميع الناس و التانيث و التذكير في قوله «يَتَفَتِّهُوا ظُلُمًا» حسان و قد تقدم ذكر ذلك في عدة مواضع.

اللغة

التخوف التنقص و هو أن يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد و تلك حاله يخاف معها الفناء و يتخوف الهلاك يقال تخوفه الدهر قال الشاعر:

تخوف السير منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

أى ينقص السير سنامها بعد تموكه و قال آخر:

تخوف عدوهم مالى و أهدى سلاسل فى الحلوق لها صليل

قال الفراء تحوفته و تخوفته بالحاء و الخاء إذا تنقصته من حافته قال المبرد لا- يقال تحوفته و إنما يقال تحيفته بالياء و التفتيؤ التفتل من الفى ء يقال فاء الفى ء يفى ء إذا رجع و عاد بعد ما كان ضياء الشمس نسخه و منه فى ء المسلمين لما يعود عليهم وقتا بعد وقت من الخراج و الغنائم و يعدى فاء بزياده الهمزة نحو أفاء و بالتضعيف نحو فاء الظل و فإه الله فتفيا و الفى ء ما نسخه ضوء الشمس و الظل ما كان قائما لم تنسخه الشمس قال الشاعر:

فلا الظل من برد الضحى تستطيعه و لا الفى ء من برد العشى تذوق

فجعل الظل وقت الضحى لأن الشمس لم تنسخه في ذلك الوقت و جمع الفى ء أفياء و فيوء قال:

ص: ١٤٤

أرى المال أفياء الضلال فتاره يؤوب و أخرى يجبل المال حابله

و قال النابغه الجعدى:

فسلام الإله يغدو عليهم و فيوء الفردوس ذات الظلال

و إنما قال عن اليمين على التوحيد و الشمائل على الجمع لأنه أراد باليمين الأيمان كما قال الشاعر:

بفى الشامتين الصخر إن كان هدنى رزيه شبلى مخدر فى الضراغم

و المعنى بأفواه و قال آخر:

الواردون و تيم فى ذرى سبأ قد عض أعناقهم جلد الجواميس

و الداخر الخاضع الصاغر قال:

فلم يبق إلا داخر فى مخيس و منجحر فى غير أرضك فى جحر

. المعنى

ثم أوعد سبحانه المشركين فقال «أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ» فاللفظ لفظ الاستفهام و المراد به الإنكار و معناه أى شىء آمن هؤلاء القوم الذين دبوا التدابير السيئه فى توهين أمر النبى ص و إطفاء نور الدين و إيذاء المؤمنين من «أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ» من تحتهم عقوبه لهم كما خسف بقارون «أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ» قال ابن عباس يعنى يوم بدر و ذلك أنهم أهلكوا يوم بدر و ما كانوا يقدرون ذلك و لا يتوقعونه «أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ» يعنى أو أن يأخذهم العذاب فى تصرفهم فى أسفارهم و تجاراتهم و قيل يريد فى تقلبهم فى كل الأحوال ليلا و نهارا فيدخل فى هذا تقلبهم على الفرش يمينا و شمالا عن مقاتل «فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ» أى فليسوا بفائتين و ما يريد الله بهم من الهلاك لا يمتنع عليه «أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ» قال أكثر المفسرين معناه على تنقص إما بقتل أو بموت أى بنقص من أطرافهم و نواحيهم فيأخذ منهم الأول فالأول حتى يأتى على جميعهم و قيل معناه فى حال تخوفهم من العذاب أى يعذب أهل قريه و يخوف به

ص: ١٤٥

أهل قريه أخرى فيتخوفون أن ينزل بهم من العذاب ما نزل بالأولى عن الحسن و قيل معناه على تنقص من الأموال و الأنفس بالبلايا و الأسقام إن لم يعذبهم بعذاب الاستئصال لينبه غيرهم و يزرهم عن الجبائى «فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُفٌ رَحِيمٌ» بكم و من رأفته و رحمته بكم أنه أمهلكم لتتوبوا و ترجعوا و لم يعاجلكم بالعقوبه ثم بين سبحانه دلائل قدرته فقال «أَ وَ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ءِ» معناه أ لم ينظروا هؤلاء الكفار الذين جحدوا و حدانيه الله تعالى و كذبوا نبيه ص إلى ما خلق الله من شىء له ظل من شجر و جبل و بناء و جسم قائم «يَتَفَتَّيُوا ظِلَالَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَ الشَّمَالِ سِجِّدًا لِلَّهِ» أى يتميل ظلالة عن جانب اليمين و جانب الشمال و أضاف الظلال إلى مفرد و معناه الإضافة إلى ذوى الظلال لأن الذى يعود إليه الضمير واحد يدل على الكثرة و هو قوله ما خَلَقَ اللَّهُ* و معنى تفتيؤ الظلال يمينا و شمالا أن الشمس إذا طلعت و أنت متوجه إلى القبلة كان الظلال قدامك و إذا ارتفعت كان عن يمينك فإذا كان بعد ذلك كان خلفك فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك فهذا تفتيؤه عن اليمين و الشمال عن الكلبى و معنى سجود الظل لله دورانه من جانب إلى جانب لأنه مستسلم منقاد مطيع للتسخير و هذه الآيه كقوله «وَ ظِلَالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَ الْأَصَالِ» و قد مر تفسيره و قيل أن المراد بالظل هو الشخص بعينه و يدل على ذلك قول علقمه:

لما نزلنا رفعنا ظل أخبيه و فار للقوم باللحم المراجيل

أ لا ترى أنهم لا ينصبون الظل و إنما ينصبون الأخيه و يقوى ذلك قول عماره:

كأنهن الفتيات اللعس كان فى أظلالهن الشمس

أى فى أشخاصهن و قول الآخر:

يتبع أفياء الظلال عشيه على طرق كأنهن سيوف

أى أفياء الشخصوص فعلى هذا يكون تأويل الظلال فى الآيه تأويل الأجسام التى عنها الظلال «وَ هُمْ دَاخِرُونَ» أى أذله صاغرون قد نبه الله بهذا على أن جميع الأشياء تخضع له بما فيها من الدلاله على الحاجه إلى واضعها و مدبرها بما لولاه لبطلت و لم يكن لها قوام

طرفه عين فهي في ذلك كالساجد من العباد بفعله الخاضع بذله ثم قال سبحانه «وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ» أى يسجد لله جميع ما فى السماوات وجميع ما فى الأرض و معنى من فى قوله «مِنْ دَابَّةٍ» تبين الصفه أى الذى هو دابه تدب على وجه الأرض «وَالْمَلَائِكَةُ» أى و تسجد له الملائكة و تخضع له بالعباده و إنما خص الملائكة بالذكر تشريفا لهم و لأن اسم الدابه يقع على ما يدب و يمشى و هم أولو الأجنحه فصفه الطيران أغلب عليهم «وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ» عن عباده الله تعالى و هذا من صفه الملائكة لأنه قال «يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ» و إنما قال «مِنْ فَوْقِهِمْ» لوجهين (أحدهما) أن المراد يخافون عقاب ربهم و أكثر ما يأتى العقاب المهلك إنما يأتى من فوق (و الآخر) أن الله سبحانه لما كان موصوفا بأنه عال متعال بمعنى أنه قادر على الكمال حسن أن يقال من فوقهم ليدل على أنه فى أعلى مراتب القادرين و على هذا معنى قول ابن عباس فى روايه مجاهد قال ذلك مخافه الإجلال و اختاره الزجاج فقال يخافون ربهم خوف معظمين مجلين و مثله فى المعنى قوله «وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ» و قوله إخبارا عن فرعون «وَأِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ» و ذهب بعضهم إلى أن قوله «مِنْ فَوْقِهِمْ» من صفه الملائكة و المعنى أن الملائكة من فوق بنى آدم و فوق ما فى الأرض من دابه يخافون الله مع علو رتبتهم فلأن يخافه من دونهم أولى و

قد صح عن النبى ص أنه قال أن الله تعالى ملائكة فى السماء السابعة سجودا منذ خلقهم إلى يوم القيامة ترعد فرائصهم من مخافه الله تعالى لا تقطر من دموعهم قطره إلا صارت ملكا فإذا كان يوم القيامة رفعوا رءوسهم و قالوا ما عبدناك حق عبادتك أورده الكلبي فى تفسيره.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٥١ الى ٥٥]

اشاره

وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَخَذُوا إِلَهِينَ اثْنَيْنِ إِنَّما هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِياىَ فَارْهَبُونِ (٥١) وَ لَهُ ما فى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَهُ الدِّينُ وَاصِباً أَ فَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ (٥٢) وَ ما بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذا مَسَّكُمْ الضُّرُّ فَمِائِلِيهِ تَجْتَرُونَ (٥٣) ثُمَّ إِذا كَشَفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ (٥٤) لِيَكْفُرُوا بما آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (٥٥)

ص: ١٤٧

وصب الشىء وصبوا إذا دام ووصب الدين وجب و قال أبو الأسود:

لا أبتغى الحمد القليل بقاؤه يوما بدم الدهر أجمع واصبا

و الوصب الألم الذى يكون عن الإعياء بدوام العمل مده قال:

لا يغمز الساق من أين و من وصب و لا يعرض على شرسوفه الصفر

و الجوار الاستغائه برفع الصوت و يقال جار الثور يجار جوارا إذا رفع صوته من جوع أو غيره قال الأعشى:

و ما أيبلى على هيكل بناء و صلب فيه و صارا

يراوح من صلوات المليك طورا سجودا و طورا جوارا

و بناء الأصوات على فعال و فعيل نحو الصراخ و البكاء و العويل و الصفير و الفعال أكثر.

الإعراب

ذكر اثنين توكيدا لقوله «إِلَهَيْنِ» كما ذكر الواحد فى قوله «إِلَهٌ وَاحِدٌ» «وَاصِبًا» نصب على الحال و ما بكم موصول و صلته فى موضع الرفع بالابتداء و دخلت الفاء فى خبره و هو قوله «فَمِنْ اللَّهِ» تقديره فهو من الله و لا فعل هاهنا لأن قوله «بِكُمْ» قد تضمن معنى الفعل فإنه بمعنى و ما حل بكم من نعمه.

المعنى

لما بين سبحانه دلائل قدرته و إلهيته عقبه بالتنبيه على وحدانيته فقال «وَ قَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ» أى لا تعبدوا مع الله إلهها آخر فشرخوا بينهما فى العبادة لأنه لا يستحق العبادة سواه و ذكر اثنين كما يقال فعلت ذلك لأمرين اثنين و قيل إن تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يريد به نفسه و غيره «إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ» و إنما لإثبات المذكور و نفى ما عداه فكأنه قال هو إله واحد لا إله غيره «فَيَأْتَى فَمَازَهُبُونَ» أى ارهبوا أعقابى و سطواتى و لا تخشوا غيرى و ورد عن بعض الحكماء أنه قال نهاك ربك أن تتخذ إلهين فاتخذت آلهه عبدت نفسك و هواك و دنياك و طبعك و مرادك و عبدت الخلق فإننى تكون موحدًا «وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» ملكا و ملكا و خلقا «وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا» أى و له الطاعة دائمه واجبه على الدوام عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتاده و معناه أنه سبحانه الذى يعبد دائما و غيره

إنما يعبد في وقت دون وقت وقيل معناه و له الدين خالصا عن الفراء أى يجب على العبد أن يطيعه مخلصا وقيل معناه و له الملك دائما لا يزول «أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ» أى أغير الله تخشون و هو استفهام فيه معنى التوبيخ أى فكيف تعبدون غيره و لا تتقونه «وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ» معناه أن جميع ما بكم و ما لكم من النعم مثل الصحة فى الجسم و السعه فى الرزق و نحوهما فكل ذلك من عند الله و من جهته «ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمْ الضُّرُّ» مثل المرض و الشده و البلاء و سوء الحال «فَإِلَيْهِ تَجْتَرُونَ» أى فإليه تتضرعون فى كشفه و إليه ترفعون أصواتكم بالدعاء و الاستغاثة لصفه «ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ» معناه ثم إذا دفع ما حل بكم من الضر و دفع ما مسكم من المرض و الفقر «إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ» أى دعا طائفه منكم إلى الشرك بربهم فى العباده جهلا منهم بربهم و مقابله لنعمه بالكفران و العصيان و هذا عجب من فعل العاقل المميز «لِيُكْفَرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ» معنى اللام هاهنا هو البيان عن العله التى لأجلها وقع الفعل و المعنى أنهم بمنزله من أشرك فى عباده ربه ليكفر بما آتاه من النعمه كأنه كان لا غرض له فى شركه إلا هذا و المعنى لأن يكفروا بإنعامنا عليهم و رزقنا إياهم و قيل إن اللام للأمر على وجه التحديد أى ليفعلوا ما شاءوا فإنه ينزل الله بهم عاقبه كفرهم و يوافق هذا القول ما

رواه مكحول عن أبى رافع قال حفظت عن رسول الله ص فيمتعوا فسوف يعلمون

بالياء فيهما فإن يمتعوا يكون معطوفا مجزوما و يجوز أيضا أن يكون معطوفا منصوبا و المعنى لأن يكفروا فيمتعوا فقولهُ «فَتَمَتُّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» يكون ابتداء خطاب لهم على التهديد و الوعيد يقول فتمتعوا أيها الكفار فى الدنيا قليلا فسوف تعلمون ما يحل بكم فى العاقبه من العقاب و أليم العذاب و حذف لدلاله الكلام عليه.

إشاره

وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَنِسِيْبُلْنَ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ (٥٦) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ (٥٧) وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْمَأْنِثِي ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ (٥٨) يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٥٩) لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٠)

اللفه

يقال ظل يفعل كذا إذا فعله في صدر النهار و يقال ظللت أظل ظلولا و مثله أضحي غير أنه كثر حتى صار بمنزله أخذ يفعل و الكظيم المغموم الذي يطبق فاه لا يتكلم للغم الذي به مأخوذ من الكظامه و هي اسم لما يشد به فم القربه و الكظامه أيضا العقب على رءوس القذذ و الكظامه أيضا البئر و منه

الحديث أن النبي ص أتى كظامه فتوضأ و مسح على قدميه

و جمعها كظام و الهون الهوان و المشقه و هي لغه قريش قال الحطيئه:

فلما خشيت الهون و العين ممسك على رغمه ما أثبت الخيل حافره

و دسست الشىء في التراب أدسه إذا أخفيته و الدساسه حيه صماء تندس تحت التراب.

الإعراب

«وَ لَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ» إن شئت جعلت ما في موضع نصب بمعنى يجعلون لهم البنين الذين يشتهون هم و يكون قوله سبحانه اعتراضا بين المعطوف و المعطوف عليه و إن شئت جعلته في موضع رفع على الاستئناف فيكون مرفوعا على الابتداء و لهم خبره أو مرفوعا على أن الظرف عمل فيه على ما ذكرنا من الاختلاف فيه فيما مضى و الهاء في يمسكه يعود إلى قوله «ما بُشِّرَ بِهِ» فذلك ذكر و قيل معناه و يجعلون للأصنام الذين لا يعلمون و لا يجعلون نصيبا من الأنعام و الزرع فكنى عن لفظه ما في قوله «لِما لَا يَعْلَمُونَ» بالواو لأنهم جعلوا الأصنام هنا بمنزله العقلاء عن أبي على الفارسي و قال أيضا يجوز أن يكون تقديره و يجعلون لما لا يعلمونه إليها نصيبا و يكون الضميران في يجعلون و يعلمون للمشركين و حذف المفعولان.

المعنى

ثم ذكر سبحانه فعلا- آخر من أفعال المشركين دالا- على جهلهم فقال «وَ يَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ» و الواو في يعلمون تعود إلى المشركين أى لما لا يعلمون أنه يضر و ينفع «نَصِيْبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ» يتقربون بذلك إليه كما يجب أن يتقرب إلى الله تعالى و هو ما حكى الله عنهم في سورة الأنعام من الحرث و غير ذلك و قولهم هذا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَ هَذَا لِشُرَكَائِنَا عن مجاهد و قتاده و ابن زيد ثم أقسم تعالى فقال «تَاللَّهِ لَنِسِيْبُلْنَ» في الآخرة «عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ» أى تكذبون به في دار الدنيا لتلتزموا به الحجه و تعاقبوا بعد

اعترافكم على أنفسكم ثم ذكر سبحانه نوعا آخر من جهالاتهم فقال «وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ» أى و يشبتون لله البنات و يضيفون إليه البنات و هو قولهم الملائكة بنات الله كما قال سبحانه وَ جَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ

ص: ١٥٠

الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً ثُمَّ نَزَّهَ سَبْحَانَهُ نَفْسَهُ عَمَّا قَالُوا فَقَالَ «سُبْحَانَهُ» أَي تَنْزِيهَا لَهُ عَنِ اتِّخَاذِ الْبِنَاتِ «وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ» أَي وَجَعَلُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَشْتَهُونَ وَيَجْبُونَهُ مِنَ الْبِنَاتِ دُونَ الْبِنَاتِ وَعَلَى الْوَجْهِ الْآخِرِ وَلَهُمْ مَا يَجْبُونَهُ يَعْنِي الْبِنِينَ «وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى» أَي وَإِذَا بُشِّرَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِأَنَّهُ وَلَدٌ لَهُ بِنْتٌ «ظَلَّ وَجْهُهُ مُسَوِّدًا» أَي صَارَ لَوْنُ وَجْهِهِ مُتَغَيِّرًا إِلَى السَّوَادِ لَمَّا يَظْهَرُ فِيهِ مِنْ أَثَرِ الْحُزْنِ وَالْكَرَاهَةِ فَقَدْ جَعَلُوا لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَهَذَا غَايَةُ الْجَهْلِ «وَ هُوَ كَظِيمٌ» أَي مَمْتَلِئٌ غِيظًا وَحُزْنًا «يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ» يَعْنِي أَنَّ هَذَا الَّذِي بُشِّرَ بِالنِّبْتِ يَسْتَخْفِي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ يَسْتَخْبِرُونَهُ عَمَّا وَلَدَ لَهُ اسْتِنْكَافًا مِنْهُ وَحُجْلًا وَحَيَاءً مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ مِنَ الْأُنْثَى وَقَبْحِهِ عِنْدَهُ «أَيُّمَسِكُهُ عَلَى هَيْوَتِهِ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ» يَعْنِي يَمِيلُ نَفْسَهُ وَيَدْبُرُ فِي أَمْرِ الْبِنْتِ الْمَوْلُودَةِ لَهُ أَيْ مَسْكَةَ عَلَى ذَلِّ وَهَوَانِ أُمِّ يَخْفِيهِ فِي التُّرَابِ وَيُدْفِنُهُ حَيًّا وَهُوَ الْوَادُ الَّذِي كَانَ مِنْ عَادَةِ الْعَرَبِ وَهُوَ أَنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ يَحْفَرُ حَفِيرَهُ صَغِيرَهُ وَإِذَا وَلَدَ لَهُ أَنْثَى جَعَلَهَا فِيهَا وَحُثَا عَلَيْهَا التُّرَابَ حَتَّى تَمُوتَ تَحْتَهُ وَكَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ مَخَافَةَ الْفَقْرِ عَلَيْهِنَ فَيَطْمَعُ غَيْرَ الْأَكْفَاءِ فِيهِنَّ «أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ» أَي بَسَّ الْحُكْمَ مَا يَحْكُمُونَهُ وَهُوَ أَنَّ يَجْعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَشْتَهُونَ وَاللَّهُ مَا يَكْرَهُونَ وَقِيلَ مَعْنَاهُ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَهُ فِي قَتْلِ الْبِنَاتِ مَعَ مَسَاوَاتِهِنَّ لِلْبِنِينَ فِي حَرَمِ الْوِلَادَةِ وَلَعَلَّ الْجَارِيَةَ خَيْرَ مِنَ الْغَلَامِ وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ لَوْ أَطَاعَ اللَّهُ النَّاسَ فِي النَّاسِ لَمَا كَانَ النَّاسُ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَيَحِبُّ أَنْ يُولَدَ ذَكَرٌ وَلَوْ كَانَ الْجَمِيعُ ذَكَورًا لَمَا كَانَ لَهُمْ أَوْلَادٌ فَيَفْنِي النَّاسَ ثُمَّ قَالَ سَبْحَانَهُ «لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» أَي لِهَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ الَّذِينَ وَصَفَ اللَّهُ بِالْوَلَدِ صِفَةَ السَّوْءِ أَي الصِّفَةَ الْقَبِيحَةَ الَّتِي هِيَ سَوَادُ الْوَجْهِ وَالْحُزْنُ وَاللَّهُ الصِّفَةَ الْعَلِيَا مِنَ السُّلْطَانِ وَالْقَدْرَةَ وَقِيلَ لَهُ صِفَاتُ النِّقْصِ مِنَ الْجَهْلِ وَالْكَفْرِ وَالضَّلَالِ وَالْعَمَى وَصِفَةُ الْحُدُوثِ وَالضَّعْفِ وَالْعُجْزِ وَالْحَاجَةِ إِلَى الْأَبْنَاءِ وَقَتْلِ الْبِنَاتِ خَوْفِ الْفَقْرِ وَاللَّهُ صِفَاتُ الْإِلَهِيَّةِ وَالِاسْتِغْنَاءِ عَنِ الصَّاحِبِ وَالْوَلَدِ وَالرَّبُوبِيَّةِ وَإِخْلَاصِ التَّوْحِيدِ وَيَسْأَلُ فَيَقَالُ كَيْفَ يُمْكِنُ الْجَمْعُ بَيْنَ قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى «وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى» وَقَوْلِهِ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ وَالْجَوَابُ أَنَّ الْمَرَادَ بِالْأَمْثَالِ هُنَاكَ الْأَشْبَاهُ أَي لَا تُشَبِّهُوا اللَّهَ بِشَيْءٍ وَالْمَرَادُ بِالْمَثَلِ الْأَعْلَى هُنَا الْوَصْفُ الْأَعْلَى الَّذِي هُوَ كَوْنُهُ قَدِيمًا قَادِرًا عَالِمًا حَيًّا لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَقِيلَ إِنَّ الْمَرَادَ بِقَوْلِهِ «الْمَثَلُ الْأَعْلَى» الْمَثَلُ الْمَضْرُوبُ بِالْحَقِّ وَقَوْلُهُ فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ الْأَمْثَالَ الْمَضْرُوبَةَ بِالْبَاطِلِ «وَ هُوَ الْعَزِيزُ» أَي الْقَادِرُ الَّذِي لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ «الْحَكِيمُ» الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا عَلَى مَا هُوَ حُكْمُهُ وَصَوَابُ وَفِي الْآيَةِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُضَافُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الْأَدْوَانُ فَإِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ قَدْ عَابَ الْمُشْرِكِينَ بِإِضَافَتِهِمْ إِلَيْهِ مَا لَا يَرْضُونَهُ لِأَنْفُسِهِمْ فَإِذَا كَرِهَ الْإِنْسَانُ إِضَافَةَ الْقَبِيحِ إِلَى نَفْسِهِ لِلنِّقْصِ الَّذِي فِيهِ فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ

[سوره النحل (١٦): الآيات ٦١ الى ٦٥]

اشاره

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَ لَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ (٦١) وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَ تَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسَيْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَ أَنََّّهُمْ مُّفْرَطُونَ (٦٢) تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهَوَوْا لِئِيْهِمُ الْيَوْمَ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٦٣) وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٦٤) وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعِيدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥)

القراءه

قرأ نافع و قتيبه عن الكسائي مفرطون ساكنه الفاء مكسوره الراء خفيفه و

قرأ أبو جعفر (عليه السلام) مفرطون

مفتوحه الفاء مكسوره الراء مشدده و الباقيون «مُفْرَطُونَ» ساكنه الفاء مفتوحه الراء خفيفه و روى عن الأعرج بفتح الراء و تشديده.

الحجه

قال الزجاج أما تفسير «مُفْرَطُونَ» فجاء عن ابن عباس متروكون و قيل معجلون و معنى الفرط فى اللغة التقدم و قد فرط منى قول أى تقدم فمعنى مفرطون مقدمون إلى النار و كذلك مفرطون بالتشديد و من فسر متروكون فهو كذلك أى قد جعلوا مقدمين فى العذاب أبدا متروكين فيه و من قرأ مفرطون فالمعنى أنه وصفهم الله بأنهم فرطوا فى الدنيا و لم يعملوا فيها للآخرة و تصديقه قوله يا حسرتى على ما فرطت فى جنب الله و من قرأ مفرطون فالمراد

أنهم أفرطوا في معصية الله كما تقول أفرط فلان في مكروهي و تأويله أنه آثر العجز و قدمه قال أبو علي و كأنه من أفرط أى صار ذا فرط مثل أقطف و أجرب فهو مقطف و مجرب فمعناه أنهم ذوو فرط إلى النار و سبق إليها.

الإعراب

الكذب مفعول تصف و «أَنَّ لَهُمُ الْحُسَيْنِيَّ» بدل من الكذب و تقديره و تصف ألسنتهم أن لهم الحسنى أى تصفون أن لهم مع هذا الفعل القبيح الجزاء الحسن و «أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» فى موضع نصب بجرم و المعنى جرم فعلهم هذا أى كسب أن لهم النار و قيل أن أن فى موضع رفع عن قطرب قال معناه أنه و جب أن لهم النار و أنهم مفرطون فيها «لِتُبَيِّنَ لَهُمْ» أى لأن تبين لهم الجار و المجرور فى محل نصب بأنه مفعول له و كذلك قوله «و هُدًى وَ رَحْمَةً» و كلاهما معطوف على ما قبله بأنه مفعول له أيضا أى أنزلنا عليك الكتاب بيانا و هدى و رحمه قال الزجاج و يجوز فى هذا الموضع و هدى و رحمه بالرفع فيكون المعنى و ما أنزلنا عليك الكتاب إلا للبيان و هو مع ذلك هدى و رحمه.

المعنى

«وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ» أخبر سبحانه أنه لو كان ممن يؤاخذ الكفار و العصاة بذنوبهم و يعاجلهم بالعقوبة لما ترك على وجه الأرض أحدا ممن يستحق ذلك من الظالمين و إنما قال عليها و لم يجر ذكر للأرض فى الظاهر لأن الكلام يدل عليه فإن العلم حاصل بأن الناس يكونون على ظهر الأرض و مثله كثير فى محاورات العرب يقولون ما بين لابتيتها مثل فلان يعنون المدينة و أصبحت بارده يريدون الغداه إذ اللابتان بالمدينة و الإصباح لا- يكون إلا غدوه و قوله «وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى» أى يمهلهم إلى وقت معلوم مسمى و هو يوم القيامة و قيل إلى وقت يعلمه الله تعالى أنه لا يكون فى بقائهم فيه مصلحه لأنهم لا يؤمنون و لا يخرج من نسلهم مؤمن و إنما يؤخرهم تفضلا منه سبحانه ليراجعوا التوبه أو لما فى ذلك من المصلحه و اختلف أهل العدل فى من المعلوم من حاله أنه لا- يؤمن فيما بعد هل يجوز احترامه فقال بعضهم يجوز لأن التكليف تفضل فلا- تجب التبقية و هو قول أبى هاشم و إليه ذهب المرتضى قدس الله روحه و قال آخرون لا يجوز احترامه و يجب تبقيته و هو قول البلخى و أبى على الجبائى و إن اختلفا فى علتة فقال الجبائى لأنه مفسده و قال البلخى لأنه الأصلح و إليه ذهب الشيخ المفيد أبو عبد الله و قيل إن معنى الآية لو يؤاخذهم بذنوبهم لحبس المطر عنهم حتى تهلك كل دابه عن السدى و عكرمه "سؤال" متى قيل إن المكلف الظالم يستحق العقوبه بظلمه فما بال الحيوانات تؤخذ بغير جرم "فجوابه" أن العذاب للظالم عقوبه و لغير الظالم عبره و محنه فيكون كالأمرض النازله بالأولياء و غير

المكلفين فيعوضون عنها و قيل معناه لو هلك الآباء بكفرهم لم يوجد الأبناء و قيل إنه إذا هلك الظلمه و لم يبق مكلف لا يبقى غيرهم من الحيوانات لأنها إنما خلقت للمكلفين فلا فائده في بقائها بعدهم «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ» قد سبق معناه فيما مضى ثم حكى سبحانه عن الكفار فقال «وَ يَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ» يعنى البنات أى يحكمون الله بما يكرهونه لأنفسهم «وَ تَصِفُ أَلْسِنَتَهُمُ الْكُذِبَ» أى و تخبر ألسنتهم بالكذب و هو ما يقولون «أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى» و هى البنون عن مجاهد و قيل معناه تصفون أن لهم مع قبيح قولهم من الله الجزاء الحسن و المثوبه الحسنى و هى الجنه عن الزجاج و غيره فإن المشركين كانوا يقولون إن كان ما يقوله محمد من أمر البعث و الآخره حقا فنحن من أهل الجنه و روى عن معاذ أنه قرأ و تصف ألسنتهم الكذب بضم الذال و الباء فعلى هذا يكون الكذب وصفا للألسنه جمع كاذب أو كذوب ثم رد سبحانه قولهم فقال «لَا جْرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ» أى ليس الأمر على ما وصفوا جرم فعلهم و قولهم أى كسب أن لهم النار و المفسرون يقولون معناه حقا أن لهم النار أو لا- بد أن لهم النار «وَ أَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ» أى مقدمون أى معجلون إلى النار ثم أقسم سبحانه فقال «تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «فَزَيْنَ لَّهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ» أى كفرهم و ضلالهم و تكذبيهم الرسل «فَهُوَ وَ لِيُّهُمْ الْيَوْمَ» معناه إن الشيطان وليهم اليوم فى الدنيا يتولونه و يتبعون إغواءه فأما يوم القيامة فيتبرأ بعضهم من بعض عن أبى مسلم و قيل معناه فهو وليهم يوم القيامة أى يكلمهم الله تعالى إلى الشيطان اياسا لهم من رحمته «وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى و للتابع و المتبوع عذاب مؤلم و جيع ثم بين سبحانه أنه قد أقام الحججه و أزاح العله و أوضح المحجه فقال «وَ مَا أُنزَلْنَا عَلَيْكَ» يا محمد «الْكِتَابَ» أى القرآن «إِلَّا لَتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ» معناه إلا و قد أردنا منك أن تكشف لهم ما اختلفوا فيه من دلاله التوحيد و العدل و تبين لهم الحلال و الحرام «وَ هُدًى» أى و أنزلناه دلالة على الحق «وَ رَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» ثم أخبر سبحانه عن نعمته على خلقه فقال «وَ اللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً» أى غيثا و مطرا «فَأَحْيَا بِهِ» أى بذلك الماء «الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا» أحيها بالنبات بعد جدوبها و قحطها «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً» أى حجه و دلالة «لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ» أى يستصغون أدله الله و يتفكرون فيها و يعتبرون بها.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

اشاره

وَ إِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَنْخَرُذُونَ مِنْهُ سِكْرًا وَ رِزْقًا حَسِينًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّخِيلِ أَنْ أَنْجِدِ مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا وَ مِنَ الشَّجَرِ وَ مِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كَلَّمَى مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَأَسْمِئِكى سُبُلَ رَبِّكَ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٦٩) وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ (٧٠)

القراءه

قرأ نافع و ابن عامر و أبو بكر عن عاصم و يعقوب و سهل نسقيكم بفتح النون هاهنا و فى المؤمنين و الباقون «نُسِّقِيكُمْ» بضمها فى الموضوعين و قرأ أبو جعفر فى المؤمنين تسقيكم بالتاء.

الحجه

قيل بين سقيت و أسقيت فرق و هو أن سقيته معناه ناولته ليشرب و أسقيته معناه جعلت له ماء يشربه و قيل سقيته ماء و أسقيته سألت الله أن يسقيه و عليه بيت ذى الرمه:

و أسقيه حتى كاد مما أبته تكلمنى أحجاره و ملاعبه

و قيل إذا سقاه مره يقول سقيته و إذا سقاه دائما يقال أسقيته عن أبى عبيده و قيل هما بمعنى واحد و استدل بيت لبيد:

سقى قومى بنى مجد و أسقى نميرا و القبائل من هلال

فإنه أتى باللغتين.

اللغه

العبره و العظه من النظائر و هو ما يعتبر به و الفرث الثفل الذى ينزل إلى الكرش

ص: ١٥٥

و ساغ الطعام فى الحلق و سوغته و أسغته. السكر فى اللغه على أربعة أوجه (الأول) ما أسكر من الشراب (و الثانى) ما طعم من الطعام قال الشاعر:

" جعلت عيب الأكرمين سكرًا "

أى أعلت ذمهم طعما لك (و الثالث) السكون و منه ليله ساكره أى ساكنه قال الشاعر:

" و ليست بطلق و لا ساكره "

و يقال سكرت الريح سكنت قال:

" و جعلت عين الحرور تسكر "

(و الرابع) المصدر من قولك سكر سكرًا و منه التسكير التحير فى قوله سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا و الذلل جمع الذلول يقال دابه ذلول بين الذل و رجل ذلول بين الذل و الذله و الرذل الدون الردى ء و كذلك الرذال يقال رذل الشىء ى يرذل رذاله و أرذلته أنا.

الإعراب

الهاء فى بطونه إلى ما ذا يعود اختلف فيه فقيل إن الأنعام جمع و الجمع يذكر و يؤنث فجاء هاهنا على لغه من يذكر و جاء فى سورة المؤمنین على لغه من يؤنث و قيل إنه رد على واحد الأنعام و أنشد للراجز:

" و طاب ألبان اللقاح فبرد "

رده إلى اللبن عن الفراء و قيل إن الأنعام و النعم سواء فحمل على المعنى كما قال الصلتان العبدى:

إن السماحه و المروءه ضمنا قبرا بمر و على الطريق الواضح

فكأنه قال شيئا ضمنا و قال الأعشى:

فإن تعهدينى و لى لى له فإن الحوادث أودى بها

حملة على الحدثان و يجوز أن يكون التقدير نسقيكم مما فى بطون المذكور و قيل إن من يدل على التبعض فكأنه قال نسقيكم مما فى بطون بعض الأنعام لأنه ليس لجمعها لبن و قوله «تَتَجِدُونَهُ» الضمير فى منه إلى ما ذا يعود فيه و جهان (أحدها) أنه يعود إلى المذكور (و الثانى) أنه يعود إلى معنى الثمرات لأن الثمرات و الثمر سواء و كذا الهاء فى قوله «فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ» قيل يعود إلى الشراب و هو العسل و قيل يعود إلى القرآن فإذا عاد الضمير إلى الشراب ارتفع شفاء بالظرف على المذهبين و تقديره شراب ثابت فيه شفاء و إذا عاد الضمير إلى القرآن ففى رفع شفاء خلاف فإن الظرف لم يجر على مذكور قبله، «لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ

عِلْمٍ

شَيْئاً» إن نصبت شيئاً بعلم و هو مذهب سيويه كنت قد أعملت الثاني و أضمرت المفعول فى يعلم على شريطه التفسير و إن أعملت يعلم و هو مذهب الفراء أضمرت لعلم مفعولاً- و فصلت بين المعمول و العامل فجمعت بين مجازين بخلاف مذهب سيويه.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم من دلائل التوحيد و عجائب الصنعه و بدائع الحكمة بقوله «وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ» يعنى الإبل و البقر و الغنم «لَعِبْرَةً» أى لعظه و اعتبارا و دلالة على قدره الله تعالى «نَسِيْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبْنَا خَالِصًا» و روى الكلبي عن ابن عباس قال إذا استقر العلف فى الكرش صار أسفله فرثا و أعلاه دما و وسطه لبنا فيجرى الدم فى العروق و اللبن فى الضرع و يبقى الفرث كما هو فذلك قوله «مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبْنَا خَالِصًا» لا يشوبه الدم و لا الفرث «سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ» أى جائزا فى حلوقهم و الكبد مسلطه على هذه الأصناف فيقسمها على الوجه الذى اقتضاه التدبير الإلهى بين سبحانه لمن ينكر البعث أن من قدر على إخراج لبن أبيض سائغ من بين الفرث و الدم من غير أن يختلط بهما قادر على إخراج الموتى من الأرض من غير أن يختلط شىء من أبدانهم بأبدان غيرهم ثم قال «وَ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَ الْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا» قيل معناه و لكم عبره فيما أخرج الله لكم من ثمرات النخيل و الأعناب عن الحسن و قيل معناه من ثمرات النخيل و الأعناب ما تتخذون منه سكرًا و العرب تضمّر ما الموصولة كثيرا قال سبحانه وَ إِذَا رَأَيْتَ نَعِيمًا أَى ما ثم و قيل إن تقديره و من ثمرات النخيل و الأعناب شىء تتخذون منه سكرًا «وَ رِزْقًا حَسِينًا» فحذف الموصوف لدلاله الصفه عليه و الأعناب عطف على الثمرات أى و من الأعناب شىء تتخذون سكرًا و هو كل ما يسكر من الشراب كالخمر. و الرزق الحسن ما أحل منهما كالخل و الزبيب و الرب و الرطب و التمر عن ابن مسعود و ابن عباس و سعيد بن جبیر و الحسن و قتاده و مجاهد و غيرهم و روى الحاكم فى صحيحه بالإسناد عن ابن عباس أنه سئل عن هذه الآيه فقال السكر ما حرم من ثمرها و الرزق الحسن ما أحل من ثمرها قال قتاده نزلت الآيه قبل تحريم الخمر و نزل تحريمها بعد ذلك فى سورة المائده قال أبو مسلم و لا حاجه إلى ذلك سواء كان الخمر حراما أم لم يكن لأنه تعالى خاطب المشركين و عدد إنعامه عليهم بهذه الثمرات و الخمر من أشربتهم فكانت نعمه عليهم و قيل إن المراد بالسكر ما يشرب من أنواع الأشربه مما يحل و الرزق الحسن ما يؤكل و الحسن اللذيذ عن الشعبى و الجبائى فالمعنى تتخذون منه أصنافا من الأشربه و الأطعمه و قد أخطأ من تعلق بهذه الآيه فى تحليل النبيذ لأنه سبحانه إنما أخبر عن فعل كانوا يتعاطونه فأى رخصه فى هذا اللفظ و الوجه فيه أنه سبحانه أخبر أنه خلق هذه الثمار ليتتفّعوا بها فاتخذوا منها ما هو محرم عليهم و لا فرق بين قوله هذا

و بين قوله تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ «إِنَّ فِي ذَلِكُمْ لَآيَةً» أى دلالة ظاهره «لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» عن الله تعالى ذلك و يتفكرون فيه بين الله سبحانه بذلك أنكم تستخرجون من الثمرات عصيرا يخرج من قشر قد اختلط به فكذلك الله يستلخص ما تبدد من الميت مما هو مختلط به من التراب «وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» أى ألهمها إلهاما عن الحسن و ابن عباس و مجاهد و قيل جعل ذلك فى غرائزها بما يخفى مثله عن غيرها عن الحسن قال أبو عبيده الوحى فى كلام العرب على وجوه منها وحى النبوه و منها الإلهام و منها الإشاره و منها الكتاب و منها الإسرار فوحى النبوه فى قوله «أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بآذنيه و الإلهام فى قوله «وَ أَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ» و «أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى» و الإشاره فى قوله فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا قَالَ مجاهد معناه أشار إليهم و قال الضحاك كتب لهم و الإسرار فى قوله يُوحى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ عُرُورًا و أصل الوحى عند العرب أن يلقى الإنسان إلى صاحبه شيئا بالاستتار و الإخفاء و أما ما روى عن ابن عباس أنه قال لا وحى إلا القرآن فإن المراد به أن القرآن هو الوحى الذى نزل به جبرائيل على محمد ص دون أن يكون أنكر ما قلناه و يقال أوحى له و أوحى إليه قال العجاج:

" أوحى لها القرار فاستقرت "

و المعنى أن الله تعالى ألهم النحل اتخاذ المنازل و المساكن و الأوكار و البيوت فى الجبال و الشجر و غير ذلك و تقديره «أَنْ اتَّخَذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا» للعسل و لا يقدر على مثلها أحد «وَ مِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ» أى و من الكرم لأنه الذى يعرش و يتخذ منه العريش و فيه لغتان يعرشون و يعرشون بضم الراء و كسرهما و قد قرئ بهما و قيل معنى يعرشون بينون و العرش سقف البيت عن الكلبى و المعنى ما يبني الناس لها من خلاياها التى تعسل فيها و لو لا إلهام الله إياها ما كانت تأوى إلى ما بنى لها من بيوتها و إنما أتى بلفظ الأمر و إن كانت النحل لا تعقل الأمر و لا تكون مأموره لأنه لما أتى بلفظ الوحى أجرى عليه لفظ الأمر اتساعا «ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» أى من أنواع الثمرات من أى ثمره شئت «فَأَسْأَلُكَ سُبُلَ رَبِّكَ» أى فادخلى سبل ربك التى جعلها الله لك «ذُلًّا» أى مذللته موطأه للسلوك و اسعه يمكن سلوكها فيكون قوله «ذُلًّا» صفة للسبل و هى منصوبه على الحال و هو قول مجاهد و قيل ذللا أى مطيعه لله منقاد مسخره و يكون من صفة النحل عن قتاده «يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ» و هو العسل فإن ألوانه مختلفه لأن منه ما هو شديد البياض و منه ما هو أصفر و منه ما يضرب إلى الحمرة و ذلك أن النحل تتناول ألوانا مختلفه من النبات و الزهر فيجعلها الله تعالى عسلا على ألوان مختلفه يخرج من بطونها إلا أنها تلقيه من أفواهها كالريق الذى يخرج من فم ابن

آدم و إنما قال سبحانه «مِنْ بُطُونِهَا» و لم يقل من فيها لثلاثا يظن أنها تلقيه من فيها و لم يخرج من بطنها «فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ» من الأدوية عن قتاده و روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال عليكم بالشفاءين القرآن و العسل و قيل معناه فيه شفاء للأوجاع التي شفاؤها فيه عن السدى و الحسن و روى عن مجاهد أن الهاء في فيه راجعه إلى القرآن أى القرآن فيه شفاء للناس يعنى ما فيه من الحلال و الحرام و الفتيا و الأحكام و الأول قول أكثر المفسرين و هو الأقوى إذ لم يسبق للقرآن ذكر و فى النحل و العسل و جوه من الاعتبار منها اختصاصه بخروج العسل من فيه و منها جعل الشفاء من موضع السم فإن النحل يلسع و منها ما ركب الله من البدائع و العجائب فيه و فى طباعه و من أعجبها أن جعل سبحانه لكل فئه يعسوباً هو أميرها يقدمها و يحامى عنها و يدبر أمرها و يسوسها و هى تتبعه و تقتفى أثره و متى فقدته انحلت نظامها و زال قوامها و تفرقت شذر مذر و إلى هذا المعنى فيما قال

أشار أمير المؤمنين (عليه السلام) فى قوله أنا يعسوب المؤمنين

«إِنَّ فِي ذِكْرِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ» معناه إن فيما ذكرناه من بدائع صنع الله تعالى دلالة بينه لمن تفكر فيه ثم بين نعمته علينا فى خلقنا و أخرجنا من العدم إلى الوجود فقال «وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ» أى أوجدكم و أنعم عليكم بضروب النعم الدينية و الدنيوية «ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ» و يقبضكم أى يميئكم «وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمْرِ» أى أدون العمر و أوضعه أى يبقيه حتى يصير إلى حال الهرم و الخرف فيظهر النقصان فى جوارحه و حواسه و عقله و

رووا عن على (عليه السلام) أن أزدل العمر خمس و سبعون سنة

و

روى فى مثل ذلك عن النبى ص و عن قتاده تسعون سنة

«لِكُنَى لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً» أى ليرجع إلى حال الطفولية بنسيان ما كان علمه لأجل الكبر فكأنه لا يعلم شيئاً مما كان علمه و قيل ليقل علمه بخلاف ما كان عليه فى حال شبابه «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ» بمصالح عباده «قَدِيرٌ» على ما يشاء من تدبيرهم و تقدير أحوالهم.

ص: ١٥٩

اشاره

وَ اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَلْيَسَ اللَّهُ يُجْحَدُونَ (٧١) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَ حَصَدَهُ وَ رَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَلَيْسَ بِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ (٧٢) وَ يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئًا وَ لَا يَسْتَطِيعُونَ (٧٣) فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَ أَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ (٧٤)

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم تجحدون بالتاء و الباكون بالياء.

الوجه

الوجه فى القراءة بالياء أنه يراد به غير المسلمين لأنه لا يخاطب المسلم بجحد نعم الله و الوجه فى القراءة بالتاء قل لهم أ فبنعمه الله التى تقدم اقتصاصها تجحدون و يقوى الياء قوله «وَ بِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ».

اللغة

الحفده جمع حافد و أصل الحفد الإسراع فى العمل و منه ما جاء فى الدعاء و إليك نسعى و نحفد و مر البعير يحفد حفدا إذا مر يسرع فى سيره قال الراعى:

كلفتم مجهولها نوقا يمانيه إذا لحداه على إكسائها حفدوا

و منه قيل للأعوان حفده لإسراعهم فى الطاعة قال جميل:

حفد الولائد حولها و استسلمت بأكفهن أزمه الأجمال

. الإعراب

فهم فيه سواء جملة اسميه وقعت موقع جملة فعليه فى موضع النصب لأنه جواب النفى بالفاء و التقدير فيستوتوا شيئا انتصب على أحد وجهين إما أن يكون بدلا من رزقا بمعنى أنه لا يملك لهم رزقا قليلا و لا كثيرا و هو قول الأخفش و إما أن يكون مفعولا لقوله «رِزْقًا» فكانه قال ما لا يملك لهم أن يرزق شيئا و هو مما أعمل من المصادر المنونه.

المعنى

ثم عدد سبحانه نعمه منه أخرى فقال «وَ اللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ» فوسع على واحد و قتر على آخر على ما توجهه

الحكمه «فَمَا الَّذِينَ فَضَّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ» اختلف في معناه على قولين (أحدهما) أنهم

ص: ١٦٠

لا- يشركون عبيدهم فى أموالهم و أزواجهم حتى يكونوا فيه سواء و يرون ذلك نقصا فلا يرضون لأنفسهم به و هم يشركون عبيدى فى ملكى و سلطانى و يوجهون العباده و القرب إليهم كما يوجهونها إلى عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قال ابن عباس يقول إذا لم ترضوا أن تجعلوا عبيدكم شركاءكم فكيف جعلتم عيسى إليها معه و هو عبده و نزلت فى نصارى نجران (و الثانى) إن معناه فهؤلاء الذين فضلهم الله فى الرزق من الأحرار لا يرزقون مماليتهم بل الله تعالى رازق الملائك و المماليك فإن الذى ينفقه المولى على مملوكه إنما ينفقه مما رزقه الله تعالى فالله تعالى رازقهم جميعا فهم سواء فى ذلك «أَفِينَعْمَهُ اللَّهُ يَجْحَدُونَ» أى أفبهذه النعمه التى عدتها و اقتصصتها يجحد هؤلاء الكفار ثم عدد سبحانه نعمه أخرى قال «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا» أى جعل لكم من جنسكم و من الذين تلدونهم نساء جعلهن أزواجا لكم لتسكنوا إليهن و تأنسوا بهن «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ» يعنى من هؤلاء الأزواج «بَيْنَ» تسرون بهم و تزينون بهم «وَحَفَدَةً» اختلف فى معناه ف قيل هم الخدم و الأعوان عن ابن عباس و الحسن و عكرمه و

فى روايه الموالى هم أختان الرجل على بناته و هو المروى عن أبى عبد الله

و عن ابن مسعود و إبراهيم و سعيد بن جبير و قيل هم البنون و بنو البنين عن ابن عباس فى روايه أخرى و نصه عنه أيضا أنهم بنو امرأه الرجل من غيره فى روايه الضحاک و قيل البنون الصغار من الأولاد و الحفده الكبار منهم يسعون معه عن مقاتل «وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» أى الأشياء التى تستطيعونها قد أباحها لكم و إنما دخلت من لأنه ليس كل ما يستطيعه الإنسان رزقا له و إنما يكون رزقه ما له التصرف فيه و ليس لأحد منعه منه «أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ» يريد بالباطل الأوثان و الأصنام و ما حرم عليهم و زينه الشيطان من البحائر و غيرها أى أفبذلك يصدقون «وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ» التى عددها «هُمْ يَكْفُرُونَ» أى يجحدون و يريد بنعمه الله التوحيد و القرآن و رسول الله ص عن ابن عباس «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ما لا يملك لهم رزقا» أى لا يملك أن يرزقهم «مِنَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ شَيْئًا وَ لا يَسْتَطِيعُونَ» شيئا مما ذكرناه و قيل إن رزق السماء الغيث الذى يأتى من جهتها و رزق الأرض النبات و الثمار و غير ذلك من أنواع النعم التى تخرج من الأرض «فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ» أى لا تجعلوا لله الأشباه و الأمثال فى العباده فإنه لا شبه له و لا مثل و لا أحد يستحق العباده سواه و إنما قال ذلك فى اتخاذهم الأصنام آلهه عن ابن عباس و قتاده «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ» إن من كان إليها فإنه منزه عن الشركاء «وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» ذلك بل تجهلونه و لو تفكرتم لعلمتم و قيل معناه و الله يعلم ما عليكم من المضره فى عباده غيره و أنتم لا تعلمون و لو علمتم لتركتم عبادتها.

إشارة

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسِينًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (٧٥) وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَ هُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَ مَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ هُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٧٦) وَ لِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٧٧)

القراءة

فى الشواذ قراءة ابن مسعود و علقمه و الحسن و مجاهد أينما يوجه و روى عن علقمه يوجه بفتح الجيم.

الحج

قال ابن جنى أما يوجه بكسر الجيم فعلى حذف المفعول أى أينما يوجه وجهه فحذف للعلم به و أقول أن نظيره ما جاء فى المثل " أينما أوجه ألقى سعدا" و معناه أينما أوجه وجهه ركابى و سعد قبيلته أى كل الناس مثل قبيلتى فى التحاسد و أما يوجه بفتح الجيم فمعناه أينما يرسل أو يبعث لا يأت بخير.

اللغة

الأبكم الذى يولد أخرس لا يفهم و لا يفهم و قيل الأبكم الذى لا يمكنه أن يتكلم و الكل الثقل يقال كل عن الأمر يكل كلا إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه و كلت السكين كلولا- إذا غلظت شفرتها و كل لسانه إذا لم ينبعث فى القول لغلظه و ذهاب حده فالأصل فيه الغلظ المانع من النفوذ و التوجيه الإرسال فى وجه من الطريق يقال وجهته إلى موضع كذا فتوجه إليه.

الإعراب

«وَ مَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسِينًا» رزقا مفعول ثان لرزقناه و فى هذا دليل على أن رزق يتعدى إلى مفعولين أ لا ترى أن قوله «رِزْقًا حَسِينًا» لو كان مصدرا لما جاز أن يقول

فهو ينفق منه لأن الإنفاق إنما يكون من المال لا من الحدث الذي هو المصدر.

المعنى

ثم بين سبحانه للمشركين أمر ضلالتهم فقال «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ» أى بين الله مثلا فيه بيان المقصود تقريبا للخطاب إلى أفهامهم ثم ذكر ذلك المثل فقال «عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ» من أمره على شىء «وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسِينًا» يريد و حرا رزقناه و ملكناه مالا و نعمه «فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَ جَهْرًا» لا يخاف من أحد «هَلْ يَسْتَوُونَ» و لم يقل يستويان لأنه أراد بقوله «وَمَنْ رَزَقْنَاهُ» و قوله «عَبْدًا مَمْلُوكًا» الشيوع فى الجنس لا التخصيص يريد أن الاثنين المتساويين فى الخلق إذا كان أحدهما مالكا قادرا على الإنفاق و الآخر عاجزا عن الإنفاق لا يستويان فكيف يستوى بين الحجاره التى لا تعقل و لا تتحرك و بين الله عز اسمه القادر على كل شىء الخالق الرازق لجميع خلقه و هذا معنى قول المجاهد و الحسن و قيل إن هذا المثل للكافر و المؤمن فإن الكافر لا خير عنده و المؤمن يكسب الخير عن ابن عباس و قتاده نبه الله سبحانه بذلك على اختلاف حالهما و دعا إلى حال المؤمن و صرف عن حال الكافر «الْحَمْدُ لِلَّهِ» أى الشكر لله على نعمه و فيه إشارة إلى أن النعم كلها منه و قيل معناه قولوا الحمد لله الذى دلنا على توحيده و معرفته و هداانا إلى شكر نعمته و أوضح لنا السبيل إلى جنته «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» يعنى أن أكثر الناس و هم المشركون لا يعلمون أن الحمد لى و أن جميع النعمة منى ثم ضرب سبحانه مثلا آخر فقال «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ» من الكلام لأنه لا يفهم و لا يفهم عنه و قيل معناه لا يقدر أن يدبر أمر نفسه «وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ» أى ثقل و وبال على وليه الذى يتولى أمره «أَيُّنَمَا يُوجَّهُهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ» معناه أنه لا منفعة لمولاه فيه أينما يرسله فى حاجه لا يرجع بخير و لا- يهتدى إلى منفعه «هَلْ يَسْتَوُونَ هُوَ» أى هذا الأبكم الموصوف بهذه الصفة «وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» أى و من هو فصيح يأمر بالعدل و الحق و يدعو إلى الثواب و البر «وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى على دين قويم و طريق واضح فيما يأتى به و يذر و المراد أنهما لا- يستويان قط لأنه لا- جواب لهذا الكلام إلا النفى و هذا كما قال أ فَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ و قيل فى معنى هذا المثل أيضا قولان (أحدهما) أنه مثل ضربه الله تعالى فيمن يؤمل الخير من جهته و من لا يؤمل منه و أصل الخير كله من الله تعالى فكيف يستوى بينه و بين شىء سواه فى العباده (و الآخر) أنه مثل للكافر و المؤمن فالأبكم الكافر و الذى يأمر بالعدل المؤمن عن ابن عباس و قيل إن الأبكم أبى بن خلف و من يأمر بالعدل حمزه و عثمان بن مظعون عن عطاء و قيل إن الأبكم هاشم بن عمر بن الحارث القرشى و كان قليل الخير يعادى رسول الله ص عن مقاتل ثم وصف

سبحانه نفسه مؤكدا لما قدم ذكره من أوصاف الكمال فقال «وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» و معناه أنه المختص بعلم الغيب و هو ما غاب عن جميع الخلائق مما يصح أن يكون معلوما قال الجبائي و يمكن أن يكون المعنى و لله ما غاب عنكم مما فى السماوات و الأرض ثم قال «وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ» فى قدرته «إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ» أى كطرف العين و قيل كرد البصر قال الزجاج و ما أمر إقامه الساعه فى قدرته إلا- كلمح البصر أى لا يتعذر عليه شىء «أَوْ هُوَ أَقْرَبُ» من ذلك و هو مبالغه فى ضرب المثل به فى السرعه و دخول أو هنا لأحد أمرين إما للإيانه على أنه على إحدى هاتين المنزلتين و إما لشك المخاطب و قيل معناه بل هو أقرب «إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فهو قادر على إقامه الساعه و على كل شىء ء يريد به لأن التقدير مبالغه فى صفه القادر.

النظم

وجه اتصاله بما قبله أن أمر القيامة من الأمور الغائبه و من أعظمها و أهمها لما فيه من الثواب و العقاب و الإنصاف و الانتصاف و الساعه اسم لإماته الخلق و إحيائهم.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٧٨ الى ٨٠]

إشاره

وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَ جَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٧٨) أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَيِّجَاتٍ فِى جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِى ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ (٧٩) وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَ يَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَ مِنْ أَصْوَافِهَا وَ أَوْبَارِهَا وَ أَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَ مَتَاعًا إِلَى حِينٍ (٨٠)

القراءه

قد ذكرنا القراءه فى «أُمَّهَاتِكُمْ» فى سوره النساء و قرأ ابن عامر و حمزه و يعقوب و سهل و خلف أ لم تروا بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أهل الكوفه و ابن عامر «ظَعْنِكُمْ» ساكنه العين و الباقون بفتح العين.

ص: ١٦٤

من قرأ أ لم تروا بالتاء فإنه يدل عليه ما قبله من قوله «وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» و من قرأ بالياء فإنه على وجه التنبيه لمن تقدم ذكرهم من الكفار و الظعن و الظعن بفتح العين و سكونها لغتان و مثله النهر و النهر و الشمع قال الأعشى:

فقد أشرب الراح قد تعلمين يوم المقام و يوم الظعن

قال أبو على و لا يجوز أن يكون الظعن مخففا عن الظعن كما أن عضدا مخفف عن عضد و كتفا مخففا عن كتف أ لا ترى أن من قال ذلك لم يخفف نحو جمل و رسن كما أن الذى يقول وَ اللَّيْلُ إِذَا يَسِيرٌ و ذلك ما كنا نبغ لا يقول و الليل إذا يغش و حرف الحلق و غيره فى ذلك سواء.

الأمهات أصله الأمامات و لكن الهاء زيدت مؤكده كما زادوها فى أهرقت الماء و الأصل أرقى و الأفندة جمع فؤاد كما يقال غراب و أغربه و لم يجمع الفؤاد على أكثر العدد لم يقل فيه فئدان كما قالوا غريبان. الجو الهواء البعيد من الأرض و أبعد منه السكاك و اللوح و واحد السكاك سكاكه عن الزجاج قال الشاعر:

و يلماها فى هواء الجو طالبه و لا كهذا الذى فى الأرض مطلوب

و السكن كل ما يسكن إليه و السكن أيضا المسكن قال الفراء السكن بفتح الكاف الدار و بسكونها أهل الدار و منه

الحديث أن الرمانه لتشيع السكن

و أصله من السكون الذى هو ضد الحركة و هما من جنس الأكوان التى يكون الجسم بها كائنا فى الجهات و منه السكين لأنه يسكن حركه المذبوح و الأثاث متاع البيت الكثير من قولهم شعر أثيث أى كثير و أث النبات يَأثُ إذا كثر و التف و كذلك الشعر و لا واحد للأثاث كما أنه لا واحد للمتاع قال الشاعر:

أ هاجتكَ الطعائن يوم بانوا بذى الرئى الجميل من الأثاث

. الإعراب

قوله «لا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» فى موضع نصب على الحال من الكاف و الميم و قوله «شَيْئاً» يجوز أن يكون منتصبا على المصدر أى لا تعلمون علما و يجوز أن يكون مفعولا و يكون تعلمون بمعنى تعرفون لاقتصاره على مفعول واحد و أثاثا و متاعا نصب بجعل

المعنى

ثم عدد سبحانه نعماء له أخر فقال «وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ» منما عليكم بذلك و أنتم «لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» من منافعكم و مضاركم فى تلك الحال «وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَ الْأَبْصَارَ وَ الْأَفْئِدَةَ» أى تفضل عليكم بالحواس الصحيحه التى هى طرق إلى العلم بالمدرجات و تفضل عليكم بالقلوب التى تفقهون بها الأشياء إذ هى محل المعارف «لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» أى لكى تشكروه على ذلك و تحمدوه ثم عطف سبحانه على ما تقدم من الدلائل بدلاله أخرى فقال ألم تروا أى ألم تفكروا و تنظروا «إِلَى الطَّيْرِ مُسَيَّخَرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ» أى كيف خلقها الله خلقه يمكنها معها التصرف فى جو السماء صاعده و منحدره و ذاهبه و جائيه مذلات للطيران فى الهواء بأجنحتها تطير من غير أن تعتمد على شىء «مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ» أى ما يمسكهن من السقوط على الأرض من الهواء إلا- الله فيمسك الهواء تحت الطير حتى لا- ينزل فيه كما مساك الماء تحت السائح فى الماء حتى لا ينزل فيه فجعل إمساك الهواء تحتها إمساكا لها على التوسع فإن سكنوها فى الجو إنما هو فعلها فالمعنى ألم تنظروا فى ذلك فتعلموا أن لها مسخرا و مدبرا لا يعجزه شىء و لا يتعذر عليه شىء و إنه إنما خلق ذلك ليعتبروا به فيصلوا إلى الثواب الذى عرضهم له و لو كان فعل ذلك لمجرد الأنعام على العبيد لكان حسنا لكنه سبحانه و تعالى ضم إلى ذلك التعريض للثواب «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» أى دلالات على وحدانيه الله تعالى و قدرته «لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ» لأنهم الذين انتفعوا به ثم عدد سبحانه نعماء أخر فى الآيه الأخرى فقال «وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا» أى موضعا تسكنون فيه مما يتخذ من الحجر و المدر و ذلك أنه سبحانه خلق الخشب و المدر و الآله التى يمكن بها تسقيف البيوت و بناؤها «وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ» يعنى الأنطاع و الأدم «بُيُوتًا تَسْتَبْخِفُونَهَا» أى قبابا و خياما يخف عليكم حملها فى أسفاركم «يَوْمَ ظَعْنِكُمْ» أى ارتحالكم من مكان إلى مكان و قيل معنى الظعن سير أهل البوادي لنجعه أو حضور ماء أو طلب مرتع «وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ» أى اليوم الذى تنزلون موضعا تقيمون فيه أى لا يثقل عليكم فى الحاليتين «وَمِنْ أَصْوَافِهَا» و هى للضأن «وَأَوْبَارِهَا» و هى للإبل «وَأَشْعَارِهَا» و هى للمعز «أَثَاثًا» أى مالا عن ابن عباس و قيل نوعا من متاع البيت من الفراش و الأكسيه و قيل طنافس و بسطا و ثيابا و كسوه و الكل متقارب «وَمَتَاعًا» تتمتعون به و معاشا تتجرون فيه «إِلَى حِينٍ» أى إلى يوم القيامة عن الحسن و قيل إلى وقت الموت عن الكلبي و يحتمل أن يكون أراد به موت المالك أو موت الأنعام و قيل إلى وقت البلوى و الفناء و فيه إشارة إلى أنها فانيه فلا ينبغى للعاقل أن يختارها على نعيم الآخرة.

إشاره

وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (٨١) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (٨٢) يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَ أَكْثَرَهُمْ الْكَافِرُونَ (٨٣) وَ يَوْمَ نَبَعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَ لَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ (٨٤) وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَ لَا هُمْ يُنظَرُونَ (٨٥)

اللغة

الأكنان جمع كن و هو الموضع الذى يستتر صاحبه فيه و يقال كنتت الشىء فى كنه أى صنته و أكننته أى أخفيتيه و كل ما لبسته من قميص أو درع أو جوشن أو غيره فهو كن قال الزجاج و العتب الموجداه يقال عتب عليه يعتب إذا وجد عليه فإذا فاوضه ما عتب عليه قالوا عاتبه و إذا رجع إلى مسرته قيل أعتب و الاسم العتبي و هو رجوع المعتوب عليه إلى ما يرضى العاتب و استعتبه طلب منه أن يعتب قال أبو مسلم الاستعتاب مأخوذ من العتاب و العتب و أصله دبع الأديم و هو عتابه و فى المثل إنما يعاتب الأديم ذو البشره يقال عتبت على فلان و استعتبته إذا أنكرت منه فعلا و استنزلته عنه و أردت إصلاحه و أعتبك فلان إذا صار لك إلى ما تحب و زال عما تكره.

الإعراب

«فَإِنْ تَوَلَّوْا» شرط و تقديره فإن تولوا لم يلزمك تقصير من أجل توليهم فإن الذى عليك هو البلاغ إلا أنه حذف الجزاء لدلاله الكلام عليه. «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» فى محل الرفع لوقوع الإذن عليه.

المعنى

ثم عدد سبحانه نعماء أخر أضافها إلى ما عدده قبل من نعمه فقال «وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ» من الأشجار و الأبنية «ظِلَالًا» أى أشياء تستظلون بها فى الحر و البرد «وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا» أى مواضع تسكنون بها من كهوف و ثقوب و تأوون إليها «وَ جَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ» أى قميصا من القطن و الكتان و الصوف عن ابن عباس و قتاده

«تَقِيكُمْ الْحَرَّ» و لم يقل و تقيكم البرد لأن ما وقى الحر وقى البرد و إنما خص الحر بذلك مع أن وقايتها للبرد أكثر لأن الذين خوطبوا بذلك أهل حر في بلادهم فحاجتهم إلى ما يقى الحر أكثر عن عطا على أن العرب تكتفى بذكر أحد الشيتين عن الآخر للعلم به كما قال الشاعر:

و ما أدري إذا يمت أرضا أريد الخير أيهما يليني

فكنى عن الشر و لم يذكره لأنه مدلول عليه ذكره الفراء «و سِرَابِيلٌ تَقِيكُمْ بِأَسْيَكُمْ» يعنى دروع الحديد تقيكم شدة الطعن و الضرب و تدفع عنكم سلاح أعدائكم «كَذَلِكَ» أى مثل ما جعل لكم هذه الأشياء و أنعم بها عليكم «يُنْتَمُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ» يريد نعمه الدنيا و يدل عليه قوله «لَعَلَّكُمْ تُسَلِّمُونَ» قال ابن عباس معناه لعلكم يا أهل مكة تعلمون أنه لا يقدر على هذا غيره فتوحده و تصدقوا رسوله «فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ» هذا تسليه للنبي ص و معناه فإن أعرضوا عن الإيمان بك يا محمد و القبول عنك و عن التدبر لما عدده في هذه السورة من النعم و بينت فيها من الدلالات فلا عتب عليك و لا لوم فإنما عليك البلاغ الظاهر و قد بلغت كما أمرت و البلاغ الاسم و التبليغ المصدر مثل الكلام و التكليم ثم أخبر سبحانه عن الكفار فقال «يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا» أى يعرفون نعم الله تعالى عليهم بما يجدونه من خلق نفوسهم و إكمال عقولهم و خلق أنواع المنافع التى ينتفعون بها لهم ثم أنهم مع ذلك ينكرون تلك النعم أن تكون من جهة الله تعالى خاصة بل يضيفونها إلى الأوثان و يشكرون الأوثان عليها يقولون رزقنا ذلك بشفاعه آلهتنا فيشركونهم معه فيها و قيل أن معناه يعرفون محمدا ص و هو من نعم الله سبحانه ثم يكذبونه و يجحدونه عن السدى «وَ أَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ» إنما قال أكثرهم لأن منهم من لم تقم الحجة عليه إذ لم يبلغ حد التكليف لصغره أو كان ناقص العقل مأوفا أو لم تبلغه الدعوة فلا يقع عليه اسم الكفر و قيل إنما ذكر الأكثر لأنه علم سبحانه أن فيهم من يؤمن و قيل أنه من الخاص فى الصيغة العام فى المعنى عن الجبائى و قريب منه قول الحسن أراد جميعهم الكافرون و إنما عدل عن البعض احتقارا له أن يذكره و فى هذه الآية دلالة على فساد قول المجبره أنه ليس لله تعالى على الكافر نعمه و إن جميع ما فعله بهم إنما هو خذلان و نعمة لأنه سبحانه نص فى هذه الآية على خلاف قولهم «وَ يَوْمَ نَبَعْتُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» يعنى يوم القيامة بين سبحانه أنه

يبعث فيه من كل أمه شهيدا و هم الأنبياء و العدول من كل عصر يشهدون على الناس بأعمالهم و

قال الصادق (عليه السلام) لكل زمان و أمه إمام تبعث كل أمه مع إمامها

و فائده بعث الشهداء مع علم الله سبحانه بذلك أن ذلك أهول في النفس و أعظم في تصور الحال و أشد في الفضيحة إذا قامت الشهادة بحضوره الملائم مع جلاله الشهود و عدالتهم عند الله تعالى و لأنهم إذا علموا أن العدول عند الله يشهدون عليهم بين يدي الخلائق فإن ذلك يكون زجرا لهم عن المعاصي و تقديره و اذكر يوم نبعث «ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا» أى لا يؤذن لهم في الكلام و الاعتذار عن ابن عباس كما قال وَ لَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ و قيل معناه لا يؤذن لهم في الرجوع إلى الدنيا و قيل معناه لا يسمع منهم العذر يقال أذنت له أى استمعت كما قال عدى بن زيد:

فى سماع يأذن الشيخ له و حديث مثل ما ذى مشار

عن أبى مسلم «وَلَا هُمْ يُشْتَبَعُونَ» أى لا يسترضون و لا يستصلحون كما كان يفعل بهم فى دار الدنيا لأن الآخرة ليست بدار تكليف و معناه لا يسألون أن يرضوا الله بالكف عن معصيه يرتكبونها «وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ» معناه إذا رأى الذين أشركوا بالله تعالى النار «فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ» العذاب «وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ» أى لا يمهلون و لا يؤخرون بل عذابهم دائم فى جميع الأوقات فإن وقت التوبة و الندم قد فات.

النظم

وجه اتصال قوله «فَإِنْ تَوَلَّوْا» بما قبله أنه سبحانه أمر نبيه ص أن يذكرهم بهذه النعم و يحتج عليهم بهذه الحجج فإن أسلموا فذاك و إن أعرضوا فلا شىء على الرسول فإنما عليه البلاغ المبين فقط و وجه اتصال الآية الأخيره بما قبلها و هى قوله «وَ يَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا» أنها تتصل بقوله «فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ» لأن المعنى أن نجازيهم على أعمالهم يوم نبعث من كل أمه شهيدا و قال أبو مسلم أنه عطف على قوله «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ» يريد ثم يبعثكم يوم يبعث من كل أمه شهيدا.

ص: ١٦٩

إشارة

وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ (٨٦) وَ أَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٨٧) الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ (٨٨) وَ يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَ جِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (٨٩) إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (٩٠)

اللغة

تقول ألقىت الشيء إذا طرحته و اللقى الشيء الملقى و ألقىت إليه مقالة أى قلتها له و تلقاها إذا قبلها و السلم الاستسلام و الانقياد و التبيان و البيان واحد. الأزهرى قال:

العرب تقول بينت الشيء تبيينا و تبيانا.

المعنى

ثم أبان سبحانه عن حال المشركين يوم القيامة فقال «وَ إِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شَرَكَاءَهُمْ» يعنى الأصنام و الشياطين الذين أشركوهم مع الله فى العبادة و قيل سماهم شركاءهم لأنهم جعلوا لهم نصيبا من الزرع و الأنعام فهم إذا شركاؤهم على زعمهم «قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ» أى يقولون هؤلاء شركاؤنا التى أشركناها معك فى الإلهية و العبادة و أضلونا عن دينك فحملهم بعض عذابنا «فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ» معناه فقالت الأصنام و سائر ما كانوا يعبدونه من دون الله يانطاق الله تعالى إياهم لهؤلاء إنكم لكاذبون فى أنا أمرناكم بعبادتنا و لكنكم اخترتم الضلال بسوء اختياركم لأنفسكم و قيل إنكم لكاذبون فى قولكم إنا آلهة و إلقاء المعنى إلى النفس إظهاره لها حتى تدركه متميزا عن غيره «وَ أَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ» معناه و استسلم المشركون و ما عبدوهم من دون الله لأمر الله و انقادوا لحكمه يومئذ عن قتاده و قيل معناه أن المشركين زال عنهم نخوة الجاهلية و انقادوا قسرا لا اختيارا و اعترفوا بما كانوا ينكرونه من توحيد الله تعالى «وَ ضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» أى بطل ما كانوا يأملونه و يتمنونه من الأمانى الكاذبه من أن

آلهمهم تشفع لهم و تنفع «الَّذِينَ كَفَرُوا وَ صَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى أعرضوا عن دين الله و قيل صدوا غيرهم عن اتباع الحق الذى هو سبيل الله و قيل صد المسلمین عن البيت الحرام عن أبى مسلم «زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ» أى عذبناهم على صدهم عن دين الله زياده على عذاب الكفر و قيل زدناهم الأفاعى و العقارب فى النار لها أنياب كالنخل الطوال عن ابن مسعود و قيل هى أنهار من صفر مذاب كالنار يعذبون بها عن ابن عباس و مقاتل و قيل زيدوا حيات كأمثال الفيله و البخت و عقارب كالبالغال اللدم عن سعيد بن جبیر «و يَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ» أى من أمثالهم من البشر و يجوز أن يكون ذلك الشهيد نبیهم الذى أرسل إليهم و يجوز أن يكون المؤمنون العارفون يشهدون عليهم بما فعلوه من المعاصى و فى هذا دلالة على أن كل عصر لا يجوز أن يخلو ممن يكون قوله حجه على أهل عصره و هو عدل عند الله تعالى و هو قول الجبائى و أكثر أهل العدل و هذا يوافق ما ذهب إليه أصحابنا و إن خالفوهم فى أن ذلك العدل و الحجه منه هو «و جِئْنَا بِكَ» يا محمد «شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ» يريد على قومك و أمتك و إنما أفردته بالذكر تشريفا له و تم الكلام هاهنا ثم قال سبحانه «و نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ» يعنى القرآن «تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ» أى بيانا لكل أمر مشكل و معناه لبيّن كل شىء يحتاج إليه من أمور الشرع فإنه ما من شىء يحتاج الخلق إليه فى أمر من أمور دينهم إلا و هو مبين فى الكتاب إما بالتنصيص عليه أو بالإحالة على ما يوجب العلم من بيان النبى ص و الحجج القائمين مقامه أو إجماع الأمة فيكون حكم الجميع فى الحاصل مستفادا من القرآن «و هُدِيَ وَ رَحِمَهُ» أى و نزلنا عليك القرآن دلالة إلى الرشد و نعمه على الخلق لما فيه من الشرائع و الأحكام و لأنه يؤدى إلى نعم الآخرة «و بُشِّرَى لِلْمُسْلِمِينَ» أى بشاره لهم بالثواب الدائم و النعيم المقيم «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» و هو الإنصاف بين الخلق و التعامل بالاعتدال الذى ليس فيه ميل و لا عوج «وَ الْإِحْسَانِ» إلى الناس و هو التفضل و لفظ الإحسان جامع لكل خير و الأغلب عليه استعماله فى التبرع بإيتاء المال و بذل السعى الجميل و قيل العدل التوحيد و الإحسان أداء الفرائض عن ابن عباس و عطاء و قيل العدل فى الأفعال و الإحسان فى الأقوال فلا يفعل إلا ما هو عدل و لا يقول إلا ما هو حسن و قيل العدل أن ينصف و ينتصف و الإحسان أن ينصف و لا ينتصف «وَ إِيْتَاءِ ذِي الْقُرْبَى» أى و يأمركم بإعطاء الأقارب حقهم بصلتهم و هذا عام و

قيل المراد بذى القربى قرابه النبى ص الذين أرادهم الله بقوله فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى عَلَى مَا مَر تفسيره و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) قال نحن هم

«وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ» إنما جمع بين الأوصاف الثلاثة فى النهى مع أن الكل منكر فاحش لبيّن بذلك

تفصيل ما نهى عنه لأن الفحشاء قد يكون ما يفعله الإنسان في نفسه من القبيح مما لا يظهره و المنكر ما يظهره للناس مما يجب عليهم إنكاره و البغى ما يتناول به من الظلم لغيره و قيل إن الفحشاء الزنا و المنكر ما ينكره الشرع و البغى الظلم و الكبر عن ابن عباس و قيل إن العدل استواء السريره و العلانيه و الإحسان أن تكون السريره أحسن من العلانيه و الفحشاء و المنكر أن تكون العلانيه أحسن من السريره عن سفيان بن عيينه «يَعْظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» معناه يعظكم بما تضمنت هذه الآيه من مكارم الأخلاق لكي تتذكروا و تتفكروا و ترجعوا إلى الحق قال عبد الله بن مسعود هذه الآيه أجمع آيه في كتاب الله للخير و الشر قال قتاده أمر الله سبحانه بمكارم الأخلاق و نهاهم عن سفاسف الأخلاق و

جاءت الروايه أن عثمان بن مظعون قال كنت أسلمت استحياء من رسول الله ص لكثرة ما كان يعرض على الإسلام و لما يقر الإسلام في قلبي فكنت ذات يوم عنده حال تأمله فشخص بصره نحو السماء كأنه يستفهم شيئاً فلما سرى عنه سأته عن حاله فقال نعم بينا أنا أحدثك إذ رأيت جبرائيل في الهواء فأتاني بهذه الآيه «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ» و قرأها على إلى آخرها فقر الإسلام في قلبي و أتيت عمه أبا طالب فأخبرته فقال يا آل قريش اتبعوا محمدا ص ترشدوا فإنه لا يأمركم إلا بمكارم الأخلاق و أتيت الوليد بن المغيرة و قرأت عليه هذه الآيه فقال إن كان محمد قاله فنعم ما قال و إن قاله ربه فنعم ما قال فأنزل الله «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى وَ أَعْطَى قَلِيلًا وَ أَكْذَى»

يعنى قوله فنعم ما قال و معنى قوله وَ أَكْذَى أنه لم يقم على ما قاله و قطعه و

عن عكرمه قال أن النبي ص قرأ هذه الآيه على الوليد بن المغيرة فقال يا ابن أخي أعد فأعاد فقال إن له لحلاوه و إن عليه لطلاوه و إن أعلاه لمثمر و إن أسفله لمغدق و ما هو قول البشر.

النظم

وجه اتصال قوله «وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبَيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ» بما قبله أنه سبحانه لما بين أن الأنبياء تشهد على أممهم يوم القيامة بين عقبيه أنه سبحانه قد كلف الجميع و أزاح عنهم في التكليف بأن أنزل القرآن بما فيه من البيان و الهدايه و الرحمه و البشاره لأهل الإيمان و أنهم إذا عوقبوا فإنما أتوا في ذلك من قبل نفوسهم و هذا كله مما يدخل في الشهاده و وجه اتصال قوله «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ» الآيه بما قبله أنه سبحانه لما ذكر القرآن بين عقبيه ما يأمر به و ينهى عنه فيه و قيل إنه يتصل بقوله «وَ يَوْمَ نَبَعَثُ» كأنه قال بعد ذكر القيامة و الشهود أنه يأمر بالعدل و ينهى عن الظلم فاعلموا أنه سبحانه لا يظلم أحدا بل يعدل و يتفضل و لذلك جاء بالشهود ليشهدوا على أممهم أنهم أتوا فيما لاقوه من العذاب من

[سورة النحل (١٦): الآيات ٩١ الى ٩٤]

إشاره

وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعِيدَ تَوَكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ (٩١) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ (٩٢) وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَرِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ بُيُوتِهَا وَ تَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (٩٤)

اللغة

التوكيد التشديد و أوكد عقدك أى شده و هى لغه أهل الحجاز و أهل نجد يقولون أكدت تأكيداً و الأنكاث الأنقاض واحداها نكث و النكث المصدر و هذا قول لا نكثه فيه أى لا خلف و كل شىء نقض بعد الفتل فهو أنكاث جبلا كان أو غزلا و الحبل منتكث أى منتقض و منه سموا من تابع الإمام طائعا ثم خرج عليه ناكثا لأنه نقض ما وكد على نفسه بالإيمان و العهود كفعل الناكثه غزلها و الدخل ما أدخل فى الشىء على فساد و قيل الدخل الدغل و الخديعه و إنما قيل الدخل لأن داخل القلب على ترك الوفاء و الظاهر على الوفاء قال أبو عبيده: كل أمر لم يكن صحيحا فهو دخل و كل ما دخله عيب فهو مدخول و أربى أفعل من الربا و هو الزيادة و منه الربوه و الربا فى المال و أربى فلان للزيادة التى تريدها على عزمه فى رأس ماله قال الشاعر:

أنكاثا منصوب لأنه فى معنى المصدر دخلا بينكم منصوب لأنه مفعول له و المعنى تتخذون أيمانكم للدخل و الغش و قوله «أَنْ تُكُونَ أُمَّةً» على تقدير بأن تكون أمه و هى أربى موضع أربى رفع مبتدأ و خبر و كلاهما فى محل النصب بأنه خبر كان و قال الفراء: إن موضع أربى نصب و هى عماد و هذا لا يجوز لأن الفصل الذى يسميه الكوفيون عمادا لا يدخل بين النكره و خبره و قد أخطأ أيضا بأن شبه ذلك بقوله «تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا» فإن الهاء فى تجدوه معرفه و هاهنا أمه نكره فلا يشبه ذلك و يجوز أن تكون الجملة صفه لأمه و لا يحتاج تكون إلى خبر لأنه بمعنى يحدث و يقع و أمه فاعله و تقديره كراهه أن تكون فهو مفعول له و لثلا يكون عند الكوفيين.

المعنى

لما تقدم ذكر الأمر بالعدل و الإحسان و النهى عن المنكر و العدوان عقبه سبحانه بالأمر بالوفاء بالعهد و النهى عن نقض الأيمان فقال «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ» قال ابن عباس الوعد من العهد و قال المفسرون العهد الذى يجب الوفاء به و الوعد هو الذى يحسن فعله و عاهد الله ليفعله فإنه يصير واجبا عليه «وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا» هذا نهى منه سبحانه عن نكث الأيمان و هو أن ينقضها بمخالفه موجبها و ارتكاب ما يخالف عقدها و قوله «بَعِيدَ تَوْكِيدِهَا» أى بعد عقدها و إبرامها و توثيقها باسم الله تعالى و قيل بعد تشديدها و تغليظها بالعزم و العقد على اليمين بخلاف لغو اليمين عن أبى مسلم «وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا» أى حسيبا فيما عاهدتموه عليه و قيل كفيلا بالوفاء و ذلك أن من حلف بالله فكأنه أكفل الله بالوفاء بما حلف و قيل أنه قولهم الله على كفيلا أو وكيل و قيل أراد به أن الكفيل بالشىء يكون حفيظا له و الإنسان إنما يؤكد الأمر على نفسه بذكر اسم الله تعالى على وجه اليمين ليحفظ سبحانه ذلك الأمر «إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» من نقض العهد و الوفاء به فإياكم أن تلقوه و قد نقضتم و هذه الآية نزلت فى الذين بايعوا النبى ص على الإسلام فقال سبحانه للمسلمين الذين بايعوه لا يحملنكم قله المسلمين و كثره المشركين على نقض البيعه فإن الله حافظكم أى أثبتوا على ما عاهدتم عليه الرسول و أكدتموه بالأيمان و قيل نزلت فى قوم خالفوا قوما فجاءهم قوم و قالوا نحن أكثر منهم و أعز و أقوى فانقضوا ذلك العهد و خالفونا

«وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَصَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ» أى لا تكونوا كالامراه التى غزلت ثم نقضت غزلها من بعد إمرار و قتل للغزل و هى امرأه حمقاء من قريش كانت تغزل مع جواريتها إلى انتصاف النهار ثم تأمرهن أن ينقضن ما غزلن و لا يزال ذلك دأبها و اسمها ريطه بنت عمرو بن كعب بن سعد بن تميم بن مره و كانت تسمى خرقاء مكه عن الكلبي و قيل أنه مثل ضربه الله تعالى شبه فيه حال ناقض العهد بمن كان كذلك «أُنْكَاثًا» جمع نكث و هو الغزل من الصوف و الشعر بيرم ثم ينكث و ينقض ليغزل ثانيه «تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ» أى دخلا و خيانه و مكرا و ذلك أنهم كانوا يخلفون فى عهودهم و يضمرون الخيانه و كان الناس يسكنون إلى عهدهم ثم ينقضون العهد فقد اتخذوا أيمانهم مكرا و خيانه «أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ» أى لا تنقضوا العهد بسبب أن يكون قوم أكثر من قوم و أمه أعلى من أمه و لأجل ذلك و تقديره و لا تنكثوا أيمانكم متخذيها دغلا و غدرا و خديعه لمداراتكم قوما هم أكثر عددا ممن حلفتهم له و لقلتكم و كثرتهم بل عليكم الوفاء بما حلفتهم و الحفظ لما عاهدتم عليه «إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ» أى إنما يختبركم الله بالأمر بالوفاء و الهاء فى به عائده على الأمر و تحقيقه أنه يعاملكم معاملة المختبر ليقع الجزاء بحسب العمل «وَلَيُبَيِّنَنَّ» أى و ليفصلن «لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ» أى فى صحته «تَخْتَلِفُونَ» و ليظهرن لكم حكمه حتى يعرف الحق من الباطل «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» أى لجعلكم مهتدين يعنى به مشيئه القدره كما قال «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَى» «وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ» بالخذلان أو بالحكم عليه بالضلال «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ» بالتوفيق و بالحكم عليه بالهدايه و قد ذكرنا معانى الضلال و الهدى فى سوره البقره «وَلَتَشِئَنَّ لَنَا عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» من الطاعات و المعاصى فستجازون على كل منهما بقدره «وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ» نهى سبحانه عن الحلف على أمر يكون باطنه بخلاف ظاهره فيضمم خلاف ما يظهر أى يضمم الخلف و الحنث فيه «فَتَزَلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا» هذا مثل ضربه الله تعالى و معناه فتضلوا عن الرشد بعد أن تكونوا على هدى يقال زل قدم فلان فى أمر كذا إذا عدل عن الصواب و قيل أنها نزلت فى الذين بايعوا رسول الله ص على نصره الإسلام و أمله فنهوا عن نقض ذلك «وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» أى تذوقوا العذاب بما منعتهم الناس عن اتباع دين الله «وَلَكُمْ» مع ذلك «عَذَابٌ عَظِيمٌ» يريد عذاب الآخرة و روى عن سلمان الفارسي "ره" أنه قال تهلك هذه الأمة بنقض موثيقها و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنه قال نزلت هذه الآيات فى ولايه على (عليه السلام) و ما كان من قول رسول الله ص سلموا على

على يامره المؤمنين.

النظم

وجه اتصال قوله «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» الآيه بما قبله أنه أخبر في الآيه المتقدمه أنه يبين لهم في الآخره الحق من الباطل و المحق من المبطل بيان ضروره فأخبر عقيب ذلك أنه يقدر على ذلك أيضا في الدنيا و لكنه لم يفعل ذلك ليستحق الناس الثواب بأعمالهم.

[سوره النحل (١٦): الآيات ٩٥ الى ١٠٠]

اشاره

وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٩٥) مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٦) مَنْ عَمَلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧) فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (٩٨) إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٩٩)

إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ (١٠٠)

القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن كثير و عاصم «وَلَنَجْزِيَنَّ» بالنون و الباقون بالياء و روى عياش عن أبي عمرو بالنون أيضا.

الحجه

حجه الياء «وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» و النون فى المعنى مثل الياء.

اللغه

النفاد الفناء و نفذ الشىء ى نفذ نفادا إذا فنى و أنفذ القوم إذا فنى زادهم و نافدت الرجل مثل حاكمته و معناه يرجع إلى أن كل واحد من الخصمين يريد نفاد حجه الآخر و منه

الحديث إن نافدتهم نافدوك

و من الناس من يرويه بالقاف و المعنى إن قلت قالوا لك و الباقي هو الموجود المستمر وجوده و قيل الموجود عن وجود من غير فصل و ضده الفانى و هو المعدوم

بعد الوجود و اختلف المتكلمون فى الباقي فقال البلخى إنه يبقى بمعنى هو بقاء و قال الأكثرون لا يحتاج إلى معنى به يبقى و البقاء هو استمرار الوجود و الاستعاذه طلب المعاذ استفعال من العوذ و العياذ و الله سبحانه معاذ من عاذ به و

قال النبى ص للمرأة التى قالت له أعوذ بالله منك لقد عدت بمعاذ فألحقى بأهلك

و أصل السلطان من التسلط و هو القهر و إنما سميت الحجة سلطانا لأن الخصم به يقهر و قيل اشتق من السليط و هو دهن الزيت و سميت الحجة سلطانا لإضاءتها و فى الحديث عن ابن عباس أ رأيت عليا و كأن عينيه سراجا سليط.

الإعراب

ما عند الله اسم أن و هو فصل و خير و خبره و ما عندكم مبتدأ و ينفذ خبره و كذلك ما عند الله باق و إنما قال «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ» بلفظ الجمع لأن لفظ من يقع على الواحد و الجمع فرد الضمير على المعنى.

النزول

قال ابن عباس إن رجلا من حضرموت يقال له عبدان الأشرع قال يا رسول الله إن امرء القيس الكندى جاورنى فى أرضى فاقطع من أرضى فذهب بها منى و القوم يعلمون إنى لصادق و لكنه أكرم عليهم منى فسأل رسول الله ص امرء القيس عنه فقال لا أدرى ما يقول فأمره أن يحلف فقال عبدان إنه فاجر لا يبالي أن يحلف فقال إن لم يكن لك شهود فخذ يمينه فلما قام ليحلف أنظره فانصرفا فنزل قوله «وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ» الآيتان فلما قرأهما رسول الله ص قال امرؤ القيس أما ما عندى فينفذ و هو صادق فيما يقول لقد اقتطعت أرضه و لم أدر كم هى فليأخذ من أرضى ما شاء و مثلها معها بما أكلت من ثمرها فنزل فيه «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا» الآية.

المعنى

لما تقدم النهى عن نقض العهد أكد سبحانه فقال «وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا» أى لا تخالفوا عهد الله بسبب شىء يسير تنالونه من حطام الدنيا فتكونوا قد بعتم عظيم ما عند الله بالشىء الحقيق «إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ» معناه إن الذى عند الله من الثواب على الوفاء بالعهد خير لكم و أشرف مما تأخذونه من عرض الدنيا على نقضها فإن القليل الذى يبقى خير من الكثير الذى يفنى فكيف بالكثير الذى يبقى فى مقابله القليل الذى يفنى «إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ» الفرق بين الخير و الشر و التفاوت الذى بين القليل الفانى و الكثير الباقي «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَ مَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ» بين سبحانه بهذا أن العله التى لأجلها كان الثواب خيرا من متاع الدنيا هو أن الثواب الذى عند الله يبقى و الذى عندكم من نعيم الدنيا يفنى ثم أخبر سبحانه أنه يجزى الصابرين فقال «وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا» أى لنكافئن الذين ثبتوا على الطاعات و على الوفاء بالعهد «أَجْرَهُمْ» و ثوابهم «بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أى

بالطاعات من الواجبات و المندوبات فإن أفعال المكلف قد تكون طاعة و قد تكون مباحا لا يقع الجزاء عليه و لا يستحق عليه أجر و لا حمد فلذلك قال سبحانه «بِأَحْسَنِ» فإن الطاعة أحسن من المباح و هذا يدل على فساد قول من يقول إنه لا يكون حسن أحسن من حسن «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَ هُوَ مُؤْمِنٌ» هذا وعد من الله سبحانه أى من عمل عملا صالحا سواء كان ذكرا أو أنثى و هو مع ذلك مؤمن مصدق بتوحيد الله مقرر بصديق أنبيائه «فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً» قيل فيه أقوال (أحدها) أن الحياه الطيبه الرزق الحلال عن ابن عباس و سعيد بن جبير و عطاء (و ثانيها)

أنها القناعه و الرضا بما قسم الله عن الحسن و وهب و روى ذلك عن النبي ص

(و ثالثها) أنها الجنه عن قتاده و مجاهد و ابن زيد قال الحسن لا يطيب لأحد حياه إلا فى الجنه و قال ابن زيد ألا ترى إلى قوله يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (و رابعها) أنها رزق يوم بيوم (و خامسها) أنها حياه طيبه فى القبر «وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» مر تفسيره و إنما كرره تأكيدا «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» معناه إذا أردت يا محمد قراءة القرآن فاستعد بالله من شر الشيطان المرجوم المطرود الملعون و هذا كما يقال إذا أكلت فاغسل يديك و إذا صليت فكبر و منه إذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ و الاستعاذه استدفاع الأدنى بالأعلى على وجه الخضوع و التذلل و تأويله استعد بالله من وسوسه الشيطان عند قراءة تك لتسلم فى التلاوه من الزلل و فى التأويل من الخطل و الاستعاذه عند التلاوه مستحبه غير واجبه بلا خلاف فى الصلاه و خارج الصلاه و قد تقدم ذكر اختلاف القراءة فى لفظ الاستعاذه فى أول الفاتحه «إِنَّهُ» يعنى الشيطان «لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ» أى تسلط و قدره «عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا» بالله «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» و المعنى أنه لا يقدر على أن يكرههم على الكفر و المعاصى و قيل معناه ليس له حجه على ما يدعوهم إليه من المعاصى عن قتاده «إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ» معناه إنما تسلطه على الذين يطيعونه فيقبلون دعاءه و يتبعون إغواءه «وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ» أى بسبب طاعته «مُشْرِكُونَ» بالله و قيل معناه و الذين هم بالله مشركون أى يشركون مع الله سبحانه غيره فى العباده عن مجاهد.

النظم

اتصل قوله «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» الآيات بما قدمه سبحانه من الأمر بالطاعات فعقب ذلك بالاستعاذه من الشيطان الأمر بالمعاصى تحذيرا منه و إنما خص بالقرآن لأن القرآن هو العمده فى جميع أمور الدين و قيل اتصل بقوله «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ» ثم اعترض ذكر الأوامر و النواهي ثم عاد الكلام إلى ذكر القرآن و الأمر بالاستعاذه عند قراءة ته.

ص: ١٧٨

إشاره

وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَ هُدًى وَ بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (١٠٢) وَ لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجِبِي وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (١٠٣) إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٠٤) إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ (١٠٥)

القراءه

قرأ يلحدون بفتح الياء و الحاء أهل الكوفه غير عاصم و الباقون «يُلْحِدُونَ» بضم الياء و كسر الحاء و روى فى الشواذ عن الحسن اللسان الذى يلحدون إليه بالألف و اللام.

الحجه

حجه من قرأ يلحدون قوله «وَ مَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ» و من قرأ يلحدون فلأن لحد لغه فى أَلْحَد و ذلك إذا مال و منه أخذ اللحد لأنه فى جانب القبر و يكون الضم أرجح من حيث لغه التنزيل.

اللغه

التبديل فى اللغه رفع الشىء مع وضع غيره مكانه يقال بدله و أبدله و استبدل به بمعنى و اللسان العضو المعروف و يقال للغه اللسان و تقول العرب للقصيد هذه لسان فلان قال الشاعر:

لسان السوء تهديها إلينا و حنت و ما حسبتك أن تجينا

. المعنى

ثم قال سبحانه مخبراً عن أحوال الكفار «وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ» معناه.

و إذا نسخنا آيه و آتيتنا مكانها آيه أخرى إما نسخ الحكم و التلاوه و إما نسخ الحكم مع بقاء التلاوه «و الله أعلم بما ينزل» معناه و الله أعلم بمصالح ما ينزل فينزل كل وقت ما توجه المصلحه و قد تختلف المصالح باختلاف الأوقات كما تختلف باختلاف الأجناس و الصفات «قالوا إنما أنت مُفترٍ» أى قال المشركون إنما أنت كاذب على الله قال ابن عباس كانوا يقولون يسخر محمد بأصحابه يأمرهم اليوم بأمر و غدا يأمرهم بأمر و إنه لكاذب يأتيهم بما يقول من عند نفسه «بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» أى لا يعلمون أنه من عند الله أو لا يعلمون جواز النسخ و لأى سبب ورد النسخ «قُلْ» يا محمد «نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ» أى أنزل الناسخ جبرائيل (عليه السلام) «مَنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ» أى بالأمر الحق الصحيح الثابت «لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا» بما فيه من الحجج و الآيات فيزدادوا تصديقا و يقينا و معنى تثبيتته استدعاؤه لهم بالطافه و معونته إلى الثبات على الإيمان و الطاعه «و هُدًى» أى و هو هدى فيكون هدى خبر مبتدأ محذوف «و بُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ» أى بشاره لهم بالجنه و الثواب «و لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ» يقول سبحانه أنا نعلم أن الكفار يقولون إن القرآن ليس من عند الله و إنما يعلم النبي ص بشر قال ابن عباس قالت قريش إنما يعلمه بلعام و كان قينا بمكه روميا نصرانيا و قال الضحاك أراد به سلمان الفارسي (ره) قالوا إنه يتعلم القصص منه و قال مجاهد و قتاده أرادوا به عبدا لبنى الحضرمي روميا يقال له يعيش أو عائش صاحب كتاب أسلم و حسن إسلامه و قال عبد الله بن مسلم كان غلامان فى الجاهليه نصرانيان من أهل عين التمر اسم أحدهما يسار و اسم الآخر خير كانا صيقلين يقرآن كتابا لهما بلسانهم و كان رسول الله ص ربما مر بهما و استمع لقراءتهما فقالوا إنما يتعلم منهما ثم ألزمهم الله تعالى الحجه و أكذبهم بأن قال «لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ» أى لغه الذى يضيفون إليه التعليم و يميلون إليه القول أعجميه و لم يقل عجمي لأن العجمي هو المنسوب إلى العجم و إن كان فصيحاً و الأعجمي هو الذى لا يفصح و إن كان عربيا ألا ترى أن سيويه كان عجميا و إن كان لسانه لسان اللغه العربيه و قيل يلحدون إليه يرمون إليه و يزعمون أنه يعلمك أى لسان هذا البشر الذى يزعمون أنه يعلمك أعجمي لا يفصح و لا يتكلم بالعربيه فكيف يتعلم منه ما هو فى أعلى طبقات البيان «و هذا» القرآن «لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ» أى ظاهر بين لا يشكك يعنى إذا كانت العرب تعجز عن الإتيان بمثله و هو بلغتهم فكيف يأتي الأعجمي بمثله قال الزجاج و صفه بأنه عربى أى صاحبه يتكلم بالعربيه ثم أتبع سبحانه هذه الآيه بذكر الوعيد للكفار على ما قالوه فقال «إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى بحجج الله التى أظهرها و المعجزات التى صدق بها قومك يا محمد «لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» أى لا يشبههم الله على الإيمان أو لا

يهديهم إلى طريق الجنة بدلاله أنه إنما نفى هدايه من لا يؤمن فالظاهر أنه أراد بذلك الهدى الذى يكون ثوابا على الإيمان لا الهدايه التى فى قوله «أَمَّا تَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ» ثم بين سبحانه أن هؤلاء هم المفترون فقال «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ» أى إنما يخترع الكذب الذين لا يصدقون بدلائل الله تعالى دون من آمن بها لأن الإيمان يحجز عن الكذب «وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» لا أنت يا محمد فحصر فيهم الكذب بمعنى أن الكذب لازم لهم وعاده من عاداتهم وهذا كما تقول كذبت و أنت كاذب فيكون قولك أنت كاذب زياده فى الوصف بالكذب وفى الآيه زجر عن الكذب حيث أخبر سبحانه أنه إنما يفترى الكذب من لا يؤمن وقد

روى مرفوعا أنه قيل يا رسول الله مؤمن يزنى قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قيل يا رسول الله المؤمن يكذب قال لا ثم قرأ هذه الآيه.

النظم

قيل فى اتصال قوله «وَ إِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ» بما تقدم وجهان (أحدهما) أنه من تمام صفه أولياء الشيطان المذكورين فى قوله «عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ» و تقديره يتولون الشيطان و يشركون بالآيه المنزله و يقولون عند تبديل الآيه مكان الآيه الأخرى «إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ» (و الآخر) أن الآيه منقطعه عما قبلها و هى معطوفه على الآى المتقدمه التى فيها وصف أفعال الكافرين و الأول أوجه.

إشارة

مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَ لَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (١٠٧) أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعِهِمْ وَ أَبْصَارِهِمْ وَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (١٠٨) لَا- جَزَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ (١٠٩) ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَ صَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٠)

القراءة

قرأ ابن عامر فتنوا بفتح الفاء و التاء و الباقون «فُتِنُوا» بضم الفاء و كسر التاء.

الحجة

قال أبو علي حجه من قرأ «فُتِنُوا» أن الآية في المستضعفين المقيمين الذين كانوا بمكة و هم صهيب و عمار و بلال فتنوا و حملوا على الارتداد عن دينهم فمنهم من أعطى التقيه و عمار منهم فإنه ممن أظهر ذلك تقيه ثم هاجر و من قرأ فتنوا فيكون على معنى فتن نفسه بإظهار ما أظهر من التقيه فكأنه يحكى الحال التى كانوا عليها من إظهار ما أخذوا به من التقيه لأن الرخصه فيه لم تكن نزلت بعد و هى قوله «إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ» إلى قوله «إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ» و قوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ».

الإعراب

قال الزجاج قوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ» فى موضع رفع على البدل من الكاذبين و هو تفسير للكاذبين و لا يجوز أن يكون رفعا بالابتداء لأنه لا- خبر هاهنا للابتداء فإن قوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» ليس بكلام تام و قوله «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ» خبر قوله «مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدْرًا» و قال الكوفيون من كفر شرط و جوابه يدل عليه جواب من شرح فكأنه قيل من كفر فعليه غضب من الله و هذا كقوله من يأتنا فمن يحسن نكرمه فجواب الأول محذوف و قوله «أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» يجوز أن يكون فى موضع رفع على أن يكون قوله «لَا-» من «لَا جَزَمَ» ردا للكلام و المعنى و جب أنهم و يجوز أن يكون فى موضع نصب على أن يكون المعنى جرم فعلهم هذا أنهم الخاسرون و تكون لا- مزيده و يجوز أن يكون معناه لا- بد أنهم فيكون على حذف الجار أى لا بد من ذلك «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ» خبر إن قوله «لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» و هذا من باب ما جاء فى التنزيل إن فيه مكررا و كذلك الآيه التى تاتى بعد «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوَاءَ» الآيه.

النزول

قيل نزل قوله «إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» فى جماعه أكرهوا و هم عمار و ياسر أبوه و أمه سميه و صهيب و بلال و خباب عذبوا و قتل أبو عمار و أمه و أعطاهم عمار بلسانه ما أرادوا منه ثم أخبر سبحانه بذلك رسول الله ص فقال قوم كفر عمار

فقال ص كلاً أن عماراً ملئاً إيماناً من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه وجاء عمار إلى رسول الله ص وهو يبكي فقال ص ما وراءك فقال شراً رسول الله ما تركت حتى نلت منك و ذكرت آلهتهم بخير فجعل رسول الله ص يمسح عينيه و يقول إن عادوا لك فعد لهم بما قلت

ص: ١٨٢

عن ابن عباس و قتاده و قيل نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا و خرجوا يريدون المدينة فأدركهم قريش و فتنوهم فتكلموا بكلمه الكفر كارهين عن مجاهد و قيل أن ياسرا و سميّه أبوى عمار أول شهيدين في الإسلام و قوله «مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ» و «مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَيْدْرًا» و هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح من بنى عامر بن لؤى و أما قوله «تُمْ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا» الآيه فقيل إنها نزلت في عياش بن أبي ربيعه أخى أبى جهل من الرضاعة و أبى جندل بن سهيل بن عمرو و الوليد بن المغيرة و غيرهم من أهل مكة ففتنهم المشركون فأعطوهم بعض ما أرادوا ثم أنهم هاجروا بعد ذلك و جاهدوا فنزلت الآيه فيهم.

المعنى

«مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ» اختلف في تقديره فقيل إن تقديره و تلخيص معناه من كفر بالله بأن يرتد عن الإسلام و شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله و لهم عذاب عظيم «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ» فتكلم بكلمه الكفر على وجه التقيه مكرها «وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ» أى ساكن «بِالْإِيمَانِ» ثابت عليه فلا حرج عليه في ذلك و قيل إنه يتصل بما تقدم فمعناه إنما يفترى الكذب من كفر بالله من بعد إيمانه ثم استثنى من ذلك من أكره على ذلك و كان مطمئن القلب إلى الإيمان في باطنه فإنه بخلافه «وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَيْدْرًا» أى من اتسع قلبه للكفر و طابت نفسه به «فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» و له العذاب في الآخرة ثم أشار سبحانه إلى العذاب العظيم فقال «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اشْتَبَحُوا» أى آثروا «الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» و التلذذ فيها و الركون إليها «عَلَى الْآخِرَةِ» عنى بذلك أنهم فعلوا ما فعلوه للدنيا طلبا لها دون طلب الآخرة «وَ أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ» قد سبق معناه «أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ سَمِعَهُمْ وَ أَبْصَارِهِمْ» قد سبق معنى الطبع على القلوب و السمع و الأبصار في سورة البقره «وَ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ» وصفهم بعموم الغفله مع أن الخواطر تزعجهم لجهلهم عما يؤدي إليه حالهم في الآخرة و قيل أراد أنهم بمنزله الغافلين فيكون تهجيناً لهم و ذمنا لهم و ذمنا لهم «لَا جَزْمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ» هذا تأكيد لحكم الخسار عليهم يعنى أنهم هم المغبونون إذ حرموا الجنة و نعيمها و عذبوا في النار «تُمْ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا» أى عذبوا في الله و ارتدوا على الكفر فأعطوهم بعد ما أرادوا ليسلموا من شرهم «تُمْ جَاهِدُوا» مع النبى ص «وَ صَبَرُوا» على الدين و الجهاد «إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا» أى من بعد تلك الفتنة أو تلك الفعله التى فعلوها من التفوه بكلمه الكفر «لَعَفُورٌ رَحِيمٌ».

النظم

و اتصلت هذه الآيه الأخيره بقوله «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ»

فبين سبحانه حالهم بعد ما تخلصوا من المشركين و هاجروا و جاهدوا عن أبي مسلم و قيل إنه لما تقدم ذكر الخاسرين أتبعه سبحانه بذكر من ربحت صفقته و هو من هاجر و جاهد.

[سوره النحل (١٦): الآيات ١١١ الى ١١٥]

إشارة

يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَ تُؤْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَ هُمْ لَا يُظَلِّمُونَ (١١١) وَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ (١١٢) وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ (١١٣) فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١١٤) إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَ الدَّمَ وَ لَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَ مَا أَهَلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَ لَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١١٥)

القرءاء

قرأ عباس بن الفضل عن أبي عمرو و الخوف بالنصب و الباقون بالجر و فى الشواذ قرءاء الأ-عرج و ابن يعمر و ابن إسحاق و عمرو بن نعيم بن ميسره لما تصف ألسنتكم الكذب بالجر و قرءاه مسلم بن محارب الكذب.

الحججه

من قرأ و الخوف بالنصب فإنه حملة على الإذاقه و الخوف لا يذاق على الحقيقه فحملة على اللباس أولى و قوله الكذب بالجر يكون على البدل من ما تصف و أما الكذب فهو وصف الألسنه و هو جمع كاذب أو كذوب.

اللغه

الأنعم جمع نعمه فهو مثل شده و أشد و قيل أن واحدها نعم فهو كغصن

و أغصن و قيل واحدها نعاء فيكون كبأساء و أبؤس و قوله «فَأَذَاقَهَا اللَّهُ» استعاره تقول العرب اركب هذا الفرس و ذقه أى اختبره قال الشماخ:

فذاق فأعطته من اللين جانبا كفى و لها أن يغرق السهم حاجز

يصف قوسا و قال الآخر:

و إن الله ذاق حلوم قيس فلما رأى خفتها قلاها

. الإعراب

«يَوْمَ تَأْتِي» منصوب على أحد شيئين إما على معنى أن ربك لغفور رحيم يوم تأتى و إما أن يكون على معنى العظة و التذكير أى اذكر يوم تأتى عن الزجاج.

المعنى

«يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ» أراد به يوم القيامة «تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا» أى تخاصم الملائكة عن نفسها و تحتج بما ليس فيه حجه و تقول و الله ربنا ما كنا مشركين و يقول أتباعهم ربنا هؤلاء أضلونا فأتهم عذابا ضعفا من النار و يحتمل أن يكون المراد أنها تحتج عن نفسها بما تقدر به إزاله العقاب عنها «و تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ» أى جزاء ما عملت من خير و شر «وَهُمْ لَا يُظَلِّمُونَ» فى ذلك «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَوِيَّةً» أى مثل قريه «كَانَتْ آمِنَةً» أى ذات أمن يأمن فيها أهلها لا يغار عليهم «مُطْمَئِنَّةً» قاره ساكنه بأهلها لا يحتاجون إلى الانتقال عنها بخوف أو ضيق «يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ» أى يحمل إليها الرزق الواسع من كل موضع و من كل بلد كما قال سبحانه يُجِيبِي إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ «فَكَفَّرَتْ بِأَنْعَمِ اللَّهِ» أى فكفر أهل تلك القريه بأنعم الله و لم يؤدوا شكرها «فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَ الْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» أى فأخذهم الله بالجوع و الخوف بصنيعهم و سوء فعالهم و سمي أثر الجوع و الخوف لباسا لأن أثر الجوع و الهزال يظهر على الإنسان كما يظهر اللباس و قيل لأنهم شملهم الجوع و الخوف كما يشمل اللباس و البدن و قيل إن هذه القريه هى مكه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده عذبهم الله بالجوع سبع سنين حتى أكلوا القدر و العلهز و هو الوبر يخلط بالدم و القراد ثم يؤكل و هم مع ذلك خائفون و جلون من النبى ص و أصحابه يغيرون عليهم قوافلهم و ذلك حين

دعا النبى ص عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر و اجعل عليهم سنين كسنى يوسف

و قيل إنها قريه كانت قبل نبينا ص بعث الله إليهم نبيا

فكفروا بذلك النبي و قتلوه فعذبهم الله بعذاب الاستئصال «وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ» يعنى أهل مكة بعث الله عليهم رسولا من صميمهم ليتبعوه لا من غيرهم «فَكَذَّبُوهُ» و جحدوا نبوته «فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَ هُمْ ظَالِمُونَ» أى فى حال كونهم ظالمين و عذابهم ما حل بهم من الجوع و الخوف المذكورين فى الآيه المتقدمه و ما نالهم يوم بدر و غيره من القتل و من قال إن المراد بالقريه غير مكة قال هذه صوره القريه المذكوره ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال «فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا» صيغته صيغه الأمر و المراد به الإباحه أى كلوا مما أعطاكم الله من الغنائم و أحلها لكم «وَ اشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ» فيما خلقه لكم و أحله لكم «إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ» و هذه الآيه مع التى بعدها مفسره فى سوره البقره.

[سوره النحل (١٦): الآيات ١١٦ الى ١١٩]

إشاره

و لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال و هذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون (١١٦) متاع قليل و لهم عذاب أليم (١١٧) و على الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل و ما ظلمناهم و لكن كانوا أنفسهم يظلمون (١١٨) ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك و أصلحوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم (١١٩)

الإعراب

«متاع قليل» خبر مبتدأ محذوف و تقديره متاعهم بهذا الذى فعلوه متاع قليل و تم الكلام عند قوله «لا يفلحون».

المعنى

لما تقدم ذكر ما أحله الله سبحانه لهم و حرمه عليهم عقبه سبحانه بالنهى عن مخالفه أوامره و نواهيه فى التحليل و التحريم فقال «و لا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب» و تقديره لوصف ألسنتكم الكذب «هذا حلال و هذا حرام» أى لا تقولوا لما

حللتموه بأنفسكم مثل الميتة هذا حلال و لما حرمتموه مثل السائبه هذا حرام «لَتَفْتُرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» أى لتكذبوا فى إضافه التحريم إليه «إِنَّ الَّذِينَ يَفْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ» أى لا ينجون من عذاب الله و لا ينالون خيرا «مَتَاعٌ قَلِيلٌ» معناه الذين هم فيه من الدنيا بشىء قليل ينتفعون به أياما قلائل «وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» فى الآخره «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا» يعنى اليهود «حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ» يعنى بذلك ما ذكره فى سورة الأنعام من قوله «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا كُلَّ ذِي ظُفْرٍ» الآيه عن الحسن و قتاده و عكرمه و عنى بقوله «مِنْ قَبْلُ» نزول هذه الآيه لأن ما فى سورة الأنعام نزل قبل هذه الآيه «وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ» بتحريم ذلك عليهم «وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» بالعصيان و الكفر بنعم الله تعالى و الجحود بأنبيائه و استحقوا بذلك تحريم هذه الأشياء عليهم لتغيير المصلحه عند كفرهم و عصيانهم ثم ذكر سبحانه التائبين بعد تقدم الوعد و الوعيد فقال «ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ» الذى خلقك يا محمد «لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّوْءَ» أى المعصيه «بِجَهَالِهِ» أى بداعى الجهل فإنه يدعو إلى القبيح كما أن داعى العلم يدعو إلى الحسن و قيل بجهاله السيئات أو بجهالتهم للعاقبه و قيل بجهاله أنها سوء و قيل بجهاله هو أن يعجل بالإقدام عليها و يعد نفسه التوبه عنها «ثُمَّ تَابُوا» عن تلك المعصيه «مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَ أَصْلَحُوا» نياتهم و أفعالهم «إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا» أى من بعد التوبه أو الجهاله أو المعصيه «لَغَفُورٌ رَحِيمٌ» و أعاد قوله «إِنَّ رَبَّكَ» للتأكيد و ليعود الضمير فى قوله «مِنْ بَعْدِهَا» إلى الفعله.

النظم

إنما اتصل قوله «وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ» بما تقدم ذكره من التحريم و التحليل ليبين أن ما كانوا يحرمونه و يحللونه بزعمهم ليس فى التوراه كما أنه ليس ذلك فى القرآن و قيل ليبين أنه إذا لم يحرم على اليهود جميع الطيبات بعصيانهم فكيف يحرم على المسلمين ذلك.

ص: ١٨٧

إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٠) شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ اجْتَبَاهُ وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (١٢١) وَ آتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ إِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٢٢) ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَ مَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (١٢٣) إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (١٢٤)

المعنى

«إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً» اختلف في معناه فقيل قدوه و معلما للخير قال ابن الأعرابي يقال للرجل العالم أمة و هو قول أكثر المفسرين و قيل أراد إمام هدى عن قتاده و قيل سماه أمة لأن قوام الأمة كان به و قيل لأنه قام بعمل أمة و قيل لأنه انفرد في دهره بالتوحيد فكان مؤمنا وحده و الناس كفارا عن مجاهد «قَانِتًا لِلَّهِ» أى مطيعا له دائما على عبادته عن ابن مسعود و قيل مصليا عن الحسن «حَنِيفًا» أى مستقيما على الطاعة و طريق الحق و هو الإسلام «وَ لَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» بل كان موحدا «شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ» أى لأنعم الله معترفا بها «اجْتَبَاهُ» الله أى اختاره الله و اصطفاه «وَ هَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» أى دله إلى الدين المستقيم و هو الإسلام و التوحيد «وَ آتَيْنَاهُ» أى أعطيناه «فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً» أى نعمه سابغه في نفسه و فى أولاده و هو قول هذه الأمة كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم و قيل هى النبوه و الرساله عن الحسن و قيل هى أنه ليس من أهل دين إلا- و هو يرضاه و يتولاه عن قتاده و قيل هى تنويه الله بذكره بطاعته لربه و مسارعتة إلى مرضاته حتى صار إماما يقتدى به و يهتدى بهداه و قيل هى إجابة الله دعوته حتى أكرم بالنبوه ذريته «وَ إِنَّا فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ» و لم يقل لفى أعلى منازل الصالحين مع اقتضاء حاله ذلك ترغيبا فى الصلاح فإنه عز اسمه بين أنه (عليه السلام) من جملة الصالحين مع علو رتبته و شرف منزلته تشريفا لهم و تنويها بذكر من هو منهم و ناهيك بهذا الترغيب فى الصلاح و بهذا المدح لإبراهيم (عليه السلام) أن يشرف جملة هو منها حتى يصير الاستدعاء إليها بأنه فيها «ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» يا محمد «أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ» أى أمرناك باتباع مله إبراهيم «حَنِيفًا» أى مستقيما الطريقه فى الدعاء إلى توحيد الله و خلع الأنداد له و فى العمل بسنته «وَ مَا كَانَ» إبراهيم «مِنَ الْمُشْرِكِينَ» و متى قيل أن نبينا كان أفضل منه فكيف أمر الفاضل باتباع المفضول فجوابه أن إبراهيم (عليه السلام) سبق إلى اتباع الحق و لا يكون فى سبق المفضول إلى متابعه الحق زرايه على الفاضل فى اتباعه «إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ» معناه إنما جعل السبت لعنه و مسخا على الذين اختلفوا فيه و حرموه ثم استحلوه فلعنهم الله و مسخهم عن الحسن و يجوز أن يكون اختلافهم فيه أنهم نهوا عن الصيد فيه فنصبوا الشباك يوم الجمعة و دخل فيه السمك يوم السبت و أخذوه يوم الأحد

وقيل معناه إنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا في أمر الجمعة و هم اليهود و كانوا قد أمروا بتعظيم الجمعة فعدلوا عما أمروا به عن مجاهد و ابن زيد و قيل إن الذين اختلفوا فيه هم اليهود و النصارى قال بعضهم السبت أعظم الأيام لأن الله سبحانه فرغ فيه من خلق الأشياء و قال الآخرون بل الأحد أعظم لأنه ابتداء بخلق الأشياء فيه فهذا اختلافهم «وَ إِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ» من أمور دينهم و يفصل بين المحق و المبطل منهم.

النظم

وجه اتصال الآيه الأخيره بما قبلها أنه لما أمر سبحانه باتباع الحق حذر من الاختلاف فيه بما ذكر من أحوال المختلفين فى السبت كيف شدد عليهم فرضه و ضيق عليهم أمره و قيل إنه سبحانه رد على اليهود و النصارى دعوتهم أن إبراهيم كان منهم ثم رد عليهم فى هذه الآيه ما أوجبوه من تعظيم أمر السبت و أنه لا يجوز نسخه كما رد عليهم ذلك عن أبى مسلم.

[سوره النحل (١٦): الآيات ١٢٥ الى ١٢٨]

اشاره

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (١٢٥) وَ إِنَّ عَاقِبَتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَ لَئِنَّ صَبْرَتُمْ لَهِيَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (١٢٦) وَ اصْبِرْ وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَ لَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ (١٢٧) إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ (١٢٨)

القراءه

قرأ ابن كثير وحده فى ضيق بكسر الضاد و كذلك فى النمل و الباقون بفتح الضاد.

الحجه

قال الزجاج من فتح أراد ضيق فحفف مثل سيد و هين و لين و يجوز أن يكون

بمعنى الضيق فيكون مصدرا قال أبو الحسن الضيق و الضيق لغتان في المصدر قال أبو علي ينبغي أن يحمل على أنه مصدر لأنك إذا حملته على أنه مخفف من ضيق فقد أقمت الصفه مقام الموصوف من غير ضروره و المعنى لا تكن فى ضيق أى لا يضيق صدرك من مكرهم كما قال وَ ضَائِقٌ بِهِ صِدْرُكَ و ليس المراد لا تكن فى أمر ضيق قال أبو عبيده: الضيق بالكسر فى المعاش و المسكن و الضيق بالفتح فى القلب و قال على بن عيسى يقال فى صدرى ضيق من هذا الأمر بالفتح و هو أكثر من الكسر.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه بالدعاء إلى الحق فقال «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ» أى ادع إلى دينه لأنه الطريق إلى مرضاته «بِالْحِكْمَةِ» أى بالقرآن وسمى القرآن حكمه لأنه يتضمن الأمر بالحسن و النهى عن القبيح و أصل الحكمه المنع و منه حكمه اللجام و إنما قيل لها حكمه لأنها بمنزله المانع من الفساد و ما لا ينبغي أن يختار و قيل أن الحكمه هى المعرفه بمراتب الأفعال فى الحسن و القبح و الصلاح و الفساد لأن بمعرفه ذلك يقع المنع من الفساد و الاستعمال للصدق و الصواب فى الأفعال و الأقوال «وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ» معناه الوعظ الحسن و هو الصرف عن القبيح على وجه الترغيب فى تركه و الترهيد فى فعله و فى ذلك تليين القلوب بما يوجب الخشوع و قيل أن الحكمه هى النبوه و الموعظه الحسنه مواعظ القرآن عن ابن عباس «وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» أى ناظرهم بالقرآن و بأحسن ما عندك من الحجج و تقديره بالكلمه التى هى أحسن و المعنى اقتل المشركين و اصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق و السكينه و لين الجانب فى النصيحه ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج و قيل هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه كما

جاء فى الحديث أمرنا معاشر الأنبياء أن نكلم الناس على قدر عقولهم

«إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» أى عن دينه «وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» أى القابلين للهدى و هو يأمرك فى الفريقين بما فيه الصلاح «وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ» معناه و إن أردتم معاقبه غيركم على وجه المجازاه و المكافاه فعاقبوا بقدر ما عوقبتم به و لا تزيدوا عليه و قالوا إن المشركين لما مثلوا بقتلى أحد و بحمزه بن عبد المطلب فشقوا بطنه و أخذت هند بنت عتبه كبده فجعلت تلوكه و جدعوا أنفه و أذنه و قطعوا مذاكيره قال المسلمون لئن أمكنا الله منهم لنمثلن بالأحياء فضلا عن الأموات فنزلت الآيه عن الشعبى و قتاده و عطا بن يسار و قيل إن الآيه عامه فى كل ظلم كغضب أو نحوه فإنما يجازى بمثل ما عمل عن مجاهد و ابن سيرين و إبراهيم و قال الحسن نزلت الآيه قبل أن يؤمر النبى ص بقتال المشركين على العموم و أمر بقتال من قاتله و نظيره قوله «فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ» «وَ لَئِنْ صَبَرْتُمْ» أى تركتم المكافاه و القصاص و جرعتهم

مرارته «لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ» معناه الصبر خير و أنفع للصابرين لما فيه من جزيل الثواب «وَ اصْبِرْ» يا محمد فيما تبلغه من الرساله و فيما تلقاه من الأذى و قيل معناه اصبر على ما يجب الصبر عليه و عما يجب الصبر عنه «وَ مَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ» أى و ليس صبرك إلا- بتوفيق الله و إقداره و تيسيره و ترغيبه فيه «وَ لَا تَحْزَنُ عَلَيْهِمْ» أى و لا تحزن على المشركين فى إعراضهم عنك فإنه يكون الظفر و النصره لك عليهم و لا عتب عليك فى إعراضهم فقد بلغت ما أمرت به و قضيت ما عليك و قيل معناه و لا تحزن على قتلى أحد فإن الله تعالى قد نقلهم إلى ثوابه و كرامته «وَ لَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ» أى و لا يكن صدرك فى ضيق من مكرهم بك و بأصحابك فإن الله سبحانه يرد كيدهم فى نحورهم و يحفظكم من شرورهم «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا» الشرك و الفواحش و الكبائر بالنصره و الحفظ و الكلاءه «وَ» مع «الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» قال الحسن اتقوا ما حرم عليهم و أحسنوا فيما فرض عليهم.

(١٧) سورة الإسراء مكيه و آياتها إحدى عشره و مائه (١١١)

أشاره

[توضيح]

هي مكيه كلها و قيل مكيه إلا خمس آيات «وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ» الآية «وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانِيَ» الآية «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ» الآية «أَقِمِ الصَّلَاةَ» الآية «وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» الآية عن الحسن و قيل مكيه إلا ثمانى آيات «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ» إلى قوله «وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ» الآية عن قتاده و المعدل عن ابن عباس.

عدد آياتها

مائه و إحدى عشره آيه كوفى و عشر آيات فى الباقيين.

اختلافها

آيه «لِلَّذَانِ سَجْدًا» كوفى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص أنه قال من قرأ سورة بنى إسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين أعطى فى الجنة قنطارين من الأجر و القنطار ألف أوقيه و مائتا أوقيه و الأوقيه منها خير من الدنيا و ما فيها

و

روى الحسن بن أبى العلاء عن الصادق (عليه السلام) أنه قال من قرأ سورة بنى إسرائيل فى كل ليله جمعه لم يمت حتى يدرك القائم و يكون من أصحابه.

تفسيرها

ختم الله تعالى سورة النحل بذكر النبى ص و افتتح سورة بنى إسرائيل أيضا بذكره و بيان إسرائه إلى المسجد الأقصى فقال:

ص: ١٩٢

إشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ
(١) وَآتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا (٢) ذُرِّيَّتَهُ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا
شَكُورًا (٣)

القراءة

قرأ أبو عمرو وحده ألا يتخذوا بالياء و الباقون بالتاء.

الحجه

من قرأ بالياء فلأن ما تقدمه على لفظ الغيبه و المعنى هديناهم لأن لا يتخذوا و من قرأ بالتاء فلانصراف من الغيبه إلى الخطاب كما فى قوله «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» ثم قال «إِيَّاكَ نَعْبُدُ» و الضمير فى «أَلَّا تَتَّخِذُوا» و إن كان على لفظ الخطاب فإنما يعنى به الغيب فى المعنى.

الإعراب

سبحان منصوب على المصدر على معنى أسبح لله تسيحاً قال أبو على من زعم أن ألا تتخذوا على إضمار القول فكأنه يراد قال أن لا تتخذوا لم يكن قوله هذا مستقيماً و ذلك لأن القول لا يخلو من أن يكون بعده جمله تحكى أو معنى جمله يعمل فيه لفظ القول فالأول كقوله قال زيد عمرو منطلق فموضع الجمله نصب بالقول و الآخر نحو أن يقول القائل لا إله إلا الله فتقول قلت حقا أن يقول الثلج حار فتقول قلت باطلا فهذا معنى ما قاله و ليس نفس المقول و قوله «أَلَّا تَتَّخِذُوا» خارج من هذين الوجهين ألا ترى أن لا- تتخذوا ليس هو القول كما أن قولك حقا إذا سمعت كلمه الإخلاص بمعنى القول و ليس قوله «أَلَّا تَتَّخِذُوا» الجمله فيكون كقولك قال زيد عمرو منطلق و يجوز أن تكون أن بمعنى أى التى للتفسير و انصرف الكلام فى الغيبه إلى الخطاب كما انصرف منها إلى الخطاب فى قوله «وَ انْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنْ امْشُوا» فى الأمر فكذلك انصرف فى الغيبه إلى الخطاب فى النهى فى أن لا تتخذوا و كذلك قوله «أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَ رَبَّكُمْ» فى وقوع الأمر بعد الخطاب و يجوز أن يضم القول و يحمل يتخذوا على القول المضممر إذا جعلت أن زائده فيكون التقدير و جعلناه هدى لبنى إسرائيل و قلنا لا- تتخذوا فيجوز إذا فى قوله «أَلَّا تَتَّخِذُوا» ثلاثه أوجه (أحدها) أن تكون أن الناصبه للفعل فيكون المعنى و جعلناه هدى كراهه أن يتخذوا من دونى و كيلا أو لأن لا يتخذوا (و الآخر) أن يكون بمعنى أى لأنه بعد كلام تام فيكون التقدير أى لا تتخذوا (و الثالث) أن تكون أن زائده و يضم القول فأما قوله «ذُرِّيَّتَهُ مَنْ حَمَلْنَا» فإنه يجوز أن يكون مفعول الاتخاذ لأنه فعل يتعدى إلى مفعولين و أفرد الوكيل و هو فى معنى

الجمع لأن فعلا- يكون مفردا للفظ و المعنى على الجمع نحو قوله «وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا» فإذا حمل على هذا كان مفعولا ثانيا في قراءه من قرأ بالتاء و الياء و يجوز أن يكون نداء و ذلك على قراءه من قرأ بالتاء لأن النداء للخطاب و لو رفع ذريه على البدل من الضمير المرفوع في أن لا تتخذوا كان جائزا و يكون التقدير ألا تتخذوا ذريه من حملنا مع نوح من دوني و كيلا و لو جعلته مجردا بدلا من قولك بنى إسرائيل جاز و كان التقدير و جعلناه هدى لذريه من حملنا مع نوح.

النزول

قيل نزلت الآية في إسرائه و كان ذلك بمكه صلى المغرب في المسجد الحرام ثم أسرى به في ليلته ثم رجع فصلى الصبح في المسجد الحرام فأما الموضع الذي أسرى إليه أين كان فإن الإسرائ إلى بيت المقدس و قد نطق به القرآن و لا يدفعه مسلم و ما قاله بعضهم إن ذلك كان في النوم فظاهر البطلان إذ لا معجز يكون فيه و لا برهان و قد وردت روايات كثيرة في قصه المعراج في عروج نبينا ص إلى السماء و رواه كثير من الصحابه مثل ابن عباس و ابن مسعود و أنس و جابر بن عبد الله و حذيفه و عائشه و أم هانئ و غيرهم عن النبي ص و زاد بعضهم و نقص بعض و تنقسم جملتها إلى أربعة أوجه (أحدها) ما يقطع على صحته لتواتر الأخبار به و إحاطه العلم بصحته (و ثانيها) ما ورد في ذلك مما تجوزه العقول و لا تأباه الأصول فنحن نجوزه ثم نقطع على أن ذلك كان في يقظته دون منامه (و ثالثها) ما يكون ظاهره مخالفا لبعض الأصول إلا أنه يمكن تأويلها على وجه يوافق المعقول فالأولى أن ناوله على ما يطابق الحق و الدليل (و رابعها) ما لا يصح ظاهره و لا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد فالأولى أن لا نقبله فأما الأول المقطوع به فهو أنه أسرى به على الجملة و أما الثاني فمنه ما روى أنه طاف في السماوات و رأى قوما في الجنة يتنعمون فيها و قوما في النار يعذبون فيها فيحمل على أنه رأى صفتهم أو أسماءهم (و أما) الرابع فنحو ما

روى أنه ص كلم الله سبحانه جهره و رآه و قعد معه على سريره

و نحو ذلك مما يوجب ظاهره التشبيه و الله سبحانه يتقدس عن ذلك و كذلك ما

روى أنه شق بطنه و غسله

لأنه ص كان طاهرا مطهرا من كل سوء و عيب و كيف يطهر القلب و ما فيه من الاعتقاد بالماء فمن جملة الأخبار الواردة في قصه المعراج ما

روى أن النبي ص قال أتاني جبرائيل (عليه السلام) و أنا بمكه فقال قم يا محمد فقمتم معه و خرجت إلى الباب فإذا جبرائيل و معه ميكائيل و إسرافيل فأتى جبرائيل (عليه السلام) بالبراق و كان فوق الحمار و دون البغل خده كخد الإنسان و ذنبه كذنب البقر و عرفه كعرف الفرس

وقوائمه كقوائم الإبل عليه رحل من الجنة و له جناحان من فخذه خطوه منتهى طرفه فقال اركب فركبت و مضيت حتى انتهيت إلى بيت المقدس ثم ساق الحديث إلى أن قال فلما انتهيت إلى بيت المقدس إذا ملائكه نزلت من السماء بالبشاره و الكرامه من عند رب العزه و صليت في بيت المقدس و في بعضها بشر لى إبراهيم في رهط من الأنبياء ثم وصف موسى و عيسى ثم أخذ جبرائيل (عليه السلام) بيدي إلى الصخره فأقعدهني عليها فإذا معراج إلى السماء لم أر مثلها حسنا و جمالا فصعدت إلى السماء الدنيا و رأيت عجائبها و ملكوتها و ملائكتها يسلمون على ثم صعد بي جبرائيل إلى السماء الثانيه فرأيت فيها عيسى بن مريم و يحيى بن زكريا ثم صعد بي إلى السماء الثالثه فرأيت فيها يوسف ثم صعد بي إلى السماء الرابعه فرأيت فيها إدريس ثم صعد به إلى السماء الخامسه فرأيت فيها هارون ثم صعد بي إلى السماء السادسه فإذا فيها خلق كثير يموج بعضهم في بعض و فيها الكروبيون ثم صعد بي إلى السابعه فأبصرت فيها خلقا و ملائكه

و

في حديث أبي هريره رأيت في السماء السادسه موسى و رأيت في السماء السابعه إبراهيم (عليه السلام) قال ثم جاوزناها متصاعدين إلى أعلى عليين و وصف ذلك إلى أن قال ثم كلمني ربي و كلمته و رأيت الجنة و النار و رأيت العرش و سدرة المنتهى ثم رجعت إلى مكه فلما أصبحت حدثت به بالناس فكذبني أبو جهل و المشركون و قال مطعم بن عدى أ تزعم أنك سرت مسيره شهرين في ساعه أشهد أنك كاذب قالوا ثم قالت قريش أخبرنا عما رأيت فقال مررت بعير بنى فلان و قد أضلوا بعيرا لهم و هم في طلبه و في رحلهم قعب مملوء من ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كان فسألوهم هل وجدوا الماء في القدح قالوا هذه آيه واحده قال و مررت بعير بنى فلان فنفرت بكره فلان فانكسرت يدها فسألوهم عن ذلك فقالوا هذه آيه أخرى قالوا فأخبرنا عن غيرنا قال مررت بها بالتنعيم و بين لهم إجمالها و هيئاتها و قال تقدمها جمل أورق عليه قرارتان محيطتان و يطلع عليكم عند طلوع الشمس قالوا هذه آيه أخرى ثم خرجوا يشتمون نحو التيه و هم يقولون لقد قضى محمد بيننا و بينه قضاء بينا و جلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه فقال قائل و الله إن الشمس قد طلعت و قال آخر و الله هذه الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورق فبهتوا و لم يؤمنوا

و

في تفسير العياشى بالإسناد عن أبي بكر عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال لما أسرى برسول الله ص إلى السماء الدنيا لم يمر بأحد من الملائكه إلا- استبشر قال ثم مر بملك حزين كئيب فلم يستبشر به فقال يا جبرائيل ما مررت بأحد من الملائكه إلا استبشر بي إلا هذا الملك فمن هذا فقال هذا مالك خازن جهنم

ص: ١٩٥

و هكذا جعله الله قال فقال له النبي ص يا جبرائيل اسأله أن يرينيها قال فقال جبرائيل (عليه السلام) يا مالك هذا محمد رسول الله ص و قد شكا إلى فقال ما مررت بأحد من الملائكة إلا استبشر بي إلا هذا فأخبرته أن هكذا جعله الله و قد سألتني أن أسألك أن تريه جهنم قال فكشف له عن طبق من أطباقها قال فما رئي رسول الله ص ضاحكا حتى قبض

و

عن أبي بصير قال سمعته يقول إن جبرائيل احتمل رسول الله حتى انتهى به إلى مكان من السماء ثم تركه و قال له ما وطأ نبي قط مكانك.

المعنى

«سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ» سبحان كلمه تنزيه و إبراء لله عز اسمه عما لا يليق به من الصفات و قد يراد به التعجب يعنى سبحان الذى سير عبده محمدا ص و هو عجب من قدره الله تعالى و تعجب ممن لم يقدر الله حق قدره و أشرك به غيره و سرى بالليل و أسرى بمعنى و قد عدى هنا بالباء و الوجه فى التأويل أنه إذا كان مشاهده العجب سببا للتسييح صار التسييح تعجبا فليل سبيح أى عجب «لَيْلًا» قالوا كان ذلك الليل قبل الهجرة بسنه «مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ» و قال أكثر المفسرين أسرى برسول الله ص من دار أم هانئ أخت على بن أبي طالب و زوجها هبيرة بن أبى وهب المخزومي و كان ص نائما تلك الليلة فى بيتها و إن المراد بالمسجد الحرام هنا مكة و مكة و الحرم كلها مسجد و قال الحسن و قتاده كان الإسراء من نفس المسجد الحرام «إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى» يعنى بيت المقدس و إنما قال الأقصى لبعده المسافه بينه و بين المسجد الحرام «الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ» أى جعلنا البركه فيما حوله من الأشجار و الأثمار و النبات و الأمن و الخصب حتى لا يحتاجوا إلى أن يجلب إليهم من موضع آخر و قيل باركنا حوله أى البركه فيما حوله بأن جعلناه مقر الأنبياء و مهبط الملائكة عن مجاهد و بذلك صار مقدسا عن الشرك لأنه لما صار متعبدا للأنبياء و دار مقام لهم تفرق المشركون عنهم فصار مطهرا من الشرك و التقديس التطهير فقد اجتمع فيه بركات الدين و الدنيا «لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا» أى من عجائب حججنا و منها إسراؤه فى ليله واحده من مكة إلى هناك و منها أن أراه الأنبياء واحدا بعد واحد و أن عرج به إلى السماء و غير ذلك من العجائب التى أخبر بها الناس «إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ» لأقوال من صدق بذلك أو كذب «الْبَصِيرُ» بما فعل من الإسراء و المعراج «وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» يعنى التوراه «وَ جَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ» أى و جعلنا التوراه حجه و دلاله و بيانا و إرشادا لبني إسرائيل يهتدون به «أَلَّا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكَيْلًا» أى أمرهم أن لا يتخذوا من دونى معتمدا يرجعون إليه فى النوائب و قيل ربا يتوكلون عليه «ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ»

ص: ١٩٦

أى أولاد من حملنا مع نوح في السفينه فأنجيناه من الطوفان وقد ذكرنا وجوه ذلك في الإعراب و على هذا يدور المعنى «إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا» معناه أن نوحا كان عبدا لله كثير الشكر و كان إذا لبس ثوبا أو أكل طعاما أو شرب ماء حمد الله و شكر له و قال الحمد لله و قيل إنه كان يقول في ابتداء الأكل و الشرب بسم الله و فى انتهائه الحمد لله و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) و أبى جعفر (عليه السلام) أن نوحا كان إذا أصبح و أمسى قال اللهم إني أشهدك أن ما أصبح أو أمسى بى من نعمه فى دين أو دنيا فمذك و حدك لا شريك لك لك الحمد و لك الشكر بها على حتى ترضى و بعد الرضى و هذا كان شكره.

النظم

وجه اتصال قوله «وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» بما قبله أن المعنى فيه سبحانه الذى أسرى بمحمد ص و أراه الآيات كلها كما أرى موسى الآيات و المعجزات الباهرات و قيل إن معناه إن كونك نبيا ليس بيدع فقد آتيناك الكتاب و الحجج كما آتينا موسى التوراه فلم أقرؤا به و أنكروا أمرك و الطريق فيهما واحد و قيل إن معناه أنهم كفروا بموسى كما كفروا بما أخبرتهم به من إسرائك.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤ الى ٨]

اشاره

وَ قَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَ تَتَّغَلَّبَنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤) فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَ كَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا (٥) ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَيْنَا وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا (٦) إِنَّ أَحْسَنَ نَسَبٍ أَحْسَنُكُمْ أَنْفُسِكُمْ وَ إِنْ أَسِيَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ لِيَتَّبِعُوا مَا عُلُوًّا تَتَّبِعُونَ (٧) عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا (٨)

ليسوء بفتح الهمزه شامى كوفى غير حفص إلا أن الكسائى يقرأ بالنون و الباقون «لَيْسُوْأ» بالياء و ضم الهمزه على وزن ليسوعوا و فى الشواذ قراءه ابن عباس لتفسدن بضم التاء و فتح السين و عيسى الثقفى لتفسدن بفتح التاء و ضم السين و

قراءه على (عليه السلام) عبيدا لنا

و قراءه أبى السماك فحاسوا بالحاء و قراءه أبى بن كعب ليسوء بالتونين.

الحجه

من قرأ ليسوء بالياء ففاعل ليسوء يجوز أن يكون أحد شيئين إما اسم الله تعالى لأن الذى تقدم بعثنا و رددنا لكم و أمددناكم بأموال و بنين و إما البعث و دل عليه بعثنا المتقدم كقوله «لَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ» أى البخل خيرا لهم و من قرأ لنسوء بالنون كان فى المعنى كقول من قدر أن الفاعل ما تقدم من اسم الله تعالى و جاز أن ينسب المساءه إلى الله تعالى و إن كانت من الذين جاسوا خلال الديار فى الحقيقه لأنهم فعلوا المساءه بقوه الله تعالى فجاز أن ينسب إليه و أما قوله «لَيْسُوْأ» فمعناه إذا جاء وعد الآخره أى وعد المره الأخرى ليسوؤا و جوهكم فحذف بعثناهم لأن ذكره قد تقدم و الحجه فى ليسوؤا أنه أشبه بما قبله و ما بعده أ لا ترى أن قبله ثم بعثناهم و بعده ليدخلوا المسجد الحرام و المبعوثون فى الحقيقه هم الذين يسوءونهم بقتلهم إياهم و أسرهم لهم فهو وفق المعنى و قال «وَجُوهَكُمْ» على أن الوجوه مفعول به ليسوء و عدى إلى الوجوه لأن الوجوه قد يراد به ذو الوجوه كقوله «كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ» و قوله «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ» و «وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ» و قال النابغه:

أقارع عوف لا أحاول غيرها وجوه قروء تبتغى من تجادع

و أما قراءه أبى ليسوء فالوجه فيه على قول ابن جنى أن يكون على حذف الفاء كما يقال إذا سألتنى فلأعطك كأنك تأمر نفسك و معناه فلأعطيتك و اللامان بعده للأمر أيضا و هما «وَلْيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» «وَلْيَتَّبِعُوا» و يقوى ذلك أنه لم يأت لإذا جواب فيما بعد و أما من قرأ لتفسدن و لتفسدن فأحدى القراءتين شاهده للأخرى لأن من أفسد فقد فسد و أما حاسوا فمعناه معنى جلسوا بعينه.

اللغه

القضاء فصل الأمر على إحكام و منه سمي القاضى ثم يستعمل بمعنى الخلق و الإحداث كما قال فَفَضَاهُنَّ سَبَّحَ سَمَاوَاتٍ و بمعنى الإيجاب كما قال وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ و بمعنى الإعلام و الإخبار بما يكون من الأمر و هو المعنى هاهنا و أصله الإحكام و العلو

الارتفاع و علا فلان الشىء إذا أطاقه و يقال علا فى المكارم يعلى علا فهو على و علا فى المكان يعلو علوا فهو عال و الجوس التخلل فى الديار يقال تركت فلانا يجوس بنى فلان و يجوسهم و يدوسهم أى يطأهم قال أبو عبيد: كل موضع خالطته و وطئته فقد حسته و جستته قال حسان:

و منا الذى لاقى بسيف محمد فجاس به الأعداء عرض العساكر

و قيل الجوس طلب الشىء باستقصاء و الكره معناه الرجعه و الدوله و النفير العدد من الرجال قال الزجاج: و يجوز أن يكون جمع نفر كما قيل العبيد و الضئيين و المعيز و الكليب و نفر الإنسان و نفره و نفيره و نافرته رهطه الذين ينصرونه و ينفرون معه و التتبير الإهلاك و التبار و الهلاك و الدمار واحد و كل ما يكسر من الحديد و الذهب تبر و الحصير الحبس و يقال للملك حصير لأنه محجوب قال لبيد:

و قماقم غلب الرقاب كأنهم جن لدى باب الحصير قيام

و الحصير البساط المرمول لحصر بعضه على بعض بذلك الضرب من النسج.

المعنى

لما تقدم أمره سبحانه لبنى إسرائيل عقب ذلك بذكر ما كان منهم و ما جرى عليهم فقال «وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» أى أخبرناهم و أعلمناهم «فِي الْكِتَابِ» أى فى التوراه «لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ» أى حقا لا شك فيه أن خلافكم سيفسدون فى البلاد التى تسكنونها كرتين و هى بيت المقدس و أراد بالفساد الظلم و أخذ المال و قتل الأنبياء و سفك الدماء و قيل كان فسادهم الأول قتل زكريا و الثانى قتل يحيى بن زكريا عن ابن عباس و ابن مسعود و ابن زيد قالوا ثم سلط الله عليهم سابور ذا الأكتاف ملكا من ملوك فارس فى قتل زكريا و سلط عليهم فى قتل يحيى بخت نصر و هو رجل خرج من بابل و قيل الفساد الأول قتل شعيا و الثانى قتل يحيى و إن زكريا مات حتف أنفه عن محمد بن إسحاق قال و أتاهم فى الأول بخت نصر و فى الثانى ملك من ملوك بابل و قيل كان الأول جالوت فقتله داود (عليه السلام) و الثانى بخت نصر عن قتاده و قيل أنه سبحانه ذكر فسادهم فى الأرض و لم يبين ما هو فلا يقطع على شىء مما ذكر عن أبى على الجبائى «وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا» أى و لتستكبرن و لتظلمن الناس

ظلما عظيما و العلو نظير العتو هنا و هو الجراه على الله تعالى و التعرض لسخطه «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا» معناه فإذا جاء وقت أولى المرتين اللتين تفسدون فيهما و الوعد هنا بمعنى الموعود و وضع المصدر موضع المفعول به أى إذا جاء وقت الموعود لإفسادكم فى المره الأولى «بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ» أى سلطنا عليكم عبادا لنا أولى شوكة و قوه و نجده و خلينا بينكم و بينهم خاذلين لكم جزاء على كفركم و عتوكم و هو مثل قوله «أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَسُّوهُمْ أَرْزًا» عن الحسن و قيل معناه أمرنا قوما مؤمنين بقتالكم و جهادكم لأن ظاهر قوله تعالى «عِبَادًا لَنَا» و قوله «بَعَثْنَا» يقتضى ذلك عن الجبائى و قيل يجوز أن يكونوا مؤمنين أمرهم الله بجهاد هؤلاء و يجوز أن يكونوا كافرين فتألفهم نبى من الأنبياء لحرب هؤلاء و سلطهم على نظرائهم من الكفار و الفساق عن أبى مسلم «فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ» أى فطافوا وسط الديار يترددون و ينظرون هل بقى منهم أحد لم يقتلوه عن الزجاج «وَ كَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا» أى موعودا كائنا لا خلف فيه «ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ» أى رددنا لكم يا بنى إسرائيل الدوله و أظهرناكم عليهم و عاد ملككم على ما كان عليه «وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ» أى و أكثرنا لكم أموالكم و أولادكم و رددنا لكم العده و القوه «وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا» أى أكثر عددا و أنصارا من أعدائكم «إِنْ أَحْسَيْتُمْ أَحْسَيتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ» معناه إن أحستتم فى أقوالكم و أفعالكم فنفخ إحسانكم عائد عليكم و ثوابه واصل إليكم تنصرون على أعدائكم فى الدنيا و تثابون فى العقبى «وَ إِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» معناه و إن أسأتم فقد أسأتم إلى أنفسكم أيضا لأن مضره الإساءه عائده إليها و إنما قال فلها على وجه التقابل لأنه فى مقابله قوله «إِنْ أَحْسَيْتُمْ أَحْسَيتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ» كما يقال أحسن إلى نفسه ليقابل أساء إلى نفسه و لأن معنى قولك أنت منتهى الإساءه و أنت المختص بالإساءه متقارب فلذلك وضع اللام موضع إلى و قيل إن قوله «فَلَهَا» بمعنى فعلها كقوله تعالى لَهُمُ اللَّعْنَةُ* أى عليهم اللعنه و قيل معناه فلها الجزاء و العقاب و إذا أمكن حمل الكلام على الظاهر فالأولى أن لا يعدل عنه و هذا الخطاب لبنى إسرائيل ليكون الكلام جاريا على النسق و النظام و يجوز أن يكون خطابا لأمه نبينا ص فيكون اعتراضا بين القصة كما يفعل الخطيب و الواعظ يحكى شيئا ثم يعظ ثم يعود إلى الحكايه فكأنه لما بين أن بنى إسرائيل لما علوا و بغوا فى الأرض سلط عليهم قوما ثم لما تابوا قبل توبتهم و أظفرهم على عدوهم خاطب أمتنا بأن من أحسن عاد نفع إحسانه إليه و من أساء عاد ضرره إليه ترغيبا و ترهيبا «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِهِ» أى وعد المره الأخرى من قوله «لَتَنفُسِدَنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ» و المراد به جاء وعد الجزاء على الفساد فى الأرض فى

المره الأخيره أو جاء وعد فسادكم فى الأرض فى المره الأخيره أى الوقت الذى يكون فيه ما أخبر الله عنكم من الفساد و العدوان على العباد «لِيَسُوؤُوا وُجُوهَكُمْ» أى غزاكم أعداؤكم و غلبوكم و دخلوا دياركم ليسوؤكم بالقتل و الأسر يقال سئته أسوءه مساءه و مسائيه و سوائيه إذا أحرزته و قيل معناه ليسوؤا كبراءكم و رؤساءكم و فى مساءه الأكابر و إهانتهم مساءه الأصاغر «وَ لِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ» أى بيت المقدس و نواحيه فكنى بالمسجد و هو المسجد الأقصى عن البلد كما كنى بالمسجد الحرام عن الحرم و معناه و ليستولوا على البلد لأنه لا يمكنهم دخول المسجد إلا بعد الاستيلاء «كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ» دل بهذا على أن فى المره الأولى قد دخلوا المسجد أيضا و إن لم يذكر ذلك و معناه و ليدخل هؤلاء المسجد كما دخله أولئك أول مره «وَ لِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتَبِيرًا» أى و ليدمروا و يهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميرا و يجوز أن يكون ما مع الفعل بتأويل المصدر و المضاف محذوف أى ليتبروا مده علوهم «عَسَى رَبُّكُمْ» يا بنى إسرائيل «أَنْ يَزَحْمَكُمُ» بعد انتقامه منكم إن تبتم و رجعتم إلى طاعته «وَ إِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا» معناه و إن عدتم إلى الفساد عدنا بكم إلى العقاب لكم و التسليط عليكم كما فعلناه فيما مضى عن ابن عباس قال إنهم عادوا بعد الأولى و الثانيه فسلط الله عليهم المؤمنين يقتلونهم و يأخذون منهم الجزية إلى يوم القيامة «وَ جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا» أى سجنا و محبسا عن ابن عباس.

[القصة]

اختلف المفسرون فى القصة عن هاتين الكرتين اختلافا شديدا فالأولى أن نورد من جملتها ما هو الأهم على سبيل الإيجاز قالوا لما عتا بنو إسرائيل فى المره الأولى سلط الله عليهم ملكك فارس و قيل بخت نصر و قيل ملكا من ملوك بابل فخرج إليهم و حاصرهم و فتح بيت المقدس و قيل إن بخت نصر ملك بابل بعد سنحاريب و كان من جيش نمرود و كان لزانیه لا أب له فظهر على بيت المقدس و خرب المسجد و أحرق التوراه و ألقى الجيف فى المسجد و قتل على دم يحيى سبعين ألفا و سبى ذراريهم و أغار عليهم و أخرج أموالهم و سبى سبعين ألفا و ذهب بهم إلى بابل فبقوا فى يده مائه سنه يستعبدهم المجوس و أولادهم ثم تفضل الله عليهم بالرحمه فأمر ملكا من ملوك فارس عارفا بالله سبحانه و تعالى فردهم إلى بيت المقدس فأقاموا به مائه سنه على الطريق المستقيم و الطاعه و العباده ثم عادوا إلى الفساد و المعاصى فجاءهم ملك من ملوك الروم اسمه أنطياخوس فخرّب بيت المقدس و سبى أهله و قيل غزاهم ملك الروميه و سباهم عن حذيفه و قال محمد بن إسحاق كان بنو إسرائيل يعصون الله تعالى و فيهم الأحداث و الله يتجاوز عنهم و كان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أن الله تعالى بعث إليهم شعيا قبل مبعث زكريا و شعيا هو الذى بشر بعيسى (عليه السلام) و بمحمد ص و كان

ص: ٢٠١

لبنى إسرائيل ملك كان شعيا يرشده و يسدده فمرض الملك و جاء سنحاريب إلى باب بيت المقدس بستمائه ألف رايه فدعا الله سبحانه شعيا فبرأ الملك و مات جمع سنحاريب و لم ينج منهم إلا خمسه نفر منهم سنحاريب فهرب و أرسلوا خلفه من أخذه ثم أمر سبحانه بإطلاقه ليخبر قومه بما نزل بهم فأطلقوه و هلك سنحاريب بعد ذلك بسبع سنين و استخلف بخت نصر ابن ابنه فلبث سبع عشره سنه و هلك ملك بنى إسرائيل و مرج أمرهم و تنافسوا فى الملك فقتل بعضهم بعضا فقام شعيا فيهم خطيبا و وعظهم بعظات بليغه و أمرهم و نهاهم فهموا بقتله فهرب و دخل شجره فقطعوا الشجره بالمنشار فبعث الله إليهم أرميا من سبط هارون ثم خرج من بينهم لما رأى من أمرهم و دخل بخت نصر و جنوده بيت المقدس و فعل ما فعل ثم رجع إلى بابل بسبايا بنى إسرائيل و كانت هذه الدفعه الأولى و قيل أيضا أن سبب ذلك كان قتل يحيى بن زكريا و ذلك أن ملك بنى إسرائيل أراد أن يتزوج بنت امرأته فنهاه يحيى و بلغ أمها فحقدت عليه و بعثته على قتله فقتله و قيل إنه لم يزل دم يحيى بن زكريا يغلى حتى قتل بخت نصر منهم سبعين ألفا أو اثنين و سبعين ألفا ثم سكن الدم و ذكر الجميع أن يحيى بن زكريا هو المقتول فى الفساد الثانى قال مقاتل كان بين فساد الأول و الثانى مائتا سنه و عشر سنين و قيل إنما غزا بنى إسرائيل فى المره الأولى بخت نصر و فى المره الثانى ملوك فارس و الروم و ذلك حين قتلوا يحيى فقتلوا منهم مائه ألف و ثمانين ألفا و خرب بيت المقدس فلم يزل بعد ذلك خرابا حتى بناه عمر بن الخطاب فلم يدخله بعد ذلك رومى إلا خائفا و قيل إنما غزاهم فى المره الأولى جالوت و فى الثانى بخت نصر و الله أعلم

إشارة

إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا (٩) وَ أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٠) وَ يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا (١١) وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتِينَ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ وَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَ الْحِسَابَ وَ كُلُّ شَيْءٍ ءِ فَضْلَنَا هُوَ تَفْصِيحًا (١٢)

اللغة

مبصره أى مضيئه منيره نيره قال أبو عمرو: أراد تبصر بها كما يقال ليل نائم و سر كاتم و قال الكسائي: العرب تقول أبصر النهار إذا أضاء و قيل المبصره التى أهلها بصراء فيها كما يقال رجل مخبث أى أهله خبثاء و مضعف أى أهله ضعفاء و لا يكتب الواو فى يدع فى المصحف و هى ثابتة فى المعنى.

الإعراب

«أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» فتح أن على تقدير حذف الباء أى يبشرهم بأن لهم الجنة و أن الثانيه معطوفه عليها و لو كسرت على الاستئناف لجاز و إن لم يقرأ به أحد و أعتدنا أصله أعددنا فقلبت إحدى الدالين تاء فرارا من التضعيف إلى حرف من مخرج الدال «وَ كُلُّ شَيْءٍ ءِ» منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده و هو قوله «فَضْلَنَا» و التقدير و فصلنا كل شىء .

المعنى

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ» معناه إن هذا القرآن يهدى إلى الديانه و المله و الطريقه التى هى أشد استقامه يقال هذه الطريق و للطريق و إلى الطريق و قيل معناه يرشد إلى الكلمه التى هى أعدل الكلمات و أصوبها و هى كلمه التوحيد و قيل يهدى إلى الحال التى هى أعدل الحلايت و هى توحيد الله و الإيمان به و برسله و العمل بطاعته عن الزجاج «وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ» أى بأن لهم «أَجْرًا كَبِيرًا» أى ثوابا عظيما على طاعاتهم «وَ» يبشرهم أيضا ب «أَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أى بالنشأه الآخره «أَعْتَدْنَا لَهُمْ» أى هيأنا لهم «عَذَابًا أَلِيمًا» و هو عذاب النار و إنما سمي العذاب أجرا لأنه يستحق فى مقابله عمل كالأجره التى تجب فى مقابله عمل يعود نفعه إلى المستأجر و الثواب يستحق على الله تعالى و إن كان نفعه يعود إلى العامل لأنه سبحانه أوجب ذلك على نفسه فى مقابله عمل العبد فضلا منه و كرما «وَ يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن الإنسان ربما يدعو فى حال الزجر و الغضب على نفسه و أهله و ماله بما لا يجب أن يستجاب له فيه كما يدعو لنفسه بالخير فلو أجاب الله دعاءه لأهلكه لكنه لا يجيب بفضله و رحمته عن ابن عباس و الحسن و قتاده (و الآخر) أن معناه إن الإنسان قد يطلب الشر لاستعجاله المنفعه (و ثالثها) أن معناه و يدعو فى طلب المحذور كدعائه فى طلب المباح «وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا» يعجل بالدعاء فى الشر عجلته بالدعاء فى الخير عن مجاهد و قيل يريد ضجرا لا صبرا له على ضراء و لا على سراء عن ابن عباس و روى عنه أيضا إنه أراد به آدم (عليه السلام) لما انتهت النفخه إلى سرته أراد أن ينهض فلم يقدر فشبهه الله

سبحانه ابن آدم بأبيه فى الاستعجال و طلب الشىء قبل وقته «وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ» أى دلالتين يدلان على

ص: ٢٠٣

وحدانيه خالقهما لما فى كل واحد منهما من الفوائد من الكسب بالنهار و الاستراحه بالليل و الزيادة فى أجزاء أحدهما بالنقصان من أجزاء الآخر و لأن كل واحد منهما ينقضى لمجىء الآخر و ذلك يدل على حدوتهما إذ القديم لا يجوز عليه الانقضاء و على أن لهما محدثا قادرا عالما و قد علمنا ضروره أن أحدا من البشر لم يحدثهما لعجز البشر عن ذلك فدل على أنه من صنع القديم القادر لذاته العالم لذاته الذى ليس كمثلته شىء و لا يتعذر عليه شىء و قيل إن الآيتين هنا الشمس و القمر «فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ» و هى القمر أى طمسنا نورها بما جعلنا فيها من السواد عن ابن عباس «وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ» يعنى الشمس «مُبْصِرَةً» أى نيره مضيئه للأبصار يبصر أهل النهار النهار بها و قيل إن معناه جعلنا آيه الليل ممحوه و المراد جعلنا الليل مظلما لا يبصر فيه كما لا يبصر ما يمحي من الكتاب و جعلنا آيه النهار مبصره أى جعلنا النهار مضيئا يبصر فيه و تدرك الأشياء فيه و على هذا فتكون آيه الليل هى الليل نفسه و آيه النهار هى النهار نفسه كما يقال نفس الشىء و عين الشىء و هذا من عجيب البلاغه و قيل إن آيه الليل ظلمته و آيه النهار ضوءه فالمراد محونا ظلمه الليل بضوء النهار و محونا ضوء النهار بظلمه الليل إلا أنه ذكر أحدهما و حذف الآخر لدلاله المذكور على المحذوف ثم بين سبحانه الغرض فى ذلك و قال «لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ» أى لتسكنوا بالليل و تطلبوا الرزق بأنواع التصرف فى النهار إلا أنه حذف لتسكنوا بالليل لما ذكره فى مواضع أخر «وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ» أى لتعلموا بالليل و النهار عدد السنين و الشهور و آجال الديون و غير ذلك من المواقيت و لتعلموا حسنات أعماركم و آجالكم و لو لا الليل و النهار لما علم شىء من ذلك «وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلْنَاهُ تَفْصِيلًا» أى ميزناه تمييزا ظاهرا بينا لا يلتبس و بيناه تبيانا شافيا لا يخفى.

النظم

اتصلت الآيه الأولى بقوله «عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُزَحِّمَكُمْ» و الوجه فيه أنه لما أمر بنى إسرائيل بالرجوع إلى الطريق المستقيم من التوبه و قبول الإسلام بين أن ذلك الطريق هذا الكتاب الذى يدل على ما هو أحسن الأديان و قيل يتصل بقوله «وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ» أى كما آتيناه التوراه آتينا محمد ص القرآن الذى يهدى إلى الأحسن الأقوم و قيل اتصل بقوله «سَيُجْحَنُ الَّذِي أُسْرِيَ» كأنه قال أسرى بعبده و آتاه الكتاب الذى هذه صفته و إنما اتصل قوله «يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ» الآيه مما تقدم من بشاره الكفار بالعذاب فيبين عقبيه أنهم يستعجلون العذاب جهلا و عنادا ثم بين أنه يستجيب لهم ما فيه صلاحهم ثم بين بالآيه الأخرى أنه أنعم عليهم بوجوه النعم كالليل و النهار و نحو ذلك و إن لم يشكروه.

إشارة

وَ كَمَلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا (١٣) أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا (١٤) مَن اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَ مَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَ لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا (١٥)

القراءة

قرأ أبو جعفر و يخرج له بضم الياء و فتح الراء و قرأ يعقوب و يخرج له بفتح الياء و ضم الراء و الباقون «و نُخْرِجُ» بالنون و قرأ أبو جعفر و ابن عامر تلقيه بضم التاء و فتح اللام و تشديد القاف و الباقون «يَلْقَاهُ» بفتح الياء و سكون اللام.

الحج

من قرأ و يخرج له فمعناه أنه يخرج له عمله أو طائره يوم القيامة كتابا و يكون كتابا منصوبا على الحال و من قرأ و يخرج فتقديره فيخرج له عمله أو طائره و يكون كتابا حالا أيضا من الضمير في يخرج كما في الأول و من قرأ «و نُخْرِجُ» بالنون فيكون كتابا مفعولا- لنخرج و يجوز أن يكون منصوبا على التمييز على معنى و نخرج طائره له كتابا و يجوز أن يكون نصبا على الحال فيكون بمعنى ذا كتاب أى مثبتا فى الكتاب الذى قال فيه لا يُعَادِرُ صَغيرَةً وَ لا كَبيْرَةً إِلا أَحْصَاهَا و قوله «مَنشُورًا» يكون منصوبا على الحال من الهاء فى يلقاه على القراءات جميعا و من قرأ «يَلْقَاهُ مَنشُورًا» فإنه يدل عليه قوله وَ إِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ و من قرأ يلقاه فيدل عليه قوله وَ يَلْقَوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَ سَلَامًا.

اللغة

الإنسان يقع على المذكر و المؤنث فإذا أردت الفصل قلت رجل و امرأه مثل ذلك فرس يقع على المذكر و المؤنث فإذا أردت الفصل قلت حصان و حجر و فى الهماليج برذون و رمكه و كل بعير يقع على المذكر و المؤنث فإذا فصلت قلت جمل و ناقه و اشتقاق الإنسان من الإنس أو الأُنس و هو فعلان عند البصريين و قال الكوفيون هو من النسيان و أصله إنسيان حذف الياء منه استخفافا و احتجوا على ذلك بقول العرب فى تصغيره إنسيان و هذه الياء عند البصريين زائدة و هو من التصغير الشاذ عندهم مثل عشيته و مغربان الشمس و ليليه و أشباه ذلك و الطائر هاهنا عمل الإنسان شبه بالطائر الذى يسنح و يتبرك به و الطائر الذى يبرح

فيتشاءم به و السانح الذى يجعل ميامنه إلى مياسرك و البارح الذى يجعل مياسره إلى ميامنك و الأصل فى هذا أنه إذا كان سانحا أمكن الرامى و إذا كان بارحا لم يمكنه قال أبو زيد: كل ما يجرى من طائر أو ظبى أو غيره فهو عندهم طائر و أنشد لكثير:

فلست بناسيها و لست بتارك إذا أعرض الأدم الجوارى سؤالها

أ أدرك من أم الحكيم غبيطه بها خبرتنى الطير أم قد أتى لها

يخبر فى البيت الأخير أن الذى زجره طائر و أنشد لزهير فى ذلك:

فلما أن تفرق آل ليلى جرت بينى و بينهم ظبا

جرت سنحا فقلت لها مروعا نوى مشموله فمتى اللقاء

و قال و قولهم سألت الطير و قلت للطير إنما هو زجرتها من خير أو شر و يقوى ما ذكره قول الكميت:

و لا أنا ممن يزجر الطير، همه: أ صاح غراب أم تعرض ثعلب

و أنشد لحسان بن ثابت:

ذرينى و علمى بالأمر و شيمتى فما طائرى فيها عليك بأخيلا

أى ليس رأبى بمشئوم و أنشد لكثير:

أقول إذا ما الطير مرت مخيله لعلك يوما فانتظر أن تنالها

و إنما قال «طائره فى عنقه» و لم يقل فى يده لينبه على لزوم ذلك له و تعلقه به كما يقال طوقتك كذا أى قلدتك كذا و ألزمته

إياك و منه قلده السلطان كذا أى صارت الولاية فى لزومها له فى موضع القلاده و مكان الطوق قال الأعشى:

قلدتك الشعر يا سلامه ذا الإفضال و الشعر حيث ما جعلنا

و قال الآخر:

إن لى حاجه إليك فقالت بين أذنى و عاتقى ما تريد

و العرب تقيم هذا العضو مقام الذات فتقول أعتقت رقبه و طوقت عنقى أمانه و لذلك قال أبو حنيفة: إذا قال الإنسان عنقك أو رقبتك حر عتق لأنه يعبر بذلك عن جميع البدن و لو قال يدك أو شعرك حر لا يعتق لأنه لا يعبر بذلك عن جميع البدن و قال الشافعى: هما سواء يعتق فى الحالين.

الإعراب

موضع بنفسك رفع لأنه فاعل كفى و حسيبا نصب على التمييز له و قال أبو بكر السراج: المعنى كفى الاكتفاء بنفسك فالفاعل على هذا محذوف و الجار و المجرور فى موضع النصب على أصله و حسيبا نصب على الحال من كفى.

المعنى

لما قدم سبحانه ذكر الوعيد أتبع ذلك بذكر كيفيته فقال «وَكُلِّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ» معناه و ألزمتنا كل إنسان عمله من خير أو شر فى عنقه عن ابن عباس و مجاهد و قتاده يريد جعلناه كالطوق فى عنقه فلا يفارقه و إنما قيل للعمل طائرا على عادة العرب فى قولهم جرى طائره بكذا و مثله قوله سبحانه «قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ» و قوله «إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ» و قيل طائره يمينه و شؤمه عن الحسن و هو ما يتطير منه و قيل طائره حظه من الخير و الشر عن أبى عبده و القتيبي و خص العنق لأنه محل الطوق الذى يزين المحسن و الغسل الذى يشين المسىء و قيل طائره كتابه و قيل معناه جعلنا لكل إنسان دليلا من نفسه لأن الطائر عندهم يستدل به على الأمور الكائنه فيكون معناه كل إنسان دليل نفسه و شاهد عليها إن كان محسنا فطائره ميمون و إن ساء فطائره مشئوم «وَنُخْرِجْ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا» و هو ما كتبه الحفظه عليهم من أعمالهم «يَلْقَاهُ» أى يرى ذلك الكتاب «مَنْشُورًا» أى مفتوحا معروضا عليه ليقرأه و يعلم ما فيه و الهاء فى له يجوز أن تكون عائده إلى الإنسان و يجوز أن تكون عائده إلى العمل «أَقْرَأُ كِتَابَكَ» فهانها حذف أى و يقال له اقرأ كتابك قال قتاده يقرأ يومئذ من لم يكن قارئاً فى الدنيا و

روى جابر بن خالد بن نجيح عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال يذكر العبد جميع أعماله و ما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعه فلذلك قالوا يا وَيْلَتْنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَ لَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا

«كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» أى محاسباً و إنما جعله محاسباً لنفسه لأنه إذا رأى أعماله يوم القيامة كلها مكتوبه و رأى جزاء

أعماله مكتوبا بالعدل لم ينقص عن ثوابه شىء و لم يزد على عقابه شىء ء أذعن عند ذلك و خضع و تضرع و اعترف و لم يتهياً له حجه و لا إنكار و ظهر لأهل المحشر أنه لا يظلم قال الحسن: يا ابن آدم لقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك «مَنْ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ» أى من اهتدى فى الدنيا إلى دين الله و طاعته فمنفعه اهتدائه راجعه إليه «وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا» أى و من ضل عن الدين فضرر ضلاله راجع إلى نفسه و عقوبه ضلاله على نفسه «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أى لا تحمل حامله حمل أخرى أى ثقل ذنوب غيرها و لا يعاقب أحد بذنوب غيره و

روى عن النبى ص أنه قال لا تحن يمينك على شمالك

و هذا مثل ضربه (عليه السلام) و فى هذا دلالة واضحة على بطلان قول من يقول أن أطفال الكفار يعذبون مع آبائهم فى النار «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» معناه و ما كنا معذبين قوما بعذاب الاستئصال إلا بعد الأعدار إليهم و الإنذار لهم بأبلغ الوجوه و هو إرسال الرسل إليهم مظاهره فى العدل و إن كان يجوز مؤاخذتهم على ما يتعلق بالعقل معجلاً فعلى هذا التأويل تكون الآيه عامه فى العقلية و الشرعيات و قال الأكثرون من المفسرين و هو الأصح أن المراد بالآيه أنه لا يعذب سبحانه فى الدنيا و لا فى الآخرة إلا بعد البعث فتكون الآيه خاصه فيما يتعلق بالسمع من الشرعيات فأما ما كانت الحججه فيه من جهه العقل و هو الإيمان بالله تعالى فإنه يجوز العقاب بتركه و إن لم يبعث الرسول عند من قال إن التكليف العقلى ينفك من التكليف السمعى على أن المحققين منهم يقولون أنه و إن جاز التعذيب عليه قبل بعثه الرسول فإنه سبحانه لا يفعل ذلك مبالغه فى الكرم و الفضل و الإحسان و الطول فقد حصل من هذا أنه سبحانه لا يعاقب أحدا حتى ينفذ إليهم الرسل المنبهين إلى الحق الهادين إلى الرشده استظهارا فى الحججه لأنه إذا اجتمع داعى العقل و داعى السمع تأكد الأمر و زال الريب فيما يلزم العبد و قد أخبر سبحانه فى هذه الآيه عن ذلك و هذا لا يدل على أنه لو لم يبعث رسولا لم يحسن منه أن يعاقب إذا ارتكب القبائح العقليه إلا أن يفرض فى بعثه الرسول لطفاً فإن عند ذلك لا يحسن منه سبحانه أن يعاقب أحدا إلا بعد أن يوجه إليه مما هو لطف له فيزاح بذلك علقته.

إشارة

وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَّيُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا (١٦) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ وَ كَفَى بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (١٧) مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصِيرُ فِيهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا (١٨) وَ مَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا (١٩) كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَ هَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا (٢٠)

انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَ لِلآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا (٢١) لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقَعُدَ مَذْمُومًا مَخْذُولًا (٢٢)

القراءة

القراءة العامة «أَمَرْنَا» بالتخفيف غير ممدود و

قرأ يعقوب أمرنا بالمد و هو قراءه على بن أبي طالب (عليه السلام)

و الحسن و أبي العالیه و قتاده و جماعه و قرأ أمرنا بالتشديد للميم ابن عباس و أبو عثمان النهدي و أبو جعفر محمد بن علي بخلاف و قرأ أمرنا بكسر الميم بوزن عمرنا الحسن و يحيى بن يعمر.

الحج

قال أبو عبيده: أمرنا أكثرنا من قولهم أمر بنو فلان أي كثروا و أنشد للبيد:

إن يغبطوا يهبطوا و إن أمروا يوما يصيروا للهلك و النفد

قال أبو علي لا يخلو قوله «أَمَرْنَا» مخففه الهمزه من أن يكون فعلنا من الأمر أو من أمر القوم و أمرتهم مثل شترت عينه و شترتها و رجع و رجعت و سار و سرته فمن لم ير أن يكون أمرنا من أمر القوم إذا كثروا كما حكى ذلك يونس عن أبي عمرو فإنه ينبغي أن يكون من الأمر الذي هو خلاف النهي و يكون المعنى أمرناهم بالطاعة فعصوا و فسقوا و من قرأ أمرنا فإنه يكون أفعالنا من أمر القوم إذا كثروا و أمرهم الله و كذلك إن ضاعف العين فقال أمرنا و يقوى حمل أمرنا على النقل من أمر و أن لا يجعل من الأمر الذي هو خلاف النهي أن الأمر بالطاعة على هذا يكون مقصورا على المترفين فقد أمر الله بطاعته جميع خلقه من مترف و غيره و يحمل

أمرنا على أنه مثل أمرنا و نظير هذا كثر و أكثره الله و كثره و لا يحمل أمرنا على أن المعنى جعلناهم أمراء لأنه لا يكاد يكون في قريه واحده جماعه أمراء فإن قلت يكون منهم الواحد بعد الواحد فإنهم إذا كانوا كذلك لا يكثرون في حال و إنما يهلك بكثره المعاصى فى الأرض و على هذا جاء الأمر فى التنزيل يا عِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِىَ وَاسِعَةٌ فَإِيَّائِى فَاعْبُدُونِ فَأمرنا بالخروج من الأرض التى تكثر فيها المعاصى إلى ما كان بخلاف هذه الصفه و مما جاء فيه أمر بمعنى الكثره قول زهير:

و الإثم من شر ما يصال به و البر كالغيث نبته أمر

و أما أمرنا فقد روى ابن جنى بإسناده عن أبى حاتم قال: قال أبو زيد: يقال أمر الله ماله و أمره و من قال إن أمرنا لا يكون بمعنى أكثرنا قال فى

قوله (خير المال سكه مأبوره و مهره مأموره)

إن معنى مأموره مؤمره فإنما قال هذه لمكان الازدواج كما قالوا الغدايا و العشايا و الغداه لا تجمع على الغدايا لكن قيل ذلك ليزدوج الكلام.

اللغة

الترفه النعمه قال ابن عرفه: المترف المتروك يصنع ما يشاء و لا يمنع منه و التدمير و الإهلاك و الدمار الهلاك و يقال ذمته و ذاميته و ذمته فهو مذموم و مذموم و مذموم و مذيوم بمعنى و يكون ذامته بمعنى طردته و يقال اصنع ذاك و خلاك ذم أى و لا ذم عليك و الدحر الإبعاد و المدحور المبعد و المطرود يقال اللهم ادحر عنا الشيطان أى أبعده.

الإعراب

«كَمْ أَهْلَكْنَا» موضع كم نصب بأهلكتنا و دخلت الباء فى قولك بربك للمدح كما تقول ناهيك به رجلا و جاد بثوبك ثوبا و طاب بطعامك طعاما و أكرم به رجلا و يكون فى كل ذلك فى موضع رفع كما قال الشاعر:

و يخبرنى عن غائب المرء هديه كفى الهدى عما غيب المرء مخبر

فرفع لما أسقط الباء و يصليها فى موضع نصب على الحال لمن نريد بدل من قوله «عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ» و أعاد اللام لما كان البدل فى تقدير جملة أخرى كقوله «لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ» و مذموما حال من الضمير المستكن فى يصليها «كُلًّا نُمِدُّ» نصب كلا بنمد و هؤلاء

بدل من قوله «كُلًّا» أى نمد كل واحد من هؤلاء و هؤلاء.

المعنى

«وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا» لما لم يجز فى العقول تقديم إرادته العذاب على المعصية لأنه عقوبه عليها و يستحقه لأجلها فمتى لم توجد المعصية لم يحسن فعل العقاب و إذا لم يحسن فعله لم تحسن إرادته اختلفوا فى تأويل الآيه و تقديرها على وجوه (أحدها) إن معناه و إذا أردنا أن نهلك أهل قريه بعد قيام الحجه عليهم و إرسال الرسل إليهم أمرنا مترفيها أى رؤساءها و ساداتها بالطاعه و اتباع الرسل أمرا بعد أمر نكرره عليهم و بينه بعد بينه نأتيهم بها إعدارا للعصاه و إنذارا لهم و توكيدا للحجه ففسقوا فيها بالمعاصى و أبوا إلا تماديا فى العصيان و الكفران «فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ» أى فوجب حينئذ عليها الوعيد «فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا» أى أهلكتناها إهلاكا و إنما خص المترفين و هم المنعمون و الرؤساء بالذكر لأن غيرهم تبع لهم فيكون الأمر لهم أمرا لأتباعهم و على هذا فيكون قوله «أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا» جوابا لإذا و إليه يؤول ما روى عن ابن عباس و سعيد بن جبير أن معناه أمرناهم بالطاعه فعصوا و فسقوا و مثله أمرتك فعصيتنى و يشهد بصره هذا التأويل الآيه المتقدمه و هى قوله «مَنْ أَهْتَدَى» فإنما يهتدى لنفسه إلى قوله «وَ مَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» (و ثانيها) إن قوله «أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا» من صفه القريه و تقديره و إذا أردنا أن نهلك قريه صفتها أنا كنا قد أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا يكون لإذا جواب ظاهر فى اللفظ للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدلاله عليه و نظيره قوله سبحانه «حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا» إلى قوله «فَنِعَمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ» فلم يأت لإذا جواب فى طول الكلام للاستغناء عنه بما فى الكلام من الدلاله و مما يشهد بصره ذلك قول الهذلى:

حتى إذا سلكوهم فى قتائده شلا كما تطرد الجماله الشردا

فحذف جواب إذا لأن هذا البيت آخر القصيده (و ثالثها) إن الآيه محموله على التقديم و التأخير و تقديرها إذا أمرنا مترفى قريه بالطاعه فعصوا أردنا إهلا-كهم و مما يمكن أن يكون شاهدا لهذا الوجه قوله «وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ» و قيام الطائفه معه يكون قبل إقامه الصلاه لأن إقامتها هى الإتيان بجميعها على الكمال و كذلك قوله «إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ» و الطهاره إنما تجب قبل

القيام إلى الصلاة (و رابعها) أنه سبحانه ذكر الإرادة على وجه المجاز و الاتساع و إنما عنى بها قرب الهلاك و العلم بكونه لا محاله كما يقال إذا أراد العليل أن يموت خلط في مأكله و يسرع إلى ما تتوق نفسه إليه و إذا أراد التاجر أن يفتقر أتاه الخسران من كل وجه و معلوم أن العليل و التاجر لم يريدوا في الحقيقة شيئاً لكن لما كان من المعلوم من حال هذا الهلاك و من حال ذلك الخسران حسن هذا الكلام و استعمل ذكر الإرادة لهذا الوجه و لكلام العرب إشارات و استعارات و مجازات لأجلها كان كلامهم فى الغايه القصوى من الفصاحه و الوجه الأول عندى أصح الوجوه و أقربها إلى الصواب إذا تأولت الآية على الأمر الذى هو ضد النهى إذا تأولت الآية على معنى القراءتين الأخيرتين من أمرنا بالمد و أمرنا بالتشديد فلن يخرج على هذا الوجه و تكون محموله على أحد الأوجه الثلاثة الأخر ثم بين سبحانه ما فعله من ذلك بالقرون الخالية فقال «وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ» أى من الأمم الكثيره المكذبه «مَنْ بَعْدَ نُوحٍ» أى من بعد زمان نوح إلى زمانك هذا لأن كم تفيد التكثر كما أن رب تفيد التقليل و القرن مائه و عشرون سنه عن عبد الله بن أبى أوفى و قيل مائه سنه عن محمد بن القسم المازنى و روى ذلك مرفوعاً و قيل ثمانون سنه عن الكلبي و

قيل أربعون سنه و رواه ابن سيرين مرفوعاً

«وَكَفَىٰ بَرِّبِكَ بِمَذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا» أى كفى ربك عالماً بذنوب خلقه «بَصِيرًا» بها يجازيهم عليها و لا يفوته شىء منها ثم بين سبحانه أنه يدبر عبادته بحسب ما يراه من المصلحه فقال «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ» أى النعم العاجله و هى الدنيا فعبر عنها بصفتها «عَاجِلًا لَّهٗ فِيهَا مَا نَشَاءُ» من البسط و التقدير و علق ذلك بمشيئته لا بمشيئته العبد فقد يشاء العبد ما لا يشاءه الله فلا يعطيه لكونه مفسده «لِمَنْ نُرِيدُ» أى لمن نريد إعطاءه بين بذلك أنه ربما يكون حريصاً يريد الدنيا فلا يعطى و إن أعطى قليلاً «ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا» أى يصير بصلها و يحترق بنارها «مَدْمُومًا» ملوماً «مَدْحُورًا» مبعداً من رحمه الله و

روى عن ابن عباس أن النبى ص قال معنى الآية من كان يريد ثواب الدنيا بعمله الذى افترضه الله عليه لا يريد به وجه الله و الدار الآخرة عجل له فيها ما يشاء الله من عرض الدنيا و ليس له ثواب فى الآخرة

و ذلك أن الله سبحانه و تعالى يؤتیه ذلك ليستعين به على الطاعة فيستعمله فى معصيه الله فيعاقبه الله عليه «وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ» أى و من أراد خير الآخرة و نعيم الجنة «وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ» أى فعل الطاعات و تجنب المعاصى و هو مع ذلك مصدق بتوحيد الله مقر بأبيائه «فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا» أى تكون طاعتهم مقبوله و قيل شكره أنه سبحانه يضاعف حسناتهم و يتجاوز عن سيئاتهم عن قتاده و المعنى أنا أحللنا سعيهم محل ما يشكر عليه فى حسن الجزاء و روى عن الحسن أنه

قال: اطلبوا الآخرة فما رأيت طالبا لها إلا نالها و ربما نال الدنيا و ما رأيت طالب دنيا نال الآخرة و ربما لا ينال الدنيا أيضا «كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَ هَؤُلَاءِ» أى كل واحد من هذين الفريقين ممن يريد الدنيا و ممن يريد الآخرة نمدهم أى نزيدهم و قيل كلا نعطي من الدنيا البر و الفاجر عن الحسن و المعنى أنا نعطي المؤمن و الكافر فى الدنيا و أما الآخرة فللمتقين خاصة «مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ» أى نعمه ربك و رزقه «وَ مَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا» معناه و ما كان رزق ربك محبوسا عن الكافر لكفره و لا عن الفاسق لفسقه " سؤال " فإن قيل هل يجوز أن يريد المكلف بعمله العاجل و الآجل و الجواب نعم إذا جعل العاجل تبعاً للآجل كالمجاهد فى سبيل الله يقاتل لإعزاز الدين و يجعل الغنيمه تبعاً «أَنْظُرْ» يا محمد «كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» بأن جعلنا بعضهم أغنياء و بعضهم فقراء و بعضهم موالى و بعضهم عبيدا و بعضهم أصحاباً و بعضهم مرضى على حسب ما علمناه من المصالح «وَ لِلْآخِرَةِ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَ أَكْبَرُ تَفْضِيلًا» أى درجاتها و مراتبها أعلى و أفضل و هى مستحقه على قدر الأعمال فىنبغى أن تكون رغبتهم فى الآخرة و سعيهم لها أكثر قد

روى أن ما بين أعلى درجات الجنة و أسفلها ما بين السماء و الأرض

و فى الآيه دلالة على أن الطاعة لا تزيد فى رزق الدنيا و إنما تزيد فى درجات الآخرة «لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» قيل أن الخطاب للنبي ص و المراد به أمته و قيل معناه لا تجعل أيها السامع أو أيها الإنسان مع الله إلها آخر فى اعتقادك و إقرارك و لا فى عبادتك و لا فى رغبتك و رهبتك «فَتَقْعِدَ مَيْدُومًا مَّخْذُولًا» معناه فإنك إن فعلت ذلك قعدت و بقيت ما عشت مذموماً على لسان العقلاء مخذولاً و لا ناصر لك يمنع الله نصرته عنك و يكلك إلى ما أشركت به " و قيل " معنى القعود الذل و الخزى و الخسران و العجز لا الجلوس كما يقال قعد به الضعف عن القتال أى عجز عنه.

النظم

وجه اتصال الآيه الأولى بما قبلها أنها اتصلت بقوله «حَتَّى تَبْعَثَ رَسُولًا» و المعنى أنه لا يعذب إلا بعد إرسال الرسل و تقديم الأمر و النهى و إتمام النعمة فى الإنذار و الأعدار و ظهور العصيان من الكفار و الفجار و قيل إنها تتصل بما تقدم من قصة بنى إسرائيل و ما فعل بهم فى الكره الأولى و الثانية فبين سبحانه أن ما فعله موافق لعادته فيمن يريد إهلاكه فإنما يهلك القرى إذا أمر مترفيها بالطاعة ففسقوا فيكون إهلاكهم بالاستحقاق لا على الابتداء.

ص: ٢١٣

إشارة

وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَ قُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا (٢٤) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا (٢٥)

القراءة

يبلغان بالألف و كسر النون كوفى غير عاصم و الباقون «يَبُلُغَنَّ» أف بفتح الفاء هاهنا و فى الأنبياء و الأحقاف مكى شامى و يعقوب و سهل و «أف» بالكسر و التنوين فى الجميع مدنى و حفص و الباقون أف بالكسر غير منون و فى الشواذ قراءة أبى السماك أف مضمومه غير منونه و قرأ ابن عباس أف خفيفه و جناح الذل بكسر الذال.

الحج

قال أبو على قوله: «إِمَّا يَبُلُغَنَّ» يرتفع أحدهما به و قوله «كِلاهُمَا» معطوف عليه و الذكر الذى عاد من قوله «أَحَدُهُمَا» يغنى عن إثبات علامه الضمير فى يبلغان فلا وجه لقول من قال: إن الوجه إثبات الألف لتقدم ذكر الوالدين عنى به الفراء و إنما الوجه فى ذلك أنه على الشىء الذى يذكر على وجه التوكيد و لو لم يذكر لم يقع بترك ذكره إخلال نحو قوله «أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ» فقوله غَيْرُ أَحْيَاءٍ توكيد لأن قوله أَمْوَاتٌ يدل عليه فىكون الألف مجردة لمعنى التثنيه و لا- حظ للاسميه فيها و يرتفع «أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا» بالفعل و قال الزجاج يكون «أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا» بدلا من الألف فى يبلغان قال أبو على من قرأ أف بالفتح فإنه بناه على الفتح كقولهم سرعان ذا إهاله و هو اسم لسرع و مثله وشكان قال:

لوشكان ما عينتم و شتمتم بإخوانكم و العز لم يتجمع

و كذلك أف اسم لأتضجر و أتكره و نحو ذلك من قرأ «أف» فإنه بدخول التنوين يدل على التنكير مثله مه و صه و مثله قولهم "فداء لك" بنوه على الكسر و إن كان فى الأصل مصدرا كما كان أف فى الأصل مصدرا من قولهم أفه و تفه يراد بها نتنا و دفرا و من قرأ أف و لم ينون جعله معرفه فلم ينون كما أن من قال صه و غاق فلم ينون أراد به المعرفه فإن قلت ما موضع

أف في هذه اللغات بعد القول هل يكون موضعه نصباً كما ينتصب المفرد بعده أو يكون كما تكون الجمل فالقول أن موضعه موضع الجمل كما أنك لو قلت رويد لكان موضعه موضع الجمل قال الزجاج: في أف سبع لغات أف بالضم منونا و غير منون و أف و أفا و أوفى مما له و زاد ابن الأنباري أف خفيفه مفتوحه قال أبو الحسن: و قول الذين قالوا «أف» أكثر و أجود و لو قلت أف لك و أفا لك لا حتمل و جهين (أحدهما) أن يكون الذي صار اسماً للفعل لحقه التنوين علامه للتنكير (و الآخر) أن يكون نصباً معرباً و كذا الضم فإن لم يكن معه لك كان ضعيفاً ألا ترى أنك لا تقول ويل و لو قلته لم يستقم حتى يوصل به لك فيكون في موضع الخبر و الذل ضد الصعوبه و الذل ضد العز و الأول في الدابه و الثاني في الإنسان.

الإعراب

قوله «و بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» العامل في الباء قضى و التقدير و قضى بالوالدين إحساناً و يجوز أن يكون على تقدير و أوصى بالوالدين إحساناً و حذف لدلاله الكلام عليه قال الشاعر:

عجبت من دهماء إذ تشكونا و من أبى دهماء إذ يوصينا

خيرا بها كأننا خافونا

فأعمل يوصينا في الخير " كما ربياني " أي كرحمه تربيتها يعني رحمه تحدث عند التبريه كما تقول ضرر التلف و قيل الكاف بمعنى على ارحمهما على ما ربياني عن الأخفش و كذا قال في قوله كما أمرت * «إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ» منكم فحذف و يجوز أن يكون على كان لكم فوضع الظاهر موضع المضمرة لأنهم الصالحون.

المعنى

لما تقدم النهي عن الشرك و المعاصي عقب سبحانه بالأمر بالتوحيد و الطاعات فقال سبحانه «و قَضَى رَبُّكَ» أي أمر ربك أمراً باتاً عن ابن عباس و الحسن و قتاده و قيل ألزم و أوجه ربك عن الربيع بن أنس و قيل أوصى عن مجاهد «أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» معناه أن تعبدوه و لا تعبدوا غيره فإن قيل إن الأمر لا يكون أمراً بأن لا يكون الشيء ء لأن الأمر يقتضى إرادته المأمور به و الإرادة لا تتعلق بأن لا- يكون الشيء ء و إنما تتعلق بحدوث الشيء ء فالجواب أن المعنى أراد منكم عبادته على وجه الإخلاص و كره منكم عباده غيره و عبر عن ذلك بقوله أمر أن لا تعبدوا إلا إياه «و بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» أي و قضى بالوالدين إحساناً أو

أوصى بالوالدين إحسانا و معناهما واحد لأن الوصيه أمر «إِذَا بَلَغَ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا» يعنى به الكبر فى السن و المعنى إن عاشا عندك أيها الإنسان المخاطب حتى يكبرا أو عاش أحدهما حتى يكبر يريد أن بلغا فى السن مبلغا يصيران بمنزله الطفل الذى يحتاج إلى متعهد و خص حال الكبر و إن كان من الواجب طاعه الوالدين على كل حال لأن الحاجه أكثر فى تلك الحال إلى التعهد و الخدمه و هذا مثل قوله «وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَ كَهْلًا» مع أن الناس كلهم يتكلمون فى حال الكهوله و الوجه فيه أنه سبحانه أخبر أن عيسى يكلم الناس فى المهد و أنه يعيش حتى يكهل و يتكلم بعد الكهوله و نحو ذلك قوله وَ الْمَأْمُرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ وَ إِنَّمَا خص ذلك اليوم لأنه لا يملك فيه أحد سواه و قيل إن الكبر فى الآيه راجع إلى المخاطب أى إن بلغت حال الكبر و هو حال التكليف و قد بقى معك أبواك أو أحدهما «فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٌّ» و

روى عن على بن موسى الرضا عن أبيه عن جده أبى عبد الله (عليه السلام) قال لو علم الله لفظه أوجز فى ترك عقوق الوالدين من أف لأتى به

و فى روايه أخرى عنه قال أدنى العقوق أف و لو علم الله شيئا أيسر منه و أهون منه لنهى عنه

و

فى خبر آخر فليعمل العاق ما يشاء أن يعمل فلن يدخل الجنة

فالمعنى لا تؤذيها بقليل و لا كثير قال مجاهد: معناه أن بلغا عندك من الكبر ما يبولان و يحدثان فلا تتقذرهما و أمط عنهما كما كانا يميطان عنك فى حال الصغر و المتبرم يكثر قول أف و هى كلمه تدل على الضجر و قيل إن الأف و التف و سخ الأصابع إذا فتلتته عن أبى عبيده و قيل هى كلمه كراهه عن ابن عباس و قيل معناه التنن و جاء فى المثل أبر من النسر قالوا لأن النسر إذا كبر و لم ينهض الطيران جاء الفرخ فزقه كما كان أبواه يزقانه «وَلَا تَنْهَرُهُمَا» أى لا تزجرهما بإغلاظ و صياح و قيل معناه لا تمتنع من شىء أرادته منك كما قال وَ أَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ «وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا» أى و خاطبهما بقول رقيق لطيف حسن جميل بعيد عن اللغو و القبيح يكون فيه كرامه لهما و يدل على كرامه المقول له على القائل و قيل معناه قل لهما قول العبد المذنب للسيد اللفظ الغليظ عن سعيد بن المسيب «وَ اخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ» أى و بالغ فى التواضع و الخضوع لهما قولاً- و فعلا برا بهما و شفقه عليهما و المراد بالذل هاهنا اللين و التواضع دون الهوان من خفض الطائر جناحه إذا ضم فرخه إليه فكأنه سبحانه قال ضم أبويك إلى نفسك كما كانا يفعلان ربك و أنت صغير و إذا وصفت العرب إنسانا بالسهوله و ترك الآباء قالوا هو خافض الجناح و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) معناه لا- تملأ- عينيك من النظر إليهما إلا- برأفه و رحمه و لا ترفع صوتك فوق أصواتهما و لا يديك فوق أيديهما و لا تتقدم قدامهما

«وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا» معناه ادع لهما بالمغفره و الرحمه فى حياتهما و بعد مماتهما جزاء ل تربيتهما إياك فى صباك و هذا إذا كانا

مؤمنين و فى هذا دلالة على أن دعاء الولد لوالده الميت مسموع و إلا لم يكن للأمر به معنى و قيل إن الله تعالى أوصى الأبناء بالوالدين لقصور شفقتهم و لم يوص الوالدين بالأبناء لوفور شفقتهم و ذكر حال الكبر لأنهما أحوج فى تلك الحال إلى البر لضعفهما و كونهما كلا على الولد

ففى الحديث أن النبى ص قال رغم أنفه رغم أنفه رغم أنفه قالوا من يا رسول الله قال من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما و لم يدخل الجنة أورده مسلم فى الصحيح

و

روى أبو أسيد الأنصارى قال بينما نحن عند رسول الله ص إذ جاءه رجل من بنى سلمه فقال يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما قال نعم الصلاة عليهما و الاستغفار لهما و إنفاذ عهدهما من بعدهما و إكرام صديقيهما و صلة الرحم التى لا توصل إلا بهما

قال قتاده هكذا علمتم و بهذا أمرتم فخذوه بتعليم الله و أدبه «رَبُّكُمْ أَعْلَمُ» أى أكثر معلوما و قيل أثبت علما فإنه سبحانه أعلم بأن الجسم حادث من الإنسان العالم بذلك «بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ» أى بما تضمرون من البر و العقوق فمن ندرت منه نادره و هو لا يضمم عقوقا غفر الله له ذلك و قيل معناه أنه أعلم بجميع ما فى ضمائركم و هذا أوجه «إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ» أى طائعين لله «فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غُفُورًا» و

الأواب التواب المتعبد الراجع عن ذنبه عن مجاهد و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل إن الأولين المطيعون المحسنون عن قتاده و قيل إنهم الذين يذنبون ثم يتوبون ثم يذنبون ثم يتوبون عن سعيد بن المسيب و قيل هم الراجعون إلى الله فيما ينوبهم عن ابن عباس و قيل هم المسبحون عن ابن عباس فى روايه أخرى و يعضده قوله «يا جِبَالَ أَوْبَى مَعَهُ» و

قيل إنهم الذين يصلون بين المغرب و العشاء روى ذلك مرفوعا

و

روى هشام بن سالم عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال صلاة أربع ركعات يقرأ فى كل ركعه خمسين مره «قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ» هى صلاة الأوابين.

إشارة

وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ وَ لَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا (٢٦) إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا (٢٧) وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا (٢٨) وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا (٢٩) إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٣٠)

اللغة

التبذير التفريق بالإسراف و أصله أن يفرق كما يفرق البذر إلا- أنه يختص بما يكون على سبيل الإفساد و ما كان على وجه الإصلاح لا يسمى تبذيرا و إن كثر قال النابغه:

ترائب يستضيء الحلوى فيها كجمر النار بذر بالظلام

و الإعراض صرف الوجه عن الشئ ء و قد يكون عن قلى و قد يكون للاشتغال بما هو الأولى و قد يكون للإذلال كما قال و أَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ وَ أصل الحسر الكشف من قولهم حسر عن ذراعه يحسر حسرا إذا كشف عنه و الحسره الغم لانحسار ما فأت و دابه حسير إذا كلت لشده السير لانحسار قوتها بالكلال و منه قوله يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصِيرُ خَاسِئًا وَ هُوَ حَسِيرٌ وَ المحسور المنقطع به لذهاب ما فى يده و انحساره عنه قال الهذلى:

إن العسير بها داء مخامرها فشطرها نظر العينين محسور

و يقال حسرت الرجل بالمسألة إذا أفنيت جميع ما عنده.

الإعراب

«وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ» تقديره و إن تعرض و ما مزيده و ابتغاء مفعول له و قيل هو مصدر وضع موضع الحال أى مبتغيا رحمه من ربك ترجوها أى راجيا إياها و ترجوها جملة فى موضع الجر بكونها صفة لرحمه و يجوز أن يكون فى موضع النصب على الحال من الضمير فى تعرضن.

المعنى

ثم حث سبحانه نبيه ص على إيتاء الحقوق لمن يستحقها على كيفية الإنفاق فقال «وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» معناه و أعط القربات حقوقهم التى أوجبها الله لهم فى أموالكم عن ابن عباس و الحسن و قيل إن المراد قرابه الرسول عن السدى

قال إن على بن الحسين (عليه السلام) قال لرجل من أهل الشام حين بعث به (عليه السلام) عبيد الله بن زياد إلى يزيد بن معاوية أ قرأت القرآن قال نعم قال أ ما قرأت «وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» قال و إنكم ذو القربى الذى أمر الله أن يؤتى حقه قال نعم و هو

الذى رواه أصحابنا عن الصادقين (عليه السلام)

و

أخبرنا السيد أبو

ص: ٢١٨

الحمد مهدي بن نزار الحسيني قراءه قال حدثنا أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال حدثنا الحاكم الواحد أبو محمد قال حدثنا [عبد الله] عمر بن أحمد بن عثمان بيغداد شفاها قال أخبرني عمر بن الحسن بن علي بن مالك قال حدثنا جعفر بن محمد الأحمسي قال حدثنا حسن بن حسين قال حدثنا أبو معمر سعيد بن خثيم و علي بن القاسم الكندي و يحيى بن يعلى و علي بن مسهر عن فضل بن مرزوق عن عطيه العوفى عن أبي سعيد الخدرى قال لما نزل قوله «وَ آتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ» أعطى رسول الله ص فاطمه فدكا

قال عبد الرحمن بن صالح كتب المأمون إلى عبد الله بن موسى يسأله عن قصه فدك فكتب إليه عبد الله بهذا الحديث رواه الفضيل بن مرزوق عن عطيه فرد المأمون فدكا إلى ولد فاطمه (عليه السلام) «وَ الْمَسْكِينِ وَ ابْنَ السَّبِيلِ» معناه و آت المسكين حقه الذى جعله الله له من الزكاه و غيرها و آت المجتاز المنقطع عن بلاده حقه أيضا «وَ لَا تُبْذَرُ تَبْدِيرًا» قيل إن المبذر الذى ينفق المال فى غير حقه عن ابن عباس و ابن مسعود و قال مجاهد لو أنفق مدا فى باطل كان مبذرا و لو أنفق جميع ماله فى الحق لم يكن مبذرا و

روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لعنايه كن زامله للمؤمنين و إن خير المطايا أمثلها و أسلمها ظهرا و لا تكن من المبذرين

«إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» معناه إن المسرفين أتباع الشياطين سالكون طريقهم و هذا كما يقال لمن لازم السفر هو أخو السفر و قيل معناه أنهم قرناء الشياطين فى النار «وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا» أى كان الشيطان فى قديم مذهبه كثير الكفر مره بعد أخرى «وَ إِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمْ» أى و إن تعرض عن هؤلاء الذين أمرتك بإيتاء حقوقهم عند مسألهم إياك لأنك لا تجد ذلك حياء منهم «إِيتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا» أى لتبتغى الفضل من الله و السعه التى يمكنك معها البذل بأمل تلك السعه و ذلك الفضل «فَقُلْ لَهُمْ قَوْلًا مَيْسُورًا» أى عداهم عداه حسنه و قل لهم قولاً سهلاً لينا يتيسر عليك و

روى أن النبى ص كان لما نزلت هذه الآية إذا سئل و لم يكن عنده ما يعطى قال يرزقنا الله و إياكم من فضله

«وَ لَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ» أى لا تكن ممن لا يعطى شيئاً و لا يهب فتكون بمنزله من يده مغلوله إلى عنقه لا يقدر على الإعطاء و البذل و هذا مبالغه فى النهى عن الشح و الإمساك «وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ» أى و لا تعط أيضا جميع ما عندك فتكون بمنزله من بسط يده حتى لا يستقر فيها شىء و هذا كناية عن الإسراف «فَتَقَعْدَ مَلُومًا» تلوم نفسك

و تلام «مَحْسُوراً» منقطعاً به و ليس عندك شىء عن السدى و ابن عباس و قيل عاجزا نادما عن قتاده و

قيل محسورا من الثياب و المحسور العريان عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قيل معناه إن أمسكت قعدت ملوما مذموما و إن أسرفت بقيت متحسرا مغموما عن الجبائي و قال الكلبي لا تعط ما عندك جميعا فيجىء الآخرون يسألونك فلا تجد ما تعطيهم فيلومونك و

روى أن امرأه بعثت ابنها إلى رسول الله ص و قالت قل له إن أمى تستكسيك درعا فإن قال حتى يأتينا شىء فقل له إنها تستكسيك قميصك فأتاه فقال ما قالت له فنزع قميصه فدفعه إليه فنزلت الآية و يقال إنه (عليه السلام) بقى فى البيت إذ لم يجد شيئا يلبسه و لم يمكنه الخروج إلى الصلاة فلامه الكفار و قالوا إن محمدا اشتغل بالنوم و اللهو عن الصلاة

«إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَ يَقْدِرُ» أى يوسع مره و يضيق مره بحسب المصلحه مع سعه خزائنه «إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» أى عالما بأحوالهم بصيرا بمصالحهم فيبسط على واحد و يضيق على آخر يدبرهم على ما يراه من الصلاح.

النظم

و إنما اتصلت هذه الآية الأخيره بما قبلها من حيث إن فيها حثا على الإعطاء اعتمادا على الله تعالى و نهيا عن البخل و حثا على القصد إذ هو سبحانه مع غناه و كمال قدرته يوسع مره و يضيق مره أخرى مراعاة للمصلحه فمن هو دونه أولى أن يراعى الصلاح و يملك طريق القصد.

ص: ٢٢٠

إشارة

وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَشِيَّةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِبَائَكُمْ إِن قَتَلْتُمْ إِيَّاهُمْ كَانَ خَطَاً كَبِيراً (٣١) وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجِيَّ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَ سَاءَ سَبِيلًا (٣٢) وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِئِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا (٣٣) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا (٣٤) وَ أَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَ زِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا (٣٥)

القراءة

قرأ أبو جعفر و ابن عامر بروايه ابن ذكوان كان خطأ بفتح الخاء و الطاء من غير ألف بعدها و قرأ ابن كثير خطأ بكسر الخاء و ممدودا و الباقون «خطأ» بكسر الخاء من غير مد و فى الشواذ قراءة الزهرى و أبى رجاء خطأ بكسر الخاء غير ممدود و قراءة الحسن خطأ بالمد و فى روايه أخرى عنه خطأ بفتح الخاء و الطاء خفيفه و قرأ أهل الكوفه غير عاصم فلا تسرف بالتاء و الباقون بالياء و قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر «بالقسطاس» بكسر القاف و الباقون بضمها.

الحج

الخطأ ما لم يتعمد و كان المأثم فيه موضوعا عن صاحبه قال أبو على: قالوا أخطأ فى معنى خطئى كما أن خطئى فى معنى أخطأ فى مثل قوله:

عبادك يخطئون و أنت رب كريم لا يليق بك الذموم

فمجرى الكلام أنهم خاطئون و فى التنزيل لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا و المؤاخذه عن المخطئ موضوع فهذا يدل على أن أخطأنا فى معنى خطئنا و كما جاء أخطأ فى معنى خطئى كذلك جاء خطئى فى معنى الخطئ فى قوله:

" يا لهف هند إذ خطئنا كاهلا "

و فى قول الآخر:

و الناس يلحون الأمير إذا هم خطئوا الصواب و لا يلام المرشد

فكذلك قراءة ابن عامر خطأ فى معنى أخطأ كما جاء خطئى بمعنى أخطأ و يجوز أن يكون الخطأ بمعنى الخطء أيضا كالمثل و المثل و الشبه و الشبه و البدل و البدل و أما قراءة ابن كثير خطأ فإنه يجوز أيضا أن يكون مصدر خاطا و إن لم يسمع خاطا و لكن جاء ما يدل عليه و هو قوله:

" تخاطأت النبل أحشاءه "

قال: و أنشدنا محمد ابن السرى فى وصف كمأه:

و أشعث قد ناولته أحرش القرى أدرت عليه المدججات الهواضب

تخاطأه القناص حتى وجدته و خرطومه فى منقع الماء راسب

ص: ٢٢١

تخاطباً يدل على خاطباً لأن تفاعل مطاوع فعل كما أن تفعل مطاوع فعل و وجه من قرأ خطأ بين فإنه يقال خطيئ يخطأ خطأ إذا تعمد الشئىء و الفاعل منه خاطئ و قد جاء الوعيد فيه فى قوله تعالى لا يأكله إلا الخاطئون و أما خطأ فهو اسم بمعنى المصدر و من أخطأت كالعطاء من أعطيت و قال ابن جنى: يقال خطيئ يخطأ خطأ و خطأ فى الدين و إخطاء الغرض و نحوه و قد يتداخلان و أما خطأ و خط فتخفيف خطأ و خطأ قال أبو على: و أما قوله «فلا يسرف» بالياء فإن فاعل يسرف يجوز أن يكون على وجهين (أحدهما) أن يكون القاتل الأول فيكون تقديره فلا يسرف القاتل فى القتل و يكون مضمرا و إن لم يجر له ذكر لأن الحال تدل عليه فإن قلت كيف يكون فى القتل قصد بين شيئين حتى ينهى عن الإسراف فيه الذى هو ترك القصد (فالجواب) أنه لا- يمتنع أن يكون فيه الإسراف كما جاء فى أموال اليتامى و لا تأكلوها إسرافاً و لم يجر أن يؤكل منه لا على الاقتصاد و لا- على غيره لقوله «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً» الآية فكذلك لا يمتنع أن يقال للقاتل الأول لا يسرف فى القتل لأنه بقتله يكون مسرفاً و يكون الضمير على هذا فى قوله «إنه كان منصوراً» لقوله «و من قتل مظلوماً» تقديره فلا يسرف القاتل المبتدئ بقتله فى القتل لأن من قتل مظلوماً كان منصوراً بأن يقتص له و ليه أو السلطان أن لم يكن له و لى غيره فيكون هذا ردعا للقاتل عن القتل كما أن قوله و لكم فى القصاص حياة كذلك فالولى إذا اقتص فإنما يقتص للمقتول و منه انتقل إلى الولى بدلاله أن المقتول لو أبرئ من السبب المؤدى إلى القتل لم يكن للولى أن يقتص و لو صالح الولى من العمد على مال كان للمقتول أن يؤدى منه دينه و لا- يمتنع أن يقال فى المقتول منصور لأنه قد جاء و نصرتنا من القوم الذين كذبوا بآياتنا (و الآخر) أن يكون فى يسرف ضمير الولى أى فلا يسرف الولى فى القتل و إسرافه فيه أن يقتل غير الذى قتل أو يقتل أكثر من قاتل و ليه و كان مشركو العرب يفعلون ذلك و التقدير فلا- يسرف الولى فى القتل إذ الولى كان منصوراً بقتل قاتل و ليه و الاقتصاد من القاتل و من قرأ فلا تسرف بالتاء احتمال وجهين أيضا (أحدهما) أن يكون المبتدئ القاتل ظلما فليل له لا تسرف أيها الإنسان فتقتل ظلما من ليس لك قتله أن من قتل مظلوماً كان منصوراً بأخذ القصاص له (و الآخر) أن يكون الخطاب للولى فيكون التقدير فلا- تسرف أيها الولى فى القتل فتتعدى قاتل وليك إلى من لم يقتله أن المقتول ظلما كان منصوراً و كل واحد من المقتول ظلما و من و لى المقتول قد تقدم ذكره فى قوله «و من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً» و أما القسطاس و القسطاس فهما لغتان مثل القسطاس و القسطاس و الضم أكثر.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «و لا تقتلوا أولادكم» أى بناتكم «خشية إفلاق» أى خوف فقر و عجز عن النفقة عليهن و يحتمل أن يكون قوله «و لا تقتلوا»

منصوباً عطفاً على قوله «أَلَّا تَعْبُدُوا» ويجوز أن يكون على النهي فيكون مجزوماً وإنما نهاهم الله عن ذلك لأنهم كانوا يبدون البنات فيدفنونهن أحياء «نَحْنُ نَزُرُّهُنَّ وَإِيَّاكُمْ» أخبر سبحانه أنه متكفل برزق أولادهم ورزقهم «إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْأً كَبِيراً» يعنى أن قتلهم فى الجاهلية كان إثماً عظيماً عند الله و هو اليوم كذلك «وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى» و هو وطء المرأة حراماً بلا عقد و لا شبهه عقد «إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً» أى معصية كبيرة عظيمة و المراد أنه كان عندهم فى الجاهلية فاحشه و هو الآن كذلك و مثل هذا فى القرآن كثير «وَسَاءَ سَبِيلاً» أى و بسّ الطريق الزنا و فيه إشارة إلى أن العقل يقبح الزنى من حيث إنه لا يكون للولد نسب إذ ليس بعض الزناه أولى به من بعض فيؤدى إلى قطع الأنساب و إبطال الموارث و إبطال صلة الرحم و حقوق الآباء على الأولاد و ذلك مستنكر فى العقول و

أخبرنى المفيد عبد الجبار بن عبد الله بن على قال حدثنا الشيخ أبو جعفر الطوسى قال حدثنا أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن حبيب الفارسى عن أبى بكر محمد بن أحمد بن محمد الجرجرائى قال سمعت أبا عمرو عثمان بن الخطاب المعروف بأبى الدنيا يقول سمعت على بن أبى طالب يقول سمعت رسول الله ص يقول فى الزنا ست خصال ثلاث فى الدنيا و ثلاث فى الآخرة فأما اللواتى فى الدنيا فيذهب بنور الوجه و يقطع الرزق و يسرع الفناء و أما اللواتى فى الآخرة فغضب الرب و سوء الحساب و الدخول فى النار أو الخلود فى النار

«وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» و هو أن يجب عليه القتل إما لكفره أو رده أو لأنه قتل نفساً بغير حق أو زنى و هو محصن «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً» بغير حق «فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَاناً» أى قد أثبتنا لوليه سلطان القود على القاتل أو الوليه أو العفو عن ابن عباس و الضحاك و قيل سلطان القود عن قتاده «فَلَا يُشِيرَفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُوراً» مر تفسيره قبل «وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ» فسرناه فى سورة الأنعام «وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ» فى الوصيه بمال اليتيم و غيرها و قيل إن كل ما أمر الله به و نهى عنه فهو من العهد و قد يجب الشىء أيضاً بالنذر و العهد به و أن لم يجب ابتداءً وإنما يجب عند العقد «إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً» عنه للجزاء عليه فحذف عنه لأنه مفهوم و قيل إن معناه إن العهد يسأل فيقال له بما نقضت كما تسأل الموءودة بأى ذنب قتلت «وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ» أى أتموه و لا تبخسوا منه و معناه و أوفوا الناس حقوقهم إذا كلتم عليهم «وَزِنُوا بِالْقَيْسِ طَاسٍ» و هو الميزان صغر أم كبر عن الزجاج و قيل هو القبان عن الحسن و قيل هو العدل بالرومية عن مجاهد فيكون محمولاً على موافقه اللغتين و «الْمُسْتَقِيمِ» الذى لا يخس فيه و لا غبن «ذَلِكَ خَيْرٌ» أى خير ثواباً عن قتاده و قيل أقرب إلى الله عن عطا و قيل معناه أن إيفاء الكيل و الوزن خير لكم فى دنياكم فإنه يكسب اسم

الأمانه فى الدنيا «وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» أى و أحسن عاقبه فى الآخره و مرجعا من آل يؤول إذا رجع حث الله سبحانه بهذه الآيه على إتمام الوزن و الكيل فى المعاملات و البياعات و إيفاء حقوق العباد.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٣٦ الى ٤٠]

إشاره

وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصِيرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (٣٦) وَ لَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا- (٣٧) كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا (٣٨) ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُنْفِقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا (٣٩) أَ فَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُمْ بِالْبَنِينَ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا (٤٠)

القراءه

قرأ ابن عامر و أهل الكوفه «كَانَ سَيِّئُهُ» بضم الهمزه مضافا إلى الهاء و قرأ الباقون سيئه منصوبا منونا غير مضاف.

الحجه

من قرأ «سَيِّئُهُ» مضافا قال لأنه قد تقدم ذكر أمور منها سى ء و منها حسن فخص الله سبحانه الشى ء منها بأنه مكروه عنده لأنه عز اسمه لا يكره الحسن و يقوى ذلك قوله «مَكْرُوهًا» و لو كان سيئه غير مضاف لوجب أن تكون مكروهه فإن قيل إن التأنيث غير حقيقى فلا يمتنع أن يذكر قيل إن هاهنا التذكير لا يحسن و إن لم يكن حقيقيا لأن المؤنث قد تقدم ذكره فإن قوله:

" و لا أرض أبقل أبقالها "

مستقبح عندهم و لو قال أبقل الأرض لم يستقبح و ذلك أن المتقدم الذكر ينبغى أن يكون الراجع إليه وفقه كما يكون وفقه فى التشبيه و الجمع و إذا لم يتقدم له ذكر لم يلزم أن يراعى ذلك و من قرأ سيئه فإنه يشبه أن يكون لما رأى الكلام اقتطع

عند قوله «وَ أَحْسَنُ تَأْوِيلًا» و كان الذى بعده من قوله «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» لا أمر حسنا فيه قال كل ذلك كان سيئه فأفرد و لم يصف فإن قلت كيف ذكر المؤنث ثم قال مكروها قلت فإنه يجوز أن لا نجعل مكروها صفة لسيئه و لكن نجعله بدلا و لا يلزم أن يكون فى البدل ذكر المبدل منه كما يجب ذلك فى الصفة و يجوز أن يكون مكروها حالا من الذكر الذى فى قوله «عِنْدَ رَبِّكَ» على أن تجعل عند ربك صفة للنكرة قال النحوى البصير ليس هذا بصحيح لأن الضمير الذى فى الظرف مؤنث كما أن السيئه مؤنث فيلزم منه ما لزم من الأول إذا جعلته صفة للسيئه و إن حملة على التأنيث غير الحقيقى يجىء منه ما قال فى قوله: و لا أرض أقبل أبقالها.

اللغة

القفو اتباع الأثر و منه القيافه فكأنه يتبع قفا المتقدم قال:

و مثل الدمى شم العرائن ساكن بهن الحياء لا يشعن التقافيا

أى التقاذف قال أبو عبيده القفو العضيئه يقال قافه يقوفه و قفاه يقفوه بمعنى فهو مثل جذب و جذب و أصل الخرق القطع و رجل خرق يتخرق فى السخاء و الخرق الفلاه لانقطاع أطرافها بتباعدها قال رؤبه:

" و قاتم الأعماق خاوى المخترق "

أى خاوى المقطع و المرح شده الفرح.

الإعراب

قال «كُلُّ أَوْلَيْكَ» لأن أولئك و هؤلاء للجمع القليل من المذكر و المؤنث و إذا أريد الكثير يقال كل هذه و تلك قال الشاعر:

ذم المنازل بعد منزله اللوى و العيش بعد أولئك الأيام

فأولئك كما يكون إشاره إلى العقلاء يكون إشاره إلى غيرهم و قوله «كَانَ عَنْهُ مَسْئُلاً» الهاء تعود إلى كل أى يسأل عن استعمال هذه الأشياء و إن شئت كان الهاء يعود إلى الإنسان أى يسأل عن الإنسان فيما استعمل هذه الأشياء و يكون فى مسئولا ضمير يعود إلى كل و قدره أبو على أن أفعال السمع و البصر و الفؤاد كل أفعال أولئك طولا مصدرا وضع موضع الحال إما عن الفاعل فى «لَنْ تَبْلُغَ» أو من الجبال و جوز الأمرين أبو على و «فَتَلْقَى» منصوب بإضمار أن لكونه جواب النهى بالفاء «مَلُومًا مَيْدُحُورًا» نصب على الحال و مرحا نصب على التمييز و يجوز أن يكون مصدرا وضع موضع الحال كقولهم جاء زيد ركضا و جاء زيد راكضا

فركضا أو كد في الاستعمال لأن ركضا يدل على توكيد الفعل و تقديره يركض ركضا و على هذا يكون معناه و لا تمش في الأرض مختالا و قيل أن طولاً نصب على التمييز.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ» و معناه لا تقل سمعت و لم تسمع و لا رأيت و لم تر و لا علمت و لم تعلم عن ابن عباس و قتاده و قيل معناه لا تقل فى قفا غيرك كلاماً أى إذا مر بك فلا تغتبه عن الحسن و قيل هو شهادة الزور عن محمد بن الحنفية و الأصل أنه عام فى كل قول و فعل أو عزم يكون على غير علم فكأنه سبحانه قال لا تقل إلا ما تعلم أنه مما يجوز أن يعتقد و قد استدلل جماعه من أصحابنا بهذا على أن العمل بالقياس و بخبر الواحد غير جائز لأنهما لا يوجبان العلم و قد نهى الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم «إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصِيرَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُلاً» معناه أن السمع يسأل عما سمع و البصر عما رأى و القلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع و البصر و الفؤاد و المراد أن أصحابها هم المسئولون و لذلك قال «كُلُّ أُولَئِكَ» و قيل بل المعنى كل أولئك الجوارح يسأل عما فعل بها قال الوالى عن ابن عباس يسأل الله العباد فيما استعملوها

و

روى على بن إبراهيم فى تفسيره عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزه الثمالى عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز و جل حتى يسأله عن أربع خصال عمرك فيما أفنيت و جسدك فيما أبليت و مالك من أين كسبته و أين وضعته و عن حنا أهل البيت

«وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا» معناه لا تمش على وجه الأشر و البطر و الخيلاء و التكبر قال الزجاج معناه لا تمش فى الأرض مختالا فخورا و قيل المرح شدة الفرح بالباطل «إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَ لَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا» هذا مثل ضربه الله تعالى قال إنك أيها الإنسان لن تشق الأرض من تحت قدمك بكبرك و لن تبلغ الجبال بتناولك و المعنى أنك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك أن تبلغ هذا فما وجه المنازعة على ما هذا سبيله مع أن الحكمه زاجره عنه و إنما قال ذلك لأن من الناس من يمشى فى الأرض بطرا يدق قدميه عليها ليرى بذلك قدرته و قوته و يرفع رأسه و عنقه فيبين سبحانه أنه ضعيف مهين لا يقدر أن يخرق الأرض بدق قدميه عليها حتى ينتهى إلى آخرها و إن طوله لا يبلغ طول الجبال و إن كان طويلا علم الله سبحانه عباده التواضع و المروءة و الوقار «كُلُّ ذَلِكَ» إشاره إلى جميع ما تقدم ذكره مما نهى الله سبحانه عنه فى هذه الآيات «كَانَ سَيِّئُهُ» أى معصيته «عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا» له سبحانه يكرهها و لا يريد لها و لا يرضاها و على القراءه الثانيه فيكون ذلك إشاره إلى جميع ما أمر به من المحسنات و نهى عنه من المقبحات أى كان سىء ما سبق من هذه

الأشياء مكروها عند ربك و فى هذا دلالة واضحة على بطلان قول المجبره فإنه سبحانه صرح بأنه يكره المعاصى و السيئات و إذا كرهها فكيف يريد لها فإن من المحال أن يكون الشىء الواحد مراداً مكروها عنده «ذَلِكَ» الذى تقدم ذكره من الأوامر و النواهى «مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ» يا محمد «مِنَ الْحِكْمَةِ» المؤديه إلى المعرفه بالحسن و القبح و الفرق بينهما «وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» فى إقرارك و قولك و الخطاب للنبي ص و المراد به غيره ليكون أبلغ فى الزجر كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك «فَتَلَقَىٰ» أى فتطرح بمعنى أنك إذا فعلت ذلك ألقيت و طرحت «فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا» يلومك الناس «مَذْحُورًا» أى مطروداً مبعداً عن رحمه الله تعالى «أَفَأَصِيهَ فَاكُم رُبُّكُمْ بِالْبَيْنِ وَ اتَّخَذَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنَاثًا» هذا خطاب لمن جعل الملائكه بنات الله تعالى و معناه أخلصكم الله سبحانه بالبين و خصكم بهم و اتخذ لنفسه الإناث و جعل البنات مشتركه بينكم و بينه و اختصكم بالأرفع و جعل لنفسه الأدون تقول أصفيت فلانا بالشىء إذا آثرته به «إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا» أى كبيراً فى الإثم و استحقاق العقوبه حيث أضفتكم إلى الله سبحانه ما لم ترضوا لأنفسكم به و جعلتم الملائكه و هم أعلى خلق الله و أشرفهم أدون خلق الله و هم الإناث.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤١ الى ٤٤]

إشارة

وَلَقَدْ صَيَّرَفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا وَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا (٤١) قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا (٤٢) سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا (٤٣) تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (٤٤)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم ليدكروا ساكنه الذال خفيفه و فى سوره الفرقان مثله و الباقون «لِيَذْكُرُوا» بفتح الذال و الكاف و تشديدهما فى السورتين و قرأ «كَمَا يَقُولُونَ» بالياء يسبح له بالياء أهل المدينه و الشام و أبو بكر و قرأ أهل البصره كما تقولون بالياء «عَمَّا يَقُولُونَ»

بالياء «تَسْبِيحٌ لَهُ» بالتاء وقرأ حفص «كَمَا يَقُولُونَ» و«عَمَّا يَقُولُونَ» بالياء «تَسْبِيحٌ» بالتاء وقرأ الجميع بالياء حمزه و الكسائي و خلف.

الحج

قال أبو على حجه من قال «لِيَذْكُرُوا» قوله وَ لَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ فالتذکر هنا أشبه من الذکر لأنه كان يراد به التدبر و ليس يراد الذکر الذى هو ضد النسيان و لكنه كما قال کتابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ وَ ليس المراد ليتذکره بعد نسيانهم بل المراد ليتدبروه بعقولهم و وجه التخفيف أن التخفيف قد جاء فى هذا المعنى خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَ اذْكُرُوا مَا فِيهِ فَهَذَا لَيْسَ عَلَى مَعْنَى لَا- تنسوه و لكن تدبروه و من قرأ «كَمَا يَقُولُونَ» بالياء فالمعنى كما يقول المشركون من إثبات الآلهة من دونه فهو مثل قوله تعالى «قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سِتُّغْلِبُونَ» لأنهم غيب فأما من قرأ «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ» فإنه يحتمل وجهين (أحدهما) أن يعطف على «كَمَا يَقُولُونَ» (و الآخر) أن يكون نزه سبحانه نفسه عن دعوتهم قال «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ» و من قرأ كما تقولون بالتاء و «عَمَّا يَقُولُونَ» بالياء فإن الأول على ما تقدم و الثانى على أنه نزه نفسه عن قولهم و يجوز أن تحمله على القول كأنه قال قل أنت سبحانه و تعالى عما يقولون و أما قوله «تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتِ» فكل واحد من الياء و التاء حسن.

المعنى

ثم احتج سبحانه على الذين تقدم ذكرهم فقال «وَ لَقَدْ صَيَّرَفْنَا» أى كررنا الدلائل و فصلنا المعانى و الأمثال و غير ذلك مما يوجب الاعتبار به «فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذْكُرُوا» أى ليتفكروا فيها فيعلموا الحق و حذف ذكر الدلائل و العبر لدلاله الكلام عليه و علم السامع به «وَ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا» أى و ما يزداد هؤلاء الكفار عند تصريف الأمثال و الدلائل لهم إلا تباعدا عن الاعتبار و نفورا عن الحق و أضاف النفور إلى القرآن لأنهم ازدادوا النفور عند نزوله كقوله «فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» فإن قيل إذا كان المعلوم أنهم يزدادون النفور عند إنزال القرآن فما المعنى فى إنزاله و ما وجه الحكمة فيه قيل الحكمة فيه إلزام الحجج و قطع المعذره فى إظهار الدلائل التى تحسن التكليف و أنه يصلح عند إنزاله جماعه ما كانوا يصلحون عند عدم إنزاله و لو لم ينزل لكان هؤلاء الذين ينفرون عن الإيمان يفسدون بفساد أعظم من هذا النفور فالحكمة اقتضت إنزاله لهذه المعانى و إنما ازدادوا نفورا عند مشاهدته الآيات و الدلائل لاعتقادهم أنها شبه و حيل و قله تفكرهم فيها «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ» هم أو تقولون أنتم على القراءتين «إِذَا لَمَابَتَّعُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا» أى لطلبوا طريقا يقربهم إلى مالك العرش و التمسوا الزلفه

عنده لعلمهم بعلوه عليهم و عظمتهم عن مجاهد و قتاده و قال أكثر المفسرين معناه لطلبوا سبيلا إلى معازة مالك العرش و مغالبتة و منازعته فإن المشتركين في الإلهية يكونان متساويين في صفات الذات و يطلب أحدهما مغالبة صاحبه ليصفوه له الملك و في هذا إشارة إلى دليل التمانع ثم نزه سبحانه نفسه من أن يكون له شريك في الإلهية فقال «سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُقُولُونَ» أى عن قولهم «عُلُوًّا كَبِيرًا» و إنما لم يقل تعاليا كبيرا لأنه وضع مصدر مكان مصدر نحوه قوله «تَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَتَبَّلًا» و معنى تعالي أن صفاته في أعلى المراتب و لا مساوى له فيها لأنه قادر لا أحد أقدر منه و عالم لا أحد أعلم منه و خص العرش بإضافته إليه تعظيما للعرش و يجوز أن يريد بالعرش الملك «تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَ الْأَرْضُ وَ مَنْ فِيهِنَّ» معنى التسييح هاهنا الدلالة على توحيد الله و عدله و أنه لا شريك له في الإلهية و جرى ذلك مجرى التسييح باللفظ و ربما يكون التسييح من طريق الدلالة أقوى لأنه يؤدى إلى العلم «وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ» أى ليس شىء من الموجودات إلا- و يسبح بحمد الله تعالى من جهه خلقته إذ كل موجود سوى القديم حادث يدعو إلى تعظيمه لحاجته إلى صانع غير مصنوع صنعه أو صنع من صنعه فهو يدعو إلى تثبيت قديم غنى بنفسه عن كل شىء سواه و لا- يجوز عليه ما يجوز على المحدثات و قيل إن معناه و ما من شىء من الأحياء إلا يسبح بحمده عن الحسن و قيل أن كل شىء على العموم من الوحوش و الطيور و الجمادات يسبح الله تعالى حتى صرير الباب و خرير الماء عن إبراهيم و جماعه «وَ لَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ» أى لا- تعلمون تسييح هذه الأشياء حيث لم تنظروا فيها فتعلموا كيف دلالتها على توحيده «إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا» يمهلكم و لا يعاجلكم بالعقوبه على كفركم «عَفُورًا» لكم إذا تبتم و أنبتم إليه.

إشارة

وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا (٤٥) وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحِيدَهُ وَلَوْ أَعْلَمَ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَ إِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٤٧) انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٤٨)

اللغة

الوقر بالفتح الثقل فى الأذن و بالكسر الحمل و الأصل فيه الثقل إلا أنه خولف بين البناءين للفرق و النفور جمع نافر و هذا الجمع قياس فى كل فاعل اشتق من فعل مصدره على فعول مثل ركوع و سجود و شهود و النجوى مصدر يوصف به الواحد و الاثنان و الجمع و المذكر و المؤنث و هو مقر على لفظه.

الإعراب

قوله «أَنْ يَفْقَهُوهُ» فى موضع نصب بأنه مفعول له على كراهه أن يفقهوه.

«نُفُورًا» نصب على الحال و تقديره ولوا نافرين و قيل إنه مصدر و لو أخرج على غير لفظه لأن معنى ولوا نفروا فكأنه قال نفروا نفورا.

النزول

قيل نزله قوله «وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» الآيه فى قوم كانوا يؤذون النبى ص بالليل إذا تلا القرآن و صلى عند الكعبه و كانوا يرمونه بالحجاره و يمنعونه عن دعاء الناس إلى الدين فحال الله سبحانه بينه و بينهم حتى لا يؤذوه عن الزجاج و الجبائى.

المعنى

لما تقدم قوله «وَ لَقَدْ صَدَّرْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ» بين سبحانه حالهم عند قراءه القرآن فقال «وَ إِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ» يا محمد «جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» و هم المشركون «حِجَابًا مَّسْتُورًا» قال الكلبي و هم أبو سفيان و النضر بن الحرث و أبو جهل و أم جميل امرأه أبى لهب حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءه القرآن و كانوا يأتونه و يمرون به و لا يرونه و قيل أراد حجابا ساترا عن الأخفش و الفاعل قد يكون فى لفظ المفعول يقال مشؤم و ميمون إنما هو شائم و يأمن و قيل هو على بناء النسب لا على أن المفعول بمعنى الفاعل و الفاعل بمعنى المفعول و المعنى حجابا ذا ستر و هذا هو الصحيح و قيل حجابا مستورا عن الأعين لا- يبصر إنما هو من قدره الله تعالى حجب نبيه بحجاب لا يرونه و لا يراه النبى ص و قيل إن المعنى فى الآيه جعلنا بينك و بينهم حجابا بمعنى باعدنا بينك و بينهم فى القرآن فهو لك و للمؤمنين معك شفاء و هدى و هو للمشركين فى آذانهم و قر و عليهم عمى فهذا هو الحجاب عن أبى مسلم و هذا بعيد و الأول أوجه لأنه الحقيقه «وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا» مر تفسيره فى سوره الأنعام «وَ إِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ

وَخَيْدَةً» معناه و إذا ذكرت الله بالتوحيد و أبطلت الشرك «وَلَوْ أَعْلَىٰ أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا» أى أعرضوا عنك مدبرين نافرين و المعنى بذلك كفار قريش و قيل هم الشياطين عن ابن عباس و قيل معناه إذا سمعوا بسم الله الرحمن الرحيم ولوا و قيل إذا سمعوا قول لا إله إلا الله «نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَتَمِعُونَ إِلَيْكَ» معناه ليس يخفى علينا حال هؤلاء المشركين و غرضهم فى الاستماع إليك و قد علمنا سبب استماعهم و هذا كما يقال فعلت ذلك بحرمتك «وَ إِذْ هُمْ نَجْوَىٰ» أى متناجون و قيل هم ذوو نجوى و المعنى أنا نعلمهم فى حال ما يصغون إلى سماع قراءة تك و فى حال ما يقومون من عندك و يتناجون فيما بينهم فيقول بعضهم هو ساحر و بعضهم هو كاهن و بعضهم هو شاعر و قيل يعنى به أبا جهل و زمعه بن الأسود و عمرو بن هشام و خويطب بن عبد العزى اجتمعوا و تشاوروا فى أمر النبى ص فقال أبو جهل هو مجنون و قال زمعه هو شاعر و قال خويطب هو كاهن ثم أتوا الوليد بن المغيرة و عرضوا ذلك عليه فقال هو ساحر «إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا» قيل فيه وجوه (أحدها) أنهم يقولون ما يتبعون إلا رجلا قد سحر فاختلط عليه أمره و إنما يقولون ذلك للتفجير عنه (و ثانيها) أن المراد بالمسحور المخدوع المعلل كما فى قول امرئ القيس:

أرانا موضعين لحتم غيب و نسحر فى الطعام و فى الشراب

و قول أمية بن أبى الصلت:

فإن تسألينا فيم نحن فإننا عصافير من هذا الأنام المسحر

(و ثالثها) أن المعنى إن تتبعون إلا رجلا ذا سحر أى رثه خلقه الله بشرا مثلكم (و رابعها) أن المسحور بمعنى الساحر كما قيل فى قوله «حِجَابًا مَسْحُورًا» أى ساترا و قد زيف هذا الوجه و الوجوه الثلاثة أوضح و على هذا فمعنى الآية البيان عما توجه به حال المعادى للدين الناصب للحق اليقين و أن قلبه كأنه فى كنان عن تفهمه و كان فى أذنيه وقرا عن استماعه فهو مول نافر عنه يناجى فى حال الانحراف عنه جهالا أمثاله قد بعدوا بالحجة حتى نسبوا صاحبها إلى أنه مسحور لما لم يكن لهم إلى مقاومه ما أتى به سبيل و لا على كسره بالمعارضه دليل ثم قال سبحانه على وجه التعجيب «انظُرْ» يا محمد «كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ

الأمثال» أى شبهوا لك الأشياء فقالوا مجنون و ساحر و شاعر «فَضَّلُوا» بهذا القول عن الحق «فَلَا يَشِيءُ تَطِيعُونَ سَيِّئًا» أى لا يجدون حيله و لا طريقا إلى بيان تكذيبك إلا البهت الصريح و قيل لا يجدون سيلا أى لا يجدون حيله و طريقا إلى صد الناس عنك و إلى إثبات ما ادعوا عليك و قيل ضلوا عن الطريق المستقيم و هو الدين و الإسلام فلا يجدون إليه طريقا بعد ما ضلوا عنه.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٤٩ الى ٥٢]

إشاره

وَ قَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ وَ يَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا (٥١) يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَ تَظُنُّونَ إِن لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا (٥٢)

اللغه

الرفات ما تكسر و بلى من كل شىء و يكثر بناء فعال فى كل ما يحطم و يرضض يقال حطام و دقاق و تراب و قال المبرد كل شىء مدقوق مبالغ فى دقه حتى انسحق فهو رفات و قال الفراء لا واحد له من لفظه يقال رفت الشىء رفقا فهو مرفوت إذا صير كالحطام و يقال أنغض رأسه ينغضه و نغض رأسه ينغضه نغضا إذا حركه قالوا و النغض تحريك الرأس بارتفاع و انخفاض و منه قيل للظلم نغض لأنه يحرك رأسه فى مشيه بارتفاع و انخفاض قال العجاج:

"أصك نغضا لا ينى مستهدجا"

و نغض السن إذا تحركت قال:

"فنغضت من هرم أسنانها"

. الإعراب

إذا فى موضع نصب بفعل يدل عليه قوله «أ إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ» و تقديره

ص: ٢٣٢

أُنبعث في ذلك الوقت ولا يجوز أن يكون ظرفاً لقوله «لَمَبْعُوثُونَ» لأن ما بعد أن ولام الابتداء لا يجوز أن يعمل فيما قبلهما و الباء في بحمده باء الحال أى تستجيبيون حامدين له و «يَدْعُوكُمْ» فى موضع الجر بإضافه يوم إليه و تستجيبيون عطف عليه و تظنون ليس فى موضع الجر لأن الواو للحال و تقديره و حالكم إذ ذاك أن تظنوا و قليلاً نصب على الظرف و تقديره إن لبثتم إلا زمناً قليلاً.

المعنى

لما تقدم ذكر البعث و النشور حكى سبحانه عن الكفار ما قالوا فى إنكاره فقال «وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا» أى غباراً عن ابن عباس و قيل تراباً عن مجاهد «أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا» و المعنى قال المنكرون للبعث إنا إذا متنا و انثرت لحومنا و صرنا عظاماً و تراباً أُنبعث بعد ذلك خلقاً جديداً أى متجدداً و هو إنكار فى صورته الاستفهام «قُلْ» يا محمد لهم «كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا» أى اجهدوا فى أن لا تعادوا و كونوا إن استطعتم حجاره فى القوه أو حديداً فى الشده «أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ» أى خلقاً هو أعظم من ذلك عندكم و أصعب فإنكم لا تفوتون الله تعالى و سيحييكم بعد الموت و ينشركم إلا أن الكلام خرج مخرج الأمر لأنه أبلغ فى الإلزام و قيل يعنى بقوله ما يكبر فى صدوركم الموت عن ابن عباس و سعيد بن جبیر أى لو كنتم الموت لأمتكم الله تعالى و ليس شىء أكبر فى صدور بنى آدم من الموت و قيل يعنى به السماوات و الأرض و الجبال عن مجاهد «فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» معناه فإنك إذا قلت لهم ذلك سيقولون لك من يحيينا بعد الموت قل يا محمد يحييكم من خلقكم أول مره فإن من قدر على ابتداء الشىء كان على إعادته أقدر ما لم تبطل قدرته و لم يتغير فإن ابتداء الشىء أصعب من إعادته و إنما قال ذلك لهم لأنهم كانوا يقرون بالنشأه الأولى «فَسَيُنْعِضُونَ إِلَيْكَ رُؤْسَهُمْ» أى فسيسحر كون إليك رءوسهم تحريك المستهزئ المستخف المستبطئ لما تذرهم به «وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ» أى متى يكون البعث «قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا» لأن ما هو آت قريب و من كلام الحسن كأنك بالدنيا لم تكن و كأنك بالآخره لم تزل «يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ» معناه عسى أن يكون بعثكم قريباً أيها المشركون يوم يدعوكم من قبوركم إلى الموقف على ألسنه الملائكه و ذلك عند النفخه الثانيه فيقولون أيتها العظام النخره و الجلود الباليه عودى كما كنت فتستجيبيون مضطرين بحمده أى حامدين لله على نعمه و أنتم موحدون و هذا كما يقول القائل جاء فلان بغضبه أى جاء غضبان و قيل معنى تستجيبيون بحمده أنكم تستجيبيون معترفين بأن الحمد لله على نعمه لا تنكرونه لأن المعارف هناك ضروريه قال سعيد بن جبیر يخرجون من قبورهم يقولون سبحانه و بحمدك و لا ينفعهم فى

ذلك اليوم لأنهم حمدوا حين لا ينفعهم الحمد «وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا» أى و تظنون أنكم لم تلبثوا فى الدنيا إلا قليلا لسرعه انقلاب الدنيا إلى الآخرة قال الحسن و قتاده استقصروا مده لبثهم فى الدنيا لما يعلمون من طول لبثهم فى الآخرة و من المفسرين من يذهب إلى أن هذه الآية خطاب للمؤمنين لأنهم الذين يستجيون الله بحمده و يحمده على إحسانه إليهم و يستقلون مده لبثهم فى البرزخ لكونهم فى قبورهم منعمين غير معذيين و أيام السرور و الرخاء قصار.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٣ الى ٥٧]

إشاره

وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِدُوًّا مُّبِينًا (٥٣) رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِنَّ يَشَأُ يَرْحَمَكُم أَوْ إِن يَشَأُ يُعَذِّبْكُمْ وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكَيْلًا (٥٤) وَ رَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَ آتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا (٥٥) قُلْ اذْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لَا تَحْوِيلًا (٥٦) أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَ يَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَ يَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا (٥٧)

اللغه

الوسيله القربه و الوسائل الراغب قال لبيد:

" بلى كل ذى دين إلى الله واسل "

قال الزجاج: الوسيله و السؤال و الطلبه فى معنى واحد.

الإعراب

«يَقُولُوا» جواب شرط محذوف تقديره قل لعبادى قولوا التى هى أحسن يقولوا و كان أبو عثمان يزعم أن يقولوا واقع موقع قولوا و هو مبنى لأنه وقع موقع قولوا و وقوع الفعل موقع الفعل المبنى لا يوجب له البناء أ لا ترى أن قوله «تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ» واقع

ص: ٢٣٤

موقع آمنوا و هو معرب و إنما ذلك في الأسماء نحو يا زيد بنى لوقوعه موقع يا أنت « أولئك » رفع بالابتداء و « الَّذِينَ يَدْعُونَ » صفة لهم و « يَبْتَغُونَ » خبر الابتداء و قوله « أَتَيْهِمْ أَقْرَبُ » قال الزجاج إن شئت كان أيهم رفعا بالابتداء و الخبر قوله « أَقْرَبُ » و يكون معناه ينظرون أيهم أقرب إليه فيتوسلون به و الجملة متعلقة بينظرون المضمره و يجوز أن يكون أيهم أقرب بدلا من الواو في يبتغون.

النزول

كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ص بمكة فيقولون يا رسول الله ائذن لنا في قتالهم فيقول لهم إنى لم أومر فيهم بشىء فأنزل الله سبحانه « قُلْ لِعِبَادِي » الآية عن الكلبي.

المعنى

ثم أمر سبحانه عباده باتباع الأحسن من الأقوال و الأفعال فقال « وَقُلْ » يا محمد « لِعِبَادِي » و هذا إضافة تخصيص و تشریف أراد به المؤمنين و قيل هو عام في جميع المكلفين « يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ » أى يختاروا من المقالات و المذاهب المقالة التي هي أحسن المقالات و المذاهب و قيل معناه مرهم يقولوا الكلمه التي هي أحسن الكلمات و هي كلمه الشهادتين و كل ما ندب الله إليه من الأقوال و قيل معناه يأمرنا بما أمر الله به و ينهوا عما نهى الله عنه عن الحسن و قيل معناه قل لهم يقل بعضهم لبعض أحسن ما يقال مثل رحمك الله و يغفر الله لك و قيل معناه قل لعبادى إذا سمعوا قولك الحق و قول المشركين يقولوا ما هو أولى و يتبعوا ما هو أحسن عن أبى مسلم و قال نظيره فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ « إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ » أى يفسد بينهم و يغرى بعضهم ببعض و يلقي بينهم العداوه « إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ » فى جميع الأوقات « لِلبَّانِسَانِ » أى لآدم و ذريته « عَدُوًّا مُّبِينًا » مظهرها للعداوه ثم خاطب سبحانه الفريقين فقال « رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ » معناه أنه أعلم بأحوالكم فيدبر أموركم على ما يعلمه من المصلحه لكم « إِنَّ يَشَاءُ يَزِجْكُمْ أَوْ إِنَّ يَشَاءُ يُعَذِّبْكُمْ » قيل أراد أنه سبحانه مالك للرحمه و العذاب فيكون الرجاء إليه و الخوف منه عن الجبائى و قيل معناه إن يشأ يرحمكم بالتوبه أو إن يشأ يعذبكم بالإصرار على المعصيه عن الحسن و قيل معناه إن يشأ يرحمكم بإخراجكم من مكه و تخليصكم من إيذاء المشركين أو إن يشأ يعذبكم بتسليطهم عليكم و قيل إن يشأ يرحمكم بفضله و إن يشأ يعذبكم بعدله و هو الأظهر ثم عاد إلى خطاب النبى ص فقال « وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلاً » أى و ما أرسلناك موكلا عليهم حفيظا لأعمالهم يدخل الإيمان فى قلوبهم شاءوا أم أبوا و معناه إنك لا تؤاخذ بأعمالهم فإننا أرسلناك داعيا لهم إلى الإيمان فإن أجابوك و إلا فلا شىء عليك فإن

عتاب ذلك يحل بهم و اللائمه تلمهم «وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى هو أعلم بمن فى السماوات من الملائكه و بمن فى الأرض من الأنبياء بين سبحانه بهذا أنه لم يختار الملائكه و الأنبياء للميل إليهم و إنما اختارهم لعلمه بباطنهم و قيل معناه أنه أعلم بالجميع فجعلهم مختلفين فى الصور و الرزق و الأحوال كما اقتضته المصلحه كما فضل بعض النبيين على بعض «وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ» و المعنى أن الأنبياء و إن كانوا فى أعلى مراتب الفضل فإنهم طبقات فى ذلك و بعضهم أعلى من بعض بزياده الدرجه و الثواب و بالمعجزات و الكتاب و لما كان سبحانه عالما ببواطن الأمور اختارك للنبوه و فضلك على الأنبياء كما فضل بعضهم على بعض فسخر لبعضهم النار و ألان لبعضهم الحديد و آتى بعضهم الملك و كلم بعضهم و كذلك خصك بخصائص لم يعطها أحدا و ختم بك النبوه ثم قال «وَأَتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا» قال الحسن: كل كتاب زبور إلا أن هذا الاسم غلب على كتاب داود (عليه السلام) كما غلب اسم الفرقان على القرآن و إن كان كل كتاب من كتب الله فرقانا لأنه يفرق بين الحق و الباطل و قال الزجاج: معنى ذكر داود هنا أنه يقول لا تنكروا تفضيل محمد ص و إعطاءه القرآن فقد أعطينا داود الزبور ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين الذين يعبدون غير الله «ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ» أنها آلهه عند ضر ينزل بكم ليكشفوا ذلك عنكم أو يحولوا تلك الحاله إلى حاله أخرى «فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَ لَا تَحْوِيلًا» للحاله التى تكرهونها إلى حاله تحبونها يعنى تحويل حال القحط إلى الخصب و الفقر إلى الغنى و المرض إلى الصحه و قيل معناه لا يملكون تحويل الضر عنكم إلى غيركم بين سبحانه أن من كان بهذه الصفه فإنه لا يصلح للإلهيه و لا يستحق العباده و المراد بالذين من دونه هم الملائكه و المسيح و عزيز عن ابن عباس و الحسن و قيل هم الجن لأن قوما من العرب كانوا يعبدون الجن عن ابن مسعود و قال و أسلم أولئك النفر من الجن و بقى الكفار على عبادتهم قال الجبائى ثم رجع سبحانه إلى ذكر الأنبياء فى الآيه الأولى فقال «أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ» و معناه أولئك الذين يدعون إلى الله تعالى و يطلبون القربه إليه بفعل الطاعات «أَيُّهُمْ أَقْرَبُ» أى ليظهر أيهم الأفضل و الأقرب منزله منه و تأويله أن الأنبياء مع علو رتبهم و شرف منزلتهم إذا لم يعبدوا غير الله فأنتم أولى أن لا- تعبدوا غير الله و إنما ذكر ذلك حثا على الاقتداء بهم و قيل إن معناه أولئك الذين يدعونهم و يعبدونهم و يعتقدون أنهم آلهه من المسيح و الملائكه يبتغون الوسيله و القربه إلى الله تعالى بعبادتهم و يجتهد كل منهم ليكون أقرب من رحمته أو يطلب كل منهم أن يعلم أيهم أقرب إلى رحمته أو إلى الإجابة «وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ

وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ» أى و هم مع ذلك يستغفرون لأنفسهم فيرجون رحمته إن أطاعوا و يخافون عذابه إن عصوا و يعملون عمل العبيد «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» أى متقى يجب أن يحذر منه لصعوبته و قد ذكرنا ما جاء فى معنى الوسيله عند قوله «وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ».

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٥٨ الى ٦٠]

إشاره

وَإِنْ مِنْ قَوْمٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا (٥٨) وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَ آتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَ مَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا (٥٩) وَ إِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ وَ نُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا (٦٠)

اللغه

المسطور المكتوب قال العجاج:

و اعلم بأن ذا الجلال قد قدر فى الصحف الأولى الذى كان سطر

و المنع وجود ما لا- يصح معه وقوع الفعل من القادر عليه و إنما جاز فى وصف الله تعالى منعنا للمبالغه فى أنه لا يقع منه الفعل فكأنه قد منع منه الفعل و إن كان لا يجوز إطلاق مثل هذه الصفه عليه سبحانه لأنه قادر لذاته و مقدراته غير متناهيه فلا يصح أن يمانعه شىء.

الإعراب

«وَ مَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» أن الأولى نصب و أن الثانيه رفع و المعنى و ما منعنا الإرسال إلا تكذيب الأولين و مبصره نصب على الحال «وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ» تقديرها و ما جعلنا الشجره الملعونه فى القرآن إلا فتنه للناس أيضا و المعنى الشجره الملعونه أهلها و آكلوها و هم الكفره و الفجره فلما حذف المضاف استتر الضمير فى اسم المفعول فأنث المفعول لما جرى على الشجره و قوله «فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» أى فما يزيدهم التخويف فأضمر التخويف لجرى ذكر الفعل و انتصب قوله «طُغْيَانًا» على أنه

المعنى

ثم زاد سبحانه فى الموعظه فقال «وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ» معناه و ما من قرية إلا نحن مهلكوها بإماته أهلها «أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا» و هو عذاب الاستئصال فيكون هلاك الصالحين بالموت و هلاك الطالحين بالعذاب فى الدنيا فإنه يفتى الناس و يخرب البلاد قبل يوم القيامة ثم تقوم القيامة عن الجبائى و مقاتل و قيل إن المراد بذلك قرى الكفر و الضلال دون قرى الإيمان و المراد بالإهلاك التدمير عن أبى مسلم «كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا» أخبر أن ذلك كائن لا محاله و لا يكون خلافه و معناه كان ذلك الحكم فى الكتاب الذى كتبه الله تعالى لملائكته و هو اللوح المحفوظ مكتوبا «وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ» ذكر فيه أقوال (أحدها) أن التقدير ما منعنا إرسال الآيات التى سألوها إلا تكذيب الأولين و معناه إنا لم نرسل الآيات التى اقترحتها قريش فى قولهم حول لنا الصفا ذهباً و فجر لنا الأرض ينبوعاً إلى غير ذلك لأننا لو أرسلناها لم يؤمنوا فيستحقوا المعاجلة بالعقوبة كما أنا لما أجبنا الأولين من الأمم إلى آيات اقترحوها فكذبوا بها عذبناهم بعذاب الاستئصال لأن من حكم الآيه المقترحة أنه إذا كذب بها وجب عذاب الاستئصال و من حكمنا النافذ فى هذه الآيات أن لا نعذبهم بعذاب الاستئصال لشرف محمد ص و لما يعلم فى ذلك من المصلحه و لأن فيهم من يؤمن به و ينصره و من يولد له ولد مؤمن و لأن أمته باقيه و شريعته مؤبده إلى يوم القيامة فلذلك لم نجبهم إلى ذلك و أنزلنا من الآيات الواضحات و المعجزات البينات ما تقوم به الحجة و تنقطع به المعذره (و الثانى) إن معناه إنا لا نرسل الآيات لعلنا بأنهم لا يؤمنون عندها فيكون إنزالنا إياها عبثاً لا فائده فيه كما أن من كان قبلهم لم يؤمنوا عند إنزال الآيات، و المعجزات ضربان (أحدهما) ما لا يصح معرفه النبوه إلا به و هذا الضرب لا بد من إظهاره سواء وقع منه الإيمان أو لم يقع (و الثانى) ما يكون لطفاً فى الإيمان فهذا أيضاً يظهره الله سبحانه و ما خرج عن هاتين الصفتين من المعجزات لا- يفعل سبحانه (و الثالث) إن المعنى إنا لا نرسل الآيات لأن آباءكم و أسلافكم سألوها مثلها و لم يؤمنوا عندها و أنتم على آثار أسلافكم مقتدون فكما لم يؤمنوا هم لا تؤمنون أنتم عن أبى مسلم «وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً» أى بينه أراد آيه مبصره كما قال وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً و معناه دلاله واضحه ظاهره و قيل ذات أبصار و قيل تبصرهم و تبين لهم حتى يبصروا بها الهدى من الضلاله و هى ناقه صالح المخرجه من الصخره على الصفه التى اقترحوها «فَظَلَّمُوا بِهَا» أى فكفروا بتلك الآيه و جحدوا بأنها من عند الله و قيل ظلموا أنفسهم بسببها و بعقرها «وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا» أى لا نرسل

الآيات التي نظرها على الأنبياء إلا عظه للناس و زجرا أو تخويها لهم من عذاب الله إن لم يؤمنوا ثم خاطب سبحانه النبي ص فقال «وَإِذْ قُلْنَا لَكَ» أى و اذكر الوقت الذى قلنا لك يا محمد «إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ» أى أحاط علما بأحوالهم و بما يفعلونه من طاعه أو معصيه و ما يستحقونه على ذلك من الثواب و العقاب و هو قادر على فعل ذلك بهم فهم فى قبضته لا يقدرّون على الخروج من مشيئته و هذا معنى قول ابن عباس و قيل إن المراد به أنه عالم بجميع الأشياء فيعلم قصدهم إلى إيذائك إذا لم تأتهم ما اقترحوا منك من الآيات و هذا حث للرسول ص على التبليغ و وعد له بالعصمه من أذيه قومه و هذا معنى قول الحسن و قيل معناه أنه أحاط بأهل مكة فيستفتها لك عن مقاتل و قال الفراء معناه أحاط أمره بالناس و قيل معناه أنه قادر على ما سأله من الآيات عالم بمصالحهم فلا يفعل إلا ما هو الصلاح فامض لما أمرت به من التبليغ فإن الله سبحانه إن أنزلها فلما يعلم فى إنزالها من اللطف و إن لم ينزلها فلما يعلم من المصلحة عن الجبائى «وَ مَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَ الشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ» فيه أقوال (أحدها) إن المراد بالرؤيا رؤيه العين و هى ما ذكره فى أول السوره من إسرائ النبي ص من مكة إلى بيت المقدس و إلى السماوات فى ليله واحده إلا أنه لما رأى ذلك ليلا و أخبر بها حين أصبح سماها رؤيا و سماها فتنه لأنه أراد بالفتنه الامتحان و شدة التكليف ليعرض المصدق بذلك لجزييل ثوابه و المكذب لأليم عقابه و هذا معنى قول ابن عباس و سعيد بن جبير و الحسن و قتاده و مجاهد (و ثانيها) ما

روى عن ابن عباس فى روايه أخرى أنها رؤيا نوم رآها أنه سيدخل مكة و هو بالمدينه فقصدها فصدده المشركون فى الحديدية عن دخولها حتى شك قوم و دخلت عليهم الشبهه فقالوا يا رسول الله أ ليس قد أخبرتنا أنا ندخل المسجد الحرام آمنين فقال ص أ و قلت لكم إنكم تدخلونها العام قالوا لا فقال لندخلها إن شاء الله و رجع ثم دخل مكة فى العام القابل فنزل «لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ»

و هو قول الجبائى و أبى مسلم و إنما كان فتنه و امتحانا و ابتلاء لما ذكرناه (و ثالثها)

إن ذلك رؤيا رآها النبي ص فى منامه أن قرودا تصعد منبره و تنزل فساءه ذلك و اغتم به روى سهل بن سعيد عن أبيه أن النبي ص رأى ذلك و قال له ص لم يستجمع بعد ذلك ضاحكا حتى مات و روى سعيد بن يسار أيضا و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) أبى عبد الله (عليه السلام)

و قالوا على هذا التأويل أن الشجره الملعونه فى القرآن هى بنو أميه أخبره الله سبحانه بتغلبهم على منامه و قتلهم ذريته

روى عن المنهال بن عمرو قال دخلت على على بن الحسين (عليه السلام)

فقلت له كيف أصبحت يا ابن رسول الله فقال أصبحنا والله بمنزله بنى إسرائيل من آل فرعون يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم و أصبح خير البريه بعد رسول الله ص يلعن على المنابر و أصبح من يحبنا منقوصا حقه بحبه إيانا

و قيل للحسن يا أبا سعيد قتل الحسين بن علي (عليه السلام) فبكى حتى اختلج جنباه ثم قال وا ذلاه لأمه قتل ابن دعيها ابن بنت نبياها و قيل إن الشجرة الملعونه هي شجرة الزقوم عن ابن عباس و الحسن و قيل الشجرة الملعونه هي اليهود عن أبي مسلم و تقدير الآيه و ما جعلنا الرؤيا التي أريناك و الشجرة الملعونه إلا فتنه للناس قالوا و إنما سمى شجرة الزقوم فتنه لأن المشركين قالوا إن النار تحرق الشجرة فكيف تنبت الشجرة في النار و صدق بها المؤمنون و روى أن أبا جهل قال إن محمدا يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه تنبت فيها الشجرة و قوله «فِي الْقُرْآنِ» معناه التي ذكرت في القرآن «و نُحَوِّفُهُمْ» أى نرهبهم بما نقص عليهم من هلاك الأمم الماضيه و قيل بما نرسل من الآيات «فَمَا يَزِيدُهُمْ» ذلك «إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» أى عتوا في الكفر عظيما و تماديا في الغي كبيرا لأنهم لا يرجعون عنه.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٦١ الى ٦٥]

اشاره

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَ أَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا (٦١) قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا (٦٢) قَالَ أَذْهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا (٦٣) وَ اسْتَغْفِرْ مَنْ اسْتِطَعَتْ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ أَجْلَبَ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجَلَكَ وَ شَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ وَ عَدَّتْهُمْ وَ مَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (٦٤) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَ كَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا (٦٥)

القراءه

قرأ حفص «وَ رَجَلَكَ» بكسر الجيم و الباقون بسكونها.

الحجه

من سكن الجيم فهو جمع راجل مثل راكب و ركب و صاحب و صحب و تاجر

و تجر و أما قراءه حفص بكسر الجيم فروى أبو على عن أبي زيد يقال رجل للراجل و يقال جاءنا حافيا رجلا و أنشد:

أما أقاتل عن دينى على فرس و لا كذا رجلا إلا بأصحاب

كأنه قال أما أقاتل فارسا و راجلا و روى ابن جنى عن قطرب أنه قال: الرجل الرجال و عليه قراءه عكرمه و قتاده و رجالك قال زهير فى الرجل:

هم ضربوا عن فرجها بكتيبه كبيضاء حرس فى جوانبها الرجل.

اللغة

الاحتناك الاقتطاع من الأصل يقال احتنك فلان ما عند فلان من مال أو علم إذا استقصاه فأخذه كله و احتنك الجراد الزرع إذا أكله كله قال الشاعر:

أشكو إليك سنة قد أجهت جهدا إلى جهد بنا و أضعفت

و احتنكت أموالنا و جلفت

و قيل إنه من قولهم حنك الدابة يحنكها إذا جعل فى حنكها الأسفل حبلا يقودها به و الموفور المكمل يقال وفرتة أفره و فراق قال زهير:

و من يجعل المعروف من دون عرضه يفره و من لا يتق الشتم يشتم

و الاستفزاز الإزعاج و الاستنهاض على خفه و إسراع و أصله القطع و تفرز الثوب إذا تخرق و فزرتة تفرزها فكان معنى استفزه استرله بقطعه عن الصواب و رجل فز أى خفيف و الاستطاعة قوة تنطاع بها الجوارح للفعول منه الطوع و الطاعة و هو الانقياد للفعول و الإجلاب السوق بجبله من السائق و الجلبه شدة الصوت و قال ابن الأعرابي: أجلب الرجل على صاحبه إذا توعدده بالشر و جمع عليه الجيش.

الإعراب

قال الزجاج طينا منصوب على الحال بمعنى أنك أنشأته فى حال كونه من طين و يجوز أن يكون تقديره من طين فحذف من فوصل الفعل و مثله قوله «أَنْ تَشْتَرِضِعُوا أَوْلَادَكُمْ» أى لأولادكم و قيل إنه منصوب على التمييز و الكاف فى قوله «أَرَأَيْتَكَ» لا

موضع لها من الإعراب لأنها حرف خطاب جاء للتوكيد و موضع هذا نصب با رأيت و الجواب محذوف. المعنى أخبرني عن هذا الذي كرمته على و لم كرمته على و قد خلقتني من نار و خلقتة من طين فحذف ما ذكرناه لأن في الكلام دليلا عليه.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه آدم (عليه السلام) و إبليس فقال «وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ» قد مر تفسيره في سورة البقره «قال» إبليس «أَسْجُدْ لِمَنْ خَلَقْتَ طِيناً» و هو استفهام بمعنى الإنكار أى كيف أسجد له و أنا أفضل منه و أصلى أشرف من أصله و فى هذا دلالة على أن إبليس فهم من ذلك تفضيل آدم على الملائكة و لو لا ذلك لما كان لامتناعه من السجود وجه و إنما جاز أن يأمرهم سبحانه بالسجود لآدم (عليه السلام) و لم يجوز أن يأمرهم بالعبادة له لأن السجود يترتب فى التعظيم حسب ما يراد به و ليس كذلك العبادة التى هى خضوع بالقلب ليس فوقه خضوع لأنه يترتب فى التعظيم لجنسه يبين ذلك أنه لو سجد ساهيا لم يكن له منزله فى التعظيم على قياس غيره من أفعال الجوارح «قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ» أى قال إبليس أ رأيت يا رب هذا الذى فضلته على يعنى آدم (عليه السلام) «لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» أى لئن أخرت أجل موتى «لَأُحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا» أى لأغوين ذريته و أقودنهم معى إلى المعاصى كما تقاد الدابة بخنكها إذا شد فيها حبل تجر به إلا القليل الذين تعصمهم و هم المخلصون عن أبى مسلم و قيل لأحتكنهم أى لأستولين عليهم عن ابن عباس و قيل لأستاصلنهم بالإغواء من احتناك الجراد الزرع و هو أن يأكله و يستأصله عن الجبائى و إنما طمع الملعون فى ذلك لأن الله سبحانه أخبر الملائكة أنه سيجعل فى الأرض من يفسد فيها فكأن العلم قد سبق له بذلك عن الجبائى و قيل لأنه وسوس إلى آدم فلم يجد له عزا فقال إن أولاده أضعف منه عن الحسن «قال» الله سبحانه له على وجه الاستهانه و الاستصغار «أذْهَبْ» يا إبليس «فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ» أى من ذرية آدم (عليه السلام) و اقتفى أثرك و قبل منك «فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاءُكُمْ جَزَاءً مَوْفُورًا» أى موفرا كاملا لا نقصان فيه عن الاستحقاق «وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتِطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ» أى و استزل من استطعت منهم أضلهم بدعائك و وسوستك من قولهم صوت فلان بفلان إذا دعاه و هذا تهديد فى صورته الأمر عن ابن عباس و يكون كما يقول الإنسان لمن يهدده اجهد جهدك فسترى ما ينزل بك و إنما جاء التهديد فى صورته الأمر لأنه بمنزله أن يؤمر الغير بإهانته نفسه و قيل بصوتك أى بالغناء و المزامير و الملاهى عن مجاهد و قيل كل صوت يدعى به إلى الفساد فهو من

صوت الشياطين «وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ» أى أجمع عليهم ما قدرت عليه من مكائيدك و أتباعك و ذريتك و أعوانك و على هذا فيكون الباء مزیده فى بخيلك و كل راكب أو ماش فى معصيه الله من الإنس و الجن فهو من خيل إبليس و رجله و قيل هو من أجلب القوم و جلبوا أى صاحوا أى صح بخيلك و رجلك و احشروهم عليهم بالإغواء «و شارِكُهُمْ فى الأَمْوَالِ وَ الأَوْلَادِ» و هو كل مال أصيب من حرام و أخذ بغير حقه و كل ولد زنا عن ابن عباس و الحسن و مجاهد و قيل إن مشاركتهم فى الأموال أنه أمرهم أن يجعلوها سائبه و بحيره و غير ذلك و فى الأولاد أنهم هودوهم و نصرؤهم و مجسوهم عن قتاده و قيل إن كل مال حرام أو فرج حرام فله فيه شرك عن الكلبي و قيل إن المراد بالأولاد تسميتهم عبد شمس و عبد الحرث و نحوهما و قيل هو قتل الموءودة من أولادهم و القولان مرويان عن ابن عباس «وَ عِدُّهُمْ» أى و منهم البقاء و طول الأمل و أنهم لا يبعثون و كل هذا زجر و تهديد فى صورته الأمر «وَ ما يَعِدُّهُمْ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا» هذا إخبار من الله عز و جل أن مواعيد الشيطان تكون غرورا أى يزين لهم الخطأ أنه صواب و هو اعتراض «إِنَّ عِبَادِي» يعنى الذين يطيعوننى أضافهم إلى نفسه تشريفا لهم «لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ» أى قوه و نفاذ لأنهم يعلمون أن مواعيدك باطله فلا يغترون بها و قيل معناه لا سلطان لك على جميع عبادى إلا فى الوسوسة و الدعاء إلى المعصيه فأما فى أن تمنعهم عن الطاعة و تحملهم على المعصيه جبرا و كرها فلا عن الجبائى «وَ كَفَى بِرَبِّكَ وَكِيلًا» أى حافظا لعباده من شرك.

النظم

الوجه فى اتصال الآيات بما قبلها على تقدير و ما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا محققين ظن إبليس فيهم يوم قيل له اسجد فقال كذا و كذا عن على بن عيسى و قيل اتصلت بقوله «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلْإِنْسَانِ عِدْوًا مُّبِينًا» ثم عاد إلى ذكر الشيطان لزياده الإيضاح و البيان بما أبان عن قصته مع آدم (عليه السلام) عن أبى مسلم.

إشارة

رَبُّكُمْ الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلُكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا (٦٦) وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا (٦٧) أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ تَجِدُوا لَكُمْ وَكَيْلًا (٦٨) أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِمَّا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا (٦٩)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و نخسف و نرسل و نعيدكم فمرسل عليكم فمغرقكم كله بالنون و قرأ أبو جعفر و يعقوب فمغرقكم بالتاء و الباقي بالياء و قرأ الباقون كلها بالياء.

الحج

من قرأ الجميع بالياء فلما تقدم من قوله «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ» و من قرأ بالنون فلأن هذا النحو قد تقطع بعضه من بعض و لأن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب جائز و من قرأ فمغرقكم بالتاء فإنه رد الضمير المؤنث في فمغرقكم إلى الريح.

اللغة

الإجزاء سوق الشيء حالا بعد حال و الحاصب من قولهم حصبه بالحجارة يحصبه حصبا إذا رماه بها رميا متتابعا قال القتيبي: الحاصب الريح التي ترمى بالحصباء و هي الحصى الصغار قال الفرزدق:

مستقبلين شمال الشام يضربنا بحاصب كنديف القطن مندوف

و القاصف الكاسر بشده قصفه يقصفه قصفا.

المعنى

لما تقدم ذكر الشيطان و ذكر المشركين و عبده الأوثان احتج عليهم سبحانه بدلائل التوحيد و الإيمان فقال «رَبُّكُمْ» أى خالقكم و مدبركم «الَّذِي يُرْجِي لَكُمْ الْفُلُكَ» أى يجرى لكم السفن «فِي الْبَحْرِ» بما خلق من الرياح و بأن جعل الماء على وجه يمكن جرى السفن فيه «لِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ» أى لتطلبوا من فضل الله تعالى بركوب السفن على وجه الماء فيما فيه صلاح دنياكم من التجاره أو صلاح دينكم من الغرق «إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» حيث أنعم عليكم بهذه النعم «وَ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ» أى الشده «فِي الْبَحْرِ» بسكون الرياح و احتباس السفن أو باضطراب الأمواج و غير ذلك من أهوال البحر «ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَاهًا» أى ذهب عنكم ذكر كل معبود إلا الله فلا ترجون هناك النجاه إلا من عنده فتدعون و لا تدعون غيره «فَلَمَّا نَجَّكُمْ» من البحر «إِلَى الْبَرِّ» و أمنتهم الغرق «أَعْرَضْتُمْ» عن الإيمان به و عن طاعته كفرانا للنعمه «وَ كَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا» أى كثير

الكفران «أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يُخَسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ» معناه إن فعلكم هذا فعل من يتوهم إنه إذا صار إلى البر أمن المكاره حتى أعرضتم عن شكر الله و طاعته فهل أمنتُم أن يخسف بكم أى يغييكم و يذهبكم فى جانب البر و هو الأرض يقال خسف الله به الأرض أى غاب به فيها و أراد به بعض البر و هو موضع حلولهم فيه فسماه جانبا لأنه يصير بعد الخسف جانبا و قيل إنهم كانوا على ساحل البحر و ساحله جانب البر و كانوا فيه آمنين من أهوال البحر فحذرهم ما أمنوه من البر كما حذرهم ما خافوه من البحر «أَوْ يُزَسِّلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا» أى أو هل أمنتُم أن يرسل عليكم حجاره تحصبون بها أى ترمون بها و المعنى أنه سبحانه قادر على إهلاككم فى البر كما أنه قادر على إغراقكم فى البحر «ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا» أى حافظا يحفظكم عن عذاب الله و دافعا يدفعه عنكم «أَمْ أَمِنْتُمْ» أى أم هل أمنتُم «أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى» أى فى البحر مره أخرى بأن يجعل لكم حاجه أو يحدث لكم رغبه أو رهبه فترجعون إلى البحر مره أخرى «فَيُزَسِّلَ عَلَيْكُمْ قَاصِبًا مِّنَ الرِّيحِ» أى فإذا ركبتم البحر أرسل عليكم ريحا شديده كاسره للسفينه و قيل الحاصب الريح المهلكه فى البر و القاصف المهلكه فى البحر «فَيَغْرِقُكُمْ بِمَا كَفَرْتُمْ» من نعم الله «ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا» أى تابعا يتبع إهلاككم للمطالبه بدمائكم و يقول لم فعلت هذا بهم و هذا فى معنى قول المفسرين يعنى ثائرا و لا ناصرا.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٠ الى ٧٢]

إشارة

وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا (٧٠) يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (٧١) وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٧٢)

القراءة

قرأ أهل البصره أعمى الأولى بالإماله و «أعمى» الثانيه بالتفخيم و قرأ حمزه

ص: ٢٤٥

و الكسائى بالإماله فيهما و الباقون بالتفخيم فيهما و قرأ زيد عن يعقوب يوم يدعوا بالياء و الباقون بالنون و فى الشواذ قراءه الحسن يوم يدعوا بضم الياء و فتح العين.

الحجه

قال أبو على: من أمالهما فإنه حسن لأنه ينحو بالألف نحو الياء ليعلم أنها ينقلب إلى الياء و إن كانت فاصله أو مشبهه بالفاصله بالإماله فيها حسنه لأن الفاصله موضع وقف و الألف تخفى فى الوقف فإذا أمالها نحى بها نحو الياء ليكون أظهر لها و أبين و مما يقوى ذلك أن من العرب من يقبل هذه الألفات فى الوقف ياءات ليكون أبين لها قالوا أفعى و حبلى و منهم من يقول أفعو و هم كأنهم أحرص على البيان من الأولين من حيث كانت الواو أظهر من الياء و الياء أخفى منها من حيث كانت أقرب إلى الألف من الواو إليها و أما من أمال الألف من الكلمه الأولى و لم يمل من الثانية فإنه يجوز أن لا يجعل أعمى الكلمه الثانيه عباره عن المؤوف الجارحه و لكنه جعله أفعال من كذا مثل أبلد من فلان فجاز أن يقول فيه أفعال من كذا و إن لم يجز أن يقول ذلك فى المصاب ببصره فإذا جعله كذلك لم يقع الألف فى آخر الكلمه لأن آخرها إنما هو من كذا و إنما تحسن الإماله فى الأواخر لما تقدم و قد حذف من أفعال الذى هو للتفضيل الجار و المجرور و هما مرادان فى المعنى مع الحذف و ذلك نحو قوله «فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السَّرَّ» و أخفى المعنى من السر و كذلك قولهم عام أول أى أول من عامك و كذلك قوله «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى» أى أعمى منه فى الدنيا و معنى أعمى فى الآخره أنه لا يهتدى إلى طرق الثواب و يؤكد ذلك ظاهر ما عطف عليه من قوله «وَ أَضَلُّ سَبِيلًا» فكما أن هذا لا يكون إلا على أفعال فكذلك المعطوف عليه و معنى أضل سبيلا فى الآخره إن ضلاله فى الدنيا قد كان ممكنا من الخروج منه و ضلاله فى الآخره لا سبيل له إلى الخروج منه و يجوز أن يكون أعمى فيمن تأوله أفعال من كذا على هذا التأويل أيضا قال ابن جنى:

قراءه الحسن يوم يدعوا على لغه من أبدال الألف فى الوصل واوا نحو أفعو و حبلو ذكر ذلك سيبويه و أكثر هذا فى الوقف.

المعنى

لما تقدم قول إبليس هذا الذى كرمت على ذكر سبحانه بعد ذلك تكرمه لبنى آدم بأنواع الإكرام و فنون الأنعام فقال «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ» أى فضلناهم عن ابن عباس و أجريت الصفه على جميعهم من أجل من كان فيهم على هذه الصفه كقوله «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» و قيل إنما عمهم بالتكرمه مع أن فيهم الكافر المهان لأن المعنى أكرمناهم بالنعم الدنيويه كالصور الحسنه و تسخير الأشياء لهم و بعث الرسل إليهم و قيل معناه

عاملناهم معامله المكرم على وجه المبالغه فى الصفه و اختلف فيما كرموا به فليل بالقوه و العقل و النطق و التميز عن ابن عباس و الضحاك و قيل إنهم يأكلون باليد و كل دابه تأكل بقمها رواه ميمون بن مهران عن ابن عباس و قيل بتعديل القامه و امتدادها عن عطاء و قيل بالأصابع يعملون بها ما يشاءون روى ذلك جابر بن عبد الله و قيل بتسليطهم على غيرهم و تسخير سائر الحيوانات لهم عن ابن جرير و قيل بأن جعل محمدا ص منهم عن محمد بن كعب و قيل بأنهم يعرفون الله و يأتمرون بأمره و قيل بجميع ذلك و غيره من النعم التى خصوا بها و هو الأوجه «وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ» فى البر على الإبل و الخيل و البغال و الحمير و فى البحر على السفن «وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ» أى من الثمار و الفواكه و الأشياء الطيبه و سائر الملاذ التى خص بها بنو آدم و لم يشركهم شىء من الحيوان فيها «وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا» استدلل بعضهم بهذا على إن الملائكه أفضل من الأنبياء قال لأن قوله «على كثير» يدل على أن هاهنا من لم يفضلهم عليه و ليس إلا- الملائكه لأن بنى آدم أفضل من كل حيوان سوى الملائكه بالاتفاق و هذا باطل من وجوه (أحدها) إن التفضيل هاهنا لم يرد به الثواب لأن الثواب لا يجوز التفضيل به ابتداء و إنما المراد بذلك ما فضلهم الله به من فنون النعم التى عددنا بعضها (و ثانيها) إن المراد بالكثير الجميع فوضع الكثير موضع الجميع و المعنى إنا فضلناهم على من خلقنا و هم كثير كما يقال بذلت له العريض من جاهى و أبحته المنيع من حريمى و لا يراد بذلك إنى بذلت له عريض جاهى و منعت ما ليس بعريض و أبحته منيع حريمى و لم أبحه ما ليس منيعا بل المقصود أنى بذلت له جاهى الذى من صفته أنه عريض و فى القرآن و محاورات العرب من ذلك ما لا يحصى و لا يخفى ذلك على من عرف كلامهم قال سويد بن أبى كاهل فى شعره:

من أناس ليس فى أخلاقهم عاجل الفحش و لا سوء الجزع

و لم يرد أن فى أخلاقهم فحشا آجلا و لو أراد ذلك لم يكن مادحا لهم (و ثالثها) أنه إذا سلم أن المراد بالتفضيل زياده الثواب و إن لفظه من فى قوله «مِمَّنْ خَلَقْنَا» يفيد التبعيض فلا- يمتنع أن يكون جنس الملائكه أفضل من جنس بنى آدم لأن الفضل فى الملائكه عام لجميعهم أو أكثرهم و الفضل فى بنى آدم يختص بقليل من كثير و على هذا فغير منكر أن يكون الأنبياء أفضل من الملائكه و إن كان جنس الملائكه أفضل من جنس بنى آدم و متى قيل إذا كان معنى التكريم و التفضيل واحدا فما معنى التكرار (فجوابه) إن قوله «كَرَّمْنَا» ينبى عن الأنعام و لا ينبى عن التفضل فجاء بلفظ التفضيل ليدل عليه و قيل إن التكريم يتناول نعم

الدنيا و التفضيل يتناول نعم الآخرة و قيل أن التكريم بالنعم التي يصح بها التكليف و التفضيل بالتكليف الذي عرضهم به للمنازل العاليه «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمامِهِمْ» فيه أقوال (أحدها) إن معناه بنبيهم عن مجاهد و قتاده و يكون المعنى على هذا أن ينادى يوم القيام فيقال هاتوا متبعي إبراهيم هاتوا متبعي موسى هاتوا متبعي محمد فيقوم أهل الحق الذين اتبعوا الأنبياء فيأخذون كتبهم بأسمائهم ثم يقال هاتوا متبعي الشيطان و هاتوا متبعي رؤساء الضلالة و هذا معنى ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس و

روى أيضا عن علي (عليه السلام) إن الأئمة إمام هدى و إمام ضلالة و رواه الوالبي عنه بأئمتهم فى الخير و الشر

(و ثانيها) معناه بكتابتهم الذى أنزل عليهم من أوامر الله و نواهيه فيقال يا أهل القرآن و يا أهل التوراه عن ابن زيد و الضحاك (و ثالثها) إن معناه بمن كانوا يأتون به من علمائهم و أئمتهم عن الجبائي و أبي عبيده و يجمع هذه الأقوال

ما رواه الخاص و العام عن الرضا على بن موسى (عليه السلام) بالأسانيد الصحيحه أنه روى عن آبائه (عليه السلام) عن النبي ص أنه قال فيه يدعى كل أناس بإمام زمانهم و كتاب ربهم و سنه نبيهم

و

روى عن الصادق (عليه السلام) أنه قال أ لا تحمدون الله إذا كان يوم القيامة فدعا كل قوم إلى من يتولونه و دعانا إلى رسول الله ص و فرعتم إلينا فإلى أين ترون يذهب بكم إلى الجنة و رب الكعبه قالها ثلاثا

(و رابعها) إن معناه بكتابتهم الذى فيه أعمالهم عن ابن عباس فى روايه أخرى و الحسن و أبى العالیه (و خامسها) معناه بأمهاتهم عن محمد بن كعب «فَمَنْ أَوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ» أى فمن أعطى كتاب عمله الذى فيه طاعاته و ثواب أعماله بيمينه «فَأُولَئِكَ يَفْرَحُونَ كِتَابَهُمْ» فرحين مسرورين لا- يجنبون عن قراءته لما يرون فيه من الجزاء و الثواب «وَلَا يُظَلِّمُونَ فِتْلًا» أى لا- ينقصون ثواب أعمالهم مقدار فتيل و هو المفتول الذى فى شق النواه عن قتاده و قيل الفتيل فى بطن النواه و النقى فى ظهرها و القطمير قشر النواه عن الحسن جعل الله إعطاء الكتاب باليمين علامه الرضا و الخلاص و إعطاء الكتاب باليسار و من وراء الظهر علامه السخط و الهلاك «وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى» ذكر فى معناه أقوال (أحدها) إن هذه إشاره إلى ما تقدم ذكره من النعم و معناه أن من كان فى هذه النعم و عن هذه العبر أعمى فهو عما غيب عنه من أمر الآخرة أعمى عن ابن عباس (و ثانيها) إن هذه إشاره إلى الدنيا و معناه من كان فى هذه الدنيا أعمى عن آيات الله ضالا عن الحق ذاهبا عن الدين فهو فى الآخرة أشد تحيرا و ذهابا عن طريق الجنة أو عن الحججه إذا سئل فإن من ضل عن معرفه الله فى الدنيا يكون يوم القيامه منقطع الحججه فالأول اسم و الثانى فعل من العمى و هذا معنى قول ابن عباس و مجاهد و قتاده (و ثالثها) إن معناها من كان فى الدنيا أعمى القلب فإنه فى الآخرة

أعمى العين يحشر كذلك عقوبه له على ضلالتة فى الدنيا عن أبى مسلم قال و هذا كقوله «و نَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى» و تأول قوله سبحانه «فَبَصَّرُوكَ الْيَوْمَ حَدِيدًا» بأن معناه الأخبار عن قوه المعرفة و الجاهل بالله سبحانه يكون عارفا به فى الآخرة و تقول العرب فلان بصير بهذا الأمر و إنما أرادوا بذلك العلم و المعرفة لا الإبصار بالعين و على هذا فليس يكون قوله «فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى» على سبيل المبالغه و التعجب و إن عطف عليه بقوله «و أَضَلُّ سَبِيلًا» و يكون التقدير و هو أضل سبيلا- قال و يجوز أن يكون أعمى عباره عما يلحقه من الغم المفرط فإنه إذ لم ير إلا ما يسوء فكأنه أعمى كما يقال فلان سخين العين (و رابعها) إن معناه من كان فى الدنيا ضالا فهو فى الآخرة أضل لأنه لا يقبل توبته عن الحسن و اختاره الزجاج على هذا القول و قال تأويله إنه إذا عمى فى الدنيا و قد عرفه الله الهدى و جعل له إلى التوبه وصله فعمى عن رشده و لم يتب فهو فى الآخرة أشد عمى و أضل سبيلا لأنه لا يجد طريقا إلى الهدايه.

النظم

قيل فى وجه اتصال قوله «يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ» بما قبله وجوه (أحدها) أنه سبحانه ذكر تفضيل بنى آدم ثم بين أن ذلك التفضيل إنما يكون فى ذلك اليوم فيستحق المهتدون الثواب بهدايتهم (و ثانيها) أنها اتصلت بقوله «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا» أى فاحذروا يوم يدعى كل أمه بإمامهم (و ثالثها) إنها اتصلت بقوله «يُعِيدُكُمْ» أى يعيدكم يوم يدعو (و رابعها) أنه تعالى ذكر فيما تقدم من آمن و من كفر ثم بين فى هاتين الآيتين ما أعد للفريقين من ثواب و عقاب و أنه يعطيهم ذلك على ما هو مكتوب فى كتبهم عن أبى مسلم.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٣ الى ٧٥]

اشاره

وَ إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَ إِذَا لَا تَخَذُوكَ خَلِيلًا (٧٣) وَ لَوْ لَا أَنْ تَبْتُنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تُوَكَّنُ إِلَيْهِمْ شَيْنًا قَلِيلًا (٧٤) إِذَا لَأَذْفَنَّاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا (٧٥)

الإعراب

«لَوْ لَا أَنْ تَبْتُنَاكَ» تقديره لو لا تثبتنا إياك فإن هاهنا فى موضع رفع بالابتداء و خبره مضمرة و هذا يدل على بطلان مذهب أبى سعيد حيث قال:

" لو لا حددت و لا عدوى

و استدل به على أن لو لا تدخل على الفعل و خفى عليه إضمار أن في البيت.

النزول

في سبب نزوله أقوال (أحدها)

إن قريشا قالت للنبي ص لا ندعك تستلم الحجر حتى تلم بالهتنا فحدث نفسه و قال ما على في أن ألم بها و الله يعلم إنى لكاره لها و يدعوني أستلم الحجر فأنزل الله تعالى هذه الآية عن سعيد بن جبير

(و ثانيها) أنهم قالوا له كف عن شتم آلهتنا و تسفيه أحلامنا و اطرده هؤلاء العبيد و السقاط الذين رائجهم رائحه الصنان حتى نجالسك و نسمع منك فطمع في إسلامهم فنزلت الآية (و ثالثها) إن رسول الله ص أخرج الأصنام من المسجد فطلبت إليه قريش أن يترك صنما على المروه فهم بتركه ثم أمر بعد بكسره فنزلت الآية رواه العياشى بإسناده (و رابعها)

إنها نزلت في وفد ثقيف قالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال لا ننحنى بفنون الصلاة و لا نكسر أصنامنا بأيدينا و تمتعنا باللات سنه فقال ص لا خير في دين ليس فيها ركوع و لا سجود فأما كسر أصنامكم بأيديكم فذاك لكم و أما الطاعة للات فإنى غير ممتعكم بها و قام رسول الله ص و توضأ فقال عمر بن الخطاب ما بالكم آذيتم رسول الله ص أنه لا يدع الأصنام في أرض العرب فما زالوا به حتى أنزل هذه الآيات عن ابن عباس

(و خامسها) أن وفد ثقيف قالوا أجلنا سنه حتى نقبض ما يهدى لآلهتنا فإذا قبضنا ذلك كسرناها و أسلمنا فهم بتأجيلهم فنزلت الآية عن الكلبي رواه عن عطيه عن ابن عباس.

المعنى

ثم حكى الله سبحانه عن الكفار فقال «وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» إن هذه مخففه من الثقيله و المعنى أن المشركين الذين تقدم ذكرهم في هذه السوره هموا و قاربوا أن يزلوك و يصرفوك عن القرآن الذى أوحينا إليك أى من حكمه «لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ» أى لتخترع علينا غير ما أوحينا إليك و المعنى لتحل محل المفترى لأنك تخبر إنك لا تنطق إلا عن وحى فإذا اتبعت أهواءهم أو هممت أنك تفعله بأمر الله فكنت كالمفترى «وَإِذَا لَاتَّخَذُوكَ خَلِيلًا» معناه و إنك لو أجبتهم إلى ما طلبوا منك لتلوك و أظهروا خلتك أى صداقتك لموافقتك معهم و قيل هو من الخله التى هى الحاجه أى فقيرا محتاجا إليهم و الأول أوجه «وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَاكَ» أى ثبتنا قلبك على الحق و الرشد بالنبوه و العصمه و المعجزات و قيل بالألطف الخفيه «لَقَدْ كِدَّتْ تَزَكُنْ إِيَّاهُمْ شَيْئًا قَلِيلًا» أى ركونا قليلا و المعنى لقد قاربت أن تسكن إليهم بعض السكون و أن تميل إليهم ميلا قليلا فتعطيهم بعض

ما سألوك يقال كدت أفعل كذا أى قاربت أن أفعله و لم أفعله و

قد صح عنه ص قوله وضع عن أمتى ما حدثت به نفسها ما لم تعمل به أو تتكلم به

قال ابن عباس يريد حيث سكت عن جوابهم و الله أعلم بنبيه ثم توعده سبحانه على ذلك لو فعله فقال «إِذَا لَأَذُقْنَاكَ ضِعْفَ ضِعْفِ الْحَيَاةِ وَ ضِعْفَ الْمَمَاتِ» أى لو فعلت ذلك لعذبتناك ضعف عذاب الحياه و ضعف عذاب الممات أى مثلى ما نعذب به المشرك فى الدنيا و مثلى ما نعذب به المشرك فى الآخرة لأن ذنبك يكون أعظم و قيل إن المراد بالضعف العذاب المضاعف ألمه و المعنى لأذقناك عذاب الدنيا و عذاب الآخرة عن أبان بن تغلب و أنشد قول الشاعر:

لمقتل مالك إذ بأن سنى أبيت الليل فى ضعف أليم

أى عذاب قال ابن عباس رسول الله ص معصوم و لكن هذا تخويف لأمته لثلا يركن أحد من المؤمنين إلى أحد من المشركين فى شىء من أحكام الله و شرائعه «ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا» أى ناصرنا ينصرك و قال إنه لما نزلت هذه الآية قال النبى ص اللهم لا تكنى إلى نفسى طرفه عين أبدا عن قتاده.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٧٦ الى ٧٧]

إشاره

وَ إِنْ كَادُوا لَيْسَ يَتَفَرُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا (٧٦) سُرِيَتْهُ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَ لَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا (٧٧)

القراءه

قرأ أهل الحجاز و أبو عمرو و أبو بكر خلفك بغير ألف و الباقون «خِلَافَكَ» بالألف وقرأ رويس عن يعقوب بالوجهين.

الحجه

قال أبو على زعم أبو الحسن أن خِلافَكَ فى معنى خلفك و معناه بعدك فمن قرأ خلفك أو «خِلَافَكَ» فهو فى القراءتين جميعا على تقدير حذف المضاف أى بعد خروجك فيكون مثل قول ذى الرمه:

له واجف بالقلب حتى تقطعت خلاف الثريا من أريك مآربه

و المعنى خلاف طلوع الثريا و كذلك من جعل قوله خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ

ص: ٢٥١

اسما للجبهه كان على حذف المضاف كأنه خلاف خروج رسول الله و من جعله مصدرا جعله مضافا إلى مفعول به و على أى الأمرين حمل ذلك فى سورة التوبه كان بمقعدهم المقعد فيه مصدر لا اسم المكان لأن اسم المكان لا يتعلق به شىء .

الإعراب

قال «لَا يَلْبُثُونَ» بالرفع لأن إذا وقعت بعد الواو جاز فيها الإلغاء لأنها متوسطه فى الكلام كما أنه لا بد من أن تلقى إذا وقعت حشو أو «سَيِّئَةٌ مِّنْ قَدِّ أَرْسَلْنَا» انتصب بمعنى قوله «لَا يَلْبُثُونَ» لأن تأويله إنا سننا هذه السنه فيمن أرسلناهم قبلك و التقدير أهلكتناهم إهلاكا و سنه مثل سنه من قد أرسلنا قبلك.

النزول

نزلت فى أهل مكه لما هموا بإخراج النبى ص من مكه عن مجاهد و قتاده و قيل نزلت فى اليهود بالمدينه لما قدم رسول الله ص المدينه قالوا له إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء و إنما أرض الأنبياء الشام فأت الشام عن ابن عباس.

المعنى

ثم بين سبحانه أن الكفار لما يسوا من إجابته إياهم فيما التمسوه منه كادوا له فقالوا «وَإِنْ كَادُوا لَيَسِفُزُونَكَ مِنَ الْمَأْرُضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا» معناه و إن المشركين أرادوا أن يزعموك من أرض مكه بالإخراج عن قتاده و مجاهد و قيل عن أرض المدينه يعنى اليهود عن ابن عباس و قيل يعنى جميع الكفار أرادوا أن يخرجوك من أرض العرب عن الجبائى و قال الحسن ليستفزونك معناه ليقتلونك «وَإِذَا لَا يَلْبُثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا» معناه أنهم لو أخرجوك لكانوا لا يلبثون بعد خروجك إلا زمانا قليلا و مدته يسيره قيل و هى المده بين خروج النبى ص من مكه و قتلهم يوم بدر عن الضحاك و قيل إنهم أخرجوه و أهلكوا و المراد بقوله «إِلَّا قَلِيلًا» إلا ناسا قليلا منهم يريد من انفلت منهم يوم بدر و آمنوا بعد ذلك «سَيِّئَةٌ مِّنْ قَدِّ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُّسُلِنَا» معناه أنهم لو أخرجوك لاستاصلناهم بعد خروجك كسنتنا فيمن قبلك قال سفيان بن عيينه يقول لم نرسل قبلك رسولا فأخرجه قومه إلا أهلكوا فقد سننا هذه السنه فيمن أرسلنا قبلك إليهم «وَ لَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا» أى تبديلا و معناه ما يتهاى لأحد أن يقلب سنه الله و يبطلها و السنه هى العاده الجاريه و الصحيح أن المعنيين فى الآيه مشركو مكه و أنهم لم يخرجوه من مكه و لكنهم هموا بإخراجه كما فى قوله «وَ إِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا» إلى قوله «أَوْ يُخْرِجُوكَ» ثم خرج ص لما أمر بالهجره خوفا منهم و ندموا على خروجه و لذلك ضمنوا الأموال فى رده فلم يقدروا على ذلك و لو أخرجوه لاستؤصلوا بالعذاب و لماتوا طرا.

اشاره

أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى عَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا (٧٨) وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا (٧٩) وَقُلْ رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا (٨٠) وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا (٨١)

اللغة

الدلوک الزوال و قال المبرد: دلوک الشمس من لدن زوالها إلى غروبها و قيل هو الغروب و أصله من الدلک فسمى الزوال دلوکا لأن الناظر إليها يدلک عينه لشده شعاعها و سمي الغروب دلوکا لأن الناظر يدلک عينه ليتبينها قال ثعلب: دلکت الشمس مالت و قال الزجاج: يقال دلکت براح و براح أى مالت للزوال حتى صار الناظر يحتاج إذا تبصرها أن يكسر الشعاع عن بصره براحتة قال الراجز:

هذا مقام قدمی رباح للشمس حتى دلکت براح

و رباح اسم ساقی الإبل و من قال براح بفتح الباء جعلها اسما للشمس مبنيا على فعال مثل قظام و حدام و من روى براح بكسر الباء أراد براحتة و قال الفراء: أى قال بالراحه على العين لينظر هل غابت الشمس بعد، و غسق الليل ظهور ظلامه يقال غسقت القرحة إذا انفجرت فظهر ما فيها و التهجد التيقظ و السهر بما ينفي النوم و الهجود النوم و هو الأصل هجد يهجد نام و قد هجدته إذا نومته قال لبيد:

قلت هجدنا و قد طال السرى و قدرنا إن خنا الدهر غفل

و قال آخر:

ألا طرقتنا و الرفاق هجود فباتت بعلات النوال تجود

و قال الحطيئة:

ألا طرقت هند الهنود و صحبتى بحوران حوران الجنود هجود

قال المبرد: التهجد السهر للصلاه أو لذكر الله و قال علقمه: التهجد يكون بعد نومه و النافله و النفل الغنيمه قال ليبيد:

إن تقوى ربنا خير نفل و بإذن الله ريشى و عجل

أى و عجلي و عسى من الله واجبه و قد أنشد لابن مقبل فى وجوبها:

ظنى بهم كعسى و هم بتنوفه يتنازعون جوائز الأمثال

يريد كيقين و الزهوق الهلاك و البطلان يقال زهقت نفسه إذا خرجت فكأنه قد خرجت إلى الهلاك.

الإعراب

«قُرْآنَ الْفَجْرِ» منصوب على تقدير و أقم قرآن الفجر و انتصب قوله «نَافِلَةٌ لَكَ» لأنه فى موضع الحال.

المعنى

ثم أمر سبحانه بعد إقامة بينات و ذكر الوعد و الوعيد، بإقامه الصلاه فقال مخاطباً للنبي ص و المراد هو و غيره «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ» اختلف المفسرون فى الدلوك فقال قوم دلوك الشمس زوالها و هو قول ابن عباس بخلاف و ابن عمر و جابر و أبى العالى و الحسن و الشعبى و عطا و مجاهد و قتاده و

الصلاه المأمور بها على هذا هى صلاه الظهر و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و معنى قوله «لِذُلُوكِ الشَّمْسِ» أى عند دلوكها و قال قوم دلوكها غروبها و هو قول النخعى و الضحاك و السدى و الصلاه المأمور بها على هذا هى المغرب و روى ذلك عن ابن مسعود و ابن عباس و القول الأول هو الأوجه

لتكون الآيه جامعه للصلوات الخمس فصلاتا دلوك الشمس الظهر و العصر و صلاتا غسق الليل هما المغرب و العشاء الآخره و المراد بقرآن الفجر صلاه الفجر فهذه خمس صلوات و هذا معنى قول الحسن و اختاره الواحدى و غسق الليل هو أول بدء الليل عن ابن عباس و قتاده و قيل هو غروب الشمس عن مجاهد و قيل هو سواد الليل و ظلمته عن الجبائى و قيل

هو انتصاف الليل عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام)

و استدل قوم من أصحابنا بالآيه على أن وقت صلاه الظهر موسع إلى آخر النهار لأنه سبحانه أوجب إقامه الصلاه من وقت دلوكها إلى غسق الليل و ذلك يقتضى أن ما بينهما وقت و لم يرتضه الشيخ أبو جعفر قدس الله روحه قال لأن من قال إن الدلوك هو الغروب فلا دلاله فيه عنده بل يقول أوجب سبحانه إقامه المغرب من عند الغروب إلى وقت اختلاط الظلام الذى هو غروب الشفق و من قال الدلوك هو الزوال أمكنه أن يقول إن المراد بالآيه بيان وجوب الصلوات الخمس على ما ذكره الحسن لا بيان وقت صلاه واحده و أقول إنه يمكن الاستدلال بالآيه على ذلك بأن يقال إن الله سبحانه جعل من دلوك الشمس الذى هو الزوال إلى غسق الليل وقتا للصلوات الأربع إلا أن الظهر و العصر اشتركا فى الوقت من الزوال إلى الغروب و المغرب و العشاء الآخره اشتركا فى الوقت من الغروب إلى الغسق و أفرد صلاه الفجر بالذكر فى قوله «وَقُرْآنَ الْفَجْرِ» ففى الآيه بيان وجوب الصلوات الخمس و بيان أوقاتها و يؤيد ذلك

ما رواه العياشى بالإسناد عن عبيد بن زراره عن أبى عبد الله (عليه السلام) و فى هذه الآيه قال إن الله افترض أربع صلوات أول وقتها من زوال الشمس إلى انتصاف الليل منها صلاتان أول وقتها من عند زوال الشمس إلى غروبها إلا أن هذه قبل هذه و منها صلاتان أول وقتها من غروب الشمس إلى انتصاف الليل إلا أن هذه قبل هذه

و إلى هذا ذهب المرتضى علم الهدى قدس الله روحه فى أوقات الصلوات و قال الزجاج إن فى قوله «وَقُرْآنَ الْفَجْرِ» فائده عظيمه تدل على أن الصلاه لا تكون إلا بقراءه لأن قوله «أَقِمِ الصَّلَاةَ» و أقم قرآن الفجر قد أمر فيه أن يقيم الصلاه بالقراءه حتى سميت الصلاه قرآنا فلا يكون صلاه إلا بقراءه «إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا» كلهم قالوا معناه إن صلاه الفجر تشهدا ملائكه الليل و ملائكه النهار و

قال النبى ص تفضل صلاه الجماعه صلاه أحدكم وحده بخمسه و عشرين جزءا و يجتمع ملائكه الليل و النهار فى صلاه الفجر أورده البخارى فى الصحيح

«وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ» خطاب للنبى ص أى فصل بالقرآن عن ابن عباس و لا يكون التهجد إلا بعد النوم عن مجاهد و الأسود و علقمه و أكثر المفسرين و قال بعضهم ما تنفلت به فى كل الليل يسمى تهجدا و المتهجد الذى يلقي الهجود عن نفسه كما يقال المتحرج و المتأثم «نافلته لك» أى زياده لك على الفرائض و ذلك أن صلاه الليل كانت

فريضه على النبي ص مكتوبه عليه و لم تكتب على غيره و كانت فضيله لغيره عن ابن عباس و قيل كانت واجبه عليه فنسخ وجوبها بهذه الآيه و قيل إن معناه فضيله لك و كفاره لغيرك فإن كل إنسان يخاف أن لا يقبل فرضه فيكون نفعه كفاره و النبي لا يحتاج إلى كفاره عن مجاهد و قيل معناه نافله لك و لغيرك و إنما اختصه بالخطاب لما في ذلك من دعاء الغير إلى الاقتداء به و الحث على الاستئذان بسنته «عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً» عسى من الله واجبه و المقام بمعنى البعث فهو مصدر من غير جنسه أى يبعثك يوم القيامة بعثاً أنت محمود فيه و يجوز أن يجعل البعث بمعنى الإقامه كما يقال بعثت بعيرى أى أثرته و أقمته فيكون معناه يقيمك ربك مقاماً محموداً يحمدك فيه الأولون و الآخرون و هو مقام الشفاعة تشرف فيه على جميع الخلائق تسأل فتعطى و تشفع فتشفع و قد أجمع المفسرون على أن المقام المحمود هو مقام الشفاعة و هو المقام الذى يشفع فيه للناس و هو المقام الذى يعطى فيه لواء الحمد فيوضع فى كفه و يجتمع تحته الأنبياء و الملائكه فيكون ص أول شافع و أول مشفع «وَقُلْ» يا محمد «رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ» المدخل و المخرج هنا مصدر الإدخال و الإخراج فالتقدير أدخلنى إدخال صدق و أخرجنى إخراج صدق و فى معناه أقوال (أحدها) أن المعنى أدخلنى فى جميع ما أرسلتنى به إدخال صدق و أخرجنى منه سالماً إخراج صدق أى أعنى على الوحي و الرساله عن مجاهد (و ثانيها) أن معناه أدخلنى المدينه و أخرجنى منها إلى مكه للفتح عن ابن عباس و الحسن و قتاده و سعيد بن جبیر (و ثالثها) أنه ص أمر بهذا الدعاء إذا دخل فى أمر أو خرج من أمر و المراد أدخلنى كل أمر مدخل صدق عن أبى مسلم (و رابعها) أن المعنى أدخلنى القبر عند الموت مدخل صدق و أخرجنى منه عند البعث مخرج صدق عن عطيه عن ابن عباس و مدخل الصدق ما تحمد عاقبته فى الدنيا و الدين و إنما أضاف الإدخال و الإخراج إليه سبحانه و إن كانا من فعل العبد لأنه سأله اللطف المقرب إلى خير الدين و الدنيا «وَأَجْعَلْ لِي مِنْ لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا» أى اجعل لى عزا أمتنع به ممن يحاول صدق عن إقامه فرائضك و قره تنصرنى بها على من عادانى فيك و قيل اجعل لى ملكا عزيز أقهر به العصاه فنصر بالربع حتى خافه العدو على مسيره شهر و قيل حجه بينه أتقوى بها على سائر الأديان الباطله عن مجاهد قال و سماه نصيرا لأنه تقع به النصره على الأعداء فهو كالمعين «وَقُلْ» يا محمد «جَاءَ الْحَقُّ» أى ظهر الحق و هو الإسلام و الدين «وَزَهَقَ الْبَاطِلُ» أى و بطل الباطل و هو الشرك عن السدى و قيل الحق التوحيد و عباده الله و الباطل عباده الأصنام عن مقاتل و قيل الحق القرآن و الباطل الشيطان و زهق بطل و اضمحل عن قتاده و

روى عن عبد الله بن مسعود أنه قال دخل النبي ص مكه و حول البيت

ثلاثمائة و ستون صنما فجعل يطعنها و يقول «جاء الحقُّ وَ زَهَقَ الباطِلُ إِنَّ الباطِلَ كَانَ زَهُوقاً» أورده البخارى فى الصحيح

قال الكلبى فجعل الصنم ينكب لوجهه إذ قال ذلك و أهل مكه يقولون ما رأينا رجلا أسحر من محمد «إِنَّ الباطِلَ كَانَ زَهُوقاً» أى مضمحلا ذاهبا هالكا لا ثبات له.

[سوره الإسراء (١٧): الآيات ٨٢ الى ٨٤]

إشاره

وَ نُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَ لَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً (٨٢) وَ إِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَ نَأَى بِجَانِبِهِ وَ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يُؤَسِّأُ (٨٣) قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرُبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا (٨٤)

القراءه

قرأ أبو جعفر و ابن عامر بروايه ابن ذكوان و ناء بجانبه ممدوده مهموزه و فى حم مثله و قرأ حمزه إلا العجلى و أبو بكر بروايه حماد و يحيى و عياش و أبو شعيب السوسى عن اليزيدى و نصير عن الكسائى نئى بفتح النون و كسر الهمزه و قرأ حمزه بروايه العجلى و خلف و الكسائى نئى بكسر النون و الهمزه و قرأ الباقون «نأى» بفتح النون و الهمزه فى وزن نعى.

الحجه

قال أبو على ناء مثل فاع و هو على القلب و تقديره فلع و مثله رأى و رآه قال:

فكل خليل رءانى فهو قاتل من أجلك هذا هامه اليوم أوغد

و من أمال الفتحين فلأين الألف منقلبه من الياء التى فى النأى فإذا أراد أن ينحو نحوها أمال فتحه النون لإماله فتحه الهمزه و قد قالوا رأيت عمادا فأمالوا الألف لإماله الألف فكذلك أمالوا الفتحه لإماله الفتحه لأنهم يجرون الحركه مجرى الحرف فى أشياء و من فتح النون و كسر الهمزه فإنه لم يمل الفتحه الأولى لإماله الفتحه الثانيه كما لم يميلوا الألف لإماله الألف فى رأيت عمادا.

اللغه

الشاكله الطريقيه و المذهب يقال هذا طريق ذو شواكل أى ينشعب منه طرق جماعه.

ثم أخبر سبحانه عن القرآن فقال «وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ» ووجه الشفاء فيه من وجوه (منها) ما فيه من البيان الذى يزيل عمى الجهل و حيره الشك (و منها) ما فيه من النظم و التأليف و الفصاحة البالغة حد الإعجاز الذى يدل على صدق النبى ص فهو من هذه الجهة شفاء من الجهل و الشك و العمى فى الدين و يكون شفاء للقلوب (و منها) أنه يتبرك به و بقرائه و يستعان به على دفع العلل و الأسقام و يدفع الله به كثيرا من المكاره و المضار على ما تقتضيه الحكمة (و منها) ما فيه من أدله التوحيد و العدل و بيان الشرائع و الأمثال و الحكم و ما فى التعبد بتلاوته من الصلاح الذى يدعو إلى أمثاله بالمشاركة التى بينه و بينه فهو شفاء للناس فى دنياهم و آخرتهم و رحمه للمؤمنين أى نعمه لهم و خصهم بذلك لأنهم المنتفعون به «وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا» و معناه أنهم لا يزدادون عنده إلا خسارا يخسرون الثواب و يستحقون العقاب لكفرهم به و تركهم التدبير له و التفكير فيه و هذا كقوله فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا و يحتمل أن يريد أن القرآن يظهر خبث سرائرهم و ما يأترون به من الكيد و المكر بالنبى ص فيفتضحون بذلك «وَأِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ» عن ذكرنا أى ولى كأنه لم يقبل علينا بالدعاء و الابتهاج «وَأَنَّى بِجَانِبِهِ» أى بعد بنفسه عن القيام بحقوق أنعامنا فلا يشكره كما أعرض عن النعمة بالقرآن و قال مجاهد معناه تباعد منا و على هذا فيكون معناه تجبر و تكبر و أعجب بنفسه لأن المعجب نافر عن الناس متباعد عنهم «وَأِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُسًا» معناه و إذا أصابه المحنة و الشدة و الفقر لم يصبر و كان قنوطا من رجاء الفرج من الله تعالى بخلاف المؤمن الذى يرجو الفرج و الروح فيكون المراد بالآيه خاصا و إن كان اللفظ عاما و سمي الأمراض و البلايا شرا لكونها شرا عند الكافر من حيث لا يرجو ثوابا و لا عوضا و لأن الطباع تنفر عنها و تكرهها و إلا- فهى فى الحقيقة صلاح و حكمه و صواب «قُلْ» يا محمد لهم «كُلُّ يَعْْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ» أى كل واحد من المؤمن و الكافر يعمل على طبيعته و خليفته التى تخلق بها عن ابن عباس و قيل على طريقته و سنته التى اعتادها عن الفراء و الزجاج و قيل على ما هو أشكل بالصواب و أولى بالحق عنده عن الجبائى قال و لهذا قال «فَرُبُّكُمْ أَغْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا» أى أنه يعلم أى الفريقين على الهدى و أيهما على الضلاله و قيل معناه أنه أعلم بمن هو أصوب ديناً و أحسن طريقاً و قال بعض أرباب اللسان هذه الآيه أرجى آيه فى كتاب الله لأن الأليق بكرمه سبحانه و جوده العفو عن عباده فهو يعمل به.

إشارة

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥) وَلَئِنْ سَأَلْتُمْ لَنَنْدَهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا (٨٧) قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) وَلَقَدْ صَيَّرْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰ أَكْثَرَ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا (٨٩)

اللغة

الظهير المعين و هو المظاهر و أصله من الظهر كان كل واحد يسند ظهره إلى ظهر صاحبه فيتقوى به و التصريف تصيير الشيء دائرا في الجهات و كذلك تصريف الكلام هو تصييره دائرا في المعاني المختلفة.

الإعراب

«إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» الرحمة استثناء من الأول و المعنى و لكن الله تعالى رحمك فأثبت ذلك في قلبك «لَا يَأْتُونَ» مرفوع لأنه غلب جواب القسم على جواب أن و اللام في لئن موطنه للقسم داله عليه و التقدير فو الله لا يأتون بمثله و مثله قول كثير:

لئن عاد لي عبد العزيز بمثلها و أمكنني منها إذا لا أقبلها.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبيه ص «وَيَسْئَلُونَكَ» يا محمد «عَنِ الرُّوحِ» اختلف في الروح المسئول عنه على أقوال (أحدها) أنهم سأله عن الروح الذي هو في بدن الإنسان ما هو و لم يجبههم و سأله عن ذلك قوم من اليهود عن ابن مسعود و ابن عباس و جماعه و اختاره الجبائي و على هذا فإنما عدل النبي ص عن جوابهم لعلمه بأن ذلك أدعى لهم إلى الصلاح في الدين و لأنهم كانوا بسؤالهم متعنتين لا مستفيدين فلو صدر الجواب لآزادوا عنادا و قد قيل إن اليهود قالت لكفار قريش سلوا محمدا عن الروح فإن أجابكم فليس بنبي و إن لم يجبكم فهو نبي فإننا نجد في كتبنا ذلك فأمر الله سبحانه بالعدول عن جوابهم و إن يكلمهم في معرفه الروح إلى ما في عقولهم ليكون ذلك علما على صدقه و دلاله لنبوته (و ثانيها) أنهم

سألوا عن الروح أ هي مخلوقه محدثه أم ليست كذلك فقال سبحانه «قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» أي من فعله و خلقه و كان هذا جوابا لهم عما سألوه عنه بعينه و على هذا فيجوز أن يكون الروح الذي سألوا عنه هو الذي به قوام الجسد على قول ابن عباس و غيره أم جبرائيل (عليه السلام) على قول الحسن و قتاده أم

ملك من الملائكة له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون ألف لسان يسبح الله بجميع ذلك على ما روى عن علي (عليه السلام)

أم عيسى (عليه السلام) فإنه قد سمي بالروح (و ثالثها) أن المشركين سألوه عن الروح الذي هو القرآن كيف يلقاك به الملك أو كيف صار معجزا و كيف صار نظمه و ترتيبه مخالفا لأنواع كلامنا من الخطب و الأشعار و قد سمي الله تعالى القرآن روحا في قوله وَ كَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا فقال سبحانه قل يا محمد إن الروح الذي هو القرآن من أمر ربي أنزله دلالة على دلالة نبوتى و ليس من فعل المخلوقين و لا مما يدخل فى إمكانهم و على هذا فقد وقع الجواب أيضا موقعه و أما على القول الأول فيكون معنى قوله «الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي» هو من الأمر الذي يعلمه ربي و لم يطلع عليه أحد و اختلف العلماء فى ماهية الروح فقيل إنه جسم رقيق هوائى متردد فى مخارق الحيوان و هو مذهب أكثر المتكلمين و اختاره الأجل المرتضى علم الهدى قدس الله روحه و قيل جسم هوائى على بينه حيوانيه فى كل جزء منه حياه عن علي بن عيسى قال فلكل حيوان روح و بدن إلا أن منه من الأغلب عليه الروح و منه من الأغلب عليه البدن و قيل إن الروح عرض ثم اختلف فيه فقيل هو الحياه التى يتهاى به المحل لوجود قدره و العلم و الاختيار و هو مذهب الشيخ المفيد أبى عبد الله محمد بن محمد بن النعمان (ره) و البلخى و جماعه من المعتزلة البغداديين و قيل هو معنى فى القلب عن الأسوارى و قيل إن الروح الإنسان و هو الحى المكلف عن ابن الإخشيد و النظام و قال بعض العلماء إن الله تعالى خلق الروح من ستة أشياء من جوهر النور و الطيب و البقاء و الحياه و العلم و العلو أ لا ترى أنه ما دام فى الجسد كان الجسد نورانيا يبصر بالعينين و يسمع بالأذنين و يكون طيبا فإذا خرج من الجسد نتن الجسد و يكون باقيا فإذا فارقه الروح بلى و فنى و يكون حيا و بخروجه يصير ميتا و يكون عالما فإذا خرج منه الروح لم يعلم شيئا و يكون علويا لطيفا توجد به الحياه بدلاله قوله تعالى فى صفه الشهداء بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ و أجسامهم قد بليت فى التراب و قوله «وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا» قيل هو خطاب للنبي ص و غيره إذا لم يبين له الروح و معناه و ما أوتيتم من العلم المنصوص عليه إلا قليلا أى شيئا يسيرا لأن غير المنصوص عليه أكثر فإن معلومات الله تعالى لا نهايه لها و قيل خطاب لليهود الذين سألوه فقالت له اليهود عند ذلك كيف و قد أعطانا الله التوراه فقال التوراه فى علم الله قليل ثم قال سبحانه «وَ لَكُنْ شِئْنَا لَنْذَهَبِنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ»

يعنى القرآن و معناه أنى أقدر أن آخذ ما أعطيتك كما منعت غيرك و لكنى دبرتك بالرحمه لك فأعطيتك ما تحتاج إليه و منعتك ما لا تحتاج إلى النص عليه و إن توهم قوم أنه مما تحتاج إليه فتدبر أنت بتدبير ربك و ارض بما اختاره لك «ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا» أى ثم لو فعلنا ذلك لم تجد علينا وكيلا يستوفى ذلك منا و قيل معناه و لو شئنا لمحونا هذا القرآن من صدورك و صدر أمتك حتى لا- يوجد له أثر ثم لا تجد له حفيظا يحفظه عليك و يحفظ ذكره على قلبك عن الحسن و أبى مسلم و الأ-صم قالوا و فى هذا دلالة على أن السؤال وقع عن القرآن «إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» معناه لكن رحمه من الله ربك لك أعطاك ما أعطاك من العلوم و منعتك ما منعتك منها و أثبت القرآن فى قلبك و قلوب المؤمنين «إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ» فيما مضى و فيما يستقبل «عَلَيْكَ كَبِيرًا» عظيما إذ اختارك للنبوه و خصك بالقرآن فقابله بالشكر و قال ابن عباس يريد حيث جعلك سيد ولد آدم و ختم ربك النبيين و أعطاك المقام المحمود ثم احتج سبحانه على المشركين بإعجاز القرآن فقال «قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ» معناه قل يا محمد لهؤلاء الكفار لئن اجتمعت الإنس و الجن متعاونين متعاضدين على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فى فصاحته و بلاغته و نظمه على الوجوه التى هو عليها من كونه فى الطبقة العليا من البلاغه و الدرجة القصوى من حسن النظم و جوده المعانى و تهذيب العبارة و الخلو من التناقض و اللفظ المسخوط و المعنى الدخول على حد يشكل على السامعين ما بينهما من التفاوت لعجزوا عن ذلك و لم يأتوا بمثله «وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا» أى معينا على ذلك مثل ما يتعاون الشعراء على بيت شعر فيقيمونه عن ابن عباس و فى هذا تكذيب للنضر بن الحارث حين قال لو نشاء لقلنا مثل هذا قال أبو مسلم و فى هذا أيضا دلالة على أن السؤال بالروح وقع عن القرآن لأنه من تمام ما أمر الله نبيه ص أن يجيئهم به «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» معناه لقد بينا لهم فى هذا القرآن من كل ما يحتاج إليه من الدلائل و الأمثال و العبر و الأحكام و ما يحتاجون إليه فى دينهم و دنياهم ليتفكروا فيها «فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا» أى جحودا للحق و المثل قد يكون الشىء بعينه و قد يكون صفة للشىء و قد يكون شبهه.

إشارة

وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا (٩٠) أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا (٩١) أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا (٩٢) أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُؤْيَاكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا (٩٣) وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا (٩٤)

قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْسُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا (٩٥)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و يعقوب «حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا» بفتح التاء و ضم الجيم و الباقون تفجر بضم التاء و تشديد الجيم و قرأ أبو جعفر و ابن عامر «كَيْسَفًا» بفتح السين هاهنا و فى سائر القرآن كسفا ساكنه السين و قرأ حفص بالفتح فى جميع القرآن إلا فى الطور و قرأ أهل العراق و ابن كثير بالسكون فى جميع القرآن إلا فى الروم و لم يقرأ فى الروم بسكون السين إلا أبو جعفر و ابن عامر و ابن كثير و ابن عامر قال سبحان ربي و الباقون «قُلْ» على الأمر.

الحج

من قرأ تفجر بالتشديد فلأنهم أرادوا كثره الانفجار من ينبوع و هو و إن كان واحدا فلتكثير الانفجار منه حسن أن يقال بتكرير العين كما يقال ضرب زيد إذا كثر منه فعل الضرب و من قرأ «تَفْجُرَ» فلأن ينبوع واحد فلا يكون كقوله فَتَفْجُرُ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا لأن فجرت الأنهار مثل غلقت الأبواب فلذلك اتفق الجميع على التثنية فى و الكسف القطع واحدها كسفه و من سكنه جاز أن يريد الجمع مثل سدره و سدر قال أبو زيد: كسفت الثوب أكسفه كسفا إذا قطعه قال أبو على إذا كان المصدر الكسف فالكسف الشىء المقطوع كالطحن و السقى و السقى و نحو ذلك فجاز أن يكون قوله «أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمَتَ عَلَيْنَا كَيْسَفًا» بمعنى ذات كسف و ذلك أن أسقط لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فوجب أن ينتصب كسفا على الحال و الحال ذو الحال فى المعنى و إذا كان كذلك و جب أن يكون الكسف هو السماء فيصير المعنى أو تسقط السماء علينا مقطعه أو قطعا و من قرأ قال سبحان ربي فالوجه فيه أن الرسول قال عند اقتراحهم هذه الأشياء سبحان ربي و من قرأ «قُلْ» فهو على الأمر له بأن يقول ذلك.

التفجير التشقيق عما يجرى من ماء أو ضياء و منه سمي الفجر لأنه ينشق عن عمود و منه الفجور لأنه خروج إلى الفساد يشقق به عمود الحق و ينبوع يفعول من نبع الماء ينبع فهو نابع إذا فار و القبيل الكفيل من قبلت به أقبل قبالة أى كفلت و تقبل فلان بالشىء إذا تكفل به قال الزجاج و جائز أن يكون المعنى تأتى بهم حتى نراهم مقابله أى معاينه و أنشد غيره:

نصالحكم حتى تبوؤا بمثلها كصرخه حبلى أسلمتها قبيلها

أى قابلتها التى هى مقابلتها و العرب تجريه فى هذا المعنى مجرى المصدر فلا يثنى و لا يجمع و لا يؤنث و أصل الزخرف من الزخرفة و هى الزينه و زخرفت الشىء إذا أكملت زينته و لا- شىء فى تحسين بيت و تزيينه و زخرفته كالذهب و يقال فى الصعود رقت أرقى رقا و فيما تداويه بالرقية رقت أرقى رقيه و رقا.

النزول

قال ابن عباس إن جماعه من قريش و هم عتبه و شيبه ابنا ربيعه و أبو سفيان بن حرب و الأسود بن المطلب و زمعه بن الأسود و الوليد بن المغيرة و أبو جهل بن هشام و عبد الله بن أبى أميه و أميه بن خلف و العاص بن وائل و نبيه و منبه ابنا الحجاج و النضر بن الحارث و أبو البخترى بن هشام اجتمعوا عند الكعبه و قال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلموه و خاصموه فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك فبادر ص إليهم ظنا منه أنهم بدا لهم فى أمره و كان حريصا على رشدهم فجلس إليهم فقالوا يا محمد إنا دعوناك لنعذر إليك فلا نعلم أحدا دخل على قومه ما أدخلت على قومك شتمت الآلهه و عبت الدين و سفهت الأحلام و فرقت الجماعه فإن كنت جئت بهذا لتطلب مالا أعطيناك و إن كنت تطلب الشرف سودناك علينا و إن كانت عله غلبت عليك طلبنا لك الأطباء فقال ص ليس شىء من ذلك بل بعثنى الله إليكم رسولا و أنزل كتابا فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم فى الدنيا و الآخرة و إن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا قالوا فإذا ن ليس أحد أضيق بلدا منا فاسأل ربك أن يسير هذه الجبال و يجرى لنا أنهارا كأنهار الشام و العراق و أن يبعث لنا من مضى و ليكن فيهم قصى فإنه شيخ صدوق لنسألهم عما تقول أ حق أم باطل فقال ص ما بهذا بعثت قالوا فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك و يجعل لنا جنات و كنوزا و قصورا من ذهب فقال ص ما بهذا بعثت و قد جئتكم بما بعثنى الله به فإن قبلتم و إلا فهو يحكم بينى و بينكم قالوا فأسقط

علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك قال ذاك إلى الله إن شاء فعل وقال قائل منهم لا تؤمن حتى تأتي بالله و الملائكة قبلا فقام النبي ص و قام معه عبد الله بن أبي أميه المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله ثم سألوك لأنفسهم أمورا فلم تفعل ثم سألوك أن تجعل ما تخوفهم به فلم تفعل فو الله لا أومن بك أبدا حتى تتخذ سلما إلى السماء ثم ترقى فيه و أنا أنظر و يأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك و كتاب يشهد لك و قال أبو جهل أنه أبى إلا سب الآلهة و شتم الآباء و أنا أعاهد الله لأحملن حجرا فإذا سجد ضربت به رأسه فانصرف رسول الله ص حزينا لما رأى من قومه فأنزل الله سبحانه الآيات.

المعنى

لما بين سبحانه فيما تقدم إعجاز القرآن عقب ذلك البيان بأنهم أبوا إلا الكفر و الطغيان و اقترحوا من الآيات ما ليس لهم ذلك فقال «وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ» أى لن نصدقك فيما تدعى من النبوه «حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ» أى تشقق لنا من أرض مكة فإنها قليلة الماء «يُنْبَعًا» أى عينا ينبع منه الماء فى وسط مكة «أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةً» و هى ما تجنه الأشجار أى تستره «مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتَفَجَّرَ الْأَنْهَارُ» من الماء «خِلَالَهَا» أى وسطها «تَفْجِيرًا» أى تشقيقا حتى يجرى الماء تحت الأشجار «أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا» أى قطعا قد تركب بعضها على بعض عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قوله «كَمَا زَعَمْتَ» معناه كما خوفتنا به من انشقاق السماء و انفطارها و قيل معناه كما زعمت أنك نبى تأتى بالمعجزات «أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا» أى كفيلا و معناه تأتى بكل واحد حتى يكون كفيلا- ضامنا لنا بما تقول عن ابن عباس و الضحاك و قيل هو جمع القبيله أى تأتى بأصناف الملائكة قبيله قبيله عن مجاهد و قيل معناه مقابلين لنا كالشىء يقابل الشىء حتى نشاهدهم قبيلًا أى مقابله نعينهم و يشهدون بأنك حق و دعوتك صدق عن الجبائى و قتاده و هذا يدل على أن القوم كانوا مشبهه مع شركهم «أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ» أى من ذهب عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل الزخرف النقوش عن الحسن «أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ» أى تصعد «وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُفَيْكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ» أى و لو فعلت ذلك لم نصدقك حتى تنزل على كل واحد منا كتابا من الله شاهدا بصره نبوتك نقرؤه و هو مثل قوله بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّيَ» أى تنزيها له من كل قبيح و براءه له من كل سوء و فى ذلك من الجواب أنكم تتخيرون الآيات و هى إلى الله سبحانه فهو العالم بالتدبير الفاعل لما توجه المصلحه فلا- وجه لطلبكم إياها منى و قيل معناه تعظيما له عن أن يحكم عليه عبيده لأن له الطاعه عليهم و قيل إنهم لما قالوا تأتى بالله و ترقى فى السماء إلى الله

لاعتقادهم أن الله تعالى جسم قال «قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي» عن كونه بصفه الأجسام حتى تجوز عليه المقابلة و النزول و قيل معناه تنزيها له عن أن يفعل المعجزات تابعا للاقتراحات «هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا» معناه أن هذه الأشياء ليس فى طاقة البشر أن يأتى بها و أن يفعلها فلا- أقدر بنفسى أن آتى بها كما لم يقدر من كان قبلى من الرسل و الله تعالى إنما يظهر الآيات المعجزه على حسب المصلحه و قد فعل فلا- تطالبونى بما لا يطالب به البشر «وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا» أى و ما صرف المشركين عن الإيمان أى التصديق بالله و برسوله «إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى» أى حين أتاهم الحجج و البينات «إِلَّا أَنْ قَالُوا» أى إلا قولهم «أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا» دخلت عليهم الشبهه فى أنه لا- يجوز أن يعث الله رسولا إلا من الملائكه كما دخلت عليهم الشبهه فى أن عبادتهم لا تصلح لله فوجهوها إلى الأصنام فعظموا الله بجهلهم بما ليس فيه تعظيم و إنما ذكر سبحانه هنا لفظ المنع مبالغه فى وصف الصرف و إلا فالمنع يستحيل معه الفعل فلا- يجوز أن يكون مرادا هنا و لكن شبه الصرف بالمنع «قُلْ» يا محمد «لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ» أى ساكنين قاطنين «لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا» منهم عن الحسن و قيل معناه مطمئنين إلى الدنيا و لذاتها غير خائفين و لا- متعبدين بشرع لأن المطمئن من زال الخوف عنه عن الجبائى و قيل معناه لو كان أهل الأرض ملائكه لبعثنا إليهم ملكا ليكونوا إلى الفهم إليه أسرع عن أبى مسلم و قيل إن العرب قالوا كنا ساكنين مطمئنين فجاء محمد فأزعجنا و شوش علينا أمرنا فبين سبحانه أنهم لو كانوا ملائكه مطمئنين لأوجبت الحكمة إرسال الرسل إليهم فكذلك كون الناس مطمئنين لا- يمنع من إرسال الرسول إليهم إذ هم أحوج إليه من الملائكه فكيف أنكروا إرسال الرسول إليهم مع كونهم مطمئنين (سؤال) قالوا إذا جاز أن يكون الرسول إلى النبى ملكا ليس من جنسه فجاز أن يكون الرسول إلى الناس أيضا ملكا ليس من جنسهم (و جوابه) أن صاحب المعجزه قد اختير للنبوه فصارت حاله مقاربه لحال الملك و ليس كذلك غيره من الأمم لأنه لأنه يجوز أن يرى الملائكه كما يرى بعضهم بعضا بخلاف الأمم و أيضا فإن النبى يحتاج إلى معجزه تعرف بها رساله نفسه كما احتاجت إليه الأمم فجعل الله المعجزه رؤيته الملك.

إشارة

قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا (٩٦) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِّيًّا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا (٩٧) ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٩٨) أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا (١٠٠)

اللغة

الخبو سكون النار عن الالتهاب يقال خبت النار تخبو قال عدى بن زيد:

وسطه كاليراع أو سرج المجدل حيناً يخبو وحيناً ينير

وقال آخر:

و كنا كالحرقيق أصاب غابا فيخبو ساعه و ينير ساعا

و القتر التضيق و القتور فعول منه للمبالغه و يقال قتر يقترو و تقتر و أقترو و قتر إذا قدر في النفقه.

الإعراب

«كَفَى بِاللَّهِ» المفعول محذوف و هو الكاف و الباء زياده و «شَهِيدًا» تمييز و التقدير كفاك الله من جمله الشهداء «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ» و «مَنْ يُضِلُّ» كلاهما شرط و وحد الضمير المتصل بيهدى و يضلل على اللفظ ثم قال «فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ» «و نَحْشُرُهُمْ» إلخ فجمع الضمير فى كل ذلك على المعنى و قوله «كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا» الجملة فى موضع الحال من جهنم لأن جهنم توضع موضع متلظ و متسعر و لو لا- ذلك لم يجز مجىء الحال عنها و يجوز أن تكون الجملة لا- محل لها من الإعراب و يكون فى تقدير العاطفه و التقدير و كلما خبت فحذف الواو. «عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ» فى موضع نصب على الحال و تقديره مجرورين على وجوههم و قوله «لَوْ»

أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ». أنتم مرفوع بفعل مضمّر يفسره هذا الظاهر الذى هو قوله «تَمْلِكُونَ» لأن لو يقع بها الشىء لوقوع غيره فلا يليها إلا الفعل و إذا وليها اسم عمل فيه فعل مضمّر قال:

لو غيركم علق الزبير بحبله أدى الجوار إلى بنى العوام.

المعنى

ثم قال سبحانه لنبىه ص «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «كفى بالله شهيداً بينى و بينكم» إنى رسول الله إليكم و قد مر معناه فى سورة الرعد «إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا» لا يخفى عليه من أحوالهم شىء و المراد به تأكيد الوعيد «وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» أى من يحكم الله بهداه فهو المهتد بإخلاصه و طاعته على الحقيقة «وَمَنْ يَضِلْ» أى و من يحكم بضلاله «فَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ» أى لن تجد لهم أنصارا يقدرّون على إزاله اسم الضلال عنهم و قد ذكرنا وجوه الهدى و الضلال فى سورة البقره «وَ نَحْشُرُهُمْ» أى نجمعهم «يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ» أى يسحبون على وجوههم إلى النار كما يفعل فى الدنيا بمن يبالغ فى إهانتة و تعذيبه و

روى أنس بن مالك أن رجلا قال يا نبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال إن الذى أمشاه على رجليه فى الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة أورده البخارى و مسلم فى الصحيح

«عُمِيًّا وَ بُكْمًا وَ صُمًّا» قيل المعنى عميا عما يسرهم بكما عن التكلم بما ينفعهم صما عما يمتنعهم عن ابن عباس أى كأنهم عدموا هذه الجوارح و قيل يحشرون على هذه الصفه عميا كما عموا عن الحق فى دار الدنيا بكما جزاء على سكوتهم عن كلمه الإخلاص و صما لتركهم سماع الحق و إصغائهم إلى الباطل قال مقاتل هذا حين يقال لهم اخسؤا فيها و لا تكلمون و قيل يحشرون كذلك ثم يجعلون يبصرون و يسمعون و ينطقون عن الحسن «مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا» أى مستقرهم جهنم كلما سكن التهابها زدناهم اشتعالا فيكون كذلك دائما و متى قيل كيف يبقى الحى حيا فى تلك الحاله من الاحتراق دائما قلنا إن الله تعالى قادر على أن يمنع وصول النار إلى مقاتلهم «ذَلِكَ» أى ذلك الذى تقدم ذكره من العقاب «جَزَاؤُهُمْ» استحقاقه «بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا» [كذا فى النسخ و الصواب كفروا] «بِآيَاتِنَا» أى بتكذيبهم بآيات الله «وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا وَ رُفَاتًا» مثل التراب مترضضين «أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا» مر معناه فى هذه السوره «أَو لَسَمَ يَرَوُا» أى أ و لم يعلموا «أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ

قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ» لأن القادر على الشئ ٤ قادر على أمثاله إذا كان له مثل أو أمثال في الجنس و إذا كان قادرا على خلق أمثالهم كان قادرا على إعادتهم إذ الإعادة أهون من الإنشاء في الشاهد و قيل أراد قادر على أن يخلقهم ثانيا و أراد بمثلهم إياهم و ذلك أن مثل الشئ ٤ مساو له في حالته فجاز أن يعبر به عن الشئ ٤ نفسه يقال مثلك لا يفعل كذا بمعنى أنت لا تفعله و نحوه لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ و تم الكلام هاهنا ثم قال سبحانه «وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ» أى و جعل لإعادتهم وقتا لا شك فيه أنه كائن لا محاله و قيل معناه و ضرب لهم مده ليتفكروا و يعلموا فيها أن من قدر على الابتداء قدر على الإعادة و قيل و جعل لهم أجلا يعيشون إليه و يخترمون عنده لا شك فيه «فَأَبَى الظَّالِمُونَ» لنفوسهم الباخسون حقها بفعل المعاصى «إِلَّا كُفُورًا» أى جحودا بآيات الله و نعمه و فى الآيه دلالة على أن القادر على الشئ ٤ يجب أن يكون قادرا على جنس مثله إذا كان له مثل و على أنه يجب أن يكون قادرا على ضده لأن منزلته فى المقدر منزله مثله و فيه دلالة أيضا على أنه يقدر على إعادته إذا كان مما يفنى و تصح عليه الإعادة ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد لهؤلاء الكفار «لَوْ أَنَّكُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي» أى لو ملكتم خزائن أرزاق الله و قيل لو ملكتم مقدورات ربي أى ما يقدر عليه ربي من النعم إذ لا يكون له سبحانه موضع يخزن فيه الرحمه ثم يخرج منه كما يكون للعباد و رحمته نعمته «إِذَا لَأْمَسْتُمْ» شحا و بخلا «خَشِيَةَ الْإِنْفَاقِ» أى خشية الفقر و الفاقة عن ابن عباس و قتاده و قيل خشية أن تنفقوا ففتتقروا عن السدى و المعنى لأمسكتم عن الإنفاق خشية الفقر للإنفاق «وَوَ كَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا» أى بخيلا عن ابن عباس و قتاده و هذا جواب لقولهم «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَبُوعًا» و يقال نفقت نفقات القوم إذا نفدت و أنفقها صاحبها أى أنفدها حتى افتقر و ظاهر قوله «وَوَ كَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا» العموم و قد علمنا أن فى الناس الجواد و الوجه فيه أحد أمرين و هو أن يكون الأغلِب عليهم من ليس بجواد فجاز الإطلاق تغليبا للأكثر و أيضا فإن ما يعطيه الإنسان و إن عد جوادا بخل فى جنب ما يعطيه الله سبحانه لأن الإنسان إنما يعطى ما يفضل عن حاجته و يمسك ما يحتاج إليه و الله سبحانه لا تجوز عليه الحاجه فيفيض من النعم على المطيع و العاصى إفاضه من لا يخاف الحاجه.

إشارة

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَثَلٌ بَيْنِي وَبَيْنَ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا (١٠١) قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَائِرٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا (١٠٢) فَأَرَادَ أَنْ يَنْتَفِيزَهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا (١٠٣) وَقُلْنَا مَنْ بَعْدَهُ لَبِئْسَ إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا (١٠٤) وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (١٠٥)

القراءة

قرأ الكسائي وحده لقد علمت بضم التاء و الباقون بفتحها.

الحج

قال أبو علي حجه من فتح أن فرعون و من كان يتبعه قد علموا صحه أمر موسى بدلاله قوله لئن كَشَفْتَ عَنَّا الرَّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ و قوله وَ جَحَدُوا بِهَا وَ اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ و من قال لقد علمت إذا قيل له كيف يصح الاحتجاج عليهم بعلمه و علمه لا يكون حجه على فرعون و إنما يكون علم فرعون بما علم من صحه أمر موسى حجه عليه فالقول إنه لما قيل له إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون كان ذلك قدحا في علمه لأن المجنون لا يعلم فكأنه نفى ذلك فقال لقد علمت صحه ما أتيت به و أنه ليس بسحر علما صحيحا كعلم العقلاء فصير العقل حجه عليه من هذا الوجه و زعموا أن هذه القراءة رويت عن أمير المؤمنين على ابن أبي طالب (عليه السلام).

اللغة

الثبور الهلاك ثبره الله يثبره و يثبره لغتان و رجل مثبور محبوس عن الخيرات قال:

إذ أجازى الشيطان في سنن الغي و من قال مثله مثبور

و تقول العرب ما تبرك عن هذا الأمر أى ما صرفك عنه و ما منعك منه و لفيف مصدر قولك لفتت الشىء أى جمعته يقال لفته لفا و لفيفا و من ذلك قولهم لفتت الجيوش ضربت بعضها ببعض فاختلف الجميع قال الزجاج: اللفيف الجماعات من قبائل شتى.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه موسى (عليه السلام) فقال «وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» أى و لقد أعطينا موسى تسع دلالات و حجج واضحة و اختلفت في هذه الآيات التسع فقيل هى يد موسى و عصاه و لسانه و البحر و الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم

عن ابن عباس و الضحاك و قيل الطوفان و الجراد و القمل و الضفادع و الدم و البحر و العصا و الطمسه و الحجر عن محمد بن كعب و عن أبي علي الجبائي أيضا إلا أنه ذكر بدل الطمسه اليد و عن قتاده و مجاهد و عكرمه و عطا كذلك إلا إنهم ذكروا بدل البحر و الطمسه و الحجر اليد و السنين و نقص من الثمرات و الطمسه هي دعاء موسى و تأمين هارون و قال الحسن مثل ذلك إلا أنه جعل الأخذ بالسنين و نقص من الثمرات آيه واحده و جعل التاسعه تلقف العصا ما يأفكون و قيل إنها تسع آيات في الأحكام

روى عبد الله بن سلمه عن صفوان بن عسال أن يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي قال فأتى الرسول ص فسأله عن هذه الآيه فقال هو أن لا تشركوا بالله شيئا و لا تسرفوا و لا تزنوا و لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق و لا تمشوا بالبرى ء إلى سلطان ليقته و لا تسحروا و لا تأكلوا الربا و لا تقذفوا المحصنه و لا تولوا الفرار يوم الزحف و عليكم خاصه يا يهود أن لا تعتدوا في السبت فقبل يده و قال أشهد أنك نبي

«فَسَيَلُّ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ» هذا أمر للنبي ص أن يسأل بني إسرائيل لتكون الحجج عليهم أبلغ و قيل إن المعنى فاسأل أيها السامع لأن العلم قد وقع بخبر الله تعالى فلا حاجه إلى الرجوع إلى أهل الكتاب و قيل إن معنى السؤال أن تنظر ما في القرآن من أخبار بني إسرائيل عن الحسن و روى عن ابن عباس أنه قرأ فسأل بني إسرائيل بمعنى فسأل موسى فرعون بني إسرائيل أن يرسلهم «فَقَالَ لَهُ فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا» أى معطى على السحر فهذه العجائب التي فعلتها من سحرك و قيل معناه إني لأظنك ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل كما يقال مشثوم و ميمون فى معنى شائم و يأمن و قيل معناه إنك سحرت فأنت تحمل نفسك على ما تقوله للسحر الذى بك و قيل مسحورا أى مخدوعا عن ابن عباس «قال» موسى «لَقَدْ عَلِمْتُمْ» أنت يا فرعون «ما أنزل هؤُلاءِ» أى هذه الآيات «إِلَّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» الذى خلقهن «بَصَائِرَ» أى أنزلها حججا و براهين للناس يبصرون بها أمور دينهم و قيل أدله على نبوتى لأنك تعلم أنها ليست من السحر و

روى أن عليا (عليه السلام) قال فى «عَلِمْتُمْ» و الله ما علم عدو الله و لكن موسى هو الذى علم فقال لقد علمت

«وَ إِنِّي لَمَأْظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا» معناه و إني لأعلمك يا فرعون هالكا لكفرك و إنكارك عن قتاده و الحسن و قيل أعلمك ملعونا عن ابن عباس و قيل مخبولا لا عقل لك عن ابن زيد و قيل بعيدا عن الخير مصروفا عنه عن الفراء و قيل المراد به الظن على الظاهر لأن الهلاك يكون بشرط الإصرار و لا يعلم حقيقه ذلك إلا الله «فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ» معناه فأراد فرعون أن يزعج موسى و من معه من أرض مصر و فلسطين و الأردن بالنفى عنها و قيل بأن يقتلهم «فَأَغْرَقْنَاهُ وَ مَنْ مَعَهُ» من جنوده «جَمِيعًا» لم ينج منهم أحد و لم يهلك من بنى إسرائيل أحد

«وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ» أى من بعد هلاك فرعون وقومه «لِئِنِّي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ» أى أرض مصر و الشام «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرِهِ»
يعنى يوم القيامة عن أكثر المفسرين أى وعد الكره الآخره و قيل أراد نزول عيسى عن الكبي و قتاده «جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا» معناه جننا
بكم من القبور إلى الموقف للحساب و الجزاء مختلطين التف بعضهم ببعض لا تتعارفون و لا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته و قيل
لفيفا أى جميعاً أولكم و آخركم عن ابن عباس و مجاهد «وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ» معناه و بالحق أنزلنا القرآن عليك «وَبِالْحَقِّ نَزَلَ»
القرآن و تأويله أردنا بإنزال القرآن الحق و الصواب و هو أن يؤمن به و يعمل بما فيه و نزل بالحق لأنه يتضمن الحق و يدعو إلى
الحق و قال البلخي يجوز أن يكون المراد أنزلنا موسى فيكون كقوله وَ أَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ و يجوز أن يكون المراد و أنزلنا الآيات أى
و أنزلنا ذلك كما قال أبو عبيده أنشدنى رؤبه:

فيه خطوط من سواد و بلق كأنه فى العين توليع البهق

فقلت له إن أردت الخطوط فقل كأنها و إن أردت السواد و البياض فقل كأنهما قال فقال لى كان ذا ويلك توليع البهق «وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَ نَذِيرًا» مبشراً بالجنة لمن أطاع و منذراً بالنار لمن عصى.

ص: ٢٧١

إشارة

وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا- تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ لِلأَذْقَانِ سِجْدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا (١٠٩) قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى وَلَا تَجْهَرُوا بِصِيغَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١١٠)

وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرُهُ تَكْبِيرًا (١١١)

القراءة

القراءة المشهورة في «فَرَقْنَاهُ» بالتخفيف و

روى عن علي (عليه السلام) و ابن مسعود و ابن عباس و أبي بن كعب و الشعبي و الحسن بخلاف و قتاده و عمرو بن فائد فرقناه بالتشديد.

الحج

معنى فرقناه فصلناه و نزلناه آيه آيه و سوره سوره و يدل عليه قوله «عَلَى مُكْثٍ» و المكث و المكث لغتان.

الإعراب

«قُرْآنًا» منصوب بفعل مضمر يفسره هذا الظاهر أى و فرقنا قرآنا فرقناه و جاء بالنصب و لم يأت فيه الرفع لأن صدره فعل و فاعل و هو قوله «و بِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ» «عَلَى مُكْثٍ» فى موضع نصب على الحال أى متمهلا متوقفا غير مستعجل «يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ» فى موضع رفع بكونه خبر إن و «سِجْدًا» نصب على الحال «إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا» إن هذه مخففة من الثقيلة و هى و اللام دخلتا للتأكيد. «أَيًّا مَا تَدْعُوا» تدعوا مجزوم بالشرط الذى يتضمنه أى و علامه الجزم فيه سقوط النون و ما زيده مؤكده للشرط و أيا منصوب بتدعوا.

المعنى

ثم عطف سبحانه على ما تقدم فقال «وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ» أى و أنزلنا عليك يا محمد قرآنا فصلناه سورا و آيات عن أبى مسلم و قيل معناه فرقنا به الحق عن الباطل عن الحسن و قيل معناه جعلنا بعضه خبرا و بعضه أمرا و بعضه نهيا و بعضه وعدا و بعضه وعيدا و أنزلناه متفرقا لم ننزله جميعا إذ كان بين أوله و آخره نيف و عشرين سنة «لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ» أى على تثبت و تؤده فترتله ليكون أمكن فى قلوبهم و يكونوا أقدر على التأمل و التفكير فيه و لا- تعجل فى تلاوته فلا- يفهم عنك عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه لتقرأه عليهم مفرقا شيئا بعد شىء «و نَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا» على حسب الحاجة و وقوع الحوادث و روى عن ابن عباس أنه قال لئن أقرأ سورة البقره و أرتلها أحب إلى من أن أقرأ القرآن هذا و عن عبد الله بن مسعود أنه قال لا تقرأوا القرآن فى أقل

من ثلاث و اقرءوا فى سبع «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين «آمِنُوا بِهِ» اى بالقرآن «أَوْ لَا تُؤْمِنُوا» فإن إيمانكم ينفعكم و لا

ص: ٢٧٢

ينفع غيركم و ترككم الإيمان يضركم و لا يضر غيركم و هذا تهديد لهم و هو جواب لقولهم «لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا» «إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ» أى أعطوا علم التوراه من قبل نزول القرآن كعبد الله بن سلام و غيره فعلموا صفه النبي ص قبل مبعثه عن ابن عباس و قيل أنهم أهل العلم من أهل الكتاب و غيرهم و قيل أنهم أمه محمد ص عن الحسن «إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا» أى يسقطون على الوجوه ساجدين عن ابن عباس و قتاده و إنما خص الذقن لأن من سجد كان أقرب شىء منه إلى الأرض ذقنه و الذقن مجمع اللحيين «وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا» أى تنزيها لربنا عز اسمه عما يضيف إليه المشركون «إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا» إنه كان وعد ربنا مفعولا حقا يقينا و لم يكن وعد ربنا إلا كائنا «وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ» أى و يسجدون باكين إشفاقا من التقصير فى العباده و شوقا إلى الثواب و خوفا من العقاب «وَيَزِيدُهُمْ» ما فى القرآن من المواعظ «خُشوعًا» أى تواضعا لله تعالى و استسلاما لأمر الله و طاعته ثم قال سبحانه «قُلْ» يا محمد لهؤلاء المشركين المنكرين نبوتك «ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ» و ذكر فى سببه أقوال (أحدها) أن النبي ص كان ساجدا ذات ليله بمكه يدعو يا رحمن يا رحيم فقال المشركون هذا يزعم أن له إلهها واحدا و هو يدعو مثنى عن ابن عباس (و ثانيها) أن المشركين قالوا أما الرحيم فنعرفه و أما الرحمن فلا نعرفه عن ميمون بن مهران (و ثالثها) أن اليهود قالوا إن ذكر الرحمن فى القرآن قليل و هو فى التوراه كثير عن الضحاك «أَيَّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» معناه أى أسمائه تدعو و ما هاهنا صلته كقوله عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحَنَّ نَادِمِينَ و قيل هى بمعنى أى شىء كررت مع أى لاختلاف اللفظين توكيدا كما قالوا ما رأيت كالليله ليله و تقديره أى شىء من أسمائه تدعونه به كان جائزا فإن معنى أو فى قوله «أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ» الإباحه أى إن دعوتهم بأحدهما كان جائزا و إن دعوتهم بهما كان جائزا فله الأسماء الحسنى فإن أسمائه تنبى عن صفات حسنه و أفعال حسنه فأما أسماؤه المنبئه عن صفات ذاته فهو القادر العالم الحى السميع البصير القديم و أما أسماؤه المنبئه عن صفات أفعاله الحسنه فنحو الخالق و الرازق و العدل و المحسن و المجمل و المنعم و الرحمن و الرحيم و أما ما أنبأ عن المعانى الحسنه فنحو الصمد فإنه يرجع إلى أفعال عباده و هو أنهم يصمدونه فى الحوائج و نحو المعبود و المشكور بين سبحانه فى هذه الآيه أنه شىء واحد و إن اختلفت أسماؤه و صفاته و فى الآيه دلالة على أن الاسم عين المسمى و على أن تقديم أسمائه الحسنى قبل الدعاء و المسأله مندوب إليه مستحب و فيها أيضا دلالة على أنه

سبحانه لا يفعل القبائح مثل الظلم وغيره لأن أسماءه حينئذ لا تكون حسنه فإن الأسماء قد تكون مشتقه من الأفعال فلو فعل الظلم لاشتق منه اسم الظالم كما اشتق من العدل العادل وقوله «وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُتُ بِهَا» اختلف في معناه على أقوال (أحدها) أن معناه لا تجهر بإشاعه صلاتك عند من يؤذيك و لا تخافت بها عند من يلتمسها منك عن الحسن و

روى أن النبي ص كان إذا صلى فجهر في صلاته تسمع له المشركون فشتموه و آذوه فأمره سبحانه بترك الجهر و كان ذلك بمكة في أول الأمر و به قال سعيد بن جبیر و روى ذلك عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام)

(و ثانيها) أن معناه لا تجهر بدعائك و لا تخافت بها و لكن بين ذلك فالمراد بالصلاه الدعاء عن مجاهد و عطا و مكحول و نحوه روى عن ابن عباس (و ثالثها) أن معناه لا- تجهر بصلاتك كلها و لا- تخافت بها كلها «و ابْنَعُ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا» بأن تجهر بصلاه الليل و تخافت بصلاه النهار عن أبي مسلم (و رابعها) لا تجهر جهرا يشغل به من يصلى بقربك و لا تخافت بها حتى لا تسمع نفسك عن الجبائي و قريب منه

ما رواه أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال الجهر بها رفع الصوت شديدا و المخافته ما لم تسمع أذنيك و اقرأ قراءه و سطا ما بين ذلك

و ابغ بين ذلك سبيلا- أى بين الجهر و المخافته و لم يقل بين دينك لأنه أراد به الفعل فهو مثل قوله عَوَانُ بَيْنَ ذَلِكَ «و قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا» فيكون مربوبا لا ربا لأن رب الأرباب لا يجوز أن يكون له ولد «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ» فيكون عاجزا محتاجا إلى غيره ليعينه و لا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة «وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ» أى لم يكن له حليف حالفه لينصره على من يناوئه لأن ذلك من صفة الضعيف العاجز و لا يجوز أن يكون الإله بهذه الصفة قال مجاهد: لم يذل فيحتاج إلى من يتعزز به يعنى أنه القادر بنفسه و كل ما عبد من دونه فهو ذليل مقهور و قيل معناه ليس له ولى من أهل الذل لأن الكافر و الفاسق لا- يكون وليا لله «و كَبْرُهُ تَكْبِيرًا» أى عظمه تعظيما لا يساويه تعظيما و لا يقاربه و روى أن النبي ص كان يعلم أهل هذه الآيه و ما قبلها عن ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبیر و قيل إن فى هذه الآيه ردا على اليهود و النصارى حين قالوا اتخذ الله الولد و على مشركى العرب حيث قالوا لبيك لا شريك لك إلا شريكا هو لك و على الصابئين و المجوس حين قالوا لو لا أولياء الله لذل الله لذل الله عن محمد بن كعب القرظى (سؤال) قالوا كيف يحمد سبحانه أن لم يتخذ ولدا و لم يكن له شريك و الحمد إنما يستحق على فعل له صفة التفضل (و الجواب) أنه ليس له الحمد فى الآيه على أنه لم يفعل و إنما الحمد له سبحانه على أفعاله المحموده و توجه الحمد إلى من هذه صفته كما يقال أنا أشكر فلانا الجميل و لا نشكره على جماله بل على أفعاله.

(١٨) سورة الكهف مكيه و آياتها عشر و مائه (١١٠)

اشاره

[توضيح]

مكيه قال ابن عباس إلا آيه «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ» فإنها نزلت بالمدينه فى قصه عيينه بن حصن الفزارى.

عدد آياتها

مائه و إحدى عشره آيه بصرى و عشر كوفى و ست شامى و خمس حجازى.

اختلافها

إحدى عشره آيه ف «زِدْنَاهُمْ هُدًى» غير الشامى «إِلَّا قَلِيلٌ» مدنى الأخير «إِنِّي فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا» غير الأخير ذرعا و «مَنْ كُلُّ شَيْءٍ سَبَبًا» عراقى شامى و الأخير، «هَذِهِ أَيْدَاءٌ» غير شامى و الأخير، «عِنْدَهَا قَوْمًا» غير الكوفى و الأخير «فَأَتَّبَعِ سَبَبًا» الثلاث عراقى «بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» عراقى شامى.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها فهو معصوم ثمانيه أيام من كل فتنه فإن خرج الدجال فى تلك الثمانيه الأيام عصمه الله من فتنه الدجال و من قرأ الآيه التى فى آخرها «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» الآيه حين يأخذ مضجعه كان له فى مضجعه نور يتلألأ إلى الكعبه حشو ذلك النور ملائكه يصلون عليه حتى يقوم من مضجعه فإن كان فى مكه فتلاها كان له نورا يتلألأ إلى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكه يصلون عليه حتى يستيقظ.

سمره بن جندب عن النبى ص قال من قرأ عشر آيات من سورة الكهف حفظا لم تضره فتنه الدجال و من قرأ السوره كلها دخل الجنة

و

عن النبى ص قال أ لا أدلكم على سوره شيعها سبعون ألف ملك حين نزلت ملأت عظمتها ما بين السماء و الأرض قالوا بلى قال سوره أصحاب الكهف من قرأها يوم الجمعة غفر الله له إلى الجمعة الأخرى و زياده ثلاثه أيام و أعطى نورا يبلغ السماء و وقى فتنه الدجال

و

روى الواقدى بإسناده عن أبى الدرداء عن

النبى ص قال من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف ثم أدرك الدجال لم يضره و من حفظ خواتيم سورة الكهف. كانت له نورا يوم القيامة

و

روى أيضا بالإسناد عن سعيد بن محمد الجزمى عن أبيه عن جده عن النبى ص قال من قرأ الكهف يوم الجمعة فهو معصوم إلى ستة أيام من كل فتنه تكون فإن خرج الدجال عصم منه

و

روى العياشى بإسناده عن الحسن بن على بن أبى حمزه عن أبيه عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال من قرأ سورة الكهف فى كل ليله جمعه لم يمت إلا شهيدا و بعثه الله مع الشهداء و وقف يوم القيامة مع الشهداء.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة بنى إسرائيل بالتحميد و التوحيد و ذكر النبى ص و القرآن و افتتح سورة الكهف أيضا بالتحميد و التوحيد و ذكر القرآن و النبى ص ليتصل أول هذه بآخر تلك اتصال الجنس بالجنس فقال:

[سورة الكهف (١٨): الآيات ١ الى ٦]

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمِيدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا (١) قَيِّمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا (٢) مَا كَثُرَ فِيهِ أَبَدًا (٣) وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤)

ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنَّ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا (٥) فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنَّ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا (٦)

القراءة

قرأ أبو بكر بروايه يحيى من لدنه بإشمام الدال الضم و كسر الهاء و النون و قرأ الباقون بضم الدال و سكون النون و فى الشواذ كبرت كلمه برفع كلمه قرأه يحيى بن يعمر و الحسن و ابن المحيصن و ابن أبى إسحاق و الثقفى و الأعرج بخلاف و عمرو بن عبيد.

قال أبو علي في لادن ثلاث لغات لادن مثل سبع و يخفف الدال و يكون على ضربين (أحدهما) أن يحذف الضمه من الدال فيقال لادن (و الآخر) أن يحذف الضمه من الدال و ينتقل إلى اللام فيقال لادن مثل عضد في عضد و في كلا الوجهين يجتمع في الكلمه ساكنان فمن قرأ من لادنه بكسر النون فإن الكسره فيه ليست كسره إعراب و إنما هي كسره لالتقاء الساكنين و ذاك أن الدال أسكنت كما أسكنت الباء في سبع و النون ساكنه فالتقى الساكنان فكسر الثاني منهما فأما إشمام الدال الضمه فليعلم أن الأصل كان في الكلمه الضمه و مثل ذلك قولهم أنت تغرين و قولهم قيل أشمت الكسره فيهما الضمه ليدل على أن الأصل فيهما التحريك بالضم و إن كان الإشمام في لادنه ليس في حركه خرجت إلى اللفظه و إنما هو بهيئه العضو لإخراج الضمه و أما الجار في قوله «مِنْ لَدُنْهُ» فيحتمل ضربين (أحدهما) أن يكون صفة متعلقا بشديد (و الآخر) أن يكون صفة للنكره و فيها ذكر للموصوف.

العوج بالفتح فيما يرى كالقناه و الخشبه و بالكسر فيما لا يرى شخصا قائما كالدين و الكلام و القيم و المستقيم و الباع القاتل المهلك يقال بضع نفسه يبضعها بضعاً و بخوعاً قال ذو الرمه:

ألا أيهذا الباع الوجد نفسه لشيء نحتته عن يديه المقادر

يريد نحتته فخفف و الأسف المبالغه في الحزن و الغضب يقال أسف الرجل فهو آسف و أسيف قال الأعشى:

ترى رجلاً منهم أسيفاً كأنه يضم إلى كسحيه كفا مخضباً

. الإعراب

«قِيماً» نصب على الحال من الكتاب و العامل فيه أنزل و قوله «أَنَّ لَهُمْ أَجْراً» تقديره بأن لهم أجراً فحذف الجار و «مَا كَثِيرَ» نصب على الحال في معنى خالد بن و قوله «كَبُرَتْ كَلِمَةً» اختلف في نصب كلمه فقال السراج: انتصب على تفسير المضمرة على حد قولهم نعم رجلاً- زيد و التقدير على هذا كبرت الكلمه كلمه ثم حذف الأول لدلاله الثاني عليه و مثله كرم رجلاً زيد و لؤم صاحباً عمرو و يكون المخصوص بالتكبير في هذه المسأله محذوفاً لدلاله صفته عليه و التقدير كلمه تخرج من أفواههم أى كلمه خارجه من أفواههم فيكون مرفوعاً على وجهين (أحدهما) أن يكون مبتدأ و ما قبله الخبر (و الآخر) أن يكون خبر مبتدأ محذوف و تقديره هي كلمه تخرج و قيل انتصب كلمه على التمييز المنقول عن الفاعل على حد قولك

تصببت عرقا و تفتأت شحما و الأصل كبرت كلمتهم الخارجه من أفواههم قال الشاعر:

و لقد علمت إذا الرياح تناوحت هدج الريال تكبهن شمالا

أى تكبهن الرياح شمالا و من قرأ كبرت كلمه فإنه جعل كلمه فاعل كبرت و جعل قولهم «اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» كلمه كما قالوا للقصيده كلمه و على هذا فيكون قوله «تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ» فى موضع رفع بكونه صفه لكلمه و لا يجوز أن يكون وصفا لكلمه الظاهره المنصوبه لأن الوصف يقرب النكره من المعرفه و التمييز لا يكون معرفه البته و لا يجوز أن يكون فى موضع نصب على الحال من كلمه المنصوبه لوجهين (أحدهما) أن الحال يقوم مقام الوصف و الثانى أن الحال لا يكون من نكره فى غالب الأمر و «أَسْفًا» منصوب بأنه مصدر وضع موضع الحال و لو كان فى غير القرآن لجاز أن لم يؤمنوا بالفتح كما فى قول الشاعر:

أ تجزع أن بأن الخليط المودع و حبل الصفا من عزه المتقطع.

المعنى

«الْحَمْدُ لِلَّهِ» يقول الله سبحانه لخلقه قولوا كل الحمد و الشكر لله «الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ» محمد ص «الْكِتَابَ» أى القرآن و انتجبه من خلقه و خصه برسالته فبعثه نبيا رسولا «وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا» فيه تقديم و تأخير و تقديره الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب قيما و لم يجعل له عوجا و عنى بقوله «قَيِّمًا» معتدلا مستقيما مستويا لا تناقض فيه عن ابن عباس و قيل قيما على سائر الكتب المتقدمه يصدقها و يحفظها و ينفى البطل عنها و هو ناسخ لشرائعها عن الفراء و قيل قيما لأمر الدين يلزم الرجوع إليه فيها فهو كقيم الدار الذى يرجع إليه فى أمرها عن أبى مسلم و قيل قيما دائما يدوم و يثبت إلى يوم القيامة لا ينسخ عن الأصم «وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا» أى لم يجعله ملتبسا لا يفهم و معوجا لا يستقيم و هو معنى قول ابن عباس و قيل لم يجعل فيه اختلافا كما قال عز و جل اسمه وَ لَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا عن الزجاج و معنى العوج فى الكلام أن يخرج من الصحه إلى الفساد و من الحق إلى الباطل و مما فيه فائده إلى ما لا فائده فيه ثم بين سبحانه الغرض فى إنزاله فقال «لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ» و معناه ليخوف العبد الذى أنزل عليه الكتاب الناس عذابا شديدا و نكارا و سطوه من عند الله تعالى إن لم يؤمنوا به «وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسِينًا» معناه و ليبشر المصدقين بالله و رسوله الذين يعملون الطاعات بعد الإيمان أن لهم ثوابا حسنا فى الآخرة على إيمانهم

و طاعتهم في الدنيا و ذلك الثواب هو الجنة «ما كَثِيرٌ فِيهِ أَيْدَاءٌ» أى لا يثين في ذلك الثواب خالدين مؤبدين لا ينتقلون عنه «وَ يُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا» أى و ليحذر الكفار الذين قالوا الملائكة بنات الله و هم قريش عن الحسن و محمد بن إسحاق و قيل هم اليهود و النصارى عن السدى و الكلبي فعم جميع الكفار بالإنذار فى الآيه الأولى و خص فى هذه الآيه القائلين بهذه المقالة منهم لتقليدهم الآباء فى ذلك و لإصرارهم على الجهل و قله التفكير و لصددهم الناس عن الدين «ما لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَ لا لِآبَائِهِمْ» أى ليس لهؤلاء القائلين بهذا القول الشنيع علم به و لا لأسلافهم الذين مضوا قبلهم على مثل ما هم عليه اليوم و إنما يقولون ذلك عن جهل و تقليد من غير حجة و قيل معناه ليس لهم بالله من علم و لا لآبائهم «كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ» أى عظمت الكلمه كلمه تخرج من أفواه هؤلاء الكفار و وصف الكلمه بالخروج من الأفواه توسعا و مجازا و إن كانت الكلمه عرضا لا- يجوز عليها الدخول و الخروج و لا الحركه و السكون و لكن لما كانت الكلمه قد تحفظ و تثبت و توجد مكتوبه و مقروءه فى غير الموضع الذى فعلت فيه و وصفها بالخروج و ذكر الأفواه تأكيدا و المعنى أنهم صرحوا بهذه الكلمه العظيمة فى القبح و أظهروها «إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» أى ما يقول هؤلاء إلا- كذبا و افتراء على الله «فَلَعَلَّكَ» يا محمد «بِاخْتِئافِ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ» أى مهلك و قاتل نفسك على آثار قومك الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا تمردا منهم على ربهم «إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا» أى إن لم يصدقوا «بِهَذَا الْحَدِيثِ» أى بهذا القرآن الذى أنزل عليك «أَسِيفًا» أى حزنا و تلهفا و وجدا بإدبارهم عنك و إعراضهم عن قبول ما آتيتهم به و قيل على آثارهم أى بعد موتهم لشده شفقتك عليهم و قيل معناه من بعد توليهم و إعراضهم عنك و قيل أسفا أى غيظا و غضبا عن ابن عباس و قتاده و هذه معاتبه من الله سبحانه لرسوله على شده وجده و كثره حرصه على إيمان قومه حتى بلغ ذلك به مبلغا يقربه إلى الهلاك.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٧ الى ٨]

إشارة

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) وَ إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا (٨)

اللغة

الصعيد ظهر الأرض و قال الزجاج: الصعيد الطريق الذى لا نبات به و الجزز الأرض التى لا تنبت كأنها تأكل النبات أكلا يقال أرض جرز و أرضون أجزاز و قال سيويه: يقال جرزت الأرض فهى مجروزه و جرزهما الجراز و النعم و يقال للسنه المجدبه الجزز لجدوبها و يبسها و قله أمطارها قال الراجز:

"قد جرفتهن السنون الأجزاز"

و يقال أجزز القوم إذا صارت

أرضهم جزوا و جرزوهم أرضهم إذا أكلوا نباتها كله.

الإعراب

أيهم مرفوع بالابتداء لأن لفظه لفظ الاستفهام و الاستفهام له صدر الكلام أى لنختبر أ هذا أحسن عملا أم هذا و هو تعليق لما فى الخبره من معنى العلم.

المعنى

ثم بين سبحانه أنه ابتداء خلقه بالنعم و أن إليه مصير الأمم فقال «إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْأَنْهَارِ وَ الْأَشْجَارِ وَ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ مِنَ الْجَمَادِ وَ الْحَيَوَانِ وَ النَّبَاتِ «زِينَةً لَهَا» أى حليه للأرض و لأهلها «لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» لأى لنختبرهم و نمتحنهم و المعنى لنعامل عبادنا معاملة المبتلى و قد سبق ذكر أمثاله و الأحسن عملا الأعمال بطاعه الله و الأطوع له و قيل إن معنى الابتلاء الأمر و النهى لأن بهما يظهر المطيع من العاصى و قيل أراد بالزينة الرجال لأنهم زينة الأرض و قيل أراد الأنبياء و العلماء «وَ إِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَيْدًا بَدِيدًا جُرُزًا» معناه و إنا مخربون الأرض بعد عمارتها و جاعلون ما عليها مستويا من الأرض يابسا لا نبات عليه و قيل بلقع عن مجاهد و فى قوله «أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» دلالة على أنه سبحانه أراد من الخلق العمل الصالح و على أن أفعالهم الصادره منهم حادثه من جهتهم و لو لا ذلك لما صح الابتلاء و فى ذلك بطلان قول أهل الجبر.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٩ الى ١٢]

أشاره

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَ الرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا (٩) إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَ هَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا (١٠) فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا (١١) ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا (١٢)

اللغه

الكهف المغاره فى الجبل إلا- أنه واسع فإذا صغر فهو غار و الرقيم أصله من الرقم و هو الكتابه يقال رقمت الكتاب أرقمه فهو فعيل بمعنى مفعول كالجريح و القتل و منه الرقم فى الثوب لأنه خط يعرف به ثمنه و الأرقم الحيه المنقشه لما فيه من الخطوط و تقول العرب عليك بالرقمه و دع الضفه أى عليك برقمه الوادى حيث الماء و دع الجانب و الأوى

الرجوع و الفتيه جمع فتى و فعله من أسماء الجمع و ليس بناء يقاس عليه يقال صبي و صبيه و غلام و غلمه و لا يقال غنى و غنيه لأنه غير مطرد فى بابهِ و الضرب معروف و معنى ضربنا على آذانهم سلطنا عليهم النوم و هو من الكلام البالغ فى الفصاحه يقال ضربه الله بالفالسج إذا ابتلاه الله به قال قطرب: هو كقول العرب ضرب الأمير على يد فلان إذا منعه من التصرف قال الأسود بن يعفر و كان ضريرا:

و من الحوادث لا أبا لك أننى ضربت على الأرض بالأسداد

و الحزب الجماعه و الأمد الغايه قال النابغه:

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

. الإعراب

«سِنِينَ» نصب على الظرف و «عَدَدًا» منصوب على ضربين (أحدهما) على المصدر المعنى تعدد عددا و يجوز أن يكون نعتا لسنين. المعنى سنين ذات عدد قال الزجاج:

و الفائدة فى قولك عدد فى الأشياء المعدودات أنك تريد تأكيد كثره الشئ ء لأنه إذا قل فهم مقداره و مقدار عدده فلم يحتج إلى أن يعد فالعدد فى قولك أقيمت أياما عددا إنك تريد بها الكثره و جائز أن يؤكد بعدد معنى الجماعه فى أنها قد خرجت من معنى الواحد قال و أمدا منصوب على نوعين (أحدهما) التمييز (و الآخر) على أحصى أمدا فيكون العامل فيه أحصى كأنه قال لنعلم أم هؤلاء أحصى للأمد أم هؤلاء و يكون منصوبا بلبثوا و يكون أحصى متعلقا بلما فيكون المعنى أى الحزبين أحصى للبتهم فى الأمد قال أبو على: إن انتصابه على التمييز عندى غير مستقيم و ذلك لأنه لا يخلو من أن يحمل أحصى على أن يكون فعلا- ماضيا أو أفعل نحو أحسن و أعلم فلا- يجوز أن يكون أحصى بمعنى أفعل من كذا و غير مثال للماضى من وجهين (أحدهما) أنه يقال أحصى يحصى و فى التنزيل أَحْصَاهُ اللَّهُ وَ نَسُوهُ و أفعل يفعل لا يقال فيه هو أفعل من كذا و أما قولهم ما أولاه بالخير و ما أعطاه الدرهم فمن الشاذ النادر الذى حكمه أن يحفظ و لا يقاس عليه (و الآخر) إن ما ينتصب على التمييز فى نحو قولهم هو أكثر مالا- و أعز علما يكون فى المعنى فاعلا- ألا ترى أن المال هو الذى كثر و العلم هو الذى عز و ليس ما فى الآيه كذلك ألا ترى أن الأمد ليس هو الذى أحصى فهو خارج عن حد هذه الأسماء و إذا كان ماضيا كان المعنى لنعلم أى الحزبين أحصى أمدا للبتهم فيكون الأمد على هذا منتصبا بأنه مفعول به و العامل فيه أحصى.

محمد بن إسحاق بإسناده عن سعيد بن جبير و عكرمه عن ابن عباس أن النضر بن الحرث بن كلده و عقبه بن أبي معيط أنفذهما قريش إلى أحبار اليهود بالمدينه و قالوا لهما سلاهم عن محمد و صفا لهم صفته و خبراهم بقوله فإنهم أهل الكتاب الأول و عندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا فخرجا حتى قدما المدينه فسألوا أحبار اليهود عن النبي ص و قالوا لهم ما قالت قريش فقال لهما أحبار اليهود اسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل و إن لم يفعل فهو رجل متقول فأروا فيه رأيكم سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم فإنه قد كان لهم حديث عجيب و سلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض و مغاربها ما كان نبؤه و سلوه عن الروح ما هو و في روايه أخرى فإن أخبركم عن الثنتين و لم يخبركم بالروح فهو نبي فانصرفا إلى مكه فقالا يا معاشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم و بين محمد و قصا عليهم القصه فجاءوا إلى النبي ص فسألوه فقال أخبركم بما سألتكم عنه غدا و لم يستثن فانصرفوا عنه فمكث ص خمس عشره ليله لا يحدث الله إليه في ذلك و حيا و لا يأتيه جبرائيل حتى أرجف أهل مكه و تكلموا في ذلك فشق على رسول الله ص ما يتكلم به أهل مكه عليه ثم جاءه جبرائيل (عليه السلام) عن الله سبحانه بسوره الكهف و فيها ما سأله عنه عن أمر الفتية و الرجل الطواف و أنزل عليه وَ يَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ الْآيَةَ قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَذَكَرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ص قَالَ لَجِبْرَائِيلَ حِينَ جَاءَهُ لَقَدْ احْتَبَسْتَ عَنِّي يَا جِبْرَائِيلَ فَقَالَ لَهُ جِبْرَائِيلَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَ مَا نَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا الْآيَةَ.

المعنى

«أَمْ حَسِبْتُمْ» معناه بل أ حسبت يا محمد «أَنَّ أَصْحَابَ الْكُهْفِ وَ الرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا» فلخلق السماوات و الأرض أعجب من هذا عن مجاهد و قتاده و يحتمل أنه لما استبطأ الجواب حين سأله عن القصه قيل له أ حسبت أن هذا شىء عجيب حرصا على إيمانهم حتى قوى طمعك إنك إذا أخبرتهم به آمنوا و المراد بالكهف كهف الجبل الذى أوى إليه القوم الذين قص الله أخبارهم و اختلف فى معنى الرقيم فقيل إنه اسم الوادى الذى كان فيه الكهف عن ابن عباس و الضحاك و قيل الكهف غار فى الجبل و الرقيم الجبل نفسه عن الحسن و قيل الرقيم القرية التى خرج منها أصحاب الكهف عن كعب و السدى و قيل هو لوح من حجاره كتبوا فيه قصه أصحاب الكهف ثم وضعوه على باب الكهف عن سعيد بن جبير و اختاره البلخى و الجبائى و قيل جعل ذلك اللوح فى خزائن الملوك لأنه من عجائب الأمور و قيل الرقيم كتاب و لذلك الكتاب خبر فلم يخبر الله تعالى عما فيه عن ابن زيد و قيل إن أصحاب الرقيم هم النفر الثلاثة الذين دخلوا فى غار فانسد عليهم فقالوا ليدعو الله تعالى

كل واحد منا بعمله حتى يفرج الله عنا ففعلوا فنجاهم الله و رواه النعمان بن بشير مرفوعاً «إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ» أى اذكر لقومك إذ التجأ أولئك الشبان إلى الكهف وجعلوه مأواهم هرباً بدينهم إلى الله «فَقَالُوا» حين آووا إليه «رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً» أى نعمه ننجو بها من قومنا وفرج عنا ما نزل بنا «وَهَيَّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا» أى هبى وأصلح لنا من أمرنا ما نصيب به الرشد وقيل هبى لنا مخرجاً من الغار فى سلامه عن ابن عباس وقيل معناه دلنا على أمر فيه نجاتنا لأن الرشد والنجاه بمعنى وقيل يسر لنا من أمرنا ما نلتمس به رضاك وهو الرشد وقالوا هؤلاء الفتية قوم آمنوا بالله تعالى وكانوا يخفون الإسلام خوفاً من ملكهم وكان اسم الملك دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس وكان ملكهم يعبد الأصنام ويدعو إليها ويقتل من خالفه وقيل إنه كان مجوسياً يدعو إلى دين المجوس والفتية كانوا على دين المسيح لما برح أهل الإنجيل وقيل كانوا من خواص الملك وكان يسر كل واحد منهم إيمانه عن صاحبه ثم اتفق أنهم اجتمعوا وأظهروا أمرهم فأووا إلى الكهف عن عبيد بن عمير وقيل إنهم كانوا قبل بعث عيسى (عليه السلام) «فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا» معناه أنماهم سنين ذات عدد وتأويله فأجبنا دعاءهم وسددنا آذانهم بالنوم الغالب على نفوذ الأصوات إليها سنين كثيرة لأن النائم إنما يفتحه بسماع الصوت ودل سبحانه بذلك على أنهم لم يموتوا وكانوا نياماً فى أمن وراحة وجمام نفس وهذا من فصيح لغات القرآن التى لا يمكن أن يترجم بمعنى يوافق اللفظ «ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ» أى أيقظناهم من نومهم «لِنَعْلَمَ أَى الْحَزِينِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمِيدًا» أى ليظهر معلومنا على ما علمناه وذكرنا الوجه فى أمثاله فيما سبق والمعنى لننظر أى الحزين من المؤمنين والكافرين من قوم أصحاب الكهف عد أمد لبتهم وعلم ذلك وكأنه وقع بينهم تنازع فى مده لبتهم فى الكهف بعد خروجهم من بيتهم فبعثهم الله ليبين ذلك ويظهر وقيل يعنى بالحزين أصحاب الكهف لما استيقظوا اختلفوا فى تعداد لبتهم وذلك قوله وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمُ الْآيَةَ.

النظم

اتصل قوله «أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ» الآية بما قبلها من وجوه (أحدها) أنه لما أخبر عن زينه الأرض وعن الابتلاء عقبه بذكر الفتية التى تركت زينه الدنيا واختارت طاعه الله وفارقت ديارها وأموالها حثاً على الاقتداء بهم (و الآخر) إنه اتصل بقوله فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ أى فلا تأسف عليهم لأنه لا يضرك كفرهم والله ناصرك وحافظك من أعدائك كما حفظ أصحاب الكهف (و الثالث) إنه اتصل بقوله وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ أى وينصرهم كما نصر أصحاب الكهف.

ص: ٢٨٣

إشارة

نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْنَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى (١٣) وَ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ
وَ الْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا (١٤) هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيْنَ يَدَيْهِمْ
أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا (١٥) وَ إِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَ مَا يُعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَهَيِّئْ
لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا (١٦)

القراءة

قرأ أهل المدينة و ابن عامر و الأعشى و البرجمي عن أبي بكر مرفقا بفتح الميم و كسر الفاء و الباقون «مِرْفَقًا» بكسر الميم و فتح
الفاء.

الحج

قال الزجاج: و ذكر قطرب و غيره اللغتين جميعا في مرفق الأمر و مرفق اليد و مرفق اليد بالكسر أجود قال أبو الحسن: مرفقا أى
شيئا يرتفقون به مثل المقطع و نحوه و مرفقا جعله اسما مثل المسجد أو يكون لغه قال أبو على: قوله جعله اسما أى جعل المرفق
اسما و لم يجعلوه اسم المكان و لا المصدر من رفق يرفق كما أن المسجد ليس باسم الموضع من سجد يسجد و قوله أو يكون
لغه أو يجعله فى اسم المصدر كما جاء المطلاع و نحوه و لو كان على القياس لفتحت اللام.

اللغة

الشطط الخروج عن الحد بالغلو فيه و أصله مجاوزه الحد فى البعد و شطت الجارية تشط شططا و شطاظه إذا جاوزت الحد فى
الطول و أشط فى السوم إذا جاوز القدر بالغلو فيه و الاعتزال التنحى عن الأمر و التعزل بمعناه قال:

يا بيت عاتكه التى أ تعزل حذر العدى و به الفؤاد موكل

و سمي عمرو بن عبيد و أصحابه معتزله لما اعتزلوا حلقة الحسن.

الإعراب

كسر «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ» على الاستثناف. «إِذْ قَامُوا» يتعلق بربطنا أى فى الوقت الذى قاموا فيه و «شَطَطًا» منصوب على المصدر. المعنى لقد قلنا قولاً شططاً و «مَا يَعْبُدُونَ» فى موضع نصب عطفاً على الهاء و الميم فى اعتزلتموهم و المراد الأصنام التى يعبدونها من دون الله و يجوز أن تكون ما مصدرية أى و عبادتهم إلا عبادة الله فحذف المضاف و الاستثناء على هذا من الهاء و الميم و إن جعلت ما موصولة كان الاستثناء من مفعول يعبدون استثناء منقطعاً.

المعنى

ثم بين سبحانه قصه أصحاب الكهف فقال «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ» أى نتلو عليك يا محمد «بَأْهُمْ» أى خبرهم «بِالْحَقِّ» أى بالصدق و الصحه «إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ» أى أحداث و شباب «آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَ زِدْنَاهُمْ هُدًى» أى بصيره فى الدين و رغبه فى الثبات عليه بالألطف المقويه لدواعيهم إلى الإيمان و حكم لهم سبحانه بالفتوه لأن رأس الفتوه الإيمان و قيل الفتوه بذل الندى و ترك الأذى و ترك الشكوى عن مجاهد و قيل هى اجتناب المحارم و استعمال المكارم «وَ رَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ» أى شددنا عليها بالألطف و الخواطر القويه للإيمان حتى وطنوا أنفسهم على إظهار الحق و الثبات على الدين و الصبر على المشاق و مفارقه الوطن «إِذْ قَامُوا» أى حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقيانوس الذى كان يفتن أهل الإيمان عن دينهم «فَقَالُوا» بين يديه «رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» أى ربنا الذى نعبد خالق السماوات و الأرض «لَنْ نَدْعُوا مِنْ دُونِهِ إِلَهًا» أى لن نعبد إلها سواه معه «لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا» معناه إن دعونا مع الله إلها آخر فلقد قلنا إذا قولاً مجاوزاً للحق غايه فى البطلان «هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا» أى أهل بلدنا «اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ» أى من دون الله «آلِهَةً» يعبدونها «لَوْ لَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ» أى هلا يأتون على عبادتهم غير الله بحجه ظاهره و فى هذا ذم زجر للتقليد و إشاره إلى أنه لا يجوز أن يقبل دين إلا بحجه واضحه «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا» فزعم أن له شريكاً فى العباده «وَ إِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ» قال ابن عباس و هذا من قول تملیخا و هو رئيس أصحاب الكهف قال لهم فإذا فارقتموهم و تنحيتهم عنهم جانباً يعنى عبده الأصنام و فارقتم ما يعبدون أى أصنامهم إلا الله فإنكم لن تتركوا عبادته و ذلك إن أولئك كانوا يشركون بالله و يجوز أنه كان فيهم من يعبد الله مع عباده الأصنام فقال إذا اعتزلتم الأصنام و لم تعتزلوا الله و لا عبادته فيكون الاستثناء متصلًا و يجوز أن يكون جميعهم كانوا يعبدون الأوثان من دون الله فيكون الاستثناء منقطعاً

«فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ» أى صيروا إليه و اجعلوه مأواكم «يُنشُرْ لَكُمْ رُبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ» أى يبسط عليكم ربكم من نعمته «وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا» أى و يسهل عليكم ما تخافون من الملك و ظلمه و يأتىكم باليسر و الرفق و اللطف عن ابن عباس و كلما ارتفعت فهو مرفق و قيل معناه و يصلح لكم من أمر معاشركم ما تترفقون به و فى هذا دلالة على عظم منزله الهجره فى الدين و على قبح المقام فى دار الكفر إذا كان لا يمكن المقام فيها إلا بإظهار كلمه الكفر و بالله التوفيق.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ١٧ الى ١٨]

إشاره

وَ تَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ إِلَيْهِمْ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ هُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَ مَنْ يُضِلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْسِدًا (١٧) وَ تَحَسَّبُ بِهِمْ أَيْقَاطًا وَ هُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ وَ كَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلَّنتَ مِنْهُمْ رُعْبًا (١٨)

القراءه

قرأ ابن عامر و يعقوب تزور بتشديد الزاى و قرأ أهل الكوفه «تَزَاوَرُ» بالتخفيف و الباقون تزاور بتشديد الزاى و قرأ أهل الحجاز لملت بالتشديد و الباقون بالتخفيف و فى الشواذ قراءه الجحدرى تزوار و قراءه الحسن و تقلبهم بفتح التاء و القاف و الباء و ضم اللام.

الحجه

من قرأ تزاور فإنه تتزاور فأدغم التاء فى الزاى و من قرأ «تَزَاوَرُ» حذف الثانيه و خفف الكلمه بالحذف كما حذف أولئك بالإدغام و من قرأ تزور فقد قال أبو الحسن: لا معنى له فى هذا الموضع إنما يقال هو مزور عنى أى منقبض عنى يدل عليه قول عنتره:

فأزور من وقع القنا بلبانه و شكا إلى بعبره و تحمحم

قال أبو علي و الذي حسن القراءه به قول جرير:

عسفن عن الأداعس من مهيل و في الأظعان عن طلح ازورار

فظاهر استعمال هذا في الأظعان مثل استعماله في الشمس و تراور على وزن تفاعل و تزوار على وزن تفعال من الازويرار و قوله لملت منهم بالتشديد للتكثير قال أبو الحسن: الخفيفه أجود لا يكادون يقولون ملأ منى رعبا و إنما يقولون ملأتني رعبا قال أبو علي:

يدل على قول أبي الحسن قول امرئ القيس:

" فتملا بيتنا أقطا و سمنا "

و قول الأعشى:

" و قد ملت بكر و من لف لفها "

و أنشدوا في التثقيب قول المخبل السعدى:

" فملأ من كعب بن عوف سلاسله "

و من قرأ و قلبهم فإنه نصبه بفعل مضمر دل عليه ما قبله فكأنه قال و ترى أو تشاهد قلبهم.

اللغة

القرض القطع يقال قرضت الموضع إذا قطعتة و جاوزته قال الكسائي: هو المجازاه يقال قرضنى فلان يقرضنى و جذانى يجذونى بمعنى قال ذو الرمة:

إلى ظعن يقرضن أجواز مشرف شمالا و عن أيماهن الفوارس

و يستعمل القرض فى أشياء غير هذا منه القطع للثوب و غيره و منه المقراض و منه قرض الفأر قال أبو الدرداء:

" إن قارضتهم قارضوك و إن تركتهم لم يتركوك "

يعنى إن طعنت فيهم و عبتهم فعلوا بك مثله و إن تركتهم من ذلك لم يتركوك و القراض بلغه الحجاز المضاربه و القرض هو قول الشعر القصيده منه خاصه دون الرجز و منه قيل للشعر القريض قال الأغلب العجلى:

" أ رجزا تريد أم قريضا "

و الفجوه المتسع من الأرض و جمعه فجوات و فجاء ممدود و فجوه الدار ساحتها و الأيقاظ جمع يقظ و يقظان قال الراجز:

" ووجدوا إخوانهم أيقاظا "

و الرقود جمع راقد و رقد يرقد رقادا و رقودا و الوصيد من أوصدت الباب أى أغلقته و جمعه وصائد و يقال وصيد و أصيد و أوصدت و أصدت مثل ورخت الكتاب و أرخته و وكدت الأمر و أكدته.

الإعراب

«وَتَرَى الشَّمْسَ» إلى قوله «وَهُمْ فِي فُجْوَاهِ» منه متعلق بالرؤية و قوله «إِذَا

ص: ٢٨٧

طَلَعَتْ» (وَ إِذَا غَرَبَتْ» كلاهما بجوابهما فى موضع المفعول الثانى و الحال و الجملة التى هى «وَ هُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ» فى موضع الحال «وَ كَلْبُهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعِيهِ» أعمل اسم الفاعل حيث نصب به ذراعيه و إن كان بمعنى الماضى لأنه حكايه حال كما قال هذا مِنْ شَيْعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ وَ هَذَا يشار به إلى الحاضر و لم يكن المشار إليهما حاضرين حين قص القصة على النبى ص و لكنه على تلك الحال قص القصة. «فَهُوَ الْمُهْتَدِ» كتب فى المصحف هنا بغير ياء و فى الأعراف بالياء و حذف الياء جائز فى الأسماء خاصة و لا يجوز فى الأفعال لأن حذف الياء فى الفعل دليل الجزم و حذف الياء فى الأسماء واقع إذا لم يكن الألف و اللام نحو مهتد فأدخلت الألف و اللام و ترك الحرف على ما كان عليه و دلت الكسرة على الياء المحذوفه قال الزجاج: «لَوْ أَطْلَعْتَ» بكسر الواو و يجوز الضم و الكسر أجد لأن الواو ساكنه و الطاء ساكنه و الأصل فى التقاء الساكنين الكسر و جاز الضم لأن الضم من جنس الواو و لكنه إذا كان بعد الساكن مضموم فالضم هناك أحسن نحو أَوْ أَنْقُضْ قِرْيَ بِالضَّمِّ وَ الْكُسْرِ. «فِرَارًا» منصوب على المصدر لأن معنى وليت فررت و «رُغْبًا» منصوب على التمييز يقال امتلأت فرقا و امتلأ الإناء ماء.

المعنى

ثم بين سبحانه حالهم فى الكهف فقال «وَ تَرَى الشَّمْسَ» أى لو رأيتها لرأيت «إِذَا طَلَعَتْ تَرَاوَرُّ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ» أى تميل وقت طلوعها عن كهفهم إلى جهة اليمين «وَ إِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبَتْ تَقَرُّضُهُمْ» أى تعدل عنهم و تتركهم «ذَاتَ الشَّمَالِ» إلى جهة الشمال شمال الكهف أى لا تدخل كهفهم و قيل تقرضهم أى تجاوزهم منحرفه عنهم عن ابن عباس «وَ هُمْ فِى فَجْوَةٍ مِنْهُ» أى فى متسع من الكهف و قيل فى فضاء منه عن قتاده و قيل كان متسعا داخل الكهف بحيث لا يراه من كان ببابه و ينالهم نسيم الريح ثم أخبر سبحانه عن لطفه بهم و حفظه إياهم فى مضجعهم و اختياره لهم أصلح المواضع لرقادهم فبوأهم مكانا من الكهف مستقبلا بنات النعش تميل الشمس عنهم طالعه و غاربه كيلا يؤذيهم حرها أو تغير ألوانهم أو تبلى ثيابهم و هم فى متسع ينالهم فيه روح الريح و كان باب الغار مقابل القطب الشمالى «ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ» أى من أدلته و برهانه «مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ» مثل أصحاب الكهف «وَ مَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» مثل قوم أصحاب الكهف «وَ تَحَسَّبْ لَهُمْ أَيْقَاطًا» أى لو رأيتهم لحسبتهم منتبهين «وَ هُمْ رُقُودٌ» أى نائمون فى الحقيقة قال الجبائى و جماعه لأنهم مفتحو العيون يتنفسون كأنهم يريدون أن يتكلموا و لا يتكلمون و قيل إنهم ينقلبون كما ينقلب اليقظان «وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ» معناه و نقلبهم تاره عن اليمين إلى الشمال و تاره عن الشمال إلى اليمين كما يتقلب النائم لأنهم لو لم يتقلبوا

لأ-كلتهم الأرض و لبليت ثيابهم لطول مكثهم على جانب واحد و قيل كانوا يقلبون كل عام تقلبتين عن أبي هريره و قيل كان تقلبهم كل عام مره عن ابن عباس و قوله «وَكَلْبُهُمْ» قال ابن عباس و أكثر المفسرين إنهم هربوا من ملكهم ليلا فمروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم و تبعه كلبه و قيل إنهم مروا بكلب فتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون منى لا تخشوا خيانه فأنا أحب أولياء الله فناموا حتى أحرسكم عن كعب و قيل كان ذلك كلب صيدهم و قيل كان ذلك الكلب أصفر اللون عن مقاتل و قيل كان أنمر و اسمه قطمير عن ابن عباس و فى تفسير الحسن أن ذلك الكلب مكث هناك ثلاث مائه و تسع سنين بغير طعام و لا- شراب و لا- نوم و لا- قيام «بِاسِطِ ذِرَاعَيْهِ» هو أن يلقىهما على الأرض مبسوطتين كافتراش السبع «بِالْوَصِيدِ» أى بفناء الكهف عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و قيل بالباب و قيل بباب الفجوه أو فناء الفجوه لا باب الكهف لأن الكفار خرجوا إلى باب الكهف فى طلبهم ثم انصرفوا و لو رأوا الكلب على باب الغار لدخلوه و كذلك لو كان بالقرب من الباب و لما انصرفوا آيسين عنهم فإنهم سدوا باب الغار بالحجاره فجاء رجل بماشيته إلى باب الغار و أخرج الحجاره و اتخذ لماشيته كنا عند باب الغار و هم كانوا فى فجوه من الغار عن الجبائى و قيل الوصيد عتبه الباب عن عطا «لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا» معناه لو أشرفت عليهم و رأيتهم فى كهفهم على حالتهم لفررت عنهم و أعرضت عنهم هربا لاستيحاشك الموضوع «وَلَمَلِئْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا» أى و لملىء قلبك خوفا و فرعا و ذلك إن الله منعهم بالرعب لئلا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيهم و قيل كانوا فى مكان موحش من رآه فرع و لا يمتنع أن الكفار لما أتوا باب الكهف فرعوا من وحشه المكان فسدوا باب الكهف ليهلكوا فيه و جعل سبحانه ذلك لطفا لئلا ينالهم مكروه من سبع و غيره و ليكونوا محروسين من كل سوء و قيل إنهم كانت أظفارهم قد طالت و كذلك شعورهم و لذلك يأخذ الرعب منهم و هذا لا يصح لقوله تعالى حكاية عنهم لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ و روى سعيد بن جبیر عن ابن عباس قال غزوت مع معاويه نحو الروم فمروا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاويه لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقلت له ليس هذا لك فقد منع ذلك من هو خير منك قال الله تعالى «لَوْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَ لَمَلِئْتُ مِنْهُمْ رُغْبًا» فقال معاويه لا- أنتهى حتى أعلم علمهم فبعث رجالا فلما دخلوا الكهف أرسل الله عليهم ريحا أخرجتهم.

إشارة

وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَ لِيَتَلَطَّفَ وَلَا يَشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا (١٩) إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا (٢٠)

القراءة

قرأ أبو عمرو و أبو بكر و حمزه و خلف بورقكم ساكنه الراء و الباقون بكسر الراء و روى عن أبي عمرو بإدغام الكاف فى القاف و فى الشواذ قراهه أبو رجاء بورقكم بكسر الواو و الإدغام.

الحجة

فى ورقكم أربع لغات فتح الواو و كسر الراء و هو الأصل و فتح الواو و سكون الراء و كسر الواو و سكون الراء و الإدغام قال ابن جنى: هذا عند أصحابنا مخفى غير مدغم لكنه أخفى كسره القاف فظنها القراء مدغمه و معاذ الله لو كانت مدغمه لوجب نقل كسره القاف إلى الراء كقولهم برد و برق و للقراء فى هذا عادة أن يعبروا عن المخفى بالمدغم للطف ذلك عليهم.

الإعراب

«كَمْ لَبِثْتُمْ» تقديره كم يوما لبثتم فكم منصوبه بلبثتم و المميز محذوف أ لا- ترى أن جوابه «لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» «فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا» الجملة التى هى أيها أزكى مفعول فليَنْظُرْ و طعاما تمييز.

المعنى

«وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ» معناه و كما فعلنا بهم الأمور العجيبة و حفظناهم تلك المدة المديدة بعثناهم من تلك الرقده و أحييناهم من تلك النومه التى أشبهت الموت «لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ» أى ليكون بينهم تساؤل و تنازع و اختلاف فى مده لبثهم فابتدعوا بذلك على معرفه صانعهم و يزدادوا يقينا إلى يقينهم «قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ» فى نومكم «قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ» قال المفسرون إنهم دخلوا الكهف غدوه و بعثهم الله فى آخر النهار فلذلك قالوا يوما فلما رأوا الشمس قالوا أو بعض يوم و كان قد بقيت من النهار بقيه «قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ» و هذا القائل هو تملیخا رئيسهم عن ابن عباس رد علم ذلك إلى الله تعالى

«فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ» و الورق الدراهم و كان معهم دراهم عليها صورة الملك الذى كان فى زمانهم عن ابن عباس «إِلَى الْمَدِينَةِ» يعنى المدينة التى خرجوا منها «فَلْيَنْظُرْ أَهْيَا أَزْكَى طَعَاماً» أى أظهر و أحل ذبيحه عن ابن عباس قال لأن عامتهم كانت مجوسا و فيهم قوم مؤمنون يخفون إيمانهم و قيل أطيب طعاما عن الكلبي و قيل أكثر طعاما من قولهم زكى المال إذا زاد عن عكرمه و ذلك لأن خير الطعام إنما يوجد عند من كثر طعامه و قيل كان من طعام أهل المدينة ما لا يستحله أصحاب الكهف «فَلْيَأْتِكُمْ بَرِزْقٍ مِنْهُ» أى فليأتكم بما ترزقون أكله «وَلْيَتَلَطَّفْ» أى و ليدقق النظر و يتحيل حتى لا يطلع عليه و قيل و ليتلطف فى الشراء فلا يماكس البائع و لا ينازعه «وَلَا يُشْجِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا» أى لا يخبرن بكم و لا بمكانكم أحدا من أهل المدينة «إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ» أى يشرفوا و يطلعوا عليكم و يعلموا بمكانكم «يَرْجُمُوكُمْ» أى يقتلوكم بالرجم و هو من أخبث القتل عن الحسن و قيل معناه يؤذوكم و يشتموكم يقال رجمه بلسانه عن ابن جريج «أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ» أى يردوكم إلى دينهم «وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا» معناه و متى فعلتم ذلك لن تفوزوا أبدا بشىء من الخير و متى قيل من أكره على الكفر فأظهره فإنه مفلح فكيف تصح الآيه فالجواب يجوز أن يكون أراد يعيدوكم إلى دينهم بالاستدعاء دون الإكراه و يجوز أن يكون فى ذلك الوقت كان لا يجوز التقيه فى إظهار الكفر.

إشارة

وَكَذَلِكَ أَغْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيُغْلَبُوا أَنْ وَعِدَ اللَّهُ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا- رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَزَّعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيُوتًا رَبُّهُمْ
أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا (٢١) سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ
رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ
فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٢٢) وَلَا تَقُولَنَّ لِيْ شَيْءٌ إِنْى فاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا (٢٣) إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَادْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنِ
رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا (٢٤)

اللغة

عثر على الشئ ١ يعثر عثرا إذا طلع عليه و أعترت عليه غيرى و العاثور حفرة تحفر ليصطاد به الأسد يقال للرجل إذا تورط وقع فى
عاثور و أصله من العثار و المراء الجدال ماريت الرجل أماريه مراء.

الإعراب

«إِذْ يَتَنَزَّعُونَ» يجوز أن يكون منصوبا بقوله «أَغْتَرْنَا» أى اطلعنا عليهم فى وقت المنازعة فى أمرهم و يجوز أن يكون منصوبا بقوله
«لِيُغْلَبُوا» و إنما دخلت الواو فى قوله «وَ ثَامِنُهُمْ» و لم يدخل فى الأولين لأن هاهنا عطف جملة على جملة و هناك وصف النكرة
بجملة فإن التقدير هم سبعة و هم ثلاثة فثلاثة مرفوع بأنه خبر مبتدأ محذوف و «رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ» وصف لثلاثة و كذلك «سَادِسُهُمْ
كَلْبُهُمْ» صفة لخمسة و هذا قول على بن عيسى قال: و فرق ما بينهم أن السبعة أصل للمبالغة فى العدد لأن جلائل الأمور سبعة
سبعة و أقول قد وجدت لأبى على الفارسى فى هذا كلاما طويلا سألخصه لك و أهذبه فضل تهذيب قال: إن الجملتين الملتبسه
إحداهما بالأخرى و هى أن تكون غير أجنبيه منها على ضربين (أحدهما) أن تعطف بحرف العطف و الآخر أن توصل بها بغير
حرف العطف فما يوصل بها بما قبلها بغير حرف العطف من الجملة على أربعة أضرب (أحدها) أن تكون صفة (و الآخر) أن
تكون حالا (و الثالث) أن تكون تفسيرا (و الرابع) أن لا تكون على أحد هذه الأوجه الثلاثة لكن يكون فى الجملة الثانية ذكر مما
فى الأولى أو ممن فيها فالأول نحو مررت برجل أبوه قائم و بسلام يقوم و لا وجه لإدخال حرف العطف على هذا لأن الصفة تبين
الموصوف و تخصصه فلو عطف لخرجت بالعطف من أن تكون صفة لأن العطف ليس الثانى و هو المعطوف فيه بالأول و إنما
يشرك الثانى فى إعراب الأول و الصفة هو الموصوف فى المعنى (و أما) الثانى و هو أن تكون حالا فلا مدخل لحرف العطف
عليه أيضا لأن الحال مثل الصفة فى أنها تفرق بين هيتين أو هيئات كما أن الصفة تفرق بين موصوفين أو موصوفات و هى مثل
المفعول فى أنها تكون بعد كلام تام فكما لا يدخل الحرف العاطف بين الصفة و الموصوف و لا بين المفعول و ما عمل فيه
كذلك لا- يدخل بين الحال و ذى الحال و الجمل الواقعة موقع الحال إما أن تكون من فعل و فاعل أو من مبتدأ و خبر نحو
رأيت زيدا يضحك و جاء زيد أبوه منطلق قال الشاعر:

و لو لا جنان الليل ما آب عامر إلى جعفر سرباله لم يمزق

(و أما) الثالث و هى الجملة التى تكون تفسيراً لما قبلها فنحو قوله وَعِدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ثم قال لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ فالمغفرة تفسير الوعد الذى وعدوا فأما قوله تعالى هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ ثم قال تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ فتؤمنون على لفظ الخبر و معناه الأمر بدلاله قوله يَغْفِرُ لَكُمْ و حسن أن يكون الأمر على لفظ الخبر لوقوعه كالتفسير لما قبله من ذكر التجارة و حكم التفسير أن يكون خبراً فلذلك حسن كون الأمر على لفظ الخبر هنا (و أما) الرابع الذى لا- يكون اتصاله على الوجوه الثلاثة و يكون فى الجملة الثانية ذكر مما فى الأولى فإن هذا الوجه يتصل بما قبله على وجهين (أحدهما) بحرف عطف كما يتبع الأجنبيه إياها بحرف عطف و ذلك نحو زيد أبوك و أخوه عمرو فهذه قد نزلت منزله الأجنبيه من الأولى فى العطف بالواو نحو قام زيد و خرج عمرو و زيد قائم و بكر خارج و الآخر أن يتبع الثانية الأولى بغير حرف عطف كقوله سبحانه إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ الَّذِينَ مَا يَهْتَجُونَ و يقول فى آيه أخرى وَ كَانُوا يُصَرِّفُونَ بِالْوَاوِ وَ قَوْلُهُ «سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةً رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ خَمْسَةً سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ» وَ يَقُولُونَ سَبْعَةً وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» و الدليل على أن هذا نوع آخر خارج عن الأنواع الثلاثة أن قوله «وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» بعد الجملة المحذوف مبتدؤها لا يخلو من أن يكون حالاً أو صفة أو تفسيراً أو جملة منقطعة من الأول و لا يجوز أن يكون فى موضع الحال لأن ما قبلها من الكلام لا معنى فعل فيه عاملاً فى الحال و الحال لا بد لها من عامل فيها و لا يمكن أن يجعل المبتدأ المضممر هذا و ما أشبهه من أسماء الإشارة فينتصب الحال عنها لأن المخبر عنهم هاهنا ليسوا بمشار إليهم فى وقت الإخبار و إنما المراد الإخبار عن عددهم و لو كانوا بحيث يشار إليهم لم يقع الاختلاف فى عددهم و لا يجوز أن يكون تفسيراً لأن التفسير هو المفسر فى المعنى و لا يجوز أن يكون شىء من جزء الجملة التى هى «رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ» شيئاً من جزء التى هى هم ثلاثة و لا يجوز أيضاً أن يكون صفة للنكرة التى قبلها لأنه لا يخلو فى الوصف من أحد أمرين إما أن يعمل اسم فاعل كما يعمل سائر أسماء الفاعلين الجارية على أفعالها فيرتفع ما بعده به و إما أن يجعل جملة فى موضع وصف و لا يعمل اسم الفاعل عمل الفعل فيكون مبتدأ و خبراً و لا يجوز الأول لأنه فى معنى الماضى و الماضى لا يقدر فيه الانفصال و إنما يقدر فى الحاضر و الآتى لأنه كما أعرب من الأفعال المضارعة ما كان حاضراً و آتياً كذلك لم يعمل الماضى من

أسماء الفاعلين و لو لا- المضى لم يمتنع إعمال قوله «رابعُهُمْ» و «سادِسُهُمْ» و لا- تكون أيضا الجملة صفه لثلاثه كما توصف النكرات بالجمل لأن هذه جملة مستأنفه و ليست على حد الصفه بل على حد ما بعدها من قوله «وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» فحذفت الواو و استغنى عنها إذا كانت إنما تذكر لتدل على الاتصال و ما فى الجملة من ذكر ما فى الأولى كأنه يستغنى به عن ذكر الواو لأن الحرف يدل على إيصاله و ما فى الجملة من ذكر ما تقدمها اتصال أيضا فيستغنى به و يكتفى بذلك منه و هذا فصل جامع فى النحو جليل الموقع كثير الفائدة إذا تأمله المتأمل حق التأمل و أحكمه أشرف به على كثير من المسائل إن شاء الله و أما من قال إن هذه الواو واو الثمانيه و استدل بقوله حَتَّى إِذَا جَاؤُهَا وَ فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا لِأَنَّ لِلْجَنَّةِ ثَمَانِيَةَ أَبْوَابٍ فَشَىءٌ لَا يَعْرِفُهُ النَّحْوِيُّونَ.

المعنى

«وَ كَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ» أى و كما أمنناهم و بعثناهم اطعننا و أعتزنا عليهم أهل المدينة و جملة أمرهم و حالهم على ما قاله المفسرون أنهم لما هربوا من ملكهم و دخلوا الكهف أمر الملك أن يسد عليهم باب الكهف و يدعوهم كما هم فى الكهف فيموتوا عطشا و جوعا و ليكن كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم و هو يظن أنهم إيقاظ ثم إن رجلين مؤمنين كتبا شأن الفتية و أنسابهم و أسماءهم و خبرهم فى لوح من رصاص و جعلاه فى تابوت من نحاس و جعلا التابوت فى البنيان الذى بنوا على باب الكهف و قالوا- لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة ليعلموا خبرهم حين يقرءون هذا الكتاب ثم انقرض أهل ذلك الزمان و خلفت بعدهم قرون و ملوك كثيرة و ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له ندليس و قيل بندوسيس عن محمد بن إسحاق و تحزب الناس فى ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله و يعلم أن الساعة حق و منهم من يكذب فكبر ذلك على الملك الصالح و بكى إلى الله و تضرع و قال أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم بها أن البعث حق و أن الساعة حق آتية لا- ريب فيها فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى فيه الكهف أن يهدم البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيره لغنمه ففعل ذلك و بعث الله الفتية من نومهم فأرسلوا أحدهم ليطلب لهم طعاما فاطلع الناس على أمرهم و بعثوا إلى الملك الصالح يعلمونه الخبر ليعجل القدوم عليهم و ينظر إلى آية من آيات الله جعلها الله فى ملكه فلما بلغه الخبر حمد الله و ركب معه مدينته حتى أتوا أهل الكهف فذلك قوله «وَ كَذَلِكَ أَعْتَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ بِالْبَعثِ وَ الثَّوَابِ وَ الْعِقَابِ حَقٌّ وَ أَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا» أى أن القيامة لا شك فيها فإن من قدر على أن ينمى جماعه تلك المده المديده أحياء ثم يوقظهم قدر أيضا على أن يميتهم ثم يحييهم بعد ذلك «إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ» أى فعلنا ذلك حين تنازعوا

فى البعث فمنهم من أنكره و منهم من قال يبعث الأرواح دون الأجسام و منهم من أثبت البعث فيهما و أضاف الأمر إليهم لتنازعهم فيه كما يقال ما صنعتم فى أمركم عن عكرمه و قيل إن معناه إذ يتنازعون فى قدر مكثهم فى الكهف و فى عددهم و فيما يفعل بهم بعد أن اطلعوا عليهم و ذلك أنه لما دخل الملك عليهم مع الناس و جعلوا يسألونهم سقطوا ميتين فقال الملك إن هذا الأمر عجيب فما ترون فاختلفوا فقال بعضهم ابنوا عليهم بناينا كما بنى المقابر و قال بعضهم اتخذوا مسجدا على باب الكهف و هذا التنازع كان منهم بعد العلم بموتهم عن ابن عباس «فَقَالُوا» أى قال مشركو ذلك الوقت «ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُيَانًا» أى استروهم من الناس بأن تجعلوهم وراء ذلك البيان كما يقال بنى عليه جدارا إذا حوطه و جعله وراء الجدار «رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ» معناه ربهم أعلم بحالهم فيما تنازعوا فيه و قيل إنه قال ذلك بعضهم و معناه ربهم أى خالقهم الذى أنامهم و بعثهم أعلم بحالهم و كيفية أمرهم و قيل معناه ربهم أعلم بهم أ أحياء نيام هم أم أموات فقد قيل إنهم ماتوا و قيل أنهم لا يموتون إلى يوم القيامة «قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ» يعنى الملك المؤمن و أصحابه و قيل أولياء أصحاب الكهف من المؤمنين و قيل رؤساء البلد الذين استولوا على أمرهم عن الجبائى «لَتَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسَٰجِدًا» أى معبدا و موضعا للعباده و السجود يتعبد الناس فيه ببركاتهم و دل ذلك على أن الغلبة كانت للمؤمنين و قيل مسجدا يصلى فيه أصحاب الكهف إذا استيقظوا عن الحسن و قد روى أيضا أن أصحاب الكهف لما دخل صاحبهم إليهم و أخبرهم بما كانوا عنه غافلين من مده مقامهم سألوا الله تعالى أن يعيدهم إلى حالتهم الأولى فأعادهم إليها و حال بين من قصدهم و بين الوصول إليهم بأن أضلهم عن الطريق إلى الكهف الذى كانوا فيه فلم يهتدوا إليه ثم بين سبحانه تنازعهم فى عددهم فقال «سَيَقُولُونَ» أى سيقول قوم من المختلفين فى عددهم «ثَلَاثَةٌ» أى هم ثلاثة «رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَ يَقُولُونَ» أى و يقول آخرون هم «خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ» أى قذفا بالظن من غير يقين عن قتاده «وَ يَقُولُونَ» أى و يقول آخرون هم «سَبْعَةٌ وَ ثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ» و قيل إن هذا إخبار من الله تعالى بأنه سيقع نزاع فى عددهم ثم وقع ذلك لما وفد نصارى نجران إلى النبى ص فجرى ذكر أصحاب الكهف فقالت اليعقوبية منهم: كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم و قالت النسطورية: كانوا خمسة سادسهم كلبهم و قال المسلمون:

كانوا سبعة و ثامنهم كلبهم «قُلْ» يا محمد «رَبِّى أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ» من الناس عن قتاده و قيل قليل من أهل الكتاب عن عطا و قال ابن عباس أنا من ذلك القليل هم سبعة و ثامنهم كلبهم و الأظهر أن يكون عرف ذلك من جهة النبى ص و روى الضحاك عن ابن عباس أنه قال هم مكسليمننا و تملبخا و مرطولس و نينونس و سارينونس و دربونس و كشوطبونس و هو الراعى «فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ» أى فلا تجادل الخائضين فى عددهم و شأنهم «إِلَّا مِرَاءً»

ظاهراً» فيه وجوه (أحدها) أن معناه إلا تجادلهم إلا بما أظهرنا لك من أمرهم عن ابن عباس و قتاده و مجاهد أى لا تجادل إلا بحجه و دلاله و إخبار من الله سبحانه و هو المرء الظاهر (و ثانيها) أن المراد لا تجادلهم إلا جدالاً ظاهراً و هو أن تقول لهم أثبتم عدداً و خالفكم غيركم و كلا القولين يحتمل الصدق و الكذب فهلموا بحجه تشهد لكم (و ثالثها) أن المراد إلا مرء يشهده الناس و يحضرونه فلو أخبرتهم فى غير ملاء من الناس لكذبوا عليك و لبسوا على الضعفه فادعوا أنهم كانوا يعرفونه لأن ذلك من غوامض علومهم «و لا- تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا» معناه و لا تستخبر فى أهل الكهف و فى مقدار عددهم من أهل الكتاب أحداً و لا- تستفتهم من جهتهم عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و الخطاب للنبي ص و المراد غيره لثلاث- يرجعوا فى ذلك إلى مساءله اليهود فإنه كان واثقاً بخبر الله تعالى «و لا تَقُولَنَّ لَشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» قد ذكر فى معناه وجوه (أحدها) أنه نهى من الله تعالى لنبىه ص أن يقول إنى أفعل شيئاً فى الغد إلا أن يقيد ذلك بمشيئه الله تعالى فيقول إن شاء الله قال الأخفش و فيه إضمار القول و تقديره إلا أن تقول إن شاء الله و لما حذف تقول نقل إن شاء الله إلى لفظ الاستقبال فيكون هذا تأديباً من الله للعباد و تعليماً لهم أن يعقلوا ما يخبرون به بهذه اللفظه حتى يخرج عن حد القطع فلا يلزمهم كذب أو حنث إذا لم يفعلوا ذلك لمانع و هذا معنى قول ابن عباس (و ثانيها) أن قوله «أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ» بمعنى المصدر و تعلق بما تعلق به على ظاهره و تقديره و لا تقولن إنى فاعل شيئاً غداً إلا مشيه الله عن الفراء و هذا وجه حسن يطابق الظاهر و لا يحتاج فيه إلى بناء الكلام على محذوف و معناه و لا تقل إنى أفعل إلا ما يشاء الله و يريد و إذا كان الله تعالى لا يشاء إلا الطاعات فكأنه قال لا تقل إنى أفعل إلا الطاعات و لا يطعن على هذا جواز الأخبار عما يفعل من المباحات التى لا يشاءها الله تعالى لأن هذا النهى نهى تنزيه لا نهى تحريم بدلاله أنه لو لم يقل ذلك لم يَأْثَمَ بلا خلاف (و ثالثها) أنه نهى عن أن يقول الإنسان سأفعل غداً و هو يجوز الاخترام قبل أن يفعل ما أخبر به فلا يوجد مخبره على ما أخبر به فهو كذب و لا يأمن أيضاً أن لا يوجد مخبره بحدوث شىء من فعل الله تعالى نحو المرض و العجز و بأن يبدو له هو فى ذلك فلا يسلم خبره من الكذب إلا بالاستثناء الذى ذكره الله تعالى فإذا قال إنى صائر غداً إلى المسجد إن شاء الله آمن من أن يكون خبره هذا كذباً لأن الله تعالى إن شاء أن يلجئه إلى المصير إلى المسجد غداً حصل المصير إليه منه لا محاله فلا يكون خبره هذا كذباً و إن لم يوجد المصير منه إلى المسجد لأنه لم يوجد ما استثناه فى ذلك من مشيئه الله تعالى عن الجبائى و قد ذكرنا فيما قبل ما

جاء فى الروايه أن النبى ص سئل عن قصه أصحاب الكهف و ذى القرنين فقال أخبركم عنه غداً و لم يستثن فاحتبس الوحي عنه

أياما حتى شق عليه فأنزل الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئه الله تعالى

و قوله «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ» فيه وجهان (أحدهما) أنه كلام متصل بما قبله ثم اختلف في ذلك فقيل

معناه و اذكر ربك إذا نسيت الاستثناء ثم تذكرت فقل إن شاء الله و إن كان بعد يوم أو شهر أو سنه عن ابن عباس و قد روى ذلك عن أئمتنا (عليه السلام)

و يمكن أن يكون الوجه فيه أنه إذا استثنى بعد النسيان فإنه يحصل له ثواب المستثنى من غير أن يؤثر الاستثناء بعد انفصال الكلام في الكلام و في إبطال الحث و سقوط الكفاره في اليمين و هو الأشبه بمراد ابن عباس في قوله و قيل فاذا ذكر الاستثناء ما لم تقم من المجلس عن الحسن و مجاهد و قيل فاذا ذكر الاستثناء بأن تندم على ما قطعت عليه من الخبر عن الأصم (و الآخر) أنه كلام مستأنف غير متعلق بما قبله ثم اختلف في معناه فقيل معناه و اذكر ربك إذا غضبت بالاستغفار ليزول عنك الغضب عن عكرمه و قيل إنه أمر بالانقطاع إلى الله تعالى و معناه و اذكر ربك إذا نسيت شيئا بك إليه حاجه بذكره لك عن الجبائي و قيل المراد به الصلاة و المعنى إذا نسيت صلاه فصلها إذا ذكرتها عن الضحاك و السدي قال السيد الأجل المرتضى قدس الله روحه اعلم أن للاستثناء الداخل على الكلام وجوها مختلفه فقد يدخل في الإيمان و الطلاق و العتاق و سائر العقود و ما يجري مجراها من الأخبار فإذا دخل في ذلك اقتضى التوقف عن إمضاء الكلام و المنع من لزوم ما يلزم به و لذلك يصير ما يتكلم به كأنه لا حكم له و لذلك يصح على هذا الوجه أن يستثنى الإنسان في الماضي فيقول قد دخلت الدار إن شاء الله تعالى ليخرج بهذا الاستثناء من أن يكون كلامه خبرا قاطعا أو يلزم به حكم و إنما لم يصح دخوله في المعاصي على هذا الوجه لأن فيه إظهار الانقطاع إلى الله تعالى و المعاصي لا يصح ذلك فيها و هذا الوجه أحد ما يحتمله تأويل الآية و قد يدخل الاستثناء في الكلام و يراد به اللطف و التسهيل و هذا الوجه يختص بالطاعات و لهذا جرى قول القائل لأقضي غدا ما على من الدين أو لأصلي غدا إن شاء الله مجرى أن يقول إني فاعل إن لطف الله تعالى فيه و سهله و متى قصد الحالف هذا الوجه لم يجب إذا لم يقع منه الفعل أن يكون حائثا أو كاذبا لأنه إذا لم يقع علمنا أنه لم يلطف فيه لأنه لا لطف له و هذا الوجه لا يصح أن يقال في الآية لأنه يختص بالطاعات و الآية تتناول كل ما لم يكن قبيحا بدلاله إجماع المسلمين على حسن استثناء ما تضمنه في كل فعل لم يكن قبيحا و قد يدخل الاستثناء في الكلام و يراد به التسهيل و الإقدار و التخليه و البقاء على ما هو عليه من الأحوال و هذا هو المراد إذا دخل في المباحات و هذا الوجه يمكن في الآية و قد يدخل في الكلام استثناء المشيئه في الكلام و إن لم يرد به شيء من المتقدم ذكره بل

يكون الغرض الانقطاع إلى الله تعالى من غير أن يقصد به إلى شىء من هذه الوجوه و يكون هذا الاستثناء غير معتد به في كونه كاذبا أو صادقا لأنه في الحكم كأنه قال لأفعلن كذا أن وصلت إلى مرادى مع انقطاعى إلى الله تعالى و إظهارى الحاجه إليه و هذا الوجه أيضا يمكن فى الآيه و متى تؤمل جملة ما ذكرناه من الكلام عرف به الجواب عن المسأله التى لا يزال يسأل عنها من يذهب إلى خلاف العدل من قولهم لو كان الله تعالى إنما يريد الطاعات من الأفعال دون المعاصى لوجب إذا قال عليه الدين غيره و طالبه به و الله لأعطينك حقك غدا إن شاء الله أن يكون كاذبا أو حانثا إذا لم يفعل لأن الله تعالى قد شاء ذلك منه عندكم و إن كان لم يقع و لكان يجب أن تلزمه به الكفاره و أن لا يؤثر هذا الاستثناء فى يمينه و لا يخرج من كونه حانثا كما أنه لو قال و الله لأعطينك حقك غدا إن قام زيد فقام و لم يعطه يكون حانثا و فى التزلزل الحنث خروج من الإجماع انتهى كلامه رضى الله عنه و قوله «وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَا رَبِّي لِقُرْبٍ مِنْ هَذَا رَشْدًا» معناه قل عسى ربي أن يعطينى من الآيات و الدلالات على النبوه ما يكون أقرب من الرشد و أدل من قصه أصحاب الكهف عن الزجاج ثم إن الله سبحانه فعل به ذلك حيث آتاه من علم غيوب أخبار المرسلين و آثارهم ما هو واضح فى الدلاله و أقرب إلى الرشد من خير أصحاب الكهف و قيل إن معناه ادع الله أن يذكرك إذا نسيت شيئا و قل إن لم يذكرنى الله ذلك الذى نسيت فإنه يذكرنى ما هو أنفع لى منه عن الجبائى.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٥ الى ٢٧]

إشارة

وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا (٢٥) قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا (٢٦) وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا (٢٧)

القراءة

قرأ أهل الكوفة غير عاصم ثلاثمائة سنين مضافا و الباكون بالتثنية و قرأ و لا تشرك بالتاء مجزوما ابن عامر و روح و زيد عن يعقوب و سهل و الباكون «و لا يُشْرِكُ» بالرفع و الياء.

الحجة

قال أبو الحسن: يكون السنين لثلاثمائة قال و لا تحسن إضافه المائة إلى

السنين لأنه لا تكاد العرب تقول مائه سنين قال و هو جائز في ذا المعنى و قد يقوله بعض العرب قال أبو على: و مما يدل على صحه قول من قال «ثلاثمائه سنين» أن هذا الضرب من العدد الذى يضاف فى اللغه المشهوره إلى الأحاد نحو ثلاثمائه رجل و أربعمائه ثوب قد جاء مضافا إلى الجمع فى قول الشاعر:

فما زودونى غير سحق عمامه و خمس مى ء منها قسى و زائف

و ذلك أن قوله مى ء لا- يخلو من أن يكون فى الأصل كأنه فعله فجمع على فعل مثل سدره و سدر أو يكون فعله فجمع على فعول مثل بدره و بدور و مانه و مؤن قال:

" عظيمات الكلاكل و المئون "

و الأولى حملة على فعول و أنه خفف كما يخفف فى القوافى كقوله:

" كنهور كان من أعقاب السمى "

ثم كسر فائه كما يكسر فى نحو حلى و قال غيره إن العرب قد تضع الجمع هنا موضع الواحد لأن الأصل أن تكون الإضافة إلى الجمع قال الشاعر:

ثلاثمئين قد مضين كواملا و ها أنا ذا قد أبتغى مر رابع

فجاء به على الأصل و من نون ثلاثمائه ففى نصب سنين قولان (أحدهما) أن يكون سنين بدلا من ثلاثمائه أو عطف بيان (و الآخر) أن يكون تمييزا كما تقول عندى عشره أرطال زيتا قال الربيع بن ضبيع الفزارى:

إذا عاش الفتى مائتين عاما فقد ذهب اللذاذه و الفتاء

قال الزجاج: و يجوز أن يكون سنين من نعت المائه فيكون مجرورا و هو راجع فى المعنى إلى ثلاث كما قال عنتره:

فيها اثنتان و أربعون حلوبه سودا كخافيه الغراب الأسحم

فجعل سودا نعتا لحلوبه و هو فى المعنى نعت لجملة العدد قال أبو على: لا يمتنع أن يكون الشاعر جعل حلوبه جمعا و جعل سودا وصفا لها و إذا كان المراد به الجمع فلا يمتنع أن

يقع تفسيراً لهذا الضرب من العدد من حيث كان على لفظ الآحاد كما يقال عشرون نفراً و ثلاثون قبيلاً و من قرأ و لا تشرك بالتاء فإنه على النهى عن الإشراك و القراءه الأخرى أشيع و أولى لتقدم أسماء الغيبه و هو قوله «ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ» و المعنى و لا يشرك الله فى حكمه أحداً.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن مقدار مده لبثهم فقال «وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ» معناه و أقام أصحاب الكهف من يوم دخلوا الكهف إلى أن بعثهم الله و اطلع عليهم الخلق ثلاثمائة سنة «وَأَزْدَادُوا تِسْعًا» أى تسع سنين إلا أنه استغنى بما تقدم عن إعادته ذكر تفسير التسع كما يقال عندى مائة درهم و خمسه «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» معناه إن حاجك يا محمد أهل الكتاب فى ذلك فقل الله أعلم بما لبثوا و ذلك أن أهل نجران قالوا أما الثلاثمائة فقد عرفناها و أما التسع فلا علم لنا بها و قيل أن معناه الله أعلم بما لبثوا إلى أن ماتوا و حكى عن قتاده أنه قال قوله «وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ» الآيه حكاية عن قول اليهود و قوى ذلك بقوله «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» فذكر أنه سبحانه العالم بمقدار لبثهم دون غيره و قد ضعف هذا الوجه بأن إخبار الله لا ينبغى صرفها إلى الحكاياه إلا- بدليل قاطع و لو كان الأمر على ما قاله لم تكن مده لبثهم المذكوره و من المعلوم أن الله سبحانه أراد بالآيه الاستدلال على عجب قدرته و باهر آيته و ذلك لا يتم إلا بعد معرفه مده لبثهم فالمراد بقوله «قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا» بعد بيان مده لبثهم إبطال قول أهل الكتاب و اختلافهم فى مده لبثهم فتقديره قل يا محمد الله أعلم بمده لبثهم و قد أخبر بها فخذوا بما أخبر الله تعالى و دعوا قول أهل الكتاب فهو أعلم بذلك منهم «لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» و الغيب أن يكون الشىء بحيث لا يقع عليه الإدراك أى لا- يغيب عن الله سبحانه شىء لأنه لا يكون بحيث لا يدركه فيعلم ما غاب فى السماوات و الأرض عن إدراك العباد «أَبْصَرُ بِهِ وَ أَسْمِعُ» هذا لفظ التعجب و معناه ما أبصره و أسمعه أى ما أبصر الله تعالى لكل مبصر و ما أسمعه لكل مسموع فلا يخفى عليه من ذلك و إنما أخرجه مخرج التعجب على وجه التعظيم و

روى أن يهوديا سأل على بن أبى طالب (عليه السلام) عن مده لبثهم فأخبر بما فى القرآن فقال أنا نجد فى كتابنا ثلاثمائة فقال (عليه السلام) ذاك بسنى الشمس و هذا بسنى القمر

و قوله «ما لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ» أى ليس لأهل السماوات و الأرض من دون الله من ناصر يتولى نصرتهم «وَلَا يُشْرِكُ» الله «فِي حُكْمِهِ أَحَدًا» فلا يجوز أن يحكم حاكم بغير ما حكم الله تعالى به و قيل معناه أنه لا يشرك الله فى حكمه بما يخبر به من الغيب أحداً و على القراءه الأخرى معناه و لا تشرك أنت أيها الإنسان فى حكمه أحداً ثم قال سبحانه لنبىه ص «وَ اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ» أى و اقرأ عليهم ما

أوحى الله إليك من أخبار أصحاب الكهف وغيرهم فإن الحق فيه وقيل معناه اتبع القرآن و اعمل به «لا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِهِ» أى لا مغير لما أخبر الله به فيه و ما أمر به و على هذا فيكون التقدير لا مبدل لحكم كلماته «وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا» معناه إن لم تتبع القرآن فلن تجد من دون الله ملجأ عن مجاهد وقيل حرزا عن ابن عباس وقيل موثلا عن قتاده وقيل معدلا و محيصا عن الزجاج و أبى مسلم و الأقوال متقاربه فى المعنى يقال لحد إلى كذا أو التحد إذا مال إليه.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٢٨ الى ٢٩]

إشاره

وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَ لَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الدُّنْيَا وَ لَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا (٢٨) وَ قَلَّ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَ مَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَ إِنْ يَسْتَعْجِلُوا يُعَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَ سَاءَتْ مُرْتَفَقًا (٢٩)

القراءه

قرأ ابن عامر وحده «بالغداوه» و الباقون «بالغداه» و فى الشواذ قراءه الحسن و لا تعد عينيك و قراءه عمرو بن فائد من أغفلنا قلبه.

الحجه

قال أبو على: أما غدوه فهو اسم موضوع للتعريف و إذا كان كذلك فلا ينبغي أن تدخل عليه الألف و اللام كما لا تدخل على سائر الأعلام و إن كانت قد كتبت فى المصحف بالواو و لم يدل على ذلك كما أنهم كتبوا الصلوه بالواو و هى ألف و حجه من أدخل اللام المعرفه عليها أنه قد يجوز و إن كانت معرفه أن تتنكر كما حكاه أبو زيد من أنهم يقولون لقيته فيه و الفينه بعد الفينه ففينه مثل غدوه فى التعريف بدلاله امتناع الانصراف و قد دخلت عليه لام التعريف و ذلك أن يقدر من أمه كلها له مثل هذا الاسم فيدخل التنكير لذلك و يقوى

هذا تثنيه الإعلام و جمعها و قوله:

" لا هيثم الليله للمطى "

و قولهم أما النضره فلا نضره لك فأجرى مجرى ما يكون شائعا فى الجنس و كذلك الغدوه و أما قوله و لا تعد عينيك فإنه منقول من عدت عيناك إذا جاوزتا و هو من قولهم جاء القوم عدا زيدا أى جاوز بعضهم زيدا ثم نقل إلى أعديت عيني عن كذا أى صرفتها عنه قال الشاعر:

حتى لحقنا بهم تعدى فوارسنا كأننا رعن قف يرفع الآلا

أى تعدى فوارسنا خيلهم عن كذا فحذف المفعول بعد المفعول أو تعديها من عدا الفرس أى جرى و على أن أصلهما واحد لأن الفرس إذا عدا فقد جاوز مكانا إلى غيره و أما من قرأ من أغفلنا قلبه فمعناه و لا تطع من ظننا غافلين عنه و هو من قولهم أغفلت الرجل أى وجدته غافلا قال الأعشى:

أثوى و قصر ليله ليزودا فمضى و أخلف من قتيله موعدا

أى صادفه مخلفا.

اللغه

الفرط التجاوز للحق و الخروج عنه من قولهم أفرط إفراطا إذا أسرف و السرادق الفسطاق المحيط بما فيه و يقال السرادق ثوب يدار حول الفسطاق قال رؤبه:

يا حكم بن المنذر بن الجارود سرادق المجد عليك ممدود

و المهمل خثاره الزيت و قيل هو النحاس الذائب و المرتفق المتكأ من المرفق يقال ارتفق إذا اتكأ على مرفقه قال أبو ذؤيب:

بات الخلى و بت الليل مرتفقا كان عيني فيها الصاب مذبوح

و يقال إنه مأخوذ من الرفق و المنفعه.

النزول

نزلت الآيه الأولى فى سلمان و أبى ذر و صهيب و عمار و حباب و غيرهم من

ص: ٣٠٢

المؤلفه قلوبهم جاءوا إلى رسول الله ص و هم عيينه بن الحصين و الأقرع بن حابس و ذووهم فقالوا يا رسول الله إن جلست فى صدر المجلس و نحيت عنا هؤلاء روائح صنانهم و كانت عليهم جبات الصوف جلسنا نحن إليك و أخذنا عنك فلا يمنعنا من الدخول عليك إلا هؤلاء فلما نزلت الآية قام النبي ص يلتمسهم فأصابهم فى مؤخر المسجد يذكرون الله عز و جل فقال الحمد لله الذى لم يمتنى حتى أمرنى أن أصبر نفسى مع رجال من أمتى معكم المحيا و معكم الممات.

المعنى

ثم أمر الله سبحانه نبيه ص بالصبر مع المؤمنين فقال «وَ اصْبِرْ نَفْسَكَ» يا محمد أى احبس نفسك «مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ» أى يداومون على الصلاة و الدعاء عند الصباح و المساء لا شغل لهم غيره و يستفتحون يومهم بالدعاء و يختمونه بالدعاء «يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» أى رضوانه و قيل يريدون تعظيمه و القربه إليه دون الرياء و السمعه «وَ لَا تَعِدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ» أى و لا تتجاوز عيناك عنهم بالنظر إلى غيرهم من أبناء الدنيا «تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» تريد فى موضع الحال أى مريدا مجالسه أهل الشرف و الغنى و كان النبي ص حريصا على إيمان العظماء من المشركين طمعا فى إيمان أتباعهم و لم يمل إلى الدنيا و زينتها قط و لا- إلى أهلها و إنما كان يلين فى بعض الأحيان للرؤساء طمعا فى إيمانهم فعوتب بهذه الآية و أمر بالإقبال على فقراء المؤمنين و أن لا يرفع بصره عنهم مريدا مجالسه الأشراف «وَ لَا تَطْعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» قيل فى معناه أقوال (أحدها) أن معناه و لا تطع من جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا بتعريضه للغفلة و لهذا قال «وَ اتَّبِعْ هَوَاهُ» و مثله فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ (و ثانيها) أغفلنا قلبه أى نسبنا قلبه إلى الغفلة كما يقال أكفره إذا نسبه إلى الكفر و سماه كافرا كقول الكميت:

و طائفه قد أكفرونى بحبكم و طائفه قالوا مسىء و مذنب

(و ثالثها) أغفلنا قلبه صادفناه غافلا عن ذكرنا كما قالت العرب سألناكم فما أقحمتناكم و قاتلناكم فما أجبتناكم (و رابعها) أغفلنا قلبه أى جعلناه غافلا لم نسمه بسمه قلوب المؤمنين و لم نعلم فيه علامه المؤمنين لتعرفه الملائكة بتلك السمه تقول العرب أغفل فلان ماشيته إذا لم يسمها بسمه تعرف (و خامسها) أن معناه و لا تطع من تركنا قلبه خذلناه و خلىنا بينه و بين الشيطان بتركه أمرنا عن الحسن «وَ اتَّبِعْ هَوَاهُ» أى لا تطع من اتبع هواه فى شهواته و أفعاله

«وَ كَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا» أى سرفا و إفراطا عن مقاتل و الجبائى و قيل تجاوزا للحد عن الأخفش و قيل ضياعا و هلاكا عن مجاهد و السدى قال الزجاج و من قدم العجز فى أمره أضاعه و أهلكه فيكون المعنى فى هذا أنه ترك الإيمان و الاستدلال بآيات الله و اتبع الهوى ثم قال سبحانه «وَقُلْ» يا محمد لهؤلاء الذين أمروك بتنحيه الفقراء «الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ» أى هذا الحق من ربكم يعنى القرآن و قيل معناه الذى أتيتكم به الحق عن الزجاج من ربكم يعنى لم آتكم به من قبل نفسى و إنما أتيتكم به من قبل الله و قيل معناه ظهرت الحجة و وضح الحق من ربكم و زالت الشبهة «فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِرْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ» هذا وعيد من الله سبحانه و إنذار و لذلك عقبه بقوله «إِنَّا أَعْتَدْنَا» و إنما جاز التهديد بلفظ الأمر لأن المهدد كالمأمور بإهانه نفسه و معناه فليختر كل لنفسه ما شاء فإنهم لا ينفعون الله تعالى بإيمانهم و لا يضررونه بكفرهم و إنما يرجع النفع و الضر إليهم «إِنَّا أَعْتَدْنَا» أى هيأنا و أعدنا «لِلظَّالِمِينَ» أى الكافرين الذين ظلموا أنفسهم بعباده غير الله تعالى «نَارًا أَحَاطَ بِهِنَّ سِرَادِقُهَا» و السرادق حائط من نار يحيط بهم عن ابن عباس و قيل هو دخان النار و لهبها يصل إليهم قبل وصولهم إليها و هو الذى فى قوله إلى ظلّ ذى ثلاث شعَبٍ عن قتاده و قيل أراد أن النار أحاطت بهم من جميع جوانبهم فشبّه ذلك فى السرادق عن أبى مسلم «وَ إِنِ يَسْتَعْثِبُوا» من شدة العطش و حر النار «يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ» و هو كل شىء أذيب كالرصاص و النحاس و الصفر عن ابن مسعود و قيل كعكر الزيت إذا قرب إليه سقطت فروه رأسه روى ذلك مرفوعا و قيل كدردى الزيت عن ابن عباس و قيل هو القيح و الدم عن مجاهد و قيل هو الذى انتهى حره عن سعيد بن جبير و قيل أنه ماء أسود و أن جهنم سوداء و ماؤها أسود و شجرها أسود و أهلها سود عن الضحّاك «يَشْوَى الْوُجُوهَ» أى ينضحها عند دنوه منها و يحرقها و إنما جعل سبحانه ذلك إغاثه لاقترائه بذكر الإغاثه «بِئْسَ الشَّرَابُ» ذلك المهل «وَ سَاءَتْ» النار «مُرْتَفَقًا» أى متكئا لهم قيل ساءت مجتمعا مأخوذ من المرافقه و هى الاجتماع عن مجاهد و قيل منزلا و مستقرا عن ابن عباس و عطاء.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٠ الى ٣١]

إشارة

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا - (٣٠) أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِنِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَ حَسْبَتْ مُرْتَفَقًا (٣١)

العدن الإقامه يقال عدن بالمكان يعدن عدنا و الأساور جمع أسوار على حذف الزيادة لأن الأصل أساوير عن قطرب و أبى عبيده و قيل جمع أسوره و أسوره جمع سوار عن الزجاج و هو سوار اليد بالكسر و قد حكى سوار بالضم و السندس ما رق من الديباج واحده سندسه و الإستبرق الغليظ من الديباج و قيل هو الحرير قال المرقش:

تراهن يلبسن المشاعر مره و إستبرق الديباج طورا لباسها

و الأرائك جمع أريكه و هى السرير قال:

خدود جفت فى السير حتى كأنما يباشرن بالمعزاء مس الأرائك

قال الزجاج: الأرائك الفرش فى الحجال قال الأعشى:

بين الرواق و جانب من سترها منها و بين أريكه الأنضاد

. الإعراب .

قيل فى خبر «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أقوال (أحدها) أنه قوله «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» و على هذا فيكون فى الخبر محذوفاً كأنه لا- نضيع أجر من أحسن عملاً- منهم (و الثانى) أن يكون الخبر أولئك لهم جنات عدن و يكون «إِنَّا لَا نُضِيعُ» إلخ اعتراضاً بين الاسم و الخبر (و الثالث) أن المعنى إنا لا نضيع أجرهم لأن من أحسن عملاً فى المعنى هم الذين آمنوا.

المعنى

لما تقدم الوعيد عقبه سبحانه بذكر الوعد فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» من الطاعات «إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا» أى لا نترك أعمالهم تذهب ضياعاً بل نجازيهم و نوفيهم أجورهم من غير بخس «أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ» أى إقامه لهم لأنهم يبقون فيها بقاء الله دائماً أبداً و قيل عدن بطنان الجنة أى وسطها و هى جنه من الجنان عن ابن مسعود و على هذا فإنما جمع لسعتها و لأن كل ناحيه منها تصلح أن تكون جنه «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ» لأنهم على غرف فى الجنة كما قال وَ هُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ و قيل أن أنهار الجنة تجرى فى أخاديد من الأرض فلذلك قال «تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ» «يُحَلَّلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ» أى يجعل لهم فيها حلّى من أساور و قيل أنه يحلى كل

واحد بثلاثة أساور سوار من فضه و سوار من ذهب و سوار من لؤلؤ و ياقوت عن سعيد بن جبير «و يَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَ إِسْتَبْرَقٍ» أى من السديباج الرقيق و الغليظ و قيل إن الإستبرق فارسى معرب أصله إستبره قيل هو السديباج المنسوج بالذهب «مُتَكَيِّئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ» أى متنعمين فى تلك الجنات على السرر فى الحجال و إنما قال متكئين لأن الاتكاء يفيد أنهم ممنعون فى الأمن و الراحة فإن الإنسان لا يتكئ إلا فى حال الأمن و السلامه «نِعَمَ الثَّوَابِ» أى طاب ثوابهم و عظم عن ابن عباس «وَ حَسَنَتْ» الأرائك «مُرْتَفَقًا» أى موضع ارتفاع و قيل منزلا و مجلسا و مجتمعا.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٣٢ الى ٣٦]

إشاره

وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا (٣٢) كَلْنَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكْلَهَا وَ لَمْ تَظْلِمِ مِنْهُ شَيْئًا وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا (٣٣) وَ كَانَ لَهُ ثَمْرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفْرًا (٣٤) وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَ لَنْ رُدُّدْتُ إِلَى رَبِّي لِأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا (٣٦)

القراءه

قرأ أبو جعفر و عاصم و يعقوب و سهل و كان له ثمر و أحيط بثمره فى الموضوعين بالفتح و وافق رويس فى الأول و قرأ أبو عمرو بضم الشاء و سكون الميم فى الموضوعين و الباقون بضم الشاء و الميم فى الحرفين و قرأ أهل الحجاز و ابن عامر خيرا منهما بزياده ميم و كذلك هو فى مصاحفهم و قرأ أهل العراق «منها» بغير ميم.

الحجه

قال أبو على: الثمره ما يجتنى من ذى الثمر و جمعها ثمرات و يجمع على ثمر كبقره و بقر و على ثمار كرقبه و رقاب و على هذا تشبيه المخلوقات بغير المخلوقات و قد يشبه كل واحد منهما بالآخر و يجوز فى القياس أن يكسر ثمار على ثمر ككتاب و كتب و قراءه أبى عمرو و كان له ثمر يجوز أن يكون جمع ثمار كما يخفف كتب و يجوز أن يكون ثمر جمع ثمره

كبدنه و بدن و خشبه و خشب و يجوز أن يكون ثمر واحده كعنق و طنب فعلى أى هذه الوجوه كان جاز إسكان العين منه كذلك فى قوله وَ أَحِيطَ بِثَمَرِهِ و قال بعض أهل اللغة الثمر المال و الثمر المأكول و جاء فى التفسير قريب من هذا قالوا الثمر النخل و الشجر و لم يرد به الثمره و الثمر على ما روى عن عده من السلف بل الأصول التى تحمل الثمره لا نفس الثمر بدلاله قوله فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا أى فى الجنه و النفقه إنما تكون على ذوات الثمره فى أغلب العرف و كانت الآفه التى أرسلت إليها اصطلمت الأصول و اجتاحتها كما جاء فى صفه الجنه الأخرى فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ أى كالليل فى سوادها لاحتراقها و كالنهار فى بياضها و ما بطل من خضرتها بالآفه النازله بها و حكى عن أبى عمرو ثمر و الثمر أنواع المال فإذا اصطلم الثمر فاجتبح دخلت الثمره فيه و لا يمكن أن يصاب الأصل و لا تصاب الثمره و إذا كان كذلك فمن قرأ بثمره و ثمره كان قوله أبين ممن قرأ بالفتح و يجوز القراءه بالفتح كأنه أخبر عن بعض ما أصيب و أمسك عن بعض و قوله «خَيْرًا مِنْهَا» منقلبا فالأفراد لأنه أقرب إلى الجنه المفرده فى قوله «وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ» و التشبيه لتقدم ذكر الجنتين.

اللغه

حف القوم بالشىء إذا أطافوا به و حفافا الشىء جانباه كأنهما أطافا به قال طرفه:

كأن جناحى مضرحى تكنفا حفافيه شكافى العسيب بمسرد

و المحاوره مراجعه الكلام فى المخاطبه و يقال كلمت فلانا فما رجع إلى حوارا و محوره و حويرا.

الإعراب

إنما قال «آتت» على لفظ كلتا فإنه بمنزله كل فى أنه مفرد اللفظ و لو قال أتتا على المعنى لجاز قال الشاعر فى التوحيد:

و كلتاهما قد خط لى فى صحيفتى فلا العيش أهواه و لا الموت أروح.

المعنى

ثم ضرب الله لعباده مثلا يستفيئهم به إلى طاعته و يزرهم عن معصيته و كفران نعمته فقال مخاطبا لنبيه ص «وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ» روى عن ابن عباس أنه قال يريد ابنى ملك كان فى بنى إسرائيل توفى و ترك ابنين و ترك مالا جزيلا فأخذ أحدهما حقه منه و هو المؤمن منهما فتقرب إلى الله تعالى و أخذ الآخر حقه فتملك به ضياعا منها هاتان

الجنة و في تفسير على بن إبراهيم بن هاشم أنه يريد رجلا كان له بستانان كبيران كثيرا الثمار كما حكى سبحانه و كان له جار فقير فافتخر الغنى على الفقير و قال له أنا أكثر منك مالا- و أعز نفرا و هذا أليق بالظاهر «جَعَلْنَا لِأَيْدِيهِمَا جَنَّاتٍ» أى بستانين أجنهما الأشجار «مِنْ أَعْنَابٍ وَ حَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ» أى جعلنا النخل مطيفا بهما «وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا» أى و جعلنا بين البستانين مزرعه فكملت النعمه بالعنب و التمر و الزرع «كَلْتًا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا» أى كل واحد من البستانين آتت غلتها و أخرجت ثمرتها و سماه أكلا لأنه مأكول «وَ لَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا» أى لم تنقص منه شيئا بل أدته على التمام و الكمال كما قال الشاعر:

و يظلمنى مالى كذا و لوى يدي لوى يده الله الذى هو غالبه

أى ينقصنى مالى «وَ فَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا» أى شققنا وسط الجنة نهرًا يسقيهما حتى يكون الماء قريبا منهما يصل إليهما من غير كد و تعب و يكون ثمرهما و زرعهما بدوام الماء فيهما أوفى و أروى «وَ كَانَ لَهُ ثَمَرٌ» قيل إن معناه و كان للنخل الذى فيهما ثمر و قيل معناه و كان للرجل ثمر ملكه من غير جنتيه كما يملكك الناس ثمارا لا يملكون أصلها عن ابن عباس و قيل كان لهذا الرجل مع هذين البستانين الذهب و الفضة عن مجاهد و قيل كان له معهما جميع الأموال عن قتاده و ابن عباس فى روايه أخرى «فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَ هُوَ يُحَاوِرُهُ» أى فقال الكافر لصاحبه المؤمن و هو يخاطبه و يراجعه فى الكلام «أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَ أَعَزُّ نَفْرًا» أى أعز عشيره و رهطا و سمي العشيره نفرا لأنهم ينفرون معه فى حوائجه و قيل معناه أعز خدما و ولدا عن قتاده و مقاتل «وَ دَخَلَ جَنَّتَهُ وَ هُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ» أى و دخل الكافر بستانه و هو ظالم لنفسه بكفره و عصيانه «قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا» أى ما أقدر أن تفنى هذه الجنة و هذه الثمار أبدا و قيل يريد ما أظن هذه الدنيا تفنى أبدا «وَ مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» أى و ما أحسب القيامة آتية كائنه على ما يقوله الموحدون «وَ لَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا» معناه و لئن كانت القيامة و البعث حقا كما يقوله الموحدون لأجدن خيرا من هذه الجنة قال الزجاج و هذا يدل على أن صاحبه المؤمن قد أعلمه أن الساعه تقوم و أنه يبعث فأجابه بأن قال له و لئن رددت إلى ربي أى كما أعطانى هذه فى الدنيا سيعطينى فى الآخرة أفضل منها لكرامتى عليه ظن الجاهل أنه أوتى ما أوتى لكرامته على الله تعالى و قيل معناه لأكتسبن فى الآخرة خيرا من هذه التى اكتسبتها فى الدنيا و من قرأ منهما رد الكنايه إلى الجنة اللتين تقدم ذكرهما و فى هذا دلالة على أنه لم يكن قاطعا على نفى المعاد بل كان شاكا فيه.

إشارة

قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّأَكَ رَجُلًا (٣٧) لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَا لَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتِكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُوَيِّبَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبِحَ مَأْوَاهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١)

وَ أَحِيطَ بِشَمْرِهِ فَاصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا (٤٣) هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا (٤٤)

القراءة

قرأ ابن عامر و ابن فليح و البرجمي و يعقوب «لَكِنَّا» بإثبات الألف في الوصل و الوقف و قرأ الباقون لكن بحذف الألف في الوصل و قرأ البخاري لورش بالوجهين بالوصل و لا خلاف في إثبات الألف في الوقف إلا قتيبه فإنه قرأ بغير ألف في الوصل و الوقف و في الشواذ قراءه أبي بن كعب و الحسن لكن أنا و قراءه عيسى الثقفي لكن هو الله ربي و قرأ البرجمي عن أبي بكر غورا بضم الغين هاهنا و في الملك و قرأ و لم يكن له فته بالياء أهل الكوفة غير عاصم و الباقون «وَلَمْ تَكُنْ» بالتاء و قرأ أبو عمرو «الْوَلَايَةُ» بفتح الواو و لله الحق بالرفع و قرأ الكسائي الولاية بكسر الواو و الحق بالرفع و قرأ حمزه و خلف الولاية بكسر الواو و «الْحَقِّ» بالجور و قرأ الباقون «الْوَلَايَةُ» بفتح الواو و «الْحَقِّ» بالجور و قرأ عاصم و حمزه و خلف «عُقْبًا» ساكنه القاف و الباقون بضم القاف.

قال الزجاج من قرأ لكن بتشديد النون فهو لكن أنا فى الأصل فطرحت الهمزة على النون فتحرّكت بالفتح فصارت لكنن بنونين مفتوحين فاجتمع الحرفان من جنس واحد فأدغمت النون الأولى فى الثانية و حذف الألف فى الوصل لأن ألف أنا تثبت فى الوقف و تحذف فى الأصل فى أجود اللغات نحو أن قمت بغير الألف و يجوز أنا قمت بإثبات الألف و هو ضعيف جدا و من قرأ «لكنّا» فأثبت الألف فى الوصل فإنه على لغه من قال أنا قمت فأثبت الألف قال الشاعر:

أنا شيخ العشيره فاعرفونى حميدا قد تدرت السناما

إلا- أن إثبات الألف فى لكننا هو الجيد لأن الهمزة قد حذفت من أنا فصار إثبات الألف عوضا من الهمزة قال أبو على لا أرى قوله إن إثبات الألف هو الجيد لأنه صار عوضا من الهمزة كما قال لأن هذه الألف تلحق للوقف مثل الهاء فى ما هيئه و حسابيه* و الهاء فى مثل هذا الطرف مثل ألف الوصل فى ذلك الطرف فكما أن إثبات همزة الوصل فى الوصل خطأ كذلك الهاء و الألف فى الوصل خطأ فلا يلزم أن يثبت عوض من الهمزة المحذوفه أ لا ترى أن الهمزة فى ويلمه قد حذفت حذفاً على غير ما يوجهه قياس التخفيف و لا- يعوض منها فإن لا يعوض منها فى التخفيف القياسى أجدر لأن الهمزة هنا فى تقدير الثبات و لو لا ذلك لم يحرك حرف اللين فى نحو جيل فى جبال و مؤونه فى مؤونه قال و قد تجىء هذه الألف مثبتة فى الشعر نحو قول الأعرشى:

فكيف أنا و انتحالى القوافى بعد المشيب كفى ذاك عارا

و قول الآخر:

أنا شيخ العشيره

" البيت " و لا يكون ذلك مختاراً فى القراءه و من قرأ «لكنّا» فى الوصل فإنه يحتمل أمرين (أحدهما) أن يجعل الضمير المتصل مثل المنفصل الذى هو نحن فيدغم النون من لكن لسكونها فى النون من علامه الضمير فيكون على هذا «لكنّا» بإثبات الألف وصلاً و وقفاً لا غير أ لا ترى أن أحداً لا يحذف الألف من نحو فعلنا و قوله «هُوَ» من «هُوَ اللَّهُ رَبِّي» ضمير الحديث و القصه كما أنه فى قوله فإذا هي شاخصه و قوله قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ كذلك و التقدير الأمر الله أحد لأن هذا الضمير يدخل على المبتدأ و الخبر فيصير المبتدأ و الخبر موضع خبره كما أنه فى أن و كأن و ظننت و ما يدخل على المبتدأ و الخبر كذلك و عاد الضمير على الضمير الذى دخلت عليه لكن على المعنى و لو عاد على اللفظ لكان لكنا

هو الله ربنا و دخلت لكن مخففه على الضمير كما دخلت في قوله **إِنَّا مَعَكُمْ** * و الوجه الآخر أن سيويوه حكى أنه سمع من يقول أعطنى أبيضه فشدد و الحق الهاء بالشديد للوقف و الهاء مثل الألف في سبسا و الياء في عيهلى و أجرى الهاء مجراها في الإطلاق كما كانت مثلها في نحو قوله:

صفيه قومی و لا تجزعی و بکی النساء على حمزه

فهذا الذى حكاه سيويوه في الكلام و ليس في شعر و كذلك الآيه يكون الألف فيها كالهاء و لا يكون الهاء للوقف ألا ترى أن الهاء للوقف لا- يبين بها المعرب و لا- ما ضارع المعرب فعلى أحد هذين الوجهين يكون قول من أثبت الألف في الوصل أو عليهما جميعا و لو كانت فاصله لكانت مثل **فَأَضْمُونَا السَّبِيلَا** و أما قراءه أبى لكن أنا فهى الأصل في قراءه الجماعه لكن على ما تقدم بيانه لأن ألف أنا محذوف في الوصل قال الشاعر:

و ترمينى بالطرف أى أنت مذنب و تقلينى لكن إياك لا ألقى

أى لكن أنا و أنا مرفوع بالابتداء و خبره الجملة المركبه من المبتدأ و الخبر التى هى **«هُوَ اللَّهُ رَبِّي»** و العائد على المبتدأ من الجملة الياء في ربي و من قرأ لكن هو الله ربي فإعرابه واضح و أما من قرأ غورا فيمكن أن يكون غورا لغه في غور و إنما جاز أن يقع المصدر موقع الصفة للمبالغه كما قال الشاعر:

تظل جياده نوحا عليه مقلده أعتتها صفونا

و أما قوله و لم يكن له فتهه بالياء فإن الياء و التاء هنا حسن و أما قوله هنالك الولايه لله الحق فقد حكى أبو عبيده عن أبى عمرو إن الولايه هنا لحن لأن الكسر في فعاله يجىء فيما كان صنعه و معنى متقلدا كالكتابه و الإماره و الخلافه و ما أشبه ذلك و ليس هنا معنى تولى أمر إنما هو الولايه من الدين و كذلك التى فى الأنفال ما **لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ** و قال بعض أهل اللغه: الولايه النصر يقال هم أهل ولايه عليك أى متناصرون عليك و الولايه و الولايه و الولايه السلطان قال و قد يجوز الفتح فى هذه و الكسر فى تلك كما قالوا الوكاله و الوكاله و الوصايه و الوصايه بمعنى واحد فعلى هذا يجوز الكسر فى الولايه فى هذا الموضع و من كسر القاف من **«الْحَقُّ»** فجعله من وصف الله تعالى و صفه بالحق و هو مصدر كما وصفه بالعدل و السلام و المعنى ذو الحق و ذو السلام و كذلك الإله معنى ذو العباده و يدل عليه قوله **وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ** و من رفع الحق جعله صفه للولايه و معنى وصف الولايه بالحق أنه لا

يشوبها غيره ولا يخاف فيها ما يخاف في سائر الولايات من غير الحق و أما قوله «عُقْبًا» فإن ما كان على فعل جاز تخفيفه على ما تقدم ذكره.

اللغة

أصل الحسابان السهام التي ترمى لتجرى في طلق واحد و كان ذلك من رمى الأساوره و أصل الباب الحساب و إنما يقال لما يرمى به حسابان لأنه يكثر كثره الحساب قال الزجاج: الصعيد الطريق الذي لا نبات فيه و الزلق الأرض الملساء المستويه لا نبات فيها و لا شئ ء و أصل الزلق ما تزلق عنه الأقدام فلا يثبت عليه.

الإعراب

«ما شاء الله» يحتمل أن يكون ما رفعاً و تقديره الأمر ما شاء الله فيكون موصولاً و الضمير العائد إليه يكون محذوفاً لطول الكلام و يجوز أن يكون التقدير ما شاء الله كائن و يحتمل أن يكون ما في موضع نصب على معنى الشرط و الجزاء و يكون الجواب محذوفاً و تقديره أى شئ ء شاء الله كان و مثله في حذف الجواب قوله «فَإِنْ اسْتِطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الْأَرْضِ» «إِنْ تَرِنَ أَنَا أَقَلَّ» أقل منصوب بأنه مفعول ثانٍ لترن و أنا إن شئت كان توكيداً أو وصفاً لياء المتكلم و إن شئت كان فصلاً كما تقول كنت أنت القائم يا هذا قاله الزجاج و يجوز رفع أقل و قد قرأ بها عيسى بن عمر فيكون أنا مبتدأ و أقل خبره و الجملة في موضع نصب بأن يكون المفعول الثاني لترنى و قوله «فَعَسَى» الفاء جواب قوله «إِنْ تَرِنَ» و «ثَوَابًا» و «عُقْبًا» منصوبان على التمييز.

المعنى

ثم بين سبحانه جواب المؤمن للكافر فقال «قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ» أى يخاطبه و يجيبه مكفراً له بما قاله «أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ» يعنى أصل الخلقه أى خلق أباك من تراب و هو آدم (عليه السلام) و قيل لما كانت النطفه خلقها الله سبحانه بمجرد العاده من الغذاء و الغذاء ينبت من تراب جاز أن يقول خلقك من تراب «ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّأَكَ رَجُلًا» أى نقلك من حال إلى حال حتى جعلك بشراً سوياً معتدلاً الخلقه و القامه و إنما كفره بإنكاره المعاد و فى هذا دلالة على أن الشك فى البعث و النشور كفر «لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي» تقديره لكن أنا أقول هو الله ربي و خالقي و رازقى فإن افتخرت على بدنياك فإن افتخارى بالتوحيد «وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا» أى لا أشرك بعبادتي إياه أحداً سواه بل أوجهها إليه وحده خالصاً و إنما استحال الشرك فى العباده لأنها لا تستحق إلا بأصول النعم و بالنعمه التى لا يوازنها نعمه منعم و ذلك لا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى ثم قال «وَلَوْ لَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» معناه و قال لصاحبه الكافر هلا حين دخلت بستانك فرأيت تلك الثمار و الزرع شكرت الله تعالى و قلت ما شاء الله كان و إنى و إن تعبت فى جمعه و عمارته

فليس ذلك إلا- بقدره الله و تيسيره و لو شاء لحال بينى و بين ذلك و لنزع البركه عنه فإنه لا يقوى أحد على ما فى يديه من النعمه إلا بالله و لا يكون له إلا ما شاء الله ثم رجع إلى نفسه فقال «إِنْ تَرَنْ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَ وَلدًا فَعسى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ» معناه إن كنت ترانى اليوم فقيرا أقل منك مالا و عشيره و أولادا فلعل الله أن يؤتيني بستانا خيرا من بستانك فى الآخره أو فى الدنيا و الآخره «وَ يُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ» أى و يرسل على جنتك عذابا أو نارا من السماء فيحرقها عن ابن عباس و قتاده و قيل يرسل عليها عذاب حسبان و ذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك عن الزجاج و قيل و يرسل عليها مرامى من عذابه إما بردا و إما حجاره أو غيرهما مما يشاء من أنواع العذاب «فَتُضَيِّحُ صَيِّعِدًا زَلَقًا» أى أرضا مستويه لا نبات عليها تزلق عنها القدم فتصير أضر أرض من بعد أن كانت أنفع أرض «أَوْ يُضَيِّحُ مَأْوَاهَا غَوْرًا» أى غائرا ذاهبا فى باطن غامض منقطعا فيكون أعدم أرض للماء بعد أن كانت أوجد أرض للماء «فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا» أى فلن تقدر على طلبه إذا غار و لا يبقى له أثر تطلبه به فلن تستطيع رده قيل معناه فلن تستطيع طلب غير ذلك الماء بدلا عنه إلى هنا انتهى مناظره صاحبه و إنذاره ثم قال سبحانه «وَ أُحِيطَ بِثَمَرِهِ» معناه أهلك و أحيط العذاب بأشجاره و نخيله فهلكت عن آخرها تقول أحيط بينى فلان إذا هلكوا عن آخرهم و أصل الإحاطه إداره الحائط على الشىء و

فى الخبر أن الله عز و جل أرسل عليها نارا فأهلكها و غار ماؤها

«فَأُضَيِّحُ» هذا الكافر «يُقَلَّبُ كَفَيْهِ» تأسفا و تحسرا «على ما أنفقَ فيها» من المال و هو أن يضرب يديه واحده على الأخرى عن ابن عباس و تقلب الكفين يفعله النادم كثيرا فصار عباره عن الندم «وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرْوَتِهَا» أى ساقطه على سقوفها و ما عرش لكرومها و ذلك أن السقف ينهدم أولا- ثم ينهدم الحائط على السقف و قيل إن العروش الأبنيه و معناه خاليه على بيوتها قد ذهب شجرها و بقيت جدرانها لا خير فيها «وَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا» ندم على الكفر لفناء ماله لا لوجوب الإيمان فلم ينفعه و لو ندم على الكفر فآمن بالله تحقيقا لانتفع به و قيل إنه ندم على ما كان منه من الشرك بالله تعالى و آمن «وَ لَمْ تَكُنْ لَهُ فِتْنَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى لم يكن لهذا الكافر جماعه يدفعون عذاب الله عنه و قيل الفئه الجند قال العجاج:

" كما يجوز الفئه الكمى "

«وَ مَا كَانَ مُتَّصِرًا» أى و ما كان ممتنعا عن قتاده قيل معناه و ما كان مستردا بدل ما ذهب عنه قال ابن عباس و هذان الرجلان هما اللذان ذكرهما الله تعالى فى سورة الصافات فى قوله «إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ» يقول أ إنك لمن المصدقين إلى قوله «فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ» و

روى هشام بن سالم و أبان بن عثمان عن الصادق (عليه السلام) قال عجبت لمن خاف كيف لا يفرع إلى قوله سبحانه «حَسْبُنَا اللَّهُ»

وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ بِعَقْبِهَا «فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ مَنِ اللَّهُ وَفَضْلِ لَمْ يَمَسَسِ لَهُمْ سُوءٌ» وَعَجِبْتُ لِمَنْ اغْتَمَّ كَيْفَ لَا يَفْزَعُ إِلَى قَوْلِهِ «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ» إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ سَبْحَانَهُ يَقُولُ بِعَقْبِهَا «فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ» وَعَجِبْتُ لِمَنْ مَكَرَ بِهِ كَيْفَ لَا يَفْزَعُ إِلَى قَوْلِهِ «وَافْوُضْ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ» فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ بِعَقْبِهَا «فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا» وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَرَادَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا كَيْفَ لَا يَفْزَعُ إِلَى قَوْلِهِ «مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» فَإِنِّي سَمِعْتُ اللَّهَ يَقُولُ بِعَقْبِهَا «فَعَسَى رَبِّي أَنْ يُؤْتِيَنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ» وَعَسَى مُوجِبُهُ

وَقَوْلِهِ «هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ» أَخْبَرَ سَبْحَانَهُ إِنْ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي يَتَنَازَعُ فِيهِ الْكَافِرُ وَالْمُؤْمِنُ الْوَلَايَةَ بِالنَّصْرِ وَالْإِعْزَازِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَهُوَ الَّذِي يَتَوَلَّى أَمْرَ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ وَيَمْلِكُ النَّصْرَةَ لِمَنْ أَرَادَ وَقِيلَ هُنَالِكَ إِشَارَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَتَقْدِيرُهُ الْوَلَايَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ اللَّهُ يَرِيدُ يَوْمَئِذٍ يَتَوَلَّى اللَّهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَتَّبِعُونَ مَا كَانُوا يَعْبُدُونَ عَنِ الْقَتِيبِيِّ وَقِيلَ مَعْنَاهُ هُنَالِكَ يَنْصُرُ الْمُؤْمِنِينَ وَيَخْذُلُ الْكَافِرِينَ فَالْوَلَايَةُ يَوْمَئِذٍ خَالِصَةٌ لَهُ لَا يَمْلِكُهَا أَحَدٌ مِنَ الْعِبَادِ «هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا» أَيُّهُ أَوْ أَفْضَلُ ثَوَابًا مِمَّنْ يَرْجَى ثَوَابًا عَلَى تَقْدِيرِ لَوْ كَانَ يَثِيبُ غَيْرُهُ لَكَانَ هُوَ خَيْرَ ثَوَابًا «وَخَيْرٌ عُقْبًا» أَيُّهُ عَاقِبُهُ طَاعَتُهُ خَيْرٌ مِنْ عَاقِبِهِ طَاعَتُهُ غَيْرُهُ فَهُوَ خَيْرُ عَقْبٍ طَاعَهُ ثُمَّ حُذِفَ الْمُضَافُ إِلَيْهِ وَالْعَقْبُ وَالْعَقْبِيُّ وَالْعَاقِبَةُ بِمَعْنَى.

إشارة

وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا (٤٥) الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا (٤٦) وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا (٤٧) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَيِّفًا لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا (٤٨) وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظِلُّمُ رَبُّكَ أَحَدًا (٤٩)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو و ابن عامر و يوم تسير بضم التاء و فتح الياء الجبال رفع و الباقون «نُسَيِّرُ» بالنون و كسر الياء و «الْجِبَالَ» نصب.

الحج

قال أبو علي حججه من بنى الفعل للمفعول به قوله «وَسَيِّرَتِ الْجِبَالَ» و قوله «وَإِذَا الْجِبَالَ سُيِّرَتْ» و من قرأ «نُسَيِّرُ» فلأنه أشبه بما بعده من قوله «وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا».

اللغة

الهشيم ما يكسر و يحطم من يبس النبات و الذر و التذرية تطير الريح الأشياء الخفيفة في كل جهه يقال ذرته الريح تذرره و ذرته و أذرته و أذريت الرجل عن الدابه إذا ألقىته عنها قال الشاعر:

فقلت له صوب و لا تجهدنه فيذكرك من أخرى القطاه فترلق

و المغادره الترك و منه الغدر لأن ترك الوفاء و منه الغدير لترك الماء فيه و الإشفاق الخوف من وقوع مكروه مع تجويز أن لا يقع و أصله الرقه و منه الشفق الحمره الرقيقه التي تكون في السماء و شفقه الإنسان على ولده رفته عليه.

الإعراب

صفا نصب على الحال أى مصفوفين. «أَلَّنْ نَجْعَلَ» أن هذه مخففه من الثقيله و «أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» خبره و قال قد كتبت فى المصحف اللام مفصولة و لا وجه له.

«لا يُغَادِرُ» فى موضع نصب على الحال.

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه ص أن يضرب المثل للدنيا تزهيدا فيها و ترغيبا في الآخرة فقال «وَ اضْرِبْ» يا محمد «لَهُمْ مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
كَمَا أَنْزَلْنَاهُ مِنْ

ص: ٣١٥

السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ» أى نبت بذلك الماء نبات التف بعضه ببعض يروق حسنا و غضاضه و هذا مفسر فى سورة يونس (عليه السلام) «فَأَصْبَحَ هَشِيمًا» أى كسيرا مفتتا «تَذْرُوهُ الرِّيحُ» فتنقله من موضع إلى موضع فانقلاب الدنيا كانقلاب هذا النبات (وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) أى قادرا لا- يجوز عليه المنع قال الحسن أى كان الله مقتدرا على كل شىء قبل كونه قال الزجاج و تأويله أن ما شاهدتم من قدرته ليس بحادث و أنه كذلك كأن لم يزل هذا مذهب سيبويه و قيل إنه إخبار عن الماضى و دلاله على المستقبل و هذا المثل إنما هو للمتكبرين الذين اغتروا بأموالهم و استنكفوا عن مجالسه فقراء المؤمنين أخبرهم الله سبحانه أن ما كان من الدنيا لا يراد الله سبحانه به فهو كالنبت الحسن على المطر لا ماده له فهو يروق ما خالطه ذلك الماء فإذا انقطع عنه عاد هشيمًا لا ينتفع به ثم قال «الْمَالُ وَ الْبُنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أى يتفاخر بهما و يتزين بهما فى الدنيا و لا ينتفع بهما فى الآخرة و إنما سماهما زينه لأن فى المال جمالا و فى البنين قوه و دفعا فصارا زينه الحياه الدنيا و كلاهما لا يبقى للإنسان فينتفع به فى الآخرة «وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ» و هى الطاعات لله تعالى و جميع الحسنات لأن ثوابها يبقى أبدا عن ابن عباس و قتاده «خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا» أى أفضل ثوابا و أصدق أملا من المال و البنين و سائر زهرات الدنيا فإن من الآمال كواذب و هذا أمل لا يكذب لأن من عمل الطاعة وجد ما يأمله عليها من الثواب و قيل إن الباقيات الصالحات هى ما كان يأتي به سلمان و صهيب و فقراء المسلمين و هو سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر عن ابن عباس فى روايه عطا و مجاهد و عكرمه و

روى أنس بن مالك عن النبى ص أنه قال لجلسائه خذوا جنتكم قالوا احذر عدو قال خذوا جنتكم من النار قولوا سبحان الله و الحمد لله و لا- إله إلا الله و الله أكبر فإنهم المقدمات و هن المجيبات و هن المعقبات و هن الباقيات الصالحات و رواه أصحابنا عن أبى عبد الله (عليه السلام) عن آباءه عن النبى ص ثم قال و لذكر الله أكبر قال ذكر الله عند ما أحل أو حرم

و

روى عن النبى ص أنه قال إن عجزتم عن الليل أن تكابدوه و عن العدو أن تجاهدوه فلا تعجزوا عن قول سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر فإنهن من الباقيات الصالحات فقولوها

و قيل

هى الصلوات الخمس عن ابن مسعود و سعيد بن جبير و مسروق و النخعى و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و

روى عنه أيضا أن من الباقيات الصالحات القيام بالليل لصلاه الليل

و قيل إن الباقيات الصالحات هن البنات الصالحات و الأولى حملها على العموم فيدخل فيها جميع الطاعات و الخيرات و

فى كتاب ابن عقده أن أبا عبد الله (عليه السلام) قال للحصين بن عبد الرحمن يا حصين لا تستصغر مودتنا فإنها من الباقيات

الصالحات قال يا ابن رسول الله ما استصغرها و لكن أحمد الله عليها

و إنما سميت الطاعات صالحات لأنها أصلح الأعمال للمكلف من حيث أمر بها و وعد الثواب عليها و توعده بالعقاب على تركها «و يَوْمَ نَسِيرُ الْجِبَالِ» قيل إنه يتعلق بما قبله و تقديره و الباقيات الصالحات خير ثوابا في هذا اليوم و قيل إنه ابتداء كلام و تقديره و اذكر يوم نسير الجبال يعنى يوم القيامة، و تسيير الجبال قلعها عن أماكنها فإن الله سبحانه يقلعها و يجعلها هباء منثورا و قيل نسيها على وجه الأرض كما نسير السحاب فى السماء ثم يجعلها كثيبا مهيلا كما قال «يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَ الْجِبَالُ» الآية ثم يصيرها كالعهن المنفوش ثم يصيرها هباء منبثا فى الهواء كما قال وَ بُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا فَكَانَتْ هَبَاءً مُتَّبَثًا ثم يصيرها بمنزله السراب كما قال وَ سُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا «وَ تَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً» أى ظاهره ليس عليها شىء من جبل أو بناء أو شجر يسترها عن عيون الناظرين و قيل إن معناه و ترى باطن الأرض ظاهرا قد برز من كان فى بطنها فصاروا على ظهرها عن عطا و تقديره و ترى ما فى الأرض بارزا فهو مثل

قول النبي ص ترمى الأرض بأفلاذ كبدها

«وَ حَشَرْنَا هُمْ» أى و بعثناهم من قبورهم و جمعناهم فى الموقف «فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا» أى فلم نترك منهم أحدا إلا حشرناه «وَ عَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ» يعنى المحشورين يعرضون على الله تعالى يوم القيامة «صِفَاءً» أى مصفوفين كل زمرة و أمه صفا و قيل يعرضون صفا بعد صف كالصفوف فى الصلاة و قيل يعرضون صفا واحدا لا يحجب بعضهم بعضا و يقال لهم «لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ» معناه لقد جئتمونا ضعفاء فقراء عاجزين فى الموضع الذى لا يملك فيه الحكم غيرنا كما كنتم فى ابتداء الخلق لا تملكون شيئا و قيل معناه ليس معكم شىء مما اكتسبتموه فى الدنيا من الأموال و الأولاد و الخدم تنتفعون به كما كنتم فى أول الخلق و

روى عن النبي ص أنه قال يحشر الناس من قبورهم يوم القيامة حفاه عراه غرلا فقالت عائشه يا رسول الله أ ما يستحى بعضهم من بعض فقال ص لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ

«يَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا» أى و يقال لهم أيضا بل زعتم فى دار الدنيا أن الله لم يجعل لكم موعدا للبعث و الجزاء و الحساب يوم القيامة «وَ وُضِعَ الْكِتَابُ» أى و وضع الكتب فإن الكتاب اسم جنس و المعنى و وضعت صحائف بنى آدم فى أيديهم و قيل معناه و وضع الحساب فعبر عن الحساب بالكتاب لأنهم يحاسبون على أعمالهم المكتوبة عن الكلبي «فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ» أى خائفين مما فيه من الأعمال السيئه «وَ يَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا» هذه لفظه يقولها الإنسان إذا وقع

فى شده فى دعوى على نفسه بالويل و الثبور «ما لهذا الكتاب» أى أى شىء لهذا الكتاب «لا يُعَادِرُ صَغيرَهُ وَ لا كَبيرَهُ إِلاَّ أَحْصاها» أى لا يترك صغيره من الذنوب و لا كبيره إلا عدّها و أثبتها و حواها و قد مر تفسير الصغيره و الكبيره فى سورة النساء و أنت الصغيره و الكبيره بمعنى الفعله و الخصله «وَ وَحِدُوا ما عَمِلُوا حاضِرًا» أى مكتوبًا فى الكتاب مثبتًا و قيل معناه وجدوا جزء ما عملوا حاضرًا فجعل وجود الجزء كوجود الأعمال توسعاً «وَ لا يَظَلِّمُ رَبُّكَ أَحَدًا» معناه و لا ينقص ربك ثواب محسن و لا يزيد فى عقاب مسيء و فى هذا دلالة على أنه سبحانه لا يعاقب الأطفال لأنه إذا كان لا يزيد فى عقوبه المذنب فكيف يعاقب من ليس بمذنب.

[سورة الكهف (١٨): الآيات ٥٠ الى ٥٢]

إشارة

وَ إِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنِ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَ ذُرِّيَّتَهُ أَوْلِياءَ مِنْ دُونى وَ هُمْ لَكُمْ عِدُوٌّ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) ما أَشْهَدْتُهُمْ خَلَقَ السَّماءاتِ وَ الأَرْضِ وَ لا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ وَ ما كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا (٥١) وَ يَوْمَ يَقُولُ نادُوا شُرَكَائى الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَ جَعَلنا بَينَهُمْ مَوْبِقًا (٥٢)

القراءة

قرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بالنون على التعظيم و الباقون «ما أشهدتُهُمْ» بالتاء و قرأ حمزه و يوم نقول بالنون و الباقون بالياء.

الحجة

من قرأ نقول بالنون حملة على ما تقدم فى المعنى فكما أن كنت للمتكلم فكذلك نقول و من قرأ بالياء فحجته أن الكلام قد انقضى فالمعنى و يوم يقول الله نادوا شركائى و هذا يقوى القراءة بالياء لأنه لو كانت بالنون لكان الأشبه أن يقول نادوا شركاءنا.

اللغة

الفسق الخروج إلى حال تضر يقال فسقت الرطبه إذا خرجت من قشرها

ربهم إذا أطاعوا إبليس عن الحسن وقيل بس البدل طاعه الشيطان عن طاعه الرحمن عن قتاده «ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم مستعينا بهم على ذلك ولا استعنت ببعضهم على خلق بعض وهذا إخبار عن كمال قدرته واستغناؤه عن الأنصار والأعوان ويدل عليه قوله «وما كنت متخذ المصنئين عتداً» أى الشياطين الذين يضلون الناس أعواناً يعضدوننى عليه وكثيراً ما يستعمل العضد بمعنى العون وإنما وحده هنا لوفاق الفواصل وقيل إن معنى الآية أنكم اتبعتن الشيطان كما يتبع من يكون عنده علم لا ينال إلا من جهته وإنما ما أطلعتهم على خلق السماوات والأرض ولا على خلق أنفسهم ولم أعطهم العلم بأنه كيف تخلق الأشياء فمن أين تتبعونهم وقيل معناه ما أحضرت مشركى العرب وهؤلاء الكفار خلق السماوات والأرض ولا خلق أنفسهم أى وما أحضرت بعضهم خلق بعض بل لم يكونوا موجودين فخلقتهم فمن أين قالوا إن الملائكة بنات الله ومن أين ادعوا ذلك «وَيَوْمَ يَقُولُ» يريد يوم القيامة يقول الله للمشركين وعبده الأصنام «نادوا شركائى الذين زعمتم» فى الدنيا أنهم شركائى ليدفعوا عنكم العذاب «فَدَعَوْهُمْ» يعنى المشركين يدعون أولئك الشركاء الذين عبدوهم مع الله «فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ» أى فلا يستجيبون لهم ولا ينفعونهم شيئاً «وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ» أى بين المؤمنين والكافرين «مَوْبِقاً» وهو اسم واد عميق فرق الله به سبحانه بين أهل الهدى وأهل الضلالة عن مجاهد و قتاده وقيل بين المعبودين وعبدهم موبقاً أى حاجزاً عن ابن الأعرابى أى فأدخلنا من كانوا يزعمون أنهم معبودهم مثل الملائكة والمسيح والجنه وأدخلنا الكفار النار وقيل معناه جعلنا تواصلهم فى الدنيا موبقاً أى مهلكاً لهم فى الآخرة عن الفراء وروى ذلك عن قتاده وابن عباس فالين على هذا القول معناه التواصل والمعنى أن تواصلهم وتوادهم فى الكفر صار سبب هلاكهم فى الآخرة وقيل موبقاً عداوه عن الحسن فكأنه قال عداوه مهلكه وروى عن أنس بن مالك أنه قال الموبق واد فى جهنم من قبح ودم.

النظم

وجه اتصال قوله «ما أشهدتهم خلق السماوات والأرض» بما قبله أنه يتصل اتصال الحجة التى تكشف حيره الشبهه لأنه بمنزله أن يقال إنكم قد أقبلتم على اتباع إبليس وذريته وتركتم أمر الله تعالى مع كثره الحجج ولو أشهدتهم خلق السماوات والأرض لم يزيدوا على ما فعلتم من اتباعهم وقيل إنه سبحانه بين بذلك أنه المتفرد بالخلق والاختراع لا شريك له فيه فلا ينبغى أن تشركوا معه فى العباده غيره أو تدعوا غيره إليها.

إشارة

وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا (٥٣) وَ لَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا (٥٤) وَ مَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَ يَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سِنَّةٌ الْأُولَى أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا (٥٥) وَ مَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ وَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ مَا أَنْذَرْتُهُمْ هُزُورًا (٥٦)

القرءاءة

قرأ أهل الكوفة «قُبُلًا» بضمهم و الباقون قبلا.

الحجة

قد ذكرنا الوجه في سوره الأنعام.

اللغة

المواقعه ملابسه الشىء بشده و منه وقائع الحروب و أوقع به إيقاعا و التوقع الترقب لوقوع الشىء و المصرف المعدل قال أبو كثير:

أزهير هل عن شبيهه من مصرف أم لا خلود لبازل متكلف

و التصريف تنقيح المعنى فى الجهات المختلفه و الإدحاض الإذهاب بالشىء إلى الهلاك و مكان دحض أى مزلق مزل لا يثبت عليه خف و لا حافر و لا قدم قال:

" و حاد كما حاد البعير عن الدحض "

. الإعراب

«أَنْ يُؤْمِنُوا» فى موضع نصب و المعنى ما منع الناس من الإيمان إلا طلب أن يأتيهم فيكون أن يأتيهم فى موضع رفع «وَمَا أَنْذَرْتُهُمْ» فى موضع نصب عطفا على «آيَاتِي» و «هُزُورًا» هو المفعول الثانى لاتخذوا.

المعنى

ثم بين سبحانه حال المجرمين فقال «وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ» يعنى

المشركين رأوا النار و هي تتلظى حنقا عليهم عن ابن عباس و قيل هو عام في أصحاب الكبائر «فَطَنُوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُهَا» أى علموا أنهم داخلون فيها واقعون في عذابها «وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا» أى معدلا و موضعا ينصرفون إليه ليتخلصوا منها «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا» أى بينا «فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ» و تصريفها ترديدها من نوع واحد و أنواع مختلفه ليتفكروا فيها و قد مر تفسيره فى بنى إسرائيل «وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا» يريد بالإنسان النضر بن الحارث عن ابن عباس و يريد أبى بن خلف عن الكلبي و قال الزجاج: معناه و كان الكافر يدل عليه قوله وَ يُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ «وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى وَ يَسْتَتْفِرُوا رَبَّهُمْ» معناه ما منعهم من الإيمان بعد مجيئ الدلاله و من أن يستغفروا ربهم على ما سبق من معاصيهم «إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ مِنَ الْأُولَى» أى إلا طلب أن تأتيهم العاده فى الأولين من عذاب الاستئصال حيث آتاهم العذاب من حيث لا يشعرون حين امتنعوا من قبول الهدى و الإيمان «أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا» أو طلب أن يأتيهم العذاب عيانا مقابله من حيث يرونه و تأويله أنهم بامتناعهم من الإيمان بمنزله من يطلب هذا حتى يؤمنوا كرها لأنهم لا يؤمنون حتى يروا العذاب الأليم و هذا كما يقول القائل لغيره ما منعك أن تقبل قولى إلا أن تضرب على أن المشركين قد طلبوا مثل ذلك فقالوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ و من قرأ قبلا- فهو فى معنى الأول و يجوز أن يكون أيضا جمع قبيل و هو الجماعه أى يأتيهم العذاب ضروبا من كل جهه ثم بين سبحانه أنه قد أزاح العله و أظهر الحججه و أوضح المحججه فقال «وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ» أى لم نرسل الرسل إلى الخلق إلا مبشرين لهم بالجنه إذا أطاعوا أو مخوفين لهم بالنار إذا عصوا «وَيُجَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ» أى و يناظر الكفار دفعا عن مذاهبهم بالباطل «لِيُذْهِبُوا بِهِ الْحَقَّ» أى ليزيلوا الحق عن قراره قال ابن عباس: يريد المستهزئين و المقتسمين و أتباعهم و جدالهم بالباطل أنهم ألزموه أن يأتى بالآيات على أهوائهم على ما كانوا يقترحونه ليطلوا به ما جاء به محمد ص يقال أدحضت حجته أى أبطلتها «وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي» يعنى القرآن «وَمَا أُنذِرُوا» أى ما تخوفوا به من البعث و النار «هُزُوعًا» مهزوا به استهزءوا به.

إشارة

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا (٥٧) وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثِقًا (٥٨) وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا (٥٩)

القراءة

قرأ حفص عن عاصم «لِمَهْلِكِهِمْ» بفتح الميم و كسر اللام و كذلك في النمل ما شهدنا مهلكك وقرأ حماد و يحيى عن أبي بكر بفتح الميم و اللام وقرأ الأعشى و البرجمي عنه هاهنا بالضم و هناك بالفتح وقرأ الباقون لمهلكهم و مهلك بضم الميم و فتح اللام.

الحج

من قرأ لمهلكهم فإن المهلك يجوز أن يكون مصدرا و يجوز أن يكون وقتا فيكون معناه لإهلاكهم أو لوقت إهلاكهم و من قرأ «لِمَهْلِكِهِمْ» فالمراد لوقت هلاكهم و من قرأ بفتح الميم و اللام فهو مصدر مثل الهلاك و قد حكى أن تميما يقول هلكني زيد و على هذا حمل بعضهم قوله:

" و مهمه هالك من تعرجا "

فقال هو بمعنى مهلك فيكون هالك مضافا إلى المفعول به و إذا لم يكن بمعنى مهلك يكون هالك مضافا إلى الفاعل مثل حسن الوجه و كذلك قوله «لِمَهْلِكِهِمْ» على قراءة حفص أو لمهلكهم بفتح اللام و الميم فإنه مصدر فعلى قول من عدى هلكت يكون مضافا إلى المفعول به و على قول من لم يعده يكون مضافا إلى الفاعل.

الإعراب

«تِلْكَ الْقُرَى» تلك رفع بالابتداء و القرى صفة لها مبينه لها و «أَهْلَكْنَاهُمْ» فى موضع رفع بأنه خبر المبتدأ و يجوز أن يكون موضع تلك القرى نصبا بفعل مضمر يكون أهلكتناهم مفسرا لذلك الفعل و تقديره و أهلكتنا تلك القرى أهلكتناهم.

المعنى

ثم قال سبحانه «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا» معناه ليس أحد أظلم لنفسه ممن ذكر أى وعظ بالقرآن و آياته و نبه على أدله التوحيد فأعرض عنها جانبا «وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ» أى نسى المعاصى التى استحق بها العقاب و قيل معناه تذكر و اشتغل عنه استخفافا به و قله معرفه بعاقبته لأنه نسى ذلك ثم قال سبحانه «إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ

أَكِنَّهُ» و هي جمع كنان «أَنْ يَفْقَهُوهُ» أى كراهه أن يفقهوه أو لئلا يفقهوه «وَفِي آذَانِهِمْ وَقُرْأً» أى ثقلا و قد تقدم بيان هذا فيما مضى و جملته أنه على التمثيل كما قال فى موضع آخر وَ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقُرْأً فالمعنى كان على قلوبهم أكنه أن يفقهه و فى آذانهم وقرا أن يسمع «وَ إِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا» أخبر سبحانه أنهم لا يؤمنون أبدا و قد خرج مخبره موافقا لخبره فماتوا على كفرهم «وَ رَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ» معناه و ربك الساتر على عباده الغافر لذنوب المؤمنين ذو النعمه و الإفضال على خلقه و قيل الغفور التائب ذو الرحمه للمصر بأن يمهل و لا يعجل و قيل الغفور لا يؤاخذهم عاجلا ذو الرحمه يؤخرهم ليتوبوا «لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ» فى الدنيا «بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ» و هو يوم القيامه و البعث «لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا» أى ملجأ عن ابن عباس و قتاده و قيل محرزا عن مجاهد و قيل منجا ينجيهم عن أبى عبيد قال: يقال لا وألت نفسه أى لا نجت قال الأعشى:

و قد أخالس رب البيت غفلته و قد يحاذر منى ثم لا يئل

و قال الآخر:

لا وألت نفسك خليتها للعامرين و لم تكلم

«وَ تِلْكَ الْقُرَىٰ» إشاره إلى قرى عاد و ثمود و غيرهم «أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا» بتكذيب أنبياء الله و جحود آياته «وَ جَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ» أى و جعلنا لوقت إهلاكهم أو لوقت هلاكهم «مَوْعِدًا» معلوما يهلكون فيه لمصلحه اقتضت تأخيره إليه و إنما قال سبحانه «تِلْكَ الْقُرَىٰ» ثم قال «أَهْلَكْنَاهُمْ» و لم يقل أهلكناها لأن القرية هى المسكن نحو المدينه و البلده و هى لا تستحق الهلاك و إنما يستحق الهلاك أهلها و لذلك قال «لَمَّا ظَلَمُوا» يعنى أهل القرية الذين أهلكناهم.

ص: ٣٢٤

إشارة

وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (٦٠) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (٦١) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (٦٢) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَ اتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (٦٣) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّ عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا (٦٤)

القراءة

قرأ حفص «و ما أنسانيه» بضم الهاء و فى الفتح بما عاهد عليه الله بضم الهاء و الباقون بكسر الهاء من غير بلوغ الياء إلا ابن كثير فإنه يثبت الياء فى الوصل و قد تقدم القول فى وجه ذلك.

اللغة

لا أبرح أى لا أزال و لو كان معناه لا أزول كان محالاً لأنه إذا لم يزل من مكانه لم يقطع أرضاً قال الشاعر:

و أبرح ما أدام الله قومی رخی البال منتطقاً مجيداً

أى لا أزال و الحقب الدهر و الزمان و جمعه أحقاب قال الزجاج: و الحقب ثمانون سنة و السرب المسلك و المذهب و معناه فى اللغة المحفور فى الأرض لا نفاذ له و يقال للذهاب فى الأرض سارب قال الشاعر:

أنى سربت و كنت غير سروب و تقرب الأحلام غير قريب

و النصب و الوصب و التعب نظائر و هو الوهن الذى يكون على الكد.

الإعراب

«سَرَبًا» منصوب على وجهين أحدهما أن يكون مفعولاً ثانياً لاتخذ كما يقال اتخذت طريقى مكان كذا و اتخذت طريقى فى السرب و الآخر أن يكون مصدرًا يدل عليه اتخذ سبيله فى البحر فكأنه قال فسرب الحوت سرى و قوله «أَنْ أَذْكُرَهُ» فى موضع نصب بدل من الهاء فى أنسانيه و المعنى و ما أنسانى أن أذكره إلا الشيطان و «عَجَبًا» منصوب على وجهين (أحدهما) أن يكون على قول يوشع اتخذ الحوت سبيله فى البحر عجباً (و الآخر) أن يكون قال يوشع و اتخذ سبيله فى البحر فأجابه موسى (عليه السلام) فقال عجباً فكأنه قال أعجب

عجبا و «قَصِيصاً» وضع موضع الحال تقديره يقصان الأثر قصصا و القصص اتباع الأثر و قال أحد المحققين عجبا في موضع حال تقديره قال ذلك متعجبا و قصصا مصدر لفعل مضمر يدل عليه قوله «فَارْتَدَّا» على آثارهما فإن معناه فاقصصا الأثر.

النزول

ذكر علي بن إبراهيم في تفسيره قال لما أخبر رسول الله ص قريشا بخبر أصحاب الكهف قالوا أخبرنا عن العالم الذي أمر الله موسى (عليه السلام) أن يتبعه من هو كيف تبعه و ما قصته فأنزل الله تعالى.

المعنى

«وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَتَاهُ» أكثر المفسرين على أنه موسى بن عمران و فتاه يوشع بن نون و سماه فتاه لأنه صحبه و لازمه سفرا و حضرا للتعلم منه و قيل لأنه كان يخدمه و لهذا قال له «آتِنَا غَدَاءَنَا» و هو يوشع بن نون بن أفرايم بن يوسف بن يعقوب و قال محمد بن إسحاق يقول أهل الكتاب إن موسى الذي طلب الخضر هو موسى بن ميثا بن يوسف و كان نبيا في بني إسرائيل قبل موسى بن عمران إلا- أن الذي عليه الجمهور أنه موسى بن عمران و لأن إطلاقه يوجب صرفه إلى موسى بن عمران كما أن إطلاق محمد ص ينصرف إلى نبينا ص

قال علي بن إبراهيم حدثني محمد بن علي بن بلال قال اختلف يونس و هشام بن إبراهيم في العالم الذي أتاه موسى أيهما كان أعلم و هل يجوز أن يكون على موسى حجه في وقته و هو حجه الله على خلقه فكتبوا إلى أبي الحسن الرضا (عليه السلام) يسألونه عن ذلك فكتب في الجواب أتى موسى العالم فأصابه في جزيره من جزائر البحر فسلم عليه موسى فأنكر السلام إذ كان بأرض ليس بها سلام قال من أنت قال أنا موسى بن عمران قال أنت موسى بن عمران الذي كلمه الله تكليما قال نعم قال فما حاجتك قال جئت لتعلمني مما علمت رشدا قال إني و كلت بأمر لا تطيقه و و كلت بأمر لا أطيقه

الخبر بطوله «لا- أَبْرُحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ» معناه لا- أزال أمضى و أمشى و لا أسلك طريقا آخر حتى أبلغ ملتقى البحرين بحر فارس و بحر الروم و مما يلي المغرب بحر الروم و مما يلي المشرق بحر فارس عن قتاده و قال محمد بن كعب هو طنجه و روى عنه إفريقيه و كان وعد أن يلقي عنده الخضر «أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا» أي دهرا عن ابن عباس و قيل سبعين سنة عن مجاهد و قيل ثمانين سنة عن عبد الله بن عمر «فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا» أي فلما بلغ الموضع الذي يجتمع فيه رأس البحرين «نَسِيَا حُوتَهُمَا» أي تركاه و قيل إنه ضل الحوت عنهما حين اتخذ سبيله في البحر سربا فسمى ضلاله عنهما نسيانا منهما له و قيل إنه من النسيان الناسى له كان أحدهما و هو يوشع، فأضيف النسيان إليهما كما يقال نسي القوم زادهم إذا نسيه متعهد أمرهم و قيل إن النسيان وجد منهما جميعا

فإن يوشع نسي أن يحمل الحوت أو أن يذكر موسى ما قد رأى من أمره و نسي موسى أن يأمره فيه بشىء فصار كل واحد منهما ناسيا لغيره ما نسيه الآخر و قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا» أى فاتخذ الحوت طريقه فى البحر مسلكا يذهب فيه و ذلك أن موسى و فتاه تزودا حوتا مملوحا عن ابن عباس و قيل حوتا طريا عن الحسن ثم انطلقا يمشيان على شاطئ البحر حتى انتهيا إلى صخره على ساحل البحر فأويا إليها و عنده عين ماء تسمى عين الحياه فجلس يوشع بن نون و توضأ من تلك العين فانتضح على الحوت شىء من ذلك الماء فعاش و وثب فى الماء و جعل يضرب بذيئه الماء فكان لا يسلك طريقا فى البحر إلا صار الماء جامدا فذلك معنى قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا» «فَلَمَّا جَاوَزَا» ذلك المكان «قَالَ» موسى «لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا» قيل إنهما انطلقا بقيه يومهما و ليلتهما فلما كان من الغد قال موسى ليوشع آتينا غداءنا أى أعطنا ما نتغدى به و الغداء طعام الغداء و العشاء طعام العشى و الإنسان إلى الغداء أشد حاجه منه إلى العشاء «لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا» أى تعبنا و شدة قالوا إن الله تعالى ألقى على موسى الجوع ليتذكر حديث الحوت «قَالَ» له يوشع عند ذلك «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ» و معناه أن يوشع تذكر قصه الحوت لما دعا موسى بالطعام ليأكل فقال له أ رأيت حين رجعنا إلى الصخره و نزلنا هناك فإنى تركت الحوت و فقدته و قيل نسيته و نسيته حديثه و قيل فيه إضمار أى نسيته أن أذكر لك أمر الحوت ثم اعتذر فقال «وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ» و ذلك أنه لو ذكر لموسى (عليه السلام) قصه الحوت عند الصخره لما جاوزها موسى و لما ناله النصب الذى أشكاه و لم يلتق فى سفره النصب إلا يومئذ «وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا» أى سبيلا عجبا و هو أن الماء انجاب عنه و بقى كالكوه لم يلتئم و قيل إن كلام يوشع قد انقطع عند قوله «فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ» فقال موسى عند ذلك عجبا كيف كان ذاك و قيل إن معناه و اتخذ موسى سبيل الحوت فى البحر عجبا عن ابن عباس و المعنى دخل موسى الكوه على إثر الحوت فإذا هو بالخضر «قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ» قال موسى (عليه السلام) ذلك ما كنا نطلب من العلامه «فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا» أى رجعا و عادا عودهما على بدئهما فى الطريق الذى جاء منه يقصان آثارهما «فَصَيَّصَا» أى و يتبعانها و يوشع أمام موسى (عليه السلام) حتى انتهيا إلى مدخل الحوت.

[القصه]

سعيد بن جبير عن ابن عباس قال أخبرنى أبى بن كعب قال خطبنا رسول الله ص فقال إن موسى قام خطيبا فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم قال أنا فعتب الله عليه إذا لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه أن لى عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك قال

ص: ٣٢٧

موسى يا رب فكيف لى به قال تأخذ معك حوتا فتجعله فى مكثل ثم انطلق و انطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى إذا أتيا الصخره وضعا رءوسهما فناما و اضطرب الحوت فى المكثل فخرج منه فسقط فى البحر و اتخذ سبيله فى البحر سربا و أمسك الله عن الحوت جريه الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسى صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقيه يومهما و ليلتهما حتى إذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال و لم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذى أمر الله تعالى به فقال فتاه «أَرَأَيْتَ إِذْ أَوْيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ» الآية قال و كان للحوت سربا و لموسى و لفتاه عجبا فقال موسى «ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ» الآية قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخره فوجدا رجلا مسجى بثوب فسلم عليه موسى فقال الخضر و أنى بأرضك السلام قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم أتيتك لتعلمنى مما علمت رشدا قال إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا يا موسى إنى على علم من علم الله لا تعلمه علمنيه و أنت على علم من علم الله علمك لا أعلمه أنا فقال له موسى سَيَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا فقال له الخضر فَإِنْ أَتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا فانطلقا يمسيان على ساحل البحر فمرت سفينه و كلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوه بغير قول فلما ركبا فى السفينه لم يفتأ إلا و الخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينه بالقدم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتكم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرأ قال أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا قَالَ و قال رسول الله ص كانت الأولى من موسى (عليه السلام) نسيانا و قال و جاء عصفور فوق على حرف السفينه فنقر فى البحر نقره فقال له الخضر ما علمى و علمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينه فبينما هما يمسيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر رأسه بيده فأقلعه فقتله فقال له موسى أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا قَالَ و هذه أشد من الأولى قال إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي إِلَى قَوْلِهِ يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ كَانَ مَائِلا فقال الخضر (عليه السلام) بيده فأقامه فقال موسى (عليه السلام) قوم قد أتيناكم فلم يطعمونا و لم يضيفونا لو شئت لَأَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ فقال رسول الله ص وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما

قال سعيد بن جبیر كان ابن عباس يقرأ و كان أمامهم ملك يأخذ كل سفينه صالحه غضبا و كان يقرأ

و أما الغلام فكان كافرا و كان أبواه مؤمنين رواه البخارى و مسلم فى الصحيحين و

روى أصحابنا عن أبى عبد الله (عليه السلام) أيضا أنه كان يقرأ كل سفينه صالحه غصبا و روى ذلك أيضا عن أبى جعفر قال و
هى قراءه أمير المؤمنين (عليه السلام)

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٦٥ الى ٧٥]

اشاره

فَوَجِدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (٦٥) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَني مِمَّا عَلَّمْتَ
رُشْدًا (٦٦) قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٦٧) وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا (٦٨) قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَ لَا
أَعْصِي لَكَ أَمْرًا (٦٩)

قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْتَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا (٧٠) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَ خَرَقْتَهَا
لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا (٧١) قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٢) قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسَيْتَ وَ لَا تُزْهِقْنِي مِنْ
أَمْرِي عُسْرًا (٧٣) فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَ قَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا (٧٤)

قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا (٧٥)

القراءه

قرأ أبو عمرو و يعقوب رشدا بالفتح و الباقون «رُشْدًا» بضم الراء و سكون الشين و قرأ فلا تستلني مشدده النون مدني شامى و
الباقون خفيفه النون و لم يخالفوا فى إثبات الياء فيه وصلا و وقفا لأنها مثبتة فى جميع المصاحف و قرأ ليغرق بفتح الياء و الراء
أهلها بالرفع كوفى غير عاصم و الباقون «لِتُغْرِقَ» بضم التاء «أَهْلَهَا» بالنصب و قرأ «زَكِيَّةً» بغير ألف كوفى و شامى

و سهل و الباقون زاكيه و قرأ نكرا بضمتمين مدنى غير إسماعيل و أبو بكر و يعقوب و سهل و ابن ذكوان و الباقون «نُكراً» ساكنه الكاف.

الحجبه

قال أبو على الرشد و الرشد لغتان و قد أجرى العرب كل واحد منهما مجرى الآخر فقالوا أسد و أسد و خشب و خشب فجمعوا فعلا- على فعل ثم فعلا أيضا على فعل و ذلك قوله وَ الْفُلُكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ و فى آيه أخرى فِي الْفُلُكِ الْمَشْحُونِ* فهذا يدللك على أنهم أجروهما مجرى واحد و من قرأ فلا تسئلنى بالتشديد فإنه لما أدخل النون الثقيله بنى الفعل معها على الفتح قال و القراءه بالتاء فى «لُتْغِرَقَ» أولى ليكون الفعل مسندا إلى المخاطب كما كان المعطوف عليه كذلك و هو أ خرقتها و هذا يأتى فى معنى الياء أيضا لأنهم إذا أغرقهم غرقوا و قوله «نُكراً» فعل و هو من أمثله الصفات قالوا ناقه أجد و مشيه سحج فمن خفف ذلك كما يخفف نحو العنق و الطنب و الشغل فالتخفيف فيه مستمر.

اللغه

الأمر الداهيه العظيمه قال الشاعر:

لقد لقي الأقران منى نكرا داهيه دهياء إذا إمرا

و هو مأخوذ من الأمر لأنه الفاسد الذى يحتاج أن يؤمر بتركه إلى الصلاح و منه رجل إمرا إذا كان ضعيف الرأى لأنه يحتاج أن يؤمر حتى يقوى رأيه و منه أمر القوم أى كثروا و معناه احتاجوا إلى من يأمرهم و ينهاهم و منه الأمر من الأمور أى الشىء الذى من شأنه أن يؤمر فيه.

الإعراب

قوله «رُشِداً» يجوز أن ينتصب على أنه مفعول له و يكون المعنى هل أتبعك للرشد أو لطلب الرشد على أن تعلمنى فيكون «على أن تُعَلِّمَنِ» حالا من قوله «أَتَّبِعْكَ» و يجوز أن يكون قوله «رُشِداً» مفعولا به و تقديره أتبعك على أن تعلمنى رشدا مما علمته و يكون العلم الذى يتعدى إلى مفعول واحد فيتعدى بتضعيف العين إلى مفعولين و المعنى على أن تعلمنى أمرا ذا رشد و علما ذا رشد أو خبرا نصب على المصدر و المعنى لم يخبره خبرا.

المعنى

«فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا» أى صادف موسى و فتاه و أدركا عبدا من عبادنا قائما على الصخره يصلى و هو الخضر (عليه السلام) و اسمه بليا بن ملكان و إنما سمى خضرا لأنه إذا صلى فى مكان أخضر ما حوله و

روى مرفوعا أنه قعد على فروه بيضاء فاهتزت تحته خضراء

و قيل إنه رآه على طنفسه خضراء فسلم عليه فقال و عليك السلام يا نبى بنى إسرائيل فقال له موسى و ما أدراك من أنا و من

أخبرك أنى نبى قال من ذلك على و اختلف فى هذا العبد فقال

ص: ٣٣٠

بعضهم إنه كان ملكا أمر الله تعالى موسى أن يأخذ عنه ما حملة إياه من علم بواطن الأشياء و قال الأكثرون إنه كان من البشر ثم اختلفوا فقال الجبائي وغيره أنه كان نبيا لأنه لا يجوز أن يتبع النبي من ليس بنبي ليتعلم منه العلم لما في ذلك من الغضاضة على النبي و كان ابن الإخشيد يجوز أن لا يكون نبيا و يكون عبدا صالحا أودعه الله من علم باطن الأمور ما لم يودعه غيره و هذا ليس بالوجه و متى قيل كيف يكون نبي أعلم من موسى فى وقته قلنا يجوز أن يكون الخضر خص بعلم ما لا يتعلق بالأداء فاستعلم موسى من جهته ذلك العلم فقط و إن كان موسى أعلم منه فى العلوم التى يؤديها من قبل الله تعالى «آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا» يعنى النبوه و قيل طول الحياه «وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا» أى علما من علم الغيب عن ابن عباس و

قال الصادق (عليه السلام) كان عنده علم لم يكتب لموسى (عليه السلام) فى الألواح و كان موسى يظن أن جميع الأشياء التى يحتاج إليها فى تابوته و أن جميع العلم قد كتب له فى الألواح

«قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا» أى علما ذا رشد قال قتاده لو كان أحد مكتفيا من العلم لاكتفى نجى الله موسى و لكنه قال «هَلْ أَتَّبِعُكَ» الآية عظمه (عليه السلام) بهذا القول غايه التعظيم حيث أضاف العلم إليه و رضى باتباعه و خاطبه بمثل هذا الخطاب و الرشده العلوم الدينيه التى ترشد إلى الحق و قيل هو علوم الألفاف الدينيه التى تخفى على الناس «قَالَ الْعَالَمُ إِنَّكَ لَنْ تَسْتِطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» أى يثقل عليك الصبر و لا يخف عليك و لم يرد أنه لا يقدر على الصبر و إنما قال ذلك لأن موسى (عليه السلام) كان يأخذ الأمور على ظواهرها و الخضر كان يحكم بما علمه الله من بواطنها فلا يسهل على موسى مشاهدته ذلك ثم قال «وَ كَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا» أى كيف تصبر على ما ظاهره عندك منكر و أنت لم تعرف باطنه و لم تعلم حقيقته و الخبر العلم و فى هذا دلالة على أنه لم يرد بقوله «لَنْ تَسْتِطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» نفى الاستطاعه للصبر لأنه لو أراد ذلك لكان لا يستطيع الصبر سواء علم أو لم يعلم «قَالَ» موسى «سَيَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا» أى اصبر على ما أرى منك «وَ لَا أُعْصِي لَكَ أَمْرًا» تأمرنى به و لا أخالفك فيه قال الزجاج: و فيما فعله موسى (عليه السلام) و هو من جمله الأنبياء من طلب العلم و الرحله فيه ما يدل على أنه لا ينبغى لأحد أن يترك طلب العلم و إن كان قد بلغ نهايته و أنه يجب أن يتواضع لمن هو أعلم منه و إنما قيد (عليه السلام) صبره بمشيئه الله لأنه أخبر به على ظاهر الحال فجوز أن لا يصبر فيما بعد بأن يعجز عنه فقال إن شاء الله ليخرج بذلك من أن يكون كاذبا «قَالَ» الخضر له «فَإِنْ اتَّبَعْتَنِي» و اقتفيت أثرى «فَلَا تَسْتَيْمِلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّى أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا» أى لا تسألنى عن شىء أفعله مما تنكره و لا تعلم باطنه حتى أكون أنا الذى أفسره لك «فَأَنْطَلَقَا» يمسيان على شاطئ البحر «حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا»

و معناه أنهما أرادا أن يعبرا في البحر إلى أرض أخرى فأتيا معبرا فعرف صاحب السفينه الخضر (عليه السلام) فحملهما فلما ركبا في السفينه خرق الخضر (عليه السلام) السفينه أى شقها حتى دخلها الماء وقيل إنه قلع لوحين مما يلي الماء فحشاها موسى (عليه السلام) بثوبه و «قال» منكرأ عليه «أَخْرَقْتُهَا لِتُغْرَقَ أَهْلُهَا» و لم يقل لنغرق و إن كان فى غرقها غرق جميعهم لأنه أشفق على القوم أكثر من إشفاقه على نفسه جريا على عادة الأنبياء ثم قال بعد إنكاره ذلك «لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً إِمْرًا» أى منكرأ عظيما يقال أمر الأمر أمرا إذا كبر و الأمر الاسم منه ف «قال» له الخضر «أَلَمْ أَقُلْ» لك «إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» أى ألم أقل حين رغبت فى اتباعى إن نفسك لا تطاوعك على الصبر معى فتذكر موسى ما بذل له من الشرط ثم «قال» معتذرا مستقيلا «لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ» أى غفلت من التسليم لك و ترك الإنكار عليك و هو من النسيان الذى هو ضد الذكر و روى عن أبى ابن كعب قال إنه لم ينس و لكنه من معاريض الكلام و قيل بما تركت من وصيتك و عهدك عن ابن عباس و على هذا فيكون من النسيان بمعنى الترك لا بمعنى الغفلة و السهو «وَلَا تُزْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا» أى لا تكلفنى مشقه تقول أرهقته عسرا إذا كلفته ذاك و المعنى عاملنى باليسر و لا تعاملنى بالعسر و لا تضيق على الأمر فى صحبتى إياك «فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ» و معناه فخرجا من البحر و انطلقا يمشيان فى البر يعنى موسى و الخضر و لم يذكر يوشع لأنه كان تابعا لموسى أو كان قد تأخر عنهما و هو الأظهر لاختصاص موسى بالنبوه و اجتماعه مع الخضر (عليه السلام) فى البحر فلقيا غلاما يلعب مع الصبيان فذبحه بالسكين عن سعيد بن جبير و كان من أحسن أولئك الغلمان و أصبحهم و قيل صرعه ثم نزع رأسه من جسده و قيل ضربه برجله فقتله و قال الأصم كان شابا بالغاً لأن غير البالغ لا يستحق القتل و قد يسمى الرجل غلاما قالت لیلی الأخيلية:

شفاها من العضال الذى بها غلام إذا هز القناه سقاها

«قال أ قَتَلْتُ نَفْسًا زَكِيَّةً» أى طاهره من الذنوب و زكيه بريئه من الذنوب و قيل الزاكيه التى لم تذنّب و الزكيه التى أذنبت ثم تابت حكى ذلك عن أبى عمرو بن العلاء و قيل الزكيه أشد مبالغه من الزاكيه عن تغلب و قيل الزاكيه فى البدن و الزكيه فى الدين «بَغَيْرِ نَفْسٍ» أى بغير قتل نفس يريد القود «لَقَدْ جِئْتُ شَيْئاً نُكْرًا» أى قطعيا منكرأ لا يعرف فى شرع و المنكر أشد من الأمر عن قتاده و إنما قال ذلك لأن قلبه صار كالمغلوب عليه حين رأى قتله «قال» العالم «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا» أعاد هذا القول لتأكيد الأمر عليه و التحقيق لما قاله أولا مع النهى عن العود بمثل سؤاله.

إشاره

قَالَ إِنْ سَأَلْتِكَ عَنْ شَيْءٍ بَعِيدٍ فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا (٧٦) فَانطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَى أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَتَعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا (٧٧) قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٧٨) أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا (٧٩) وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِمَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا (٨٠)

فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَوَةً وَ أَقْرَبَ رُحْمًا (٨١) وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَ يَسْرِتَّخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا (٨٢)

القراءه

قرأ يعقوب بروايه روح و زيد فلا- تصحبنى و الباقون «فَلا تُصَاحِبْنِي» و قرأ أهل المدينه و أبو بكر عن عاصم من لدنى خفيفه النون و الباقون «لَمَدْنِي» بالتشديد و قرأ ابن كثير و أهل البصره لتخذت بكسر الخاء مخففه و ابن كثير يظهر منه الذال و الباقون «لَاتَّخَذْتُ» و عاصم يظهر الذال و الآخرون يدغمون و قرأ أهل المدينه و أبو عمرو أن يبديلهما بفتح الباء و تشديد الدال و كذلك فى التحريم أن يبدله و فى القلم أن يبدلنا و الباقون بسكون الباء و تخفيف الدال و قرأ

رحما بضم الحاء أبو جعفر و ابن عامر و عاصم و عباس و يعقوب و سهل و الباقون بسكون الحاء و فى الشواذ

قراءه النبى ص جدارا يريد أن ينقض بضم الياء و قراءه على بن أبى طالب (عليه السلام) و عكرمه و يحيى بن يعمر ينقاص

بصاد غير معجمه و بالألف و قراءه عبد الله و الأعمش يريد لينقض.

الحجج

من قرأ فلا تصحبنى فمعناه لا تكون صاحبى و من قرأ «فَلَا تُصَاحِبْنِي» فمعناه إن طلبت صحبتك فلا تتابعنى على ذلك و أما قوله «مَنْ لَدُنِّي» فإن الأجود تشديد النون لأن أصل لدن الإسكان فإذا أضفتها إلى نفسك زدت نونا لتسلم سكون النون الأولى تقول من لدن زيد و من لدنى كما تقول عن زيد و عنى و من قرأ لدنى لم يجز له أن يقول عنى لأن لدن اسم غير متمكن و من و عن حرفان جاء المعنى و لدن مع ذلك أثقل من من و عن و الدليل على أن الأسماء يجوز فيها حذف النون قولهم قدنى فى معنى حسبى و يجوز قدى قال:

(قدنى من نصر الخبيين قدى)

فجاء باللغتين و قال أبو زيد: اتخذنا مالا نتخذه اتخاذا و اتخذت اتخذت تخذا و قال أبو على: وجه الإدغام أن هذه الحروف متقاربه فيدغم بعضها فى بعض كما يدغم سائر المتقاربه فالتاء و الدال و الطاء و الظاء و الذال و الثاء يدغم بعضها فى بعض للمقاربه فأما الصاد و السين و الزاء فيدغم بعضها فى بعض و يدغم فيها الحروف الستة و لا يدغم فى الستة لما يختل من إدغامها فى مقاربه من الصفير و أما قوله «أَنْ يُبَدِّلَهُمَا» فإن أدل و بدل متقاربان فى المعنى كما أن أنزل و نزل كذلك و أما قوله رحما فإن الرحم و الرحم هاهنا الرحمه قال رؤبه:

يا منزل الرحم على إدريس و منزل اللعن على إبليس

قال ابن جنى: قوله «يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ» معناه قد قارب أو شارف ذلك فهو عائد إلى معنى يكاد و قد جاء ذلك عنهم و نشد أبو الحسن:

كادت و كدت و تلك خير إرادته لو عاد من لهو الصبا به ما مضى

و حسن هنا لفظ الإرادة لأنه أقوى فى وقوع الفعل و ذلك أنها داعيه إلى وقوعه و هى

أيضا لا- تصح إلا- مع الحياه و لا- يصح الفعل إلا لذى الحياه و ليس كذلك كاد لأنه قد يقارب الأمر ما لا حياه له نحو ميل الحائط و إشراق ضوء الفجر و ينقص أى ينكسر يقال قصته نقاص قال:

فراق كقيص السن فالصبر إنه لكل أناس كسره و جبور

و قالوا أيضا قضته فإنقاص بضاد معجمه يعنى هدمته فانهدم قال:

(كأنها هدم فى الجفر منقاص)

و قراءه العامه «يَنْقُضُ» يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون ينفعل من القضه و هى الحصى الصغار (و الآخر) أن يكون يفعل من نقضت الشىء كقراءه النبى ص يريد أن ينقض فيكون كيزور و يرعوى و نحوهما مما جاء من غير الألوان و العيوب و من قرأ لينقض فإن شئت قلت اللام زائده فيه و احتججت فيه بقراءه النبى ص و إن شئت قلت تقديره إرادته لكذا كقولك قيامه لكذا و جلوسه لكذا ثم وضع الفعل موضع مصدره كما أنشد أبو زيد:

فقالوا ما تشاء فقلت لهوا إلى الإصباح آثر ذى أثير

أى اللهو فوضع ألهو موضع مصدره و أنشد أيضا:

و أهلكنى لكم فى كل يوم تعوجكم على و أستقيم

أى و استقامتى و كاللام هنا اللام فى قوله:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثل لى ليلى بكل سبيل

فيحتمل اللام هنا الوجهين اللذين تقدم ذكرهما.

اللغه

الانقضاض السقوط بسرعه قال ذو الرمه:

(فانقضض كالكوكب الدرى منصلتا)

و الوراء و الخلف واحد و هو نقيض جهه القدام و يستعمل وراء بمعنى القدام أيضا على الاتساع لأنها جهه مقابله لجهه فكان كل واحد من الجهتين وراء الأخرى قال الشاعر:

أ ترجو بنو مروان سمعى و طاعتى و قومى تميم و الفلاه ورائيا

و قال لبيد:

أليس وراثي إن تراخت منيتي لزوم العصا تحنو عليها الأصابع

ص: ٣٣٥

وقال الفراء: يجوز ذلك في الزمان دون الأجسام قال علي بن عيسى وغيره: ويجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر والإرهاق إدراك الشيء بما يغشاه و رهنه الفارس أى غشيه و أدركه غلام مراهق إذا قارب أن يغشاه حال البلوغ و يقال أرهنه أمرا أى ألحقه إياه قال الأزهرى: الرهن جهل الإنسان و أرهنه عسرا كلفه إياه و

جاء في الحديث كان النبي ص إذا دخل مكة مراهقا خرج إلى عرفه

أى ضاق عليه الوقت.

الإعراب

قال الزجاج: قوله «هذا فراق بيني و بينك» زعم سيبويه أن معنى مثل هذا التوكيد يعنى هذا فراق بيننا أى هذا فراق اتصالنا و مثله من الكلام أخزى الله الكاذب منى و منك و هذا لا يكون إلا بالواو و لا يجوز هذا فراق بيني فيينك لأن معنى الواو الاجتماع و معنى الفاء أن يأتى الثانى فى إثر الأول و مساكين لا ينصرف لأنه جمع ليس له فى الآحاد نظير «رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ» منصوب على ضربين (أحدهما) أن المعنى فعلنا ذلك رحمه أى للرحمة كما تقول أنقذتك من الهلكة رحمه لك (و الآخر) أن يكون منصوبا على المصدر لأن معنى قوله «فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا» رحمهما الله بذلك.

المعنى

«قَالَ إِنْ سَأَلْتَكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي» أى قال له موسى جوابا إن سألتك عن شىء بعد هذه المره أو بعد هذه النفس و قتلها فلا تتركنى أصحابك «قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا» أى قد أعذرت فيما بيني و بينك و قد أخبرتنى أنى لا أستطيع معك صبرا عن ابن عباس و هذا إقرار من موسى (عليه السلام) بأن الخضر قد قدم إليه ما يوجب العذر عنده فلا يلزمه ما أنكره و

روى أن النبي ص تلا هذه الآية فقال استحيى نبي الله موسى و لو صبر لرأى ألفا من العجائب

«فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ» و هى أنطاكية عن ابن عباس و قيل إيله عن ابن سيرين و محمد بن كعب و

قيل هى قرية على ساحل البحر يقال لها ناصره و بها سميت النصرارى نصارى و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«اشْتَبَعُوا أَهْلَهَا» أى سألاهم الطعام «فَأَبَوْا أَنْ يُضَيَّفُوهُمَا» و التضيف و الإضافة بمعنى واحد أى لم يضيفهما أحد من أهل القرية

و

روى أبى بن كعب عن النبي ص قال كانوا أهل قرية لثام

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) لم يضيفوهما و لا يضيفون بعدهما أحدا إلى أن تقوم الساعة

«فَوَحَّيْدًا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ» وصف الجدار بالإرادة مجاز و معناه قرب أن ينقض و أشرف على أن ينهدم و ذلك على التشبيه بحال من يريد الفعل في الثاني و هذا من فصيح كلام العرب و مثله في أشعارهم كثير قال الراعي يصف الإبل:

في مهمه قلقت بها هاماتها قلق الفئوس إذا أردن فصولا

ص: ٣٣٦

و قال الآخر:

يريد الرمح صدر أبي براء و يرغب عن دماء بنى عقيل

و قريب منه قول الآخر:

إن دهرًا يلف شملي بسعدى لزمان يهيم بالإحسان

أى كأنه يهيم و قال عنتره يصف فرسه:

فأزور من وقع القنا بلبانه و شكا إلى بعيره و تحمحم

«فَأَقَامَهُ» أى سواه قيل إنه دفع الجدار بيده فاستقام عن سعيد بن جبير «قَالَ لَوْ شِئْتُ لَأَتَّخَذْتُ عَلَيْهِ أَجْرًا» معناه إنهم لما بخلوا عليهما بالطعام و أقام الخضر جدارهم المشرف على الانهدام عجب موسى من ذلك فقال لو شئت لعملت هذا بأجر تأخذه منهم حتى كنا نسد به جوعتنا «قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَ بَيْنِكَ» معناه هذا الكلام و الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا و قيل معناه هذا وقت فراق اتصالنا و كرر بين تأكيد عن الزجاج و قيل معناه هذا الذى قلته سبب الفراق بينى و بينك ثم قال له «سَأُتَبِّئُكَ» أى سأخبرك «بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَشِ تَطَّعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» أى بتفسير الأشياء التى لم تستطع على الإمساك عن السؤال عنها صبرا «أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينٍ» معناه أما السبب فى خرقى السفينه فهو أنها كانت لفقراء لا شىء لهم يكفيهم قد سكتهم قله ذات أيديهم «يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ» أى يعملون بها فى البحر و يتعيشون بها «فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا» أى أحدث فيها عيبا «وَ كَانَ وَرَاءَهُمْ» أى و كان قدامهم «مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ» صحيحه أو غير معيبه «غَضِبًا» عن قتاده و ابن عباس قال عباد بن صهيب: قدمت الكوفه لأسمع من إسماعيل بن أبى خالد فمررت بشيخ جالس فقلت يا شيخ كيف أمر إلى منزل إسماعيل بن أبى خالد فقال لى وراءك فقلت أرجع فقال أقول وراءك و ترجع فقلت أليس ورائى خلفى قال لا- ثم قال حدثنى عكرمه عن ابن عباس «وَ كَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضِبًا» قال و لو كان وراءهم لكانوا قد جاوزوه و لكن كان بين أيديهم قال الخضر: إنما خرقتها لأن الملك إذا رآها منخرقه تركها و رقعا أهلها بقطعه خشب فانتفخوا بها و قيل يحتمل أن الملك كان خلفهم و كان طريقهم فى الرجوع عليه و لم يعلم به أصحاب السفينه و علم به الخضر (عليه السلام) «وَ أَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ» و روى عن أبى و ابن عباس أنهما كانا يقرءان

و أما الغلام فكان كافرا و أبواه مؤمنين و روى ذلك عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و معناه و أما الغلام الذى قتله فإنما قتلته لأنه كان كافرا «فَخَشِينَا أَنْ يُزْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَ كُفْرًا» أى فعلمنا أنه إن بقى يرهق أبويه أى يغشيهما طغيانا و كفرا و هو من كلام الله تعالى و قيل معناه فخننا أن يحمل أبويه على الطغيان و الكفر بأن يباشر ما لا يمكنهما منعه منه فيحملهما على الذب عنه و التعصب له فيؤدى ذلك إلى أمور يكون مجاوزة للحد فى العصيان و الكفر و هو من كلام الخضر لأن الله تعالى لا يجوز عليه الخشية و قيل معناه فكرهنا أن يرهق الغلام أبويه إثمًا و ظلما بطغيانه و كفره «فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِّلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً» أى ولدا خيرا منه دينًا و طهاره و صلاحا «وَ أَقْرَبَ رُحْمًا» أى و أرحم بهما عن قتاده و الزكاه الصلاح و الزكى الصالح و الرحم العطف و الرحمه و قيل معناه أبر بوالديه و أوصل للرحم عن ابن عباس و قيل معناه و أقرب أن يرحما به قال قتاده: قال مطرف: أيم الله إنا لنعلم أنهما فرحا به يوم ولد و حزنا عليه يوم قتل و لو عاش كان فيه مهلكتهما فرضى رجل ما قسم الله له فإنه قضاء الله للمؤمن خير من قضائه لنفسه و ما قضى لك يا ابن آدم فيما تكره خير مما قضى لك فيما تحب فاستخر الله و أرض بقضائه و

روى أنهما أبدا بالغلام المقتول جاريه فولدت سبعين نبيًا عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و قيل إنه تزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيًا هدى الله على يديه أمه من الأمم عن الكلبي و فى قتل الغلام دلالة على وجوب اللطف على ما نذهب إليه لأن المفهوم من الآيه أنه تدبير من الله تعالى لم يكن يجوز خلافه و أنه إذا علم من حال الإنسان أنه يفسد عند شىء يجب عليه فى الحكمة أن يذهب ذلك الشىء حتى لا يقع هذا الفساد و متى قيل إنه لو حصل لنا العلم بذلك كما حصل لذلك العالم هل كان يحسن منا القتل قلنا أن هذا العلم لا يحصل إلا للأنبياء و عند حصول العلم به يحسن ذلك و متى قيل إن الله كان قادرا على إزالة حياه الغلام بالموت من غير ألم فتزول التبقية التى هى المفسده من غير إدخال إيلام عليه بالقتل فلم أمر بالقتل فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الله تعالى قد علم أن أبويه لا يثبتان على الإيمان إلا بقتل هذا الغلام فتعين وجه الوجوب فى القتل (و الآخر) أن تبقية الغلام إذا كانت مفسده فالله تعالى مخير فى إزالتها بالموت من غير ألم و بالقتل لأن القتل و إن كان فيه ألم يلحق المقتول فإن بإزائه أعواضا كثيرة توازى ذلك الألم و يزيد عليه أضعافا كثيرة فيصير القتل بالمنافع العظيمة التى بإزائه كأنه ليس بالم و يدخل فى قبيل النفع و الإحسان «وَ أَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ» أى فإنما أقمته لأنه كان «لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ» يعنى القرية المذكوره فى قوله «أَتِيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ» «وَ كَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا» و الكنز هو كل مال مذخور من ذهب أو فضه و غير ذلك و اختلف فى هذا الكنز فقيل كانت صحف علم مدفونه تحته عن ابن عباس و سعيد بن جبير و مجاهد و قال ابن عباس: ما كان ذلك الكنز إلا علما و

قيل كان كنزا من الذهب و الفضه عن قتاده

قيل كان لوحا من ذهب و فيه مكتوب عجا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن. عجا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب. عجا لمن أيقن بالموت كيف يفرح. عجا لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل. عجا لمن رأى الدنيا و قلبها بأهلها كيف يطمئن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ص عن ابن عباس و الحسن و روى ذلك عن أبي عبد الله (عليه السلام)

و فى بعض الروايات زياده و نقصان و هذا القول يجمع القولين الأولين لأنه يتضمن إن الكثر كان مالا كتب فيه علم فهو مال و علم «وَ كَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا» بين سبحانه أنه حفظ الغلامين بصلاح أبيهما و لم يذكر منهما صلاحا عن ابن عباس و

روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه كان بينهما و بين ذلك الأب الصالح سبعة آباء و قال (عليه السلام) إن الله ليصلح بصلاح الرجل المؤمن ولده و ولد ولده و أهل دويرته و دويرات حوله فلا يزالون فى حفظ الله لكرامته على الله

«فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا» أى ينتهيا إلى الوقت الذى يعرفان فيه نفع أنفسهما و حفظ مالهما و هو أن يكبرا و يعقلا- «وَ يَسِيْرَتَّخِرَجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ» أى نعمه من ربك و المعنى أن كل ما فعلته رحمه من الله تعالى أى رحم الله بذلك المساكين و أبوى الغلام و اليتيمين رحمه «وَ مَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي» أى و ما فعلت ذلك من قبل نفسى و إنما فعلته بأمر الله تعالى قال ابن عباس: يريد انكشف لى من الله علم فعلت به ثم قال «ذَلِكَ» الذى قلته لك «تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا» أى ثقل عليك مشاهدته و رؤيته و استنكرته يقال استطاع يستطيع و استطاع يسطيع قال أبو على الجبائي: لا يجوز أن يكون الخضر حيا إلى وقتنا هذا لأنه لو كان لعرفه الناس و لم يخف مكانه و لأنه لا نبى بعد نبينا ص و هذا الذى ذكره غير صحيح لأن تبقيته فى مقدور الله تعالى و يجوز أن تنخرق العادة للأنبياء ص بالإجماع و لا يمتنع أيضا أن يكون بحيث لا يتعرف إلى أحد و أن الناس و إن كانوا يشاهدونه لا يعرفونه و قوله إنه لا نبى بعد نبينا مسلم و لكن نبوه الخضر (عليه السلام) كانت ثابتة قبل نبوه نبينا محمد ص و أما شرعه لو كان له شرع خاص فإنه منسوخ بشريعه نبينا و لو كان داعيا إلى شريعه من تقدمه من الأنبياء فإن شريعه نبينا ص ناسخه لها فلا يؤدى إلى ما قاله الجبائي.

إشارة

وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا (٨٣) إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَيِّئًا (٨٤) فَأَتْبَعَ سَبِيلًا (٨٥) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّمَا أَنْتَ تُعَذِّبُ وَإِنَّمَا أَنْتَ تُتَّخَذُ فِيهِمْ حُسْنًا (٨٦) قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نَعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكَرًا (٨٧)

القراءة

قرأ ابن عامر و أهل الكوفه «فَأَتْبَعَ» ثُمَّ أَتْبَعَ* بهمزه القطع و فتحها و تخفيف التاء و سكونها و الباقون فاتبع بهمزه الوصل و تشديد التاء و فتحها وقرأ أبو جعفر و ابن عامر و أهل الكوفه غير حفص حامييه و الباقون «حَمِئَةٍ» بغير ألف مهموز.

الحجة

قال أبو علي: تبع فعل يتعدى إلى مفعول واحد فإذا نقلته بالهمزة تعدى إلى مفعولين يدللك على ذلك قوله وَ أَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً و أما اتبع فإنه افتعل يتعدى إلى مفعول واحد كما يتعدى فعل إليه مثل حفرته و احتفرتة و شويته و اشتويته و من قرأ «فَأَتْبَعَ سَبِيلًا» تقديره فأتابع سبباً سبباً أو أتبع أمره سبباً أو أتبع ما هو عليه سبباً فحذف أحد المفعولين كما حذف في قوله لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا و لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا و المعنى لينذر الناس بأساً شديداً و لا يكادون يفقهون قولاً و من قرأ فاتبع سبباً فالمعنى اتجه في كل وجه وجهناه له و أمرناه به السبب الذي ينال به صلاح ما مكن منه و قال أبو عبيده: معناه اتبع طريقاً و أثراً و من قرأ «حَمِئَةٍ» فعلى فعله و من قرأ حامييه فهي فاعله من حيث تحمى فهي حامييه و روى عن الحسن أنه قال: حاره و يجوز فيمن قرأ حامييه أن يكون فاعله من الحماء فخفف الهمزة على قياس قول أبي الحسن فيقلبها ياء محضه و إن خففها على قول الخليل كانت بين قال سيوييه: و هو قول العرب.

اللغة

القرن قرن الشاه و غيرها و قرون الشعر الذوائب و منه قول أبي سفيان:

و لا الروم ذوات القرون

أراد قرون شعورهم لأنهم كانوا يطولونه و الذكر حضور المعنى للنفس و قد يكون بالقلب و هو التفكير و قد يكون باللسان و كل ما وصل شيئاً إلى شىء فهو سبب يقال للطريق إلى الشىء سبب و للجل سبب و للباب سبب و الحماء الطين الأسود يقال حمئت البئر تحماً فهي حمئة إذا صار فيها الحماء قال أبو الأسود:

تجىء بملئها طورا و طورا تجىء بحماه و قليل ماء

و حمات البئر أخرجت منه الحماء و أحماؤها ألقيت فيها الحماء.

«إِمَّا أَنْ تُعَذَّبَ وَإِمَّا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسَيْنًا» أن مع الفعل فى موضع نصب بفعل مضممر كما أن قوله فِيمَا مَنَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً كَذَلِكَ ويجوز أن يكون أن مع الفعل فى موضع المبتدأ والخبر مضممر أى إما العذاب واقع منك فيهم وإما اتخاذ أمر ذى حسن واقع منك فيهم فحذف الخبر لطول الكلام بالصلة وهذا أظهر والأول عن أحمد بن يحيى.

المعنى

ثم بين سبحانه قصة ذى القرنين فقال «وَيَسْأَلُونَكَ» يا محمد «عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ» أى عن خبره وقصته لا عن شخصه و اختلف فيه فقيل إنه نبي مبعوث فتح الله على يديه الأرض عن مجاهد و عبد الله بن عمر و قيل إنه كان ملكا عادلا و

روى عن على بن أبى طالب (عليه السلام) أنه كان عبدا صالحا أحب الله و أحبه الله و ناصح الله و ناصحه قد أمر قومه بتقوى الله فضربوه على قرنه ضربه بالسيف فغاب عنهم ما شاء الله ثم رجع إليهم فدعاهم إلى الله فضربوه على قرنه الآخر بالسيف فذلك قرناه و فيكم مثله يعنى نفسه (عليه السلام)

و فى سبب تسميته بذى القرنين أقوال آخر (منها) أنه سمي به لأنه كانت له ضفيرتان عن الحسن (و منها) أنه كان على رأسه شبه القرنين تواريه العمامه عن يعلى بن عبيد و منها أنه بلغ قطرى الأرض من المشرق و المغرب فسمى بذلك لاستيلائه على قرن الشمس من مغربها و قرنها من مطلعها عن الزهرى و اختاره الزجاج (و منها) أنه رأى فى منامه أنه دنى من الشمس حتى أخذ بقرنيها فى شرقها و غربها فقص رؤياه على قومه فسموه ذا القرنين عن وهب (و منها) أنه عاش عيش قرنين فانقرض فى وقته قرنان من الناس و هو حى (و منها) أنه كان كريم الطرفين من أهل بيت الشرف من قبل أبيه و أمه قال معاذ بن جبل كان من أبناء الروم و اسمه الإسكندر و هو الذى بنى الإسكندريه «قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا» معناه قل يا محمد سأقرأ عليكم منه خبرا و قصه «إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ» أى بسطنا يده فى الأرض و ملكناه حتى استولى عليها و قام بمصالحها و

روى عن على (عليه السلام) أنه قال سخر الله له السحاب فحملة عليها و مد له فى الأسباب و بسط له النور فكان الليل و النهار عليه سواء فهذا معنى تمكينه فى الأرض

و هو أنه سهل عليه المسير فيها و ذلل له طريقها و حزونها حتى تمكن منها أى شاء «وَ آتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا» أى فأعطيناه من كل شىء علما يتسبب به إلى إرادته و يبلغ به إلى حاجته عن ابن عباس و قتاده و الضحاک و قيل معناه و آتيناه من كل شىء يستعين به الملوک على فتح البلاد و محاربه الأعداء عن الجبائى و قيل معناه و آتيناه من كل شىء سبيلا كما قال سبحانه لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ الْأَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ أى سبلها «فَاتَّبَعَ سَبَبًا» معناه فاتبع طريقا واحدا فى سلوكه قال الزجاج: معناه فاتبع سببا من الأسباب التى أوتى بها و ذلك أنه أوتى من كل شىء سببا فاتبع من تلك الأسباب التى أوتى سببا فى المسير إلى المغرب و من قرأ فاتبع سببا فمعناه

لحق كقوله فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ وَالْأَصْل فِيهِ مَا مَرَّ ذَكَرَهُ فِي الْحَجَّةِ «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ» أَي مَوْضِعَ غُرُوبِهَا أَنَّهُ انْتَهَى إِلَى آخِرِ الْعِمَارَةِ مِنْ جَانِبِ الْمَغْرِبِ وَبَلَغَ قَوْمًا لَمْ يَكُنْ وَرَاءَهُمْ أَحَدٌ إِلَى مَوْضِعِ غُرُوبِ الشَّمْسِ وَ لَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ أَنَّهُ بَلَغَ إِلَى مَوْضِعِ الْغُرُوبِ لِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ أَحَدٌ «وَجَدَهَا تَغْرُبُ» مَعْنَاهُ وَجَدَهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ «فِي عَيْنِ حِمَيْهِ» وَإِنْ كَانَتْ تَغْرُبُ فِي وَرَائِهَا عَنِ الْجِبَائِي وَابْنِ مَسْلَمٍ وَ الْبَلْخِي لِأَنَّ الشَّمْسَ لَا تَزَالُ الْفَلَكَ وَ لَا تَدْخُلُ عَيْنَ الْمَاءِ وَ لِأَنَّهُ قَالَ «وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا» وَ لَكِنْ لَمَّا بَلَغَ ذُو الْقَرْنَيْنِ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ تَرَاءَى لَهُ كَانَتِ الشَّمْسُ تَغْرُبُ فِي عَيْنِ كَمَا أَنَّ مَنْ كَانَ فِي الْبَحْرِ رَأَى أَنَّهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِي الْمَاءِ وَ مَنْ كَانَ فِي الْبَرِّ يَرَاهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِي الْأَرْضِ الْمَلْسَاءِ وَ الْعَيْنُ الْحَمِيمَةُ هِيَ ذَاتُ الْحَمَاءِ وَ هِيَ الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمَتْنُ وَ الْحَامِيَةُ الْحَارَةُ وَ عَنِ كَعْبِ قَالَ: أَجَدَهَا فِي التَّوْرَةِ تَغْرُبُ فِي مَاءٍ وَ طِينٍ وَ قَوْلُهُ «وَ وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا» مَعْنَاهُ وَ وَجَدَ عِنْدَ الْعَيْنِ نَاسًا «قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَنْ تَهْتَدِيَ فِيهِمْ حُسَيْنًا» فِي هَذَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا كُفَّارًا وَ الْمَعْنَى إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ بِالْقَتْلِ مِنْ أَقَامَ مِنْهُمْ عَلَى الشَّرْكِ وَ إِمَّا أَنْ تَأْسِرَهُمْ وَ تَمْسُكَهُمْ بَعْدَ الْأَمْرِ لِتَعْلَمَهُمُ الْهُدَى وَ تَسْتَنْقِذَهُمْ مِنَ الْعَمَى وَ قِيلَ مَعْنَاهُ وَ إِمَّا أَنْ تَعْفُو عَنْهُمْ وَ اسْتَدَلَّ مِنْ ذَهَبَ إِلَى أَنَّ ذَا الْقَرْنَيْنِ كَانَ نَبِيًّا بِهَذَا قَالَ لِأَنَّ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَلْمُ إِلَّا بِالْوَحْيِ وَ الْوَحْيُ لَا يَجُوزُ إِلَّا عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَ قَالَ الْكَلْبِيُّ: إِنْ اللَّهُ تَعَالَى أَلْهَمَهُمْ وَ لَمْ يُوْحِ إِلَيْهِ وَ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: إِنْ كَانَ ذُو الْقَرْنَيْنِ نَبِيًّا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ كَمَا يَقُولُ لِلْأَنْبِيَاءِ إِمَّا بِتَكْلِيمٍ أَوْ بِوَحْيٍ وَ إِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا فَإِنَّ مَعْنَى قُلْنَا أَلْهَمْنَا لِأَنَّ الْإِلْهَامَ يَنْبَغُ عَنِ الْوَحْيِ قَالَ سُبْحَانَهُ وَ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَي وَ أَلْهَمْنَاهَا قَالَ قَتَادَةُ فَقَضَى ذُو الْقَرْنَيْنِ فِيهِمْ بِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَ كَانَ عَالِمًا بِالسِّيَاسَةِ «قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ» أَي أَشْرَكَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ «فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ» أَي نَقِطَلُهُ إِذَا لَمْ يَرْجِعْ عَنِ الشَّرْكِ «ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ» بَعْدَ قَتْلِ إِيَّاهُ «فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا» أَي مَنكَرًا غَيْرَ مَعْهُودٍ يَعْنِي فِي النَّارِ وَ هُوَ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ فِي الدُّنْيَا.

[سوره الكهف (١٨): الآيات ٨٨ الى ٩٢]

إشارة

وَ أَمَّا مَنْ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى وَ سَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا (٨٨) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا (٨٩) حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطَّلِعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا (٩٠) كَذَلِكَ وَ قَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا (٩١) ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا (٩٢)

قرأ أهل الكوفه غير أبى بكر و يعقوب «فَلَهُ جَزَاءٌ» بالنصب و التنوين. و الباكون جزاء الحسنى بالرفع و الإضافه.

الحججه

قال أبو على: من قال فله جزاء الحسنى كان المعنى فله جزاء الخلال الحسنى التى عملها لأن الإيمان و العمل الصالح خلال و من قال «فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسَيْنِ» فالمعنى له الحسنى جزاء فجزاء مصدر وقع موقع الحال أى فله الحسنى مجزيه و قال أبو الحسن: و هذا لا يكاد العرب تتكلم به مقدما إلا فى الشعر.

المعنى

«وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحُسَيْنِ» مر معناه «وَأَسْتَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسِيرًا» أى سنقول له قولاً جميلاً و سنأمره بما يتيسر عليه و لا- نؤاخذه بما مضى من كفره «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا» أى طريقاً آخر من الأرض ليؤديه إلى مطلع الشمس و يوصله إلى المشرق «حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ» أى بلغ موضع ابتداء العماره من الجانب الذى تطلع منه الشمس «وَجَدَهَا تَطَّلَعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا» معناه أنه لم يكن بها جبل و لا شجر و لا بناء لأن أرضهم لم يكن يثبت عليها بناء فكانوا إذا طلعت الشمس يغورون فى المياه و الأسراب و إذا غربت تصرفوا فى أمورهم عن الحسن و قتاده و ابن جريج و

روى أبو بصير عن أبى جعفر (عليه السلام) قال لم يعلموا صنعه البيوت

و قوله «كَذَلِكَ» معناه مثل ذلك القبيل الذى كانوا عند مغرب الشمس فى أن حكمهم حكم أولئك قيل إن معناه أنه أتبع سبياً إلى مطلع الشمس مثل ما أتبع سبياً إلى مغرب الشمس و تم الكلام عند قوله «كَذَلِكَ» ثم ابتداء سبحانه فقال «وَقَدْ أَحْطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا» أى علمنا ما كان عند ذى القرنين من الجيوش و العده و آلات السياسه و قيل معناه أحطنا علماً بصلاحه و استقلاله بما ملكناه قبل أن يفعله كما علمناه بعد أن فعله و لم يخف علينا حاله و فى قوله «بِمَا لَدَيْهِ» إشاره إلى حسن الثناء عليه و الرضا بأفعاله لامتناله أمر الله تعالى فى كل أحواله «ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا» معناه ثم أتبع مسلماً بالغاً مما يبلغه قطراً من أقطار الأرض و هذا يقوى قول من قال إن الأرض كرويه الشكل لأنه لم يأخذ فى الطريق الذى كان قد عاد فيه و إنما أخذ فى طريق آخر.

اشاره

حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَحَيْدًا مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا (٩٣) قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا (٩٤) قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا (٩٥) آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا (٩٦) فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا (٩٧)

قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا (٩٨)

القراءة

قرأ ابن كثير و أبو عمرو «بَيْنَ السَّدَّيْنِ» و «سَدًّا» بالفتح هنا و فى ياسين بالضم و قرأ أهل الكوفة غير عاصم بين السدين بضم السين و سدا حيث كان بالفتح و قرأ حفص الجميع بالفتح و قرأ الباقرن الجميع بالضم كل القرآن و قرأ أهل الكوفة غير عاصم يفتحون بضم الياء و كسر القاف و الباقرن بفتح الياء و القاف و قرأ عاصم «يَأْجُوجَ وَ مَأْجُوجَ» بالهمزة و مثله فى الأنبياء و قرأ الباقرن بغير همزة فيهما فى السورتين و قرأ أهل الكوفة غير عاصم خراجا و فى المؤمنين خراجا فخراج ربك كله بالألف و الباقرن «خَرْجًا» بغير ألف فى الموضعين فَخَرَّاجٌ رَبَّكَ بِالْأَلْفِ و قرأ ابن كثير ما مكنتى بنونين و الباقرن بنون واحده مشدده و قرأ يحيى عن أبى بكر ردما أتونى بالوصل و قرأ حمزه و يحيى عن أبى بكر قال ايتونى بالوصل أيضا و الباقرن «آتُونِي» بقطع الألف فى الحرفين و قرأ أهل المدينة و الكوفة غير أبى بكر «بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ» بفتح الصاد و الدال و قرأ الباقرن بضم الصاد و الدال غير أبى بكر فإنه قرأ بضم الصاد و سكون الدال و قرأ حمزه غير خلاد فما استطاعوا مشدده الطاء و الباقرن خفيفه الطاء و قرأ أهل الكوفة «دَكَّاءَ» بالمد و الهمزة و الباقرن دكا منونا غير مهموز.

الحج

قال أبو عبيده: كل شىء وجدته العرب من فعل الله من الجبال و الشعاب فهو سد بالضم و ما بناه الآدميون فهو سد و قال غيره: هما لغتان كالضعف و الضعف و الفقر و الفقر قال أبو على: يجوز أن يكون السد بالفتح مصدرا و السد بالضم المسدود كالأشياء التى يفصل فيها بين المصادر و الأسماء نحو السقى و الشرب و الشرب فإذا كان كذلك فالأشبه بين

السدنين لأنه المسدود و يجوز فيمن فتح السدين أن يجعله اسما للمسدود نحو نسج اليمن و ضرب الأمير بمعنى المنسوج و المضروب و من قرأ لا- يكادون يفقهون فإن فقهت يتعدى إلى مفعول واحد نحو فقهت السنه فإذا نقلته تعدى إلى مفعولين فيكون المعنى فيمن ضم لا يكادون يفقهون أحدا قولاً فحذف أحد المفعولين كما حذف من قوله فَأَتَّبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ و المعنى فأتبعوهم جندهم مشرقين و قوله فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَ جُنُودُهُ أَي فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ طلبه إياهم أو تتبعه لهم و الحذف فى هذا النحو كثير قال أبو على: يأجوج إن جعلته عربياً فهو يفعول من أج نحو يربوع و من لم يهمز أمكن أن يكون خفف الهمزه فقلبها ألفاً فهو على قوله يفعول أيضاً و إن كانت الألف فى يأجوج ليس على التخفيف فإنه فاعول من ي ج ج فإن جعلت الكلمه من هذا الأصل كانت الهمزه فيها كمن قال ساق و نحو ذلك مما جاء مهموزاً و لم يتبع أن يهمز و يكون الامتناع من صرفه على هذا للتأنيث و التعريف كأنه اسم القبيله كمجوس و أما مأجوج فمن همز فمفعول من أج فالكلمتان على هذا من أصل واحد و من لم يهمز فإنه فاعول من مج فالكلمتان على هذا من أصلين و ليسا من أصل واحد و يكون ترك الصرف فيه أيضاً للتعريف و التأنيث فإن جعلتهما من العجميه فهذه التمثيلات لا- تصح فيهما و إنما امتنعا من الصرف للعجمه و التعريف و قوله «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً» أى هل نجعل لك عطيه نخرجها إليك من أموالنا و كذلك قوله أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً أى مالا- يخرجونه إليك فأما المضروب على الأرض فالخراج و قد يجوز فى غير ضرائب الأرض الخراج بدلاله قول العجاج:

(يوم خراج يخرج السمرجا)

فهذا ليس على الضرائب التى ألزمت الأرضين لأن ذلك لا يضاف إلى وقت من يوم و غيره و إنما هو شىء مؤبد لا يتغير و قوله «ما مَكَّنِي» بإظهار المثلين فلأن الثانى منهما غير لازم لأنك قد تقول قد مكنتك و مكنته فلا تلزم النون فلما لم تلزم لم يعتد بها كما أن التاء فى اِقْتُلُوا* كذلك و من أدغم لم ينزله منزله ما لا يلزم فأدغم كما أن من قال قتلوا فى اقتتلوا كان كذلك قال أبو على: و مكن مكانه فهو مكين فعل غير متعد فإذا ضعفت العين عديته بذلك و حجه من قرأ ردما ايتونى ايتونى أن أشبه ب «فَأَعْيُونِي بِقُوِّهِ» لأنه كلفهم المعونه على عمل السد و لم يقبل الخرج الذى بذلوه له و قوله «ايتونى» الذى معناه جيئونى إنما هو معونه على ما كلفهم فى قوله «فَأَعْيُونِي بِقُوِّهِ» و أما آتونى فمعناه أعطونى، فأعطونى يجوز أن يكون على المناوله و يجوز أن يكون على الاتهاب و ائتونى المقصوره لا- يحتمل إلا- جيئونى فيكون أحسن هنا لاختصاصه بالمعونه فقط دون أن يكون سؤال عين و العطيه قد تكون هبه قال:

ص: ٣٤٥

و منا الذى أعطى الرسول عطيه أسارى تميم و العيون دوامع

فالعطيه تجرى مجرى الهبه لهم و الإنعام عليهم فى فك الأسر و قد تكون بمعنى المناوله و وجه قراءه من قرأ «آتُونى» أنه لم يرد بآتونى العطيه و الهبه و لكن تكليف المناوله بالأنفس كما كان قراءه من قرأ ايتونى لا يصرف إلى استدعائه تمليك عين بهبه و لا بغيرها فأما انتصاب «زُبَرَ الْحَدِيدِ» فإنك تقول آتيك بدرهم قال:

أتيت بعبد الله فى القيد موثقا فهلا سعيدا ذا الخيانه و الغدر

فيصل الفعل إلى المفعول الثانى بحرف جر ثم يجوز أن يحذف الحرف اتساعا فيصل الفعل إلى المفعول الثانى على حد أمرتك الخير و نحوه و الصدف و الصدف و الصدف لغات فاشيه قال أبو عبيده: الصدفان جنبتا الجبل و من قرأ ائتونى أفرغ عليه قطرا فمعناه جيئونى به كما قلناه فى ائتونى زبر الحديد فى اتصال الفعل إلى المفعول الثانى بحرف الجر إلا أنه أعمل الفعل الثانى فلو أعمل الفعل الأول لكان ائتونى أفرغه عليه بقطر إلا أن يقدر أن الفعل يصل إلى المفعول الثانى بلا حرف كما كان كذلك فى قوله «ائتونى زبر الحديد» و جميع ما مر بنا فى التنزيل من هذا النحو إنما هو على إعمال الثانى كما يختاره سيبويه فمن ذلك قوله يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ و منه قوله هَاؤُمُ اقْرَؤْ كِتَابِيَهُ و وجه من قرأ «آتُونى» إن المعنى ناولونى قطرا أفرغ عليه قطرا إلا أنه أعمل الثانى من الفعلين كما أعمل الثانى من قصر ائتونى و قراءه حمزه «فما اسطاعوا» إنما هو على إدغام التاء فى الطاء و لم يلق حركتها على السين فيحرك ما لا يتحرك و لكن أدغم مع أن الساكن الذى قبل المدغم ليس حرف مد و قد قرأت القراء غير حرف من هذا النحو و قد تقدم ذكر وجه هذا النحو و مما يؤكد ذلك أن سيبويه أنشد:

كأنه بعد كلال الزاجر و مسحه مر عقاب كاسر

و الحذف فى اسطاعوا و الإثبات فى اسطاعوا كل واحد منهما أحسن من الإدغام على هذا الوجه الذى هو جمع بين السين الساكنه و التاء المدغمه و هى ساكنه أيضا و أما قوله جعله دكا فإنه يحتمل أمرين (أحدهما) أنه لما قال جعله دكا كان بمنزله خلق و عمل فكأنه قال دكا دكا فحمله على الفعل الذى دل عليه قوله «جَعَلَهُ» و الوجه الآخر أن يكون جعله ذا دك فحذف المضاف و يمكن أن يكون حالا فى هذا الوجه و من قرأ «دَكَاءً» فعلى حذف المضاف كأنه جعله

مثل دكاء قالوا ناقه دكاء أى لا سنام لها و لا بد من تقدير الحذف لأن الجبل مذكر فلا يوصف بدكاء.

اللغة

السد وضع ما ينتفى به الخرق يقال سده يسده و منه سدد السهم لأنه سد عليه طرق الاضطراب و منه السداد الصواب و الردم السد و الحاجز يقال ردم فلان موضع كذا يردمه ردما و الثوب المردم الخلق المرقع و منه قول عنتره:

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد توهم

أى هل تركوا من قول يؤلف تأليف الثوب المرقع و الزبره الجملة المجتمعه من الحديد و الصفر و نحوهما و أصله الاجتماع و منه الزبور و زبرت الكتاب إذا كتبتك لأنك جمعت حروفه قال أبو عبيده: القطر الحديد المذاب و أنشد:

حسام كلون الملح صاف حديده جراز من أقطار الحديد المنعت

و أصله من القطر لأن الرصاص و الحديد إذا أذيب قطر كما يقطر الماء و فى استطاع ثلاث لغات استطاع يستطيع و استطاع يستطيع و استطاع يستطيع بحذف الطاء استثقلوا اجتماعهما و هما من مخرج واحد فأما استطاع يستطيع بقطع الألف و هو أطاع أفعل فزادوا السين عوضا من ذهاب حركة الواو لأن أصل أطاع أطوع و مثله أهراق يهريق زادوا الهاء فى أراق يريق و ليس هذا العوض بلازم ألا ترى أن ما كان نحوه لم يلزمه هذا العوض.

المعنى

«حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ» ثم أخبر سبحانه عن حال ذى القرنين بعد منصرفه عن المشرق أنه سلك طريقا إلى أن بلغ بين السدين و وصل إلى ما بينهما و هما الجبلان اللذان جعل الردم بينهما و هو الحاجز بين يأجوج و مأجوج و من وراءهم عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و قيل أراد بالسدين الموضع الذى فيه السدان اليوم لأنه لو كان هناك سد لم يكن لطلبهم السد معنى و السد الموضع المسدود لا-المنفتح «وَحِيدَ مَنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا» أى خصوا بلغه كادوا لا يعرفون غيرها قال ابن عباس: كادوا لا يفقهون كلام أحد و لا يفهم الناس كلامهم و إنما قال «لَا يَكَادُونَ» لأنهم فهموا بعض الأشياء عنهم و إن كان بعد شده و لذلك حكى الله عنهم أنهم «قَالُوا يَا ذَا الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَا أُجُوجَ وَ مَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ» و يجوز أن يكون الله سبحانه فهم ذى القرنين لسانهم كما فهم سليمان (عليه السلام)

منطق الطير أو قالوا له بترجمان أن يأجوج و مأجوج مفسدون في أرضهم و فسادهم أنهم كانوا يخرجون فيقتلونهم و يأكلون لحومهم و دوابهم و قيل كانوا يخرجون أيام الربيع فلا- يدعون شيئاً أخضر إلا- أكلوه و لا يابسا إلا احتملوه عن الكلبى و قيل أرادوا أنهم سيفسدون في المستقبل عند خروجهم و

ورد في الخبر عن حذيفه قال سألت رسول الله ص عن يأجوج و مأجوج فقال يأجوج أمه و مأجوج أمه كل أمه أربعمائه أمه لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كل قد حمل السلاح قلت يا رسول الله صفهم لنا قال هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز قلت يا رسول الله و ما الأرز قال شجر بالشام طوال و صنف منهم طولهم و عرضهم سواء و هؤلاء الذين لا يقوم لهم خيل و لا حديد و صنف منهم يفترش إحدى أذنيه و يلتحف بالأخرى و لا يمرون بفيل و لا وحش و لا جمل و لا خنزير إلا أكلوه و من مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام و ساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق و بحيره طبريه

قال وهب و مقاتل أنهم من ولد يافث بن نوح أبى الترك و قال السدى الترك سريه من يأجوج و مأجوج خرجت تغير فجاء ذو القرنين فضرب السد فبقيت خارجه و قال قتاده إن ذا القرنين بنى السد على إحدى و عشرين قبيله و بقيت منهم قبيله دون السد فهم الترك و قال كعب هم نادره فى ولد بنى آدم و ذلك أن آدم (عليه السلام) احتلم ذات يوم و امتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج و مأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم و هذا بعيد و قوله «فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا» أو خراجا معناه فهل نجعل لك بعضا من أموالنا «على أن تجعلَ بيننا و بينهم سِدًّا» أى حائطا و قيل فى الفرق بين الخرج و الخراج أن الخراج اسم لما يخرج من الأرض و الخرج اسم لما يخرج من المال و قيل الخراج الغله و الخرج الأجره و قيل الخراج ما يؤخذ عن الأرض و الخرج ما يؤخذ عن الرقاب قاله أبو عمرو و قيل الخراج ما يؤخذ فى كل سنه و الخرج ما يؤخذ دفعه عن تغلب «قال» ذو القرنين «ما مَكَّنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ» أى أعطانى ربى من المال و مكنى فيه من الاتساع فى الدنيا خير مما عرضتموه على من الأجر «فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ» أى برجال فيكون معناه بقوه الأبدان و قيل بعمل تعملونه معى عن الزجاج و قيل بآله العمل و ذلك زبر الحديد و الصفر «أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ رَدْمًا» أى سدا و حاجزا قال ابن عباس:

الردم أشد الحجاب و قيل هو السد المتراكب بعضه على بعض «أَتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ» أى أعطونى قطع الحديد أو جيئا بقطع الحديد على القراءه الأخرى و فى الكلام حذف و هو أنهم أتوه بما طلبه منهم من زبر الحديد ليعمل الردم فى وجوه يأجوج و مأجوج فبناه «حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ» أى سوى بين جانبى الجبل بما جعل بينهما من الزبر قال الأزهري:

يقال لجانبى الجبل صدقان لتصادفهما أى تحاذيهما و تلاقيهما و قيل هما جبلان كل واحد

منهما منعدل عن الآخر كأنه قد صدف عنه و قوله «قَالَ انْفُخُوا» معناه قال ذو القرنين انفخوا النار على الزير أمرهم أن يؤتى بمنافخ الحدادين فينفخوا في نار الحديد التي أوقدت فيه «حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا» أى حتى إذا جعل الحديد كالنار فى منظره من الحمى و اللهب فصار قطعه واحده لزم بعضها بعضا «قَالَ آتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قِطْرًا» أى أعطونى نحاسا مذابا أو صفرا مذابا أو حديدا مذابا أصبه على السدين الجبلين حتى ينسد الثقب الذى فيه و يصير جدارا مصمتا فكانت حجارته الحديد و طينه النحاس الذائب عن ابن عباس و مجاهد و الضحاك قال قتاده: فهو كالبرد المحبر طريقه سوداء و طريقه حمراء «فَمَا اسْتَطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ» معناه فلما تم لم يستطيع يأجوج و مأجوج أن يعلوه و يصعدوه يقال ظهرت السطح إذا علوته «وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا» أى و لم يستطيعوا أن ينقبوا أسفله لكثافته و صلابته و نفى بذلك كل عيب يكون فى السد و قيل أن هذا السد وراء بحر الروم بين جبلين هناك يلى مؤخرهما البحر المحيط و قيل أنه وراء دربند و خزران من ناحيه أرمينيه و أذربيجان و قيل أن مقدار ارتفاع السد مائتا ذراع و عرض الحائط نحو من خمسين ذراعا «قَالَ» ذو القرنين «هَذَا رَحْمَةٌ مِنْ رَبِّي» أى هذا السد نعمه من الله لعباده أنعم بها عليهم فى دفع شر يأجوج و مأجوج عنهم «فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي» يعنى إذا جاء وقت أشراط الساعة و وقت خروجهم الذى قدره الله تعالى «جَعَلَهُ دَكَّاءَ» أى جعل السد أرضا مستويا مع الأرض مدكوكا أو ذا دك و إنما يكون ذلك بعد قتل عيسى بن مريم الدجال عن ابن مسعود و

جاء فى الحديث أنهم يدأبون فى حفره نهارهم حتى إذا أمسوا و كادوا يبصرون شعاع الشمس قالوا نرجع غدا و نفتحه و لا يستثنون فيعودون من الغد و قد استوى كما كان حتى إذا جاء وعد الله قالوا غدا نفتح و نخرج إن شاء الله فيعودون إليه و هو كهينته حين تركوه بالأمس فيخرقونه و يخرجون على الناس فينشفون المياه و يتحصن الناس فى حصونهم منهم فيرمون سهامهم إلى السماء فترجع و فيها كهينه الدماء فيقولون قد قهرنا أهل الأرض و علونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا فى أفقائهم فيدخل فى آذانهم فيهلكون بها فقال النبى ص: و الذى نفس محمد بيده أن دواب الأرض لتسمن و تسكر من لحومهم سكرًا

و فى تفسير الكلبي أن الخضر و اليسع يجتمعان كل ليله على ذلك السد يحجبان يأجوج و مأجوج عن الخروج «وَ كَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا» أى و كان ما وعد الله بأن يفعله لا بد من كونه فإنه حق إذ لا يجوز أن يخلف وعده.

اشاره

وَ تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَ نُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا (٩٩) وَ عَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا (١٠٠)
الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنِ ذِكْرِي وَ كَانُوا لَا يَشْعُرُونَ سَمْعًا (١٠١) أَ فَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي
أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا (١٠٢) قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا (١٠٣)

الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا (١٠٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ فَحَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا (١٠٥) ذَلِكَ جَزَاءُ هُمَّ جَهَنَّمَ بِمَا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ رُسُلِي هُزُوًا (١٠٦)

القراءه

قرأ أبو بكر في روايه الأعشى و البرجمي عنه و زيد عن يعقوب

أ فحسب الذين كفروا برفع الباء و سكون السين و هو قراءه أمير المؤمنين (عليه السلام)

و ابن يعمر و الحسن و مجاهد و عكرمه و قتاده و الضحاك و ابن أبي ليلى و هذا من الأحرف التي اختارها أبو بكر و خالف
عاصمًا فيها و ذكر أنه أدخلها في قراءه عاصم من قراءه أمير المؤمنين (عليه السلام) حتى استخلص قراءته و قرأ الباقر «أ
فَحَسِبَ» بكسر السين و فتح الباء.

الحجه

قال ابن جنى: معناه أ فحسب الكافرين و حظهم و مطلوبهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء بل يجب أن يعبدوا أنفسهم مثلهم
فيكون كلهم عبيدا و أولياء لى و نحوه قوله تعالى وَ تِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَي اتخذتهم عبيدا لك و هذا
أيضا هو المعنى إذا كانت القراءه أ فحسب الذين كفروا إلا أن حسب ساكنه السين أذهب في الهم و ذلك لأنه جعله غايه
مرادهم و مجموع مطلوبهم و ليست القراءه الأخرى كذلك.

اللغه

الترك التخليه و التريكه بيضه النعام كأنها تركت بالعراء و التريكه أيضا الروضه يغفلها الناس فلا يرعونها و الترك ضد الأخذ و
الترك في الحقيقه لا يجوز على الله تعالى و إنما

يجوز على العاذر بعذره إلا- أنه يتوسع فيه فيعبر فيه عن الإخلال بالشيء بالترك و الموج اضطراب الماء بتراكم بعضه على بعض و النزول ما يهياً للنزول و هو الضيف قال الشاعر:

نزول القوم أعظمهم حقوقاً و حق الله في حق النزول

و طعام ذو نزل و نزل بفتح النون و الزاء أيضا ذو فضل.

الإعراب

«أَنْ يَتَّخِذُوا» فى موضع نصب بوقوع حسب عليه و من قرأ فحسب بالرفع و سكون السين فأن يتخذوا فى موضع رفع أعمالاً منصوب على التمييز لأنه لما قال «بِالْأَخْسِرِينَ» كان مبهما لا يدل على ما خسروه فبين ذلك الخسران فى أى نوع وقع و الذين يصلح أن يكون فى موضع جر على الصفه للأخسرين و يصلح أن يكون فى موضع رفع على الاستئناف أى هم الذين ضل سعيهم.

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن حال تلك الأمم فقال «و تَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ» أى و تركنا يأجوج و مأجوج يوم انقضاء أمر السد يموجون فى الدنيا مختلطين لكثرتهم و يكون حالهم كحال الماء الذى يتموج باضطراب أمواجه و قيل إنه أراد سائر الخلق من الجن و الإنس أى و تركناهم يوم خروج يأجوج و مأجوج يختلطون بعضهم ببعض لأن ذلك علم للساعة ثم ذكر سبحانه نفخ الصور فقال «و نُفِخَ فِي الصُّورِ» لأن خروج يأجوج و مأجوج من أسراط الساعة و اختلف فى الصور فقل هو قرن ينفخ فيه عن ابن عباس و ابن عمر و قيل هو جمع صوره فإن الله سبحانه يصور الخلق فى القبور كما صورهم فى أرحام الأمهات ثم ينفخ فيهم الأرواح كما نفخ و هم فى أرحام أمهاتهم عن الحسن و أبى عبيده و قيل إنه ينفخ إسرائيل فى الصور ثلاث نفخات فالنفخه الأولى نفخه الفرع و الثانية نفخه الصعق التى يصعق من فى السماوات و الأرض بها فيموتون و الثالثة نفخه القيام لرب العالمين فيحشر الناس بها من قبورهم «فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعاً» أى حشرنا الخلق يوم القيامة كلهم فى صعيد واحد «و عَرَّضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضاً» أى أظهرنا جهنم و أبرزناها لهم حتى شاهدوها و رأوا ألوان عذابها قبل دخولها ثم وصف الكافرين فقال «الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي» ذكر سبحانه السبب الذى استحقوا به النار يعنى الذين غفلوا عن الاعتبار بقدرتى الموجب لذكرى و أعرضوا عن التفكير فى آياتى و دلائلى فصاروا بمنزله من يكون فى عينه غطاء يمنعه من الإدراك «و كانوا لا يَسْمَعُونَ سَمْعاً» أى و كان يثقل عليهم سماع القرآن و ذكر الله تعالى كما يقال فلان لا يستطيع النظر إليك و لا يستطيع أن يسمع كلامك أى يثقل عليه ذلك و أراد بالعين هنا عين القلب كما يضاف العمى إلى القلب «أَفَحَسِبَ الَّذِينَ

كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ» معناه أ فحسب الذين جحدوا توحيد الله أن يتخذوا من دوني أربابا ينصرونهم و يدفعون عقابي عنهم و المراد بالعباد المسيح و الملائكة الذين عبدوهم من دون الله و هم براء منهم و من كل مشرك بالله تعالى و قيل معناه أ فحسب الذين كفروا أن يتخذوا من دوني آلهه و أنا لا أغضب لنفسي عليهم و لا أعاقبهم عن ابن عباس و يدل على هذا المحذوف قوله «إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا» أى منزلا- عن الزجاج و هو معنى قول ابن عباس يريد هى مثواهم و مصيرهم و قيل معناه إنا جعلنا جهنم معدة مهياه للكافرين عندنا كما يهيا النزل للضيف «قُلْ» يا محمد «هَلْ نُتَبِّئُكُمْ» أى هل نخبركم «بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا» أى بأخسر الناس أعمالا و المعنى بالقوم الذين هم أخسر الناس فيما عملوا و هم كفار أهل الكتاب اليهود و النصرى «الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ» أى بطل عملهم و اجتهدهم «فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» أى يظنون أنهم بفعلهم محسنون و أن أفعالهم طاعة و قربه و

روى العياشى بإسناده قال قام ابن الكواء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فسأله عن أهل هذه الآية فقال أولئك أهل الكتاب كفروا بربهم و ابتدعوا فى دينهم فحبطت أعمالهم و ما أهل النهر منهم ببعيد يعنى الخوارج

«أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَ لِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ» أى جحدوا بحجج الله و بيناته و لقاء جزائه فى الآخرة فبطلت و ضاعت أعمالهم التى عملوها لأنهم أوقعوها على خلاف الوجه الذى أمرهم الله به «فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا» أى لا قيمة لهم عندنا و لا كرامه و لا نعتد بهم بل نستخف بهم و نعاقبهم تقول العرب ما لفلان عندنا وزن أى قدر و منزله و يوصف الجاهل بأنه لا وزن له لخفته بسرعه بطشه و قله تثبته و

روى فى الصحيح أن النبى ص قال إنه لياتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن جناح بعوضه

«ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ» معناه الأمر ذلك الذى ذكرت من حبوط أعمالهم و خيبة قدرهم ثم ابتداء سبحانه فقال جزاؤهم جهنم «بِمَا كَفَرُوا وَ اتَّخَذُوا آيَاتِي وَ رُسُلِي هُزُوءًا» أى بكفرهم و اتخاذهم آياتى أى أدلتى الداله على توحيدى يعنى القرآن و رسلى هزوا أى مهزوءا به.

إشاره

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا- (١٠٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا (١٠٨) قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَدًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا (١٠٩) قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَ لَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا (١١٠)

القراءه

قرأ أهل الكوفه غير عاصم أن ينفذ بالياء و الباقون «تَنْفَذَ» بالتاء و فى الشواذ قراءه ابن عباس و ابن مسعود و مجاهد و سليمان التيمي و لو جئنا بمثله مدادا.

الحجه

قال أبو على: تنفذ بالتاء أحسن لأن المسند إليه للفعل مؤنث و المذكر حسن أيضا لأن التانيث ليس بحقيقى و من قرأ «مَدَدًا» فهو منصوب على الحال كما يقال جتتك يزيد عونا لك و مددا لك و يجوز أن ينتصب على المصدر بفعل مضمر يدل عليه قوله «وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ» فكأنه قال أمددنا به إمدادا ثم وضع مددا موضع إمدادا و قال الزجاج: هو منصوب على التمييز و من قال جئنا بمثله مدادا فإنه ينتصب على التمييز و المعنى بمثله من المداد و يكون مثل قولك لى مثله عبدا أى من العبيد و على التمره مثلها زبدا أى من الزبد.

اللغه

الفردوس البستان الذى يجتمع فيه التمر و الزهر و سائر ما يمتع و يلذ قال الزجاج: هو البستان الذى يجمع محاسن كل بستان قال و قال قوم أن الفردوس الأوديه التى تنبت ضروبا من النبت و قالوا هو بالروميه منقول إلى لفظ العرييه و لم نجده فى أشعار العرب إلا فى بيت حسان:

فإن ثواب الله كل موحد جنان من الفردوس فيها يخلد

و الحول التحول يقال قد حال من مكانه حولا- كما قالوا فى المصادر صغر صغرا و عظم عظما و عاد فى حبه عودا و قيل إن الحول أيضا الحيله و قيل أن الحول بمعنى التحويل يقال حولوا عنها تحويلا و حولا عن الأزهري و ابن الأعرابي و المداد التى يكتب به و المدد المصدر و هو مجىء شىء بعد شىء و الكلمه الواحده من الكلام و قد يقال للقصيده كلمه لأنها قطعته واحده من الكلام و مما يسأل عنه فيقال إن الكلمات لأقل العدد فكيف جاء بها هاهنا و الجواب أن العرب تستغنى بالجمع القليل عن الجمع الكثير و بالكثير عن القليل قال الله تعالى وَ هُمْ فِي الْعُرْفَاتِ آمِنُونَ و الغرف فى الجنه أكثر من أن تحصى و قال هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ و قال حسان:

لنا الجففات الغر يلمعن فى الضحى و أسيفنا يقطرن من نجده دما

و كان أبو على الفارسى ينكر الحكايه التى تروى عن النابغه و أنه قال لحسان: قلت جففاتكم و أسيفكم فقال لا يصح هذا عن النابغه.

الإعراب

إن جعلت «نُزُلًا» بمعنى المنزل فهو خبر كان على ظاهره و إن جعلته بمعنى ما يقام للنازل قدرت المضاف على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس و نعيمهما نزلا و يجوز أن يكون نزلا جمع نازل فيكون نصبا على الحال من الضمير فى لهم و معنى كان أنه كان فى علم الله تعالى قبل أن يخلقوا عن ابن الأنبارى و قوله «فَلْيَعْمَلْ» يجوز كسر اللام و إسكانها و الأصل الكسر إلا أنه فى يتقل اللفظ.

المعنى

لما تقدم ذكر حال الكافرين عقبه سبحانه بذكر حال المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» أى صدقوا الله و رسوله «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ» أى كان فى حكم الله و علمه لهم بساتين الفردوس و هو أطيب موضع فى الجنة و أوسطها و أفضلها و أرفعها عن قتاده و قيل هو الجنة الملتفه الأشجار عن قتاده و قيل هو البستان الذى فيه الأعناب عن كعب و

روى عباده بن الصامت عن النبى ص قال الجنة مائه درجه ما بين كل درجتين كما بين السماء و الأرض الفردوس أعلاها درجه منها تفجر أنهار الجنة الأربعة فإذا سألتم الله تعالى فاسألوه الفردوس

«نُزُلًا» أى منزلا- و مأوى و قيل ذات نزول «خَالِدِينَ فِيهَا» أى دائمين فيها «لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا» أى لا يطلبون عن تلك الجنات تحولا إلى موضع آخر لطيبتها و حصول مرادهم فيها ثم أمر سبحانه نبيه ص فقال «قُلْ» يا محمد لجميع المكلفين «لَوْ كَانَ الْبَحْرُ» و هو اسم الجنس أى لو كان البحر بمائه «مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي» أى مدادا ليكتب به ما يقدر الله عليه من الكلام و الحكم و قيل أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على أن يخلقه من الأشياء و يأمر به كما قال فى عيسى (عليه السلام) وَ كَلِمَتُهُ أَلْفَاها إِلَى

مَزِيَمٍ وَقِيلَ أَرَادَ بِالْكَلِمَاتِ مَا وَعَدَ لِأَهْلِ الثَّوَابِ وَأُوعِدَ لِأَهْلِ الْعِقَابِ عَنْ أَبِي مُسْلِمٍ «لَنْفَدَ الْبَحْرُ» أَيْ لَفَنِي مَاءَ الْبَحْرِ «قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي» وَقِيلَ أَنَّ كَلِمَاتِهِ الْمُرَادَ بِهَا مَقْدُورَاتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ وَقَوْلُهُ «وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا» أَيْ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِ الْبَحْرِ مَدَدًا لَهُ أَيْ عَوْنًا وَزِيَادَةً لَمَا نَفَدَ ذَلِكَ وَقِيلَ أَرَادَ بِكَلِمَاتِ رَبِّي مَعَانِيَ كَلِمَاتِ رَبِّي وَفَوَائِدَهَا وَهِيَ الْقُرْآنُ وَسَائِرُ كِتَابِهِ وَلَمْ يَرِدْ بِذَلِكَ أَعْيَانُ الْكَلِمَاتِ لِأَنَّهُ قَدْ فَرَّغَ مِنْ كِتَابَتِهَا فَيَكُونُ تَقْدِيرُ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكُنَّا بِمَعَانِيَ كَلِمَاتِ رَبِّي لِنَفِدِ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كِتَابُهُ مَعَانِيَ كَلِمَاتِ رَبِّي فَحُذِفَ لِأَنَّ الْمَعْنَى مَفْهُومٌ وَالْمَدَادُ هُوَ الْجَائِي وَالْآتِي شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: سُمِّيَ الْمَدَادُ مَدَادًا لِإِمْدَادِهِ الْكَاتِبَ وَيُقَالُ لِلزَّيْتِ الَّذِي يُوقَدُ بِهِ السَّرَاجُ مَدَادًا وَرَوَى عِكْرَمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَا نَزَلَ قَوْلُهُ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا قَالَتِ الْيَهُودُ أُوتِينَا عِلْمًا كَثِيرًا أَوْ تِينَا التَّوْرَةَ وَفِيهَا عِلْمٌ كَثِيرٌ فَأَنْزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ وَلِذَلِكَ قَالَ الْحَسَنُ: أَرَادَ بِالْكَلِمَاتِ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِكُ وَلَا يَحْصِي وَنَظِيرُهُ «لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ الْآيَةَ ثُمَّ قَالَ «قُلْ» يَا مُحَمَّدُ «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: عِلْمُ اللَّهِ نَبِيَّهُ التَّوَّاضِعُ لِثَلَاثِ زَهْيٍ عَلَى خَلْقِهِ فَأَمْرُهُ أَنْ يَقْرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِأَنَّهُ آدَمِيٌّ كَغَيْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ أَكْرَمُ بِالْوَحْيِ وَهُوَ قَوْلُهُ «يُوحِي إِلَيَّ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَاحِدٌ» لَا شَرِيكَ لَهُ أَيْ لَا فَضْلَ لِي عَلَيْكُمْ إِلَّا بِالْإِيمَانِ وَالنَّبُوَّةِ وَلَا عِلْمَ لِي إِلَّا مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ تَعَالَى «فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ» أَيْ فَمَنْ كَانَ يَطْمَعُ فِي لِقَاءِ ثَوَابِ رَبِّهِ وَيَأْمَلُهُ وَيَقْرَأُ بِالْبَعْثِ إِلَيْهِ وَالْوَقُوفِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ فَمَنْ كَانَ يَخْشَى لِقَاءَ عِقَابِ رَبِّهِ وَقِيلَ إِنَّ الرَّجَاءَ يَشْتَمِلُ عَلَى كَلَا الْمَعْنِيِّينَ الْخَوْفَ وَالْأَمَلَ وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ:

فَلَا كُلَّ مَا تَرْجُو مِنَ الْخَيْرِ كَائِنًا وَلَا كُلَّ مَا تَرْجُو مِنَ الشَّرِّ وَاقِعًا

«فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا» أَيْ خَالِصًا لِلَّهِ تَعَالَى يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَيْهِ «وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» غَيْرُهُ مِنْ مَلَكٍ أَوْ بَشَرٍ أَوْ حَجَرٍ أَوْ شَجَرٍ عَنِ الْحَسَنِ وَقِيلَ مَعْنَاهُ لَا يَرَائِي فِي عِبَادَتِهِ أَحَدًا عَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَ

قَالَ مُجَاهِدٌ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ إِنِّي أَتَصَدَّقُ وَأَصِلُ الرَّحِمَ وَلَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِلَّهِ فَيَذَكُرُ ذَلِكَ مِنِّي وَأَحْمَدُ عَلَيْهِ فَيَسْرُنِي ذَلِكَ وَأَعْجَبَ بِهِ فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ يَقُلْ شَيْئًا فَتَزَلَّتِ الْآيَةُ

قَالَ عَطَاءٌ:

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ «وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا» وَلَمْ يَقُلْ وَلَا يَشْرِكْ بِهِ لِأَنَّهُ أَرَادَ الْعَمَلَ الَّذِي يَعْمَلُ اللَّهُ وَيَحِبُّ أَنْ يَحْمَدَ عَلَيْهِ قَالَ وَلِذَلِكَ يَسْتَحِبُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يَدْفَعَ صَدَقَتَهُ إِلَى غَيْرِهِ لِيَقْسِمَهَا كَيْلًا يَعْظُمُهُ مِنْ يَصِلُهُ بِهَا وَ

رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكَاءِ فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ

ص: ٣٥٥

برى ء فهو للذى أشرك) أورده مسلم فى الصحيح

و

روى عن عباده بن الصامت و شداد بن أوس قالا سمعنا رسول الله ص يقول من صلى صلاه يرائى بها فقد أشرك و من صام صوما يرائى به فقد أشرك ثم قرأ هذه الآيه

و

روى أن أبا الحسن الرضا (عليه السلام) دخل يوما على المأمون فرآه يتوضأ للصلاه و الغلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعباده ربك أحدا فصرف المأمون الغلام و تولى إتمام وضوئه بنفسه

وقيل إن هذه الآيه آخر آيه نزلت من القرآن و

روى الشيخ أبو جعفر بن بابويه بإسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن على (عليه السلام) قال ما من عبد يقرأ «قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ» إلى آخره إلا- كان له نورا فى مضجعه إلى بيت الله الحرام فإن كان من أهل البيت الحرام كان له نورا إلى بيت المقدس

و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلا يتيقظ فى الساعه التى يريدھا.

النظم

وجه اتصال الآيه الثانيه و هى قوله «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى» بما قبلها أنه لما تقدم الأمر و النهى و الوعد و الوعيد و عقب ذلك سبحانه ببيان أن مقدراته لا تنهاى و أنه قادر على ما يشاء فى أفعاله و أوامره على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف أن يمتثل أمره و نهيه و يثق بوعدده و يتقى وعيده.

ص: ٣٥٦

(١٩) سورة مريم مكيه و آياتها ثمان و تسعون (٩٨)

اشاره

[توضيح]

و هي مكيه بالإجماع.

عدد آياتها

و هي ثمان و تسعون آيه عراقى شامى و المدنى الأول و تسع مكى و المدنى الأخير.

اختلافها

ثلاث آيات «كهيعص» كوفى «الرَّحْمَنُ مَدًّا» غير الكوفى «فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ» مكى و المدنى الأخير.

فضلها

أبى بن كعب عن النبى ص قال من قرأها أعطى من الأجر بعدد من صدق بزكريا و كذب به و يحيى و مريم و عيسى و موسى و هارون و إبراهيم و إسحاق و يعقوب و إسماعيل عشر حسنات و بعدد من دعى لله ولدا و بعدد من لم يدع له ولدا و

قال الصادق (عليه السلام) من أدمن قراءه سورة مريم لم يمت فى الدنيا حتى يصيب منها ما يغنيه فى نفسه و ماله و ولده و كان فى الآخرة من أصحاب عيسى بن مريم (عليه السلام) و أعطى من الأجر فى الآخرة ملك سليمان بن داود فى الدنيا.

تفسيرها

ختم الله سبحانه سورة الكهف بذكر التوحيد و الدعاء إليه و افتتح هذه السوره بذكر الأنبياء الذين كانوا على تلك الطريقه بعثا على الاقتداء بهم و الاهتداء بهديهم و حثا عليه فقال:

ص: ٣٥٧

اشاره

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذِ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)

وَإِنِّي خِفْتُ الْمِيَوَالِي مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا (٦)

القراءه

قرأ أبو عمرو وكهيعص بإماله ها وفتح يا وقرأ ابن عامر بروايه ابن ذكوان وحمزه و خلف بفتح ها و إماله يا وقرأ الكسائي بإماله ها و يا و روى ذلك عن اليزيدى عن أبي عمرو و عن يحيى عن أبي بكر و الباقون بفتحها وقرأ أبو عمرو و الكسائي يرثنى و يرث بالجزم فيهما و الباقون بالرفع فيهما و فى الشواذ قراءه الحسن ذكر رحمه ربك و قراءه عثمان و ابن عباس و زيد بن ثابت و

على بن الحسين و محمد بن على الباقر و ابن يعمر و سعيد بن جبير و إنى خفت الموالى

بفتح الخاء و تشديد الفاء و كسر التاء و

قراءه على بن أبى طالب (عليه السلام) و ابن عباس و جعفر بن محمد و ابن يعمر و الحسن و الجحدري و قتاده و أبى نهيك يرثنى و أرث من آل يعقوب.

الحجه

قال أبو على: القول فى إماله هذه الحروف أنها لا تمتنع لأنها ليست بحروف معنى و إنما هى أسماء لهذه الأصوات قال سيبويه: قالوا بإمالاتها لأنها أسماء لما يتهجى به فجازت فيها الإمالة كما جازت فى الأسماء و يدللك على أنها أسماء أنك إذا أخبرت عنها أعربتھا و إن كنت لا تعربھا قبل ذلك كما أن أسماء العدد إذا أخبرت عنها أعربتھا فكما أن أسماء العدد قبل أن تعربھا أسماء فكذلك هذه الحروف و إذا كانت أسماء ساغت الإمالة فيها فأما من لم يمل فعلى مذهب أهل الحجاز و كلهم أخفى نون عين إلا حفصا فإنه بين النون و قال أبو عثمان: و بيان النون مع حروف الفم لحن إلا أن هذه الحروف تجرى على الوقف عليها و القطع لها عما بعدها فحكمها البيان و أن لا تخفى فكذلك أسماء العدد حكمها على الوقف و على أنها منفصله عما بعدها و مما يبين أنها على الوقف أنهم قالوا ثلاثه أربعه نقلوا حركه الهمزه إلى الهاء لسكونها و لم يقلبوها تاء و إن كانت موصوله لما كانت النيه بها الوقف فكذلك النون ينبغى أن تبين لأنها فى نيه الوقف و الانفصال مما بعدها و لمن لم يبين أن يستدل بتركهم قطع الهمزه فى الم الله أ لا ترى أن الهمزه لم تقطع و إن كان ما هى منه فى تقدير الانفصال مما قبله فكذلك لم يبين النون من عين لأنها جعلت فى حكم الاتصال كما

كانت الهمزة فيما ذكرنا كذلك قال أبو الحسن: التبيين يعنى تبين النون أجود فى العربيه لأن حروف الهجاء و العدد يفصل بعضها من بعض قال و عامه القراء على خلاف التبيين و وجهه الرفع فى قوله «بِرِثْنِي وَ بَرِثُ» إنه سأل ربه وليا وارثا و ليس المعنى على الجزاء أى إن وهبته يرث و وجه الجزم أنه على الجزاء و جواب الدعاء و من قرأ يرثنى و أرث فمعناه التجريد و تقديره فهب لى وليا يرثنى منه و أرث من آل يعقوب و هذا الوارث نفسه قال ابن جنى: قال:

و هذا ضرب من العربيه غريب فكأنه جرد منه وارثا و مثل قوله تعالى «لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ» و هى نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار دارا و عليه قول الأخطل:

بنزوه لص بعد ما مر مصعب بأشعث لا يفلى و لا هو يقمل

و مصعب نفسه هو الأشعث فكأنه استخلص منه أشعث و أما قراءه الحسن ذكر رحمه ربك فإن فاعل ذكر ضمير ما تقدم أى هذا المتلو من القرآن الذى هذه الحروف أوله و فاتحته بذكر رحمه ربك و على هذا أيضا يرتفع قوله «ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ» أى هذا القرآن ذكر رحمه ربك و إن شئت كان التقدير و مما نقص عليك ذكر رحمه ربك فيكون على الوجه الأول ذكر خبر مبتدأ و على الوجه الثانى يكون مبتدأ و من قال خفت الموالى فمعناه قل بنو عمى و أهلى و معنى «مِنْ وَرَائِي» أى من أخلفه بعدى فقوله «مِنْ وَرَائِي» حال متوقعه محكيه أى متصورا متوقعا كونهم بعدى و مثله مسأله الكتاب مررت برجل معه صقر صائدا به غدا أى متصورا به صيده به غدا.

اللغة

الوهن الضعف و نقصان القوه يقال وهن يهن وهنا و الاشتعال انتشار شعاع النار و قوله «وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا» من أحسن الاستعارات و المعنى اشتعل الشيب فى الرأس و انتشر كما ينتشر شعاع النار قال الزجاج: يقال للشيب إذا كثر جدا قد اشتعل رأس فلان و أنشد للبيد:

إن ترى رأسى أمسى واضحا سلط الشيب عليه فاشتعل

و الدعاء طلب الفعل من المدعو و فى مقابلته الإجابة كما إن فى مقابله الأمر الطاعة و المولى أصله من الولى و هو القرب و سمى ابن العم مولى لأنه يليه فى النسب و قال ابن الأنبارى فى كتاب مشكل القرآن: المولى فى اللغة ينقسم على ثمانية أقسام المنعم المعتق و المنعم عليه المعتق و الولى و الأولى بالشىء و ابن العم و الجار و الصهر و الحليف و استشهد على كل قسم من هذه الأقسام بشىء من الشعر و مما استشهد به فى أنه بمعنى الولى و الأولى قول الأخطل:

فأصبحت مولاها من الناس بعده و أخرى قريش أن تهاب و تحمدا

و قوله أيضا يخاطب بنى أميه:

أعطاكم الله جدا تنصرون به لا جد إلا صغير بعد محتقر

لم يأشروا فيه إذ كانوا مواليه و لو يكون لقوم غيرهم أشروا

و العاقر المرأه التي لا تلد يقال امرأه عاقر و رجل عاقر لا يولد له ولد قال الشاعر:

لبس الفتى إن كنت أسود عاقرا جبانا فما عذرى لدى كل محضر

و العقر فى البدن الجرح و منه أخذ العاقر لأنه نقص أصل الخلقه إما بالجراحه و إما بامتناع الولاده و عقرت الفرس بالسيف ضربت قوائمه و الجعل على أربعة أقسام بمعنى الأحداث كقولهم جعل البناء أى أحدثه و بمعنى أن يحدث ما يتغير به كقولهم جعل الطين خزفا و بمعنى أن يحدث فيه حكما كقولهم جعل فلانا فاسقا أى بما أحدث فيه من حكمه و تسميته و بمعنى أن يحدث ما يدعوه إلى أن يفعل كقولهم جعله أن يقتل زيدا أى بأن أمره به و دعاه إلى قتله.

الإعراب

«ذِكْرٌ» مرتفع بالمضمر و تقديره هذا الذى يتلوه عليك ذكر رحمه ربك و هو مصدر مضاف إلى ما هو المفعول فى المعنى و رحمه مصدر مضاف إلى الفاعل و عبده مفعول رحمه و زكريا بدل من عبده أو عطف بيان و يقرأ بالقصر و المد و قوله «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي» بيان و تفسير للنداء الخفى و شيئا منصوب على التمييز و التقدير و اشتعل الرأس من الشيب بدعائك تقديره بدعائى إياك فالمصدر مضاف إلى المفعول كقوله مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَ بِسْؤَالِ نَعَجَتِكَ.

المعنى

«كهيعص» قد بينا فى أول البقره اختلاف العلماء فى الحروف المعجم التى فى أوائل السور و شرحنا أقوالهم هناك و حدث عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: أن كاف من كريم و ها من هاد و ياء من حكيم و عين من عليم و صاد من صادق و فى روايه عطا و الكلبي عنه أن معناه كاف لخلق هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم ببريته صادق فى وعده و على هذا فإن كل واحد من هذه الحروف يدل على صفه من صفات الله عز و جل و

روى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال فى دعائه أسألك يا كهيعص

«ذِكْرٌ رَحِمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا» أى هذا خبر رحمه ربك زكريا عبده و يعنى بالرحمه إجابته إياه حين دعاه

و سأله الولد و زكريا اسم نبي من أنبياء بنى إسرائيل كان من أولاد هارون بن عمران أخى موسى بن عمران و قيل إن معناه ذكر ربك عبده بالرحمة «إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا» أى حين دعا ربه دعاء خفيا خافيا سرا غير جهر يخفيه فى نفسه لا يريد به رياء و فى هذا دلالة على أن المستحب فى الدعاء الإخفاء و إن ذلك أقرب إلى الإجابة و

فى الحديث خير الدعاء الخفى و خير الرزق ما يكفى

و قيل إنما أخفاه لئلا يهزأ به الناس فيقول انظروا إلى هذا الشيخ يسأل الولد على الكبر «قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي» أى ضعف و إنما أضاف الوهن إلى العظم لأن العظم مع صلابته إذا ضعف و تناقص فكيف باللحم و العصب و قيل إنما خص العظم لأنه شكا ضعف البطش و البطش إنما يكون بالعظم دون اللحم و غيره «وَ اشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا» معناه أن الشيب قد عم الرأس و هو نذير الموت عن أبى مسلم و قيل معناه تلاً الشيب فى رأسى لكثرة عن ابن الأنبارى وصف حاله خضوعا و تذلا لا تعريفا «وَ لَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا» أى و لم أكن بدعائى إياك فيما مضى مخيبا محروما و المعنى أنك قد عودتنى حسن الإجابة و ما خيبتنى فيما سألتك و لا حرمتنى الاستجابة فيما دعوتك فلا تخيبنى فيما أسألك و لا تحرمنى إجابتك فيما أدعوك يقال شقى فلان بحاجته إذا تعب بسببها و لم يحصل مطلوبه منها «وَ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ» و هم الكلاله عن ابن عباس و قيل العصبه عن مجاهد و

قيل هم العمومه و بنو العم عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل بنو العم و كانوا أشرار بنى إسرائيل عن الجبائى و قيل هم الورثه عن الكلبي «مِنْ وَرَائِي» أى من خلفى «وَ كَانَتْ أُمَّرَأَتِي عَاقِرًا» أى عقيما لا تلد «فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا» أى ولدا يلينى فيكون أولى بميراثى «يَرِثُنِي» إن قرأته بالجزم فالمعنى أن تهبه لى يرثنى و إن رفعته جعلته صفه لولى و المعنى وليا وارثا لى «وَ يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» و هو يعقوب بن ماتان و أخوه عمران بن ماتان أبو مريم عن الكلبي و مقاتل و قيل هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم لأن زكريا كان متزوجا بأخت أم مريم بنت عمران و هو نسبها يرجع إلى يعقوب لأنها من ولد سليمان بن داود (عليه السلام) و هو من ولد يهوذا بن يعقوب و زكريا من ولد هارون و هو من ولد لاوى بن يعقوب عن السدى ثم اختلف فى معناه قيل معناه يرثنى مالى و يرث من آل يعقوب النبوه عن أبى صالح و قيل معناه يرث نبوتى و نبوه آل يعقوب عن الحسن و مجاهد و استدل أصحابنا بالآيه على أن الأنبياء يورثون المال و أن المراد بالإرث المذكور فيها المال دون العلم و النبوه بأن قالوا إن لفظ الميراث فى اللغه و الشريعة لا- يطلق إلا- على ما ينتقل من الموروث إلى الوارث كالأموال و لا- يستعمل فى غير المال إلا على طريق المجاز و التوسع و لا يعدل عن الحقيقه إلى المجاز بغير دلالة أيضا فإن زكريا (عليه السلام) قال فى دعائه «وَ اجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا» أى اجعل يا رب ذلك الولى

الذى يرثنى مرضيا عندك ممثلاً- لأمرك و متى حملنا الإرث على النبوه لم يكن لذلك معنى و كان لغوا عبثاً لا ترى أنه لا يحسن أن يقول أحد اللهم ابعث لنا نبيا و اجعله عاقلاً- مرضيا فى أخلاقه لأنه إذا كان نبيا فقد دخل الرضا و ما هو أعظم من الرضا فى النبوه و يقوى ما قلناه أن زكريا صرح بأنه يخاف بنى عمه بعده بقوله «وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي» و إنما يطلب وارثاً لأجل خوفه و لا- يليق خوفه منهم إلا- بالمال دون النبوه و العلم لأنه (عليه السلام) كان أعلم بالله تعالى من أن يخاف أن يبعث نبيا من ليس بأهل للنبوه و أن يورث علمه و حكمته من ليس لهما بأهل و لأنه إنما بعث لإذاعه العلم و نشره فى الناس فكيف يخاف من الأمر الذى هو الغرض فى بعثته فإن قيل إن هذا يرجع عليكم فى وراثه المال لأن فى ذلك إضافه الضن و البخل إليه قلنا معاذ الله أن يستوى الأمران فإن المال قد يرزق المؤمن و الكافر و الصالح و الطالح و لا يمتنع أن يأسى على بنى عمه إذا كانوا من أهل الفساد أن يظفروا بماله فيصرفوه فيما لا ينبغى بل فى ذلك غايه الحكمة فإن تقويه الفساد و إعانتهم على أفعالهم المذمومه محظوره فى الدين فمن عد ذلك بخلا و ضنا فهو غير منصف و قوله «خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي» يفهم منه أن خوفه إنما كان من أخلاقهم و أفعالهم و معانى فيهم لا من أعيانهم كما أن من خاف الله تعالى فإنما خاف عقابه فالمراد به خفت تضييع الموالى مالى و إنفاقهم إياه فى معصيه الله تعالى.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٧ الى ١١]

اشاره

يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أُنَى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا وَ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَ قَدْ خَلَقْتَكَ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ تَكُ شَيْئًا (٩) قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠) فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (١١)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائى «عِتِيًّا» و صِلِيًّا و جِيًّا* و بكيا بكسر أوائلها و حفص كذلك إلا

فى بُكِيًا فإنه يضم الباء منها و الباقون بالضم فى الجمع و قرأ حمزه و الكسائى خلقناك و الباقون «خَلَقْتُكَ».

الحج

قال أبو على: اعلم أن ما كان على فعول كان على ضربين (أحدهما) أن يكون جمعا و الآخر أن يكون مصدرا و قد جاءت أحرف فى غير المصادر و هى قليلة و الجمع إذا كان على فعول من معتل اللام جاء على ضربين (أحدهما) أن يكون اللام واوا و الآخر أن يكون ياء فما كانت اللام منه واوا من هذه المجموع قلبت إلى الياء و ذلك نحو حقو و حقى و عصا و عصى و قد جاءت حروف قليلة من ذلك على الأصل فمن ذلك ما حكاه سيبويه من قولهم إنكم لتنظرون فى نجو كثيره و قولهم فتو فى جمع فتى فما كان كذلك فإن كسر الفاء فيه مطرد و ذلك نحو ولى و حقى و عصى و إنما جاز ذلك لأنها غيرت تغييرين و هما أن الواو التى هى لام قلبت و الواو التى كانت قبلها قلبت أيضا فلما غيرت تغييرين قويا على هذا التغيير من كسر الفاء و أما ما كان لامه ياء نحو ثدى و حلى و نجى فقد كسروا الفاء أيضا منه فقالوا حلى و ثدى و إن لم يغير تغييرين فقد أجروا الياء هاهنا مجرى الواو كما أجروا الياء فى اتسر و اتبس افتعل من اليسر و اليبس مجرى الواو و فى اتصل و اتهب فأما ما كان من ذلك مصدرا فما كان من الواو فالقياس فيه أن يصح نحو العتو و العلو لأن واوه لم يلزمها الانقلاب كما لزمها الانقلاب فى الجمع و لكن لما كانوا قد قلبوا الواو فى هذا النحو و إن كان مفردا نحو معدى و مرضى قلبوا ذلك أيضا فى نحو عتى ثم أجرى المصدر مجرى الجمع فى كسر الفاء منه فأما ما كان من هذه المصادر من الياء فليس يستمر الكسر فى فائه كما استمر فى الجمع و فى المصادر التى من الواو ألا ترى أن الماضى فى نحو فَمَا اسْتَيْطَاعُوا مُضْتَيًّا ليس أحد يروى فيه الكسر فيما علمنا و حكى أبو عمرو عن أبى زيد آوى إليه إويا و مما يؤكد الكسر فى هذا النحو إنهم قد قالوا قسى فألزموها كسر القاف و ذلك إنه قلبت الواو إلى موضع اللام فلما وقعت موقعها قلبت كما تقلب الواو إذا كانت لا ما و كسرت الفاء و ألزمت الكسره و حجه من قال «قَدْ خَلَقْتُكَ» إن قبله «قَالَ رَبُّكَ» و حجه من قال خلقناك قوله فيما بعد وَ حَانَا مِنْ لَدُنَّا و لأنه قد جاء بلفظ الجمع بعد لفظ الأفراد قال سبحانه سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ثم قال وَ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ.

اللغة

الغلام اسم المذكر أول ما يبلغ و منه اشتق اغتلم الرجل إذا اشتدت شهوته للجماع ثم يستعمل فى التلميذ فيقال غلام تغلب العتى و العسى بمعنى يقال عتا يعتو عتوا و عتيا و عسى يعسو عسوا و عسيا فهو عات و عاس إذا غيره طول الزمان إلى حال اليبس

و الجفاف و فى حرف أبى و قد بلغت من الكبر عسيا و الإيحاء إلقاء المعنى إلى النفس فى خفيه بسرعه و أصله من قولهم الوحى الوحى أى الإسراع الإسراع.

الإعراب

«اسْمُهُ يَحْيَى» جملة اسميه مجروره الموضع صفه الغلام كذلك فى موضع رفع لأنه خبر مبتدأ محذوف أى الأمر كما قيل لك «و لَمْ تَكُ» أصله لم تكن حذف النون منه لكثرة فى الكلام فكأنه جزم مرتين و سويا منصوب على الحال «أَنْ سَبَّحُوا» يجوز أن يكون التقدير أى سبحوا و يجوز أن يكون أنه سبحوا فخفف و أضمر الاسم و لم يعرض من المضمرة شيئا كقوله لَوْ لَا أَنْ مَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا كما جاء العوض فى قوله لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا وَعَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَ حَسِبُوا أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةً فِيمَنْ رَفَعَ. و «بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» منصوبان على الظرف.

المعنى

«يا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ» هاهنا حذف معناه فاستجاب الله دعاء زكريا و أوحى إليه يا زكريا إنا نخبرك على ألسنه الملائكة بخبر يرى السرور به فى وجهك و هو أن يولد لك ابن «اسْمُهُ يَحْيَى» و قد تقدم تفسيره فى سورة آل عمران «لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا» أى لم يسم أحد قبله باسمه عن قتاده و ابن جريج و السدى و ابن زيد و فى هذا تشريف له من وجهين (أحدهما) إن الله سبحانه تولى تسميته و لم يكلها إلى الأبوين و الآخر أنه سماه باسم لم يسبق إليه يدل ذلك الاسم على فضله و

قال أبو عبد الله (عليه السلام) و كذلك الحسين (عليه السلام) لم يكن له من قبل سميا و لم تبيك السماء إلا عليهما أربعين صباحا قيل له و ما كان بكاؤها قال كانت تطلع حمراء و تغيب حمراء و كان قاتل يحيى ولد زنا و قاتل الحسين (عليه السلام) ولد زنا

و

روى سفيان بن عيينه عن على بن زيد عن على بن الحسين (عليه السلام) قال خرجنا مع الحسين (عليه السلام) فما نزل منزلا و لا ارتحل منه إلا ذكر يحيى بن زكريا و قال يوما و من هوان الدنيا على الله عز و جل أن رأس يحيى بن زكريا أهدى إلى بغى من بغايا بنى إسرائيل

و قيل إن معنى قوله «لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا» لم تلد العواقر مثله ولدا و هو كقوله هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا أى مثلا عن ابن عباس و مجاهد «قال رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ» فسرناه فى سورة آل عمران «وَ كَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا» قال الحسن: إنما قال ذلك على وجه الاستخبار أى

أُتَعِيدُنَا شَابِينَ أُمَّ تَرْزُقِنَا الْوَلَدَ شَيْخِينَ «وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا» معناه وقد بلغت من كبر السن إلى حال اليبس والجفاف و نحول العظم عن قتاده و مجاهد قال قتاده: كان له بضع و تسعون سنه «قَالَ كَذَلِكَ» أى قال الله سبحانه الأمر على ما أخبرتك من هبه الولد على الكبر «قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» أرد عليك قوتك حتى تقوى على الجماع و افتق رحم امرأتك بالولد عن ابن عباس «وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ» أى من قبل يحيى «وَلَمْ تَكُ شَيْئًا» أى أنشأتك و أوجدتك و لم تك شيئًا موجودا فيزاله عقر زوجتك و إزاله ما يمنع قبول الولد أيسر فى الاعتبار من ابتداء الإنشاء و

روى الحكم بن عيينه عن أبى جعفر (عليه السلام) قال إنما ولد يحيى بعد البشاره له من الله بخمس سنين

«قَالَ» زكريا يا «رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً» أى دلالة و علامه استدل بها على وقت كونه «قَالَ» الله تعالى «آيَتُكَ» أى علامتك على ذلك «أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا» أى و أنت سوى صحيح سليم من غير عله قال ابن عباس:

اعتقل لسانه من غير مرض ثلاثة أيام و قال قتاده و السدى: اعتقل لسانه من غير بأس و لا خرس فإنه كان يقرأ الزبور و يدعو إلى الله و يسبحه و لا يمكنه أن يكلم الناس و هذا أمر خارج عن العاده «فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ» أى من مصلاه عن ابن زيد و سمي المحراب محرابا لأن المتوجه إليه فى صلاته كالمحارب للشيطان على صلاته و الأصل فيه مجلس الأشراف الذى يحارب دونه ذبا عن أهله قالوا و كان زكريا قد أخبر قومه بما بشر به فلما خرج عليهم و امتنع من كلامهم علموا إجابته دعائه فسروا به «فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ» أى أشار إليهم و أوما بيده و قيل كتب لهم فى الأرض عن مجاهد «أَنْ سَبَّحُوا بُكْرَةً وَ عَشِيًّا» أى صلوا بكره و عشيا عن الحسن و قتاده و تسمى الصلاة سبحة و تسيحا لما فيها من التسيح و قيل أراد التسيح بعينه و قال ابن جريج أشرف عليهم زكريا من فوق غرفه كان يصلى فيها لا يصعد إليها إلا بسلم و كانوا يصلون معه الفجر و العشاء فكان يخرج إليهم فيأذن لهم بلسانه فلما اعتقل لسانه خرج على عادته و أذن لهم بغير كلام فعرفوا عند ذلك أنه قد جاء وقت حمل امرأته بيحيى فمكث ثلاثة أيام لا يقدر على الكلام معهم و يقدر على التسيح و الدعاء.

[سوره مريم (١٩): الآيات ١٢ الى ١٥]

اشاره

يا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَ حَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَ زَكَاةً وَ كَانَ تَقِيًّا (١٣) وَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)

ص: ٣٦٥

أصل الحنان الرحمة يقال حنانك وحنانيك و قال امرؤ القيس:

و يمنحها بنو شمجي بن جرم معيزهم حنانك ذا الحنان

و قال آخر:

قالت حنان ما أتى بك هاهنا أ ذو نسب أم أنت بالحي عارف

أى أمرنا حنان قال أبو عبيده: و أكثر ما يستعمل بلفظ التشبيه قال طرفه:

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض

و تحزن عليه أى تعطف عليه قال الحطيئة لعمر بن الخطاب:

تحزن على هداك المليك فإن لكل مقام مقالا

و حنت عليه أحن حنينا و حنانا و حنه الرجل امرأته و الجبار الذى لا يرى لأحد عليه حقا و فيه جبريه و جبروت و الجبار من النخل ما فأت اليد.

الإعراب

«بِقُوِّهِ» الباء فى موضع الحال أى خذ الكتاب مجدا مجتهدا.

المعنى

ثم قال سبحانه «يا يحيى خذ الكتاب بِقُوِّهِ» هاهنا اختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى و أعطيناه الفهم و العقل و قلنا له يا يحيى خذ الكتاب يعنى التوراه بما قواك الله عليه و أيدك به و معناه و أنت قادر على أخذه قوى على العمل به و قيل معناه بجد و صحه عزيمه على القيام بما فيه «وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» أى آتيناها النبوه فى حال صباه و هو ابن ثلاث سنين عن ابن عباس و

روى العياشى بإسناده عن على بن أسباط قال قدمت المدينة و أنا أريد مصر فدخلت على أبى جعفر محمد بن على الرضا (عليه السلام) و هو إذ ذاك خماسى فجعلت أتأمله لأصفه لأصحابنا بمصر فنظر إلى فقال لى يا على إن الله قد أخذ فى الإمامه كما أخذ فى النبوه قال وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ قال «وَ آتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» فقد يجوز أن يعطى الحكم ابن أربعين سنه و يجوز أن يعطاه الصبى

و قيل إن الحكم الفهم و هو أنه أعطى فهم الكتاب حتى حصل له عظيم الفائدة عن مجاهد و عن معمر قال

إن الصبيان قالوا ليحيى اذهب بنا لنلعب فقال ما للعب خلقنا فأنزل الله فيه «وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» و روى ذلك عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)

«وَ حَنَانًا مِنْ لَدُنَّا» و الحنان العطف و الرحمه أى و آتيناها رحمه من عندنا عن ابن عباس و قتاده و الحسن و قيل معناه تحننا على العباد و رقه قلب عليهم ليدعوهم إلى طاعه الله تعالى عن الجبائى و قيل معناه محبه منا عن عكرمه و أصله الشفقه و الرقه و منه حنين الناقه و هو صوتها

ص: ٣٦٦

قيل معناه تحنن الله عليه كان إذا قال يا رب قال الله لبيك يا يحيى و هو المروى عن الباقر (عليه السلام)

وقيل معناه تعطفنا منا عن مجاهد فهذه خمس أقوال «وَزَكَاهُ» أى و عملا صالحا زاكيا عن قتاده و الضحاك و ابن جريج و قيل زكاه لمن قبل دينه حتى يكونوا أزكيا عن الحسن و قيل يعنى بالزكاه طاعه الله و الإخلاص عن ابن عباس و قيل معناه و صدقه تصدق الله به على أبويه عن الكلبي و قيل معناه و زكياه بحسن الثناء عليه كما يزكى الشهود الإنسان عن الجبائي فهذه خمس أقوال «وَ كَانَ تَقِيًّا» أى مخلصا مطيعا متقيا لما نهى الله عنه قالوا و كان من تقواه أنه لم يعمل خطيئه و لم يهجم بها " سؤال " يقال لم أضاف الله سبحانه كونه زكاه إلى نفسه و هو إنما كان مطيعا زكيا بفعله " و جوابه " إنه إنما صار كذلك بألطف من الله لا سيما فى تلك الحالة من الصغر و لأنه إنما اهتدى بهدايه الله إياه «وَ بَرًّا بِوَالِدَيْهِ» أى بارا بوالديه محسنا إليهما مطيعا لهما لطيفا بهما طالبا مرضاتهما «وَ لَمْ يَكُنْ جَبَّارًا» أى متكبرا متطاولا- على الخلق و قيل الجبار الذى يقتل و يضرب على الغضب عن ابن عباس «عَصِيًّا» أى عاصيا لربه فعيل بمعنى فاعل «وَ سَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَ يَوْمَ يَمُوتُ وَ يَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا» أى سلام عليه منا فى هذه الأيام عن عطاء و قيل و سلامه و أمان له منا عن الكلبي و معناه سلامه و أمن له يوم ولد من عبث الشيطان به و إغوائه إياه و يوم يموت من بلاء الدنيا و من عذاب القبر و يوم يبعث حيا من هول المظلم و عذاب النار و إنما قال «حَيًّا» تأكيدا لقوله «يُبْعَثُ» و قيل يعنى أنه يبعث مع الشهداء لأنهم وصفوا بأنهم أحياء قال سفيان بن عيينه:

أوحش ما يكون الإنسان فى ثلاثه مواطن يوم ولد فىرى نفسه خارجا مما كان فيه و يوم يموت فىرى قوما لم يكن عاينهم و أحكاما ليس له بها عهد و يوم يبعث فىرى نفسه فى محشر عظيم فخص الله سبحانه يحيى بالكرامه و السلام و السلامه فى المواطن الثلاثه و قيل إن السلام الأول يوم الولاده تفضل و الثانى و الثالث على وجه الثواب و الجزاء.

إشارة

وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا (١٦) فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا (١٧) قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا (٢٠)

القراءة

قرأ أبو عمرو و ورش و قالون بروايه الحلواني و يعقوب ليهب بالياء و الباقون «لِأَهَبَ» بالهمزة.

الحجج

قال أبو علي: حججه من قال «لِأَهَبَ» فأسند الفعل إلى المتكلم و الهبه لله تعالى و منه إن الرسول و الوكيل قد يسند هذا النحو إلى نفسه و إن كان الفعل للموكل أو المرسل للعلم بأنه مترجم عنه و من قال ليهب لك فهو على تصحيح اللفظ في المعنى ففي قوله تعالى ليهب ضمير من قوله «رَبُّكَ» و هو سبحانه الواهب و زعموا أن في حرفي أبي و ابن مسعود ليهب و لو خففت الهمزة من «لِأَهَبَ» لكان في قول أبي الحسن ليهب فتقلبها ياء محضه و في قول الخليل «لِأَهَبَ» يجعلها بين الياء و الهمزة.

اللغة

النبد أصله الطرح و الانتباز افتعال منه و منه قوله «فَتَيَدُّوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ» أي ألقوه و انتبذ فلان ناحيه أي تنحى ناحيه و جلس فلان نبذه من الناس و نبذه بفتح النون و ضمها أي ناحيه و إنما يقال ذلك إذا جلس قريبا منهم حتى لو نبذوا إليه شيئا لوصل إليه فالانتباز اتخاذ الشيء بالقاء غيره عنه و المكان الشرقي الذي كان في جهه الشرق قال جرير:

هبب جنوب فذكرى ما ذكرتكم عند الصفاه إلى شرقي حوران

. الإعراب

مكانا نصب على الظرف «بَشَرًا سَوِيًّا» منصوب على الحال.

المعنى

ثم عطف سبحانه قصه مريم و عيسى (عليه السلام) على قصه زكريا و يحيى (عليه السلام) فقال «وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ» أي في كتابك هذا و هو القرآن «مَرْيَمَ» أي حديث مريم و ولادتها عيسى و صلاحها ليقنتدى الناس بها و لتكون معجزه لك «إِذِ اتَّيَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا» أي انفردت من أهلها إلى مكان في جهه المشرق و قعدت ناحيه منهم قال ابن عباس: إنما اتخذت النصرى المشرق قبله لأنها انتبذت مكانا شرقيا و قيل اتخذت مكانا تنفرد فيه للعباده لثلاث تشغل بكلام الناس عن الجبائي و قيل تباعدت عن قومها حتى لا يرونها عن الأصم و أبي مسلم و قيل إنها تمت أن تجد خلوه فتفلى رأسها فخرجت من يوم شديد

البرد فجلست فى مشرقه للشمس عن عطا «فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا» أى فضربت من دون أهلها لئلا يروها سترا و حاجزا بينها و بينهم «فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا» يعنى جبرائيل (عليه السلام) عن ابن عباس و الحسن و قتاده و غيرهم و سماه الله روحا لأنه روحانى و أضافه إلى نفسه تشريفا له «فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا» معناه فأتاها جبرائيل فانتصب بين يديها فى صورة آدمى صحيح لم ينقص منه

ص: ٣٦٨

شىء و قال أبو مسلم: إن الروح الذى خلق منه المسيح تصور لها إنسان و الأول هو الوجه لإجماع المفسرين عليه و قال عكرمه: كانت مريم إذا حاضت خرجت من المسجد و كانت عند خالتها امرأة زكريا أيام حيضها فإذا طهرت عادت إلى بيتها فى المسجد فيينا هى فى مشرقه لها فى ناحية الدار و قد ضربت بينها و بين أهلها سترًا لتغتسل و تمتشط إذ دخل عليها جبرائيل فى صورته رجل شاب أمرد سوى الخلق فأنكرته فاستعادت بالله منه «قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا» معناه إني أعتصم بالرحمن من شرك فأخرج من عندى إن كنت تقيا "سؤال" يقال كيف شرطت فى التعود منه أن يكون تقيا و التقى لا يحتاج أن يتعود منه و إنما يتعود من غير التقى "و الجواب" إن التقى إذا تعوذ بالرحمن منه ارتدع عما يسخط الله فى ذلك تخويف و ترهيب له و هذا كما تقول إن كنت مؤمنا فلا تظلمنى فالمعنى إن كنت تقيا فاتعظ و اخرج و

روى عن على (عليه السلام) أنه قال علمت إن التقى ينهاه التقى عن المعصية

و قيل إن معنى قوله «إِنْ كُنْتُ تَقِيًّا» ما كنت تقيا حيث استحلت النظر إلى و خلوت بى فلما سمع جبرائيل (عليه السلام) منها هذا القول «قال» لها «إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ» و قد بينا معنى القراءتين «عُلَامًا زَكِيًّا» أى ولدا طاهرا من الأدناس و قيل ناميا فى أفعال الخير و قيل يريد نبيا عن ابن عباس «قَالَتْ» مريم «أَنِّي يَكُونُ لِي غُلَامٌ» أى كيف يكون لى ولد «وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ» على وجه الزوجيه «وَلَمْ أَكُ بَعِيًّا» أى و لم أكن زانية و إنما قالت ذلك لأن الولد فى العاده يكون من إحدى هاتين الجهتين و المعنى أنى لست بذات زوج و غير ذات الزوج لا تلد إلا عن فجور و لست فاجره و إنما يقال للفاجره بغى بمعنى أنها تبغى الزنا أى تطلبه و فى هذه الآيات دلالة على جواز إظهار المعجزات لغير الأنبياء لأن من المعلوم أن مريم ليست بنبيه و إن رؤيه الملك على صورته البشر و بشاره الملك إياها و ولادتها من غير وطئ إلى غيرها من الآيات التى أتاها الله بها من أكبر المعجزات و من لم يجوز إظهار المعجزات على غير النبى اختلفت أقوالهم فى ذلك قال الجبائى: و ابنه أنها معجزات لزكريا (عليه السلام) و قال البلخى: إنها معجزات لعيسى على سبيل الإرهاص و التأسيس لنبوته.

اشاره

قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا (٢١) فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا (٢٢) فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا (٢٣) فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا (٢٥)

فَكُلِّي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرِينِ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنَّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا (٢٦) فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا (٢٧) يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا (٢٨) فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا (٢٩) قَالَ إِنَّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِي الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠)

القراءه

قرأ حمزه و حفص «نَسِيًّا» بفتح النون و الباقون نسيا بكسر النون و قرأ «مِنْ تَحْتِهَا» بكسر الميم أهل المدينة و الكوفه غير أبي بكر و سهل فالباقون من تحتها و قرأ حفص عن عاصم «تُسَاقِطُ» بضم التاء و كسر القاف و قرأ حماد عن عاصم و بصير عن الكسائي و يعقوب و سهل يساقط بالياء و تشديد السين و قراءه حمزه تساقط بفتح التاء و تخفيف السين و الباقون تساقط بفتح التاء و تشديد السين و فى الشواذ قراءه مسروق يساقط بضم الياء و تخفيف السين و قرأ طلحه بن سليمان رطبا جنيا بكسر الجيم فإما ترين بسكون الياء و التخفيف.

الحجه

قال أبو علي: قال أبو الحسن: النسي هو الشىء الحقيق ينسى نحو النعل و السوط و قال غيره النسي أغفل ما من شىء حقيق و قال بعضهم ما إذا ذكر لم يطلب و قالوا الكسر على اللغتين قال الشنفرى:

كان لها فى الأرض نسيا تقصه على أمها و إن تخاطبك تبت

وقال فى قوله «مَنْ تَحْتِهَا» أنه جبرائيل أو عيسى و قال بعض أهل التأويل لا يكون إلا عيسى (عليه السلام) و لا يكون جبرائيل لأنه لو كان جبرائيل لناداها من فوقها و قد يجوز أن يكون جبرائيل و ليس قوله «مَنْ تَحْتِهَا» يراد به الجهه السفلى و إنما المراد من دونها بدلاله قوله «فَمَنْ جَعَلَ رَبُّكَ تَحْتِكَ سِرِّيًّا» و لم يكن النهر محاذيا لهذه الجهه و لكن المعنى جعله دونك و قد يقال فلان تحتنا أى دوننا فى الموضوع و الأشبه أن يكون المنادى لها عيسى فإنه أشد إزاله لما خامر قلبها من الاغتمام و إذا قال من تحتها كان عاما وضع موضع الخاص و المراد به عيسى قال و الوجوه كلها كما فى تساقط متفقه فى المعنى إلا قراءه حفص أ لا ترى أن من قرأ تساقط إنما هى تساقط فحذف التاء التى يدغمها غيره و كلهم جعل فاعل الفعل الذى هو تساقط أو تساقط فى روايه حفص النخله و يجوز أن يكون فاعل تساقط أو تساقط هى جذع النخله إلا أنه لما حذف المضاف أسند الفعل إلى النخله فى اللفظ فأما تعديتهم تسقط فهو تفاعل لأن تفاعل مطاوع فاعل فكما عدى نحو تفعل فى نحو تجرعته و تمزته فكذلك عدى تفاعل فمما جاء من ذلك فى الشعر قول أوفى بن مطر:

تخاطأت النبل أحشاءه و آخر يومى فلم يعجل

و قول الآخر:

تطالعنا خيالات لسلمى كما يتطالع الدين الغرم

و قول امرئ القيس:

و مثلك بيضاء العوارض طفله لعوب تناسانى إذا قمت سربالى

أراد تنسينى و من قرأ بالياء أمكن أن يكون فاعله الهز لأن قوله «هُزَّى» قد دل عليه فإذا كان كذلك جاز أن يضمه كما أضم الكذب فى قوله (من كذب كان شرا له) و يمكن أن يكون الجذع و يجوز فى الفعل إذا أسند إلى الجذع وجهان (أحدهما) إن الفعل أضيف إلى الجذع كما أضيف إلى النخله برمتها لأن الجذع معظمها (و الآخر) أن يكون الجذع منفردا عن النخله يسقط عليها و يكون سقوط الرطب من الجذع آيه لعيسى (عليه السلام) و يصير سقوط الرطب من الجذع أسكن لنفسها و أشد إزاله لاهتمامها و سقوط الرطب من الجذع منفردا

ص: ٣٧١

من النخل مثل رزقها الذى كان يأتيها المحراب فى قوله تعالى «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا» إلى قوله «هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ» وقوله «رُطْبًا» فى هذه الوجوه منصوب على أنه مفعول به و يجوز فى قوله «تُسَاقِطُ عَلَيْكَ» أى تساقط عليك ثمره النخلة رطبا فحذف المضاف الذى هو الثمره و يكون انتصاب رطب على الحال و جاز أن يضم الثمر و إن لم يجر لها ذكر لأن ذكر النخلة يدل عليها فأما الباء فى قوله «وَهُزَّى إِلَيْكَ بِيَدِهِ النَّخْلَةَ» فيحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون زياده كقوله (ألقى بيده و ألقى يده) و قوله:

بواد يمان ينبت الشت صدره و أسفله بالمرخ و الشبهان

و نحو ذلك و يجوز أن يكون المعنى و هزى إليك بهز جذع النخلة رطبا كما قال ذو الرمة:

و صوح البقل ناآج تجى ء به هيف يمانيه فى مرها نكب

أى تجى ء بمجيئه هيف يعنى إذا جاء النجاج جاء الهيف و كذلك إذا هزت الجذع هزت بهزه رطبا أى فإذا هزرت الرطب سقط و أما قراءه مسروق يساقط فإنه بمعنى يسقط شيئا بعد شى ء و أنشد ابن جنى قول ضابئى البرجمى:

يساقط عنه روقه ضارباتها سقاط حديد القين أخول أخولا

أى يسقط قرن هذا الثور ضاريات كلاب الصيد لطنعه إياها به شيئا بعد شى ء و أما قراءه طلحه رطبا جنيا فإنه أتبع كسره الجيم كسره النون قال ابن جنى: شبه النون و إن لم يكن من حروف الحلق بهن فى نحو الشخير و النخير و الرغيف و أما ترين فهى شاذ لكنه جاء فى لغة إثبات النون فى الجزم و أنشد أبو الحسن:

لولا فوارس من قيس و أسرتهم يوم الصليفاء لم يوفون بالجار.

اللغة

القصى البعيد و القاصى خلاف الدانى و قوله «فَأَجَاءَهَا» أى جاء بها المخاض و هو مما يعدى تاره بالباء و تاره بهمزه النقل قال زهير:

و جار سار معتمدا علينا أجاها ته المخاوف و الرجاء

أى جاءت به و يروى جاء قال الكسائي: تميم تقول ما أجاك إلى هذا و ما أمشاك إليه و من أمثالهم شر أجاك إلى مخه عرقوب و تميم تقول أمشاك و لسرى النهر لأنه يسرى بجريانه قال لبيد:

فتوسطا عرض السرى فصدعا مسجوره متجاورا قلامها

و يقال قررت به عينا أقر قرورا فهي لغه قريش و أهل نجد يقولون قررت به بفتح العين أقر قرارا كما يقولون قررت بالمكان بالفتح و الجنى بمعنى المجنى من جنيت الثمره و أجنيتها إذا قطعها و قال ابن أخت جذيمه:

هذا جنأى و خياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

و فى معناه قول الكميت يمدح أهل البيت (عليه السلام):

خيارها يجتنون فيه إذ الجانون فى ذى أكفهم أربوا

قال أبو مسلم: الفرى مأخوذ من فرى الأديم إذا قطعه على وجه الإصلاح ثم يستعمل فى الكذب و قال الزجاج: يقال فلان يفرى الفرى إذا كان يعمل عملا يبالغ فيه قال الراجز:

" قد كنت تفرين به الفريا "

. الإعراب

«عَيْنًا» منصوب على التمييز «فَمَا تَرَيْنَ» أصله ترأين إلا- إن الاستعمال بغير همز و الياء فيه ضمير المؤنث و إنما حركت لالتقاء الساكنين و هما الياء و النون الأولى من المشدده كما تقول للمرأة أرضين زيدا و قوله «مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» كان هنا بمعنى الحدوث و الوقوع و التقدير كيف نكلم من وجد فى المهد " صبيا " نصب على الحال من كان و مثل كان

ص: ٣٧٣

هاهنا قوله وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرِهِ و مثله قول الربيع:

إذا كان الشتاء فأدفتوني فإن الشيخ يهدمه الشتاء

و يجوز أن يكون كان هنا مزيده كما فى قول الشاعر:

جواد بنى أبى بكر تسامى على كان المسومه العراب

فعلى هذا يكون العامل فى الحال نكلم قال الزجاج: الأجود أن يكون من فى معنى الشرط و الجزاء فيكون المعنى من يكن فى المهد صبيا فكيف نكلمه و يكون صبيا حالا كما تقول من كان لا يسمع و لا يعقل فكيف أخاطبه.

المعنى

«قَالَ كَذَلِكَ» أى قال لها جبرائيل حين سمع تعجبها من هذه البشاره الأمر كذلك أى كما وصفت لك «قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ» أى إحداث الولد من غير زوج للمرأة سهل متأت لا- يشق على «وَلِنَجْعَلُهُ آيَةً لِلنَّاسِ» معناه و لنجعله علامه ظاهره و آيه باهره للناس على نبوته و دلاله على براءه أمه «وَرَحْمَةً مِنَّا» له و لنجعله نعمه منا على الخلق يهتدون بسببه «وَوَ كَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا» أى و كان خلق عيسى من غير ذكر أمرا كائنا مفروغا عنه محتوما قضى الله سبحانه بأن يكون و حكم به «فَحَمَلَتْهُ» أى فحملت مريم بعيسى فحبلت فى الحال قيل إن جبرائيل أخذ رذن قميصها بإصبعه فنفخ فيه فحملت مريم من ساعتها و وجدت حس الحمل و قيل نفخ فى كمها فحملت عن ابن جريج و

روى عن الباقر (عليه السلام) إنه تناول جيب مدرعتها فنفخ فيه نفخه فكمّل الولد فى الرحم من ساعتها كما يكمل الولد فى أرحام النساء تسعة أشهر فخرجت من المستحم و هى حامل محج مثقل فنظرت إليها خالتها فأنكرتها و مضت مريم على وجهها مستحيه من خالتها و من زكريا

«فَأَنْتَبَيْتُ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا» أى تنحت بالحمل إلى مكان بعيد و قيل معناه انفردت به مكانا بعيدا من قومها حياء من أهلها و خوفا من أن يتهموها بسوء و اختلفوا فى مده حملها فقبل ساعه واحده قال ابن عباس: لم يكن بين الانتباز و الحمل إلا ساعه واحده لأنه تعالى لم يذكر بينهما فصلا لأنه قال «فَحَمَلَتْهُ فَأَنْتَبَيْتُ بِهِ» «فَأَجَاءَهَا» و الفاء للتعقيب و قيل حملت به فى ساعه و صور فى ساعه و وضعته فى ساعه حين زاغت الشمس من يومها و هى بنت عشر سنين عن مقاتل و

قيل كانت مده حملها تسع ساعات

و هذا مروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

وقيل سته أشهر وقيل ثمانيه أشهر و كان ذلك آيه و ذلك أنه لم يعيش مولود وضع لثمانيه أشهر غيره «فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ» أى الجأها الطلق أى وجع الولادة «إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ» فالتجأت إليها لتستند إليها عن ابن عباس و مجاهد و قتاده و السدى و قيل أجاءها أى جاء بها قال ابن عباس: نظرت مريم إلى أكمه فصعدت مسرعه إليها فإذا عليها جذع نخله نخره ليس لها سعف و الجذع ساق النخلة و الألف و اللام دخلت للعهد لا للجنس أى النخلة المعروفه فلما ولدت «قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَ كُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا» أى شيئاً حقيراً متروكاً عن ابن عباس و قيل شيئاً لا يذكر و لا يعرف عن قتاده و قيل حيضه ملقاه عن عكرمه و الضحاك و مجاهد قال ابن عباس: فسمع جبرائيل كلامها و عرف جزعها «فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا» و كان أسفل منها تحت أكمه «أَلَا تَحْزَنِي» و هو قول السدى و قتاده و الضحاك أن المنادى جبرائيل ناداها من سفح الجبل و قيل ناداها عيسى عن مجاهد و الحسن و وهب و سعيد بن جبیر و ابن زید و ابن جریر و الجبائی و إنما تمت (عليه السلام) الموت كراهيه لأن يعصى الله فيها و قيل استحياء من الناس أن يظنوا بها سوء عن السدى و

روى عن الصادق (عليه السلام) لأنها لم ترفى قومها رشيداً ذا فراسه ينزهها من السوء

«قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا» أى ناداها جبرائيل أو عيسى ليزول ما عندها من الغم و الجزع لا تغمى قد جعل ربك تحت قدميك نهراً تشربين منه و تتطهرين من النفاس عن ابن عباس و مجاهد و سعيد بن جبیر قالوا و كان نهراً قد انقطع الماء عنه فأرسل الله الماء فيه لمريم و أحيا ذلك الجذع حتى أثمر و أورق و قيل ضرب جبرائيل (عليه السلام) برجله فظهر ماء عذب و

قيل بل ضرب عيسى برجله فظهرت عين ماء تجرى و هو المروى عن أبى جعفر (عليه السلام)

و قيل السرى عيسى (عليه السلام) عن الحسن و ابن زید و الجبائی و السرى و هو الشريف الرفيع قال الحسن كان و الله عبداً سريراً «وَهَزَى إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ» معناه اجذبى إليك بجذع النخلة و الباء مزيده و قال الفراء: العرب تقول هزه و هز به «تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا» مر معناه و

قال الباقر (عليه السلام) لم تستشف النفساء بمثل الرطب إن الله أطعمه مريم فى نفاسها

و قالوا إن الجذع كان يابساً لا ثمر عليه إذ لو كان عليه ثمر لهزته من غير أن تؤمر به و كان فى الشتاء فصار معجزه بخروج الرطب فى غير أوانه و بخروجه دفعه واحده فإن العاده أن يكون نوراً أولاً ثم يصير بلحاً ثم بسراً و روى أنه لم يكن للجذع رأس فضربته برجلها فأورقت و أثمرت و انتثر عليها الرطب جنياً و الشجره التى لا رأس لها لا تثمر فى العاده و قيل إن تلك النخلة كانت برنيه و

قيل كانت عجوه و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«فَكُلِّي وَ اشْرَبِي» أى كلى يا مريم من هذا الرطب و اشربى من هذا الماء «وَقَرَى عَيْنًا» جاء فى التفسير و طبيى نفساً و قيل معناه لتقر عينك سروراً بهذا الولد الذى ترين لأن

دمعه السرور بارده و دمعه الحزن حاره و قيل معناه لتسكن عينك سكون سرور برؤيتك ما تحيين «فَأَمَّا تَرِينَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا» فسألك عن ولدك «فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا» أى صممتا عن ابن عباس و المعنى أوجبت على نفسى لله أن لا أتكلم و قيل صوما أى إمساكا عن الطعام و الشراب و الكلام عن قتاده و إنما أمرت بالصمت ليكفيها الكلام ولدها بما يبرى به ساحتها عن ابن مسعود و ابن زيد و وهب و قيل كان فى بنى إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم الصائم حتى يمسى يدل على هذا قوله «فَلَنْ أَكُلَّمُ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا» أى إنى صائم فلن أكلم اليوم أحدا و كان قد أذن لها أن تتكلم بهذا القدر ثم تسكت و لا تتكلم بشىء آخر عن السدى و قيل كان الله تعالى أمرها بأن تندر لله الصمت و إذا كلمها أحد تومئ بأنها نذرت لله صممتا لأنه لا يجوز أن يأمرها بأن تخبر بأنها نذرت و لم تندر لأن ذلك كذب عن أبى على الجبائى «فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ» أى فأتت مريم بعيسى حامله له و ذلك أنها لفته فى خرقه و حملته إلى قومها «قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا» أى أمرا عظيما بديعا إذ لم تلد أنتى قبلك من غير رجل عن مجاهد و قتاده و السدى و قيل أمرا قبيحا منكرا من الافتراء و هو الكذب عن الجبائى «يَا أُخْتُ هَارُونَ» قيل فيه أقوال (أحدها)

أن هارون هذا كان رجلا صالحا فى بنى إسرائيل ينسب إليه كل من عرف بالصلاح عن ابن عباس و قتاده و كعب و ابن زيد و المغيرة بن شعبه يرفعه إلى النبى ص

و قيل إنه لما مات شيع جنازته أربعون ألفا كلهم يسمى هارون فقولهم يا أخت هارون معناه يا شبيهه هارون فى الصلاح ما كان هذا معروفا منك (و ثانيها) أن هارون كان أخاها لأبيها ليس من أمها و كان معروفا بحسن الطريقه عن الكلبي (و ثالثها) أن هارون أخو موسى (عليه السلام) فنسبت إليه لأنها من ولده كما يقال يا أخا تميم عن السدى (و رابعها) أنه كان رجلا فاسقا مشهورا بالعهر و الفساد فنسبت إليه و قيل لها يا شبيهته فى قبح فعله عن سعيد بن جبير «مَا كَانَ أَبُوكَ أَهْرَأَ سَوْءٍ وَ مَا كَانَتْ أُمُّكَ بَعِيًّا» أى كان أبواك صالحين فمن أين جئت بهذا الولد «فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ» أى فأومت إلى عيسى (عليه السلام) بأن كلموه و استشهدوه على براءه ساحتى فتعجبوا من ذلك ثم «قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا» معناه كيف نكلم صبيا فى المهد و قيل صبيا فى الحجر رضيعا و كان المهد حجر أمه الذى تربيه فيه إذ لم تكن هيات له مهدا عن قتاده و قيل إنهم غضبوا عند إشارتها إليه و قالوا لسخريتها بنا أشد علينا من زناها فلما تكلم عيسى (عليه السلام) قالوا إن هذا الأمر عظيم عن السدى «قَالَ» عيسى (عليه السلام) «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ» قدم إقراره بالعبودية ليبطل به قول من يدعى له الربوبية و كان الله سبحانه أنطقه بذلك لعلمه بما يقوله الغالون فيه ثم قال «آتَانِي الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا» أى حكم لى بإتيان الكتاب و النبوه و قيل إن الله تعالى أكمل عقله فى صغره و أرسله إلى عباده و كان نبيا مبعوثا إلى الناس فى ذلك الوقت مكلفا عاقلا و لذلك كانت له

تلك المعجزه عن الحسن و الجبائي و قيل إنه كلمهم و هو ابن أربعين يوما عن وهب و قيل يوم ولد عن ابن عباس و أكثر المفسرين هو الظاهر و قيل إن معناه أنى عبد الله سيؤتيني الكتاب و سيجعلني نبيا و كان ذلك معجزه لمريم (عليه السلام) على براءه ساحتها.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٣١ الى ٣٥]

إشارة

وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَ بَرًّا بِوَالِدَتِي وَ لَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَ السَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أُمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعِثُ حَيًّا (٣٣) ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (٣٤) مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٣٥)

القراءة

قرأ عاصم و ابن عامر و يعقوب «قَوْلَ الْحَقِّ» بالنصب و الباقون بالرفع و فى الشواذ قراءة أبى مجلز و أبى نهيك و برا بوالدتي بكسر الباء.

الحجة

قال أبو على: قول الحق الرفع فيه على أن قوله «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» كلام و المبتدأ المضممر ما دل عليه هذا الكلام أى هذا الكلام قول الحق و يجوز أن يضم هو و يجعله كناية عن عيسى (عليه السلام) أى هو قول الحق لأنه قد قيل فيه روح الله و كلمته و الكلمه قول و أما النصب فعلى أن قوله «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» يدل على أحق قول الحق و تقول هذا زيد الحق لا الباطل لأن قولك هذا زيد عندك بمنزله أحق فكأنك قلت أحق الحق و أحق قول الحق و من قال و برا بوالدتي فكأنه قال و ألزمنى برا بوالدتي و يكون معطوفا على موضع الجار و المجرور من قوله «وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ» و عليه بيت الكتاب:

" يذهبن فى نجد و غورا غائرا "

أى و يسلكن غورا و إن شئت حملته على حذف المضاف بمعنى و جعلنى ذا بر و إن شئت جعلته إياه على المبالغه كقول الخنساء:

" فإنما هى إقبال و إدبار "

اللغة

السلام مصدر سلمت و السلام جمع سلامه و السلام اسم من أسماء الله تعالى و سلام مما يتبدأ به فى النكره لأنه اسم يكثر استعماله يقال سلام عليك و السلام عليك

و أسماء الأجناس يكثر الابتداء بها و فائده نكرتها قريب من فائده معرفتها تقول لبيك و خير بين يديك و إن شئت قلت و الخير بين يديك إلا أنه لما جرى ذكر سلام قبل هذا الموضع بغير ألف و لام كان الأحسن أن يرد ثانيه بالألف و اللام.

المعنى

ثم بين سبحانه تمام كلام عيسى (عليه السلام) فقال «وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ» أى و جعلنى معلما للخير عن مجاهد و قيل نفاعا حيث ما توجهت و البركه نماء الخير و المبارك الذى ينتمى الخير به و قيل ثابتا دائما على الإيمان و الطاعة و أصل البركه الثبوت عن الجبائى «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ» أى بإقامه الصلاه و أداء الزكاه «مَا دُمْتُ» أى ما بقيت «حَيًّا» مكلفا «وَبَرًّا بِوَالِدَتِي» أى و اجعلنى بارا بها أودى شكرها فيما قاسته بسبى «وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا» أى متجبرا «شَقِيًّا» و المعنى أنى بلطفه و توفيقه كنت محسنا إلى والدتى متواضعا فى نفسى حتى لم أكن من الجبابره الأشقياء «وَالسَّلَامُ عَلَيَّ» أى و السلامه على من الله «يَوْمَ وُلِدْتُ وَ يَوْمَ أَمُوتُ وَ يَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا» أى فى هذه الأحوال الثلاث و قد مر تفسيرها قبل فى قصه يحيى و فى هذه الآيات دلالة على أنه يجوز أن يصف الإنسان نفسه بصفات المدح إذا أراد تعريفها إلى غيره لا على وجه الافتخار قيل و لما كلمهم عيسى (عليه السلام) بهذا علموا براهه مريم ثم سكت عيسى (عليه السلام) فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المده التى يتكلم فيها الصبيان «ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» معناه ذلك الذى قال إنى عبد الله عيسى بن مريم لا ما يقوله النصارى من أنه ابن الله و أنه إله «قَوْلَ الْحَقِّ» مر معناه فى الحجة «الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ» أى يشكون يعنى اليهود و النصارى فزعمت اليهود أنه ساحر كذاب و زعمت النصارى أنه ابن الله و ثالث ثلاثة و قيل و هو افتراء النصارى و اختلافهم فبعضهم قالوا هو الله و قال بعضهم ابن الله و قال بعضهم ثالث ثلاثة ثم كذبهم الله تعالى فقال «مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ» معناه ما كان ينبغى لله أن يتخذ من ولد أى ما يصلح له و لا يستقيم عن ابن الأنبارى قال فتابت اللام عن الفعل و ذلك أن من اتخذ ولدا فإنما يتخذه من جنسه لأن الولد مجانس للوالد و الله تعالى ليس كمثله شىء فلا يكون له سبحانه ولد و لا يتخذ ولدا و قوله «مِنْ وَلَدٍ» من هذه هى الذى تدل على نفى الواحد و الجماعة فالمعنى أنه لا يجوز أن يتخذ ولدا واحدا و لا أكثر ثم نزه سبحانه نفسه عن ذلك فقال «سُبْحَانَهُ» ثم بين السبب فى كون عيسى من غير أب فقال «إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ» و قد مر تفسيره فيما مضى و المعنى أنه لا يتعذر عليه إيجاد شىء على الوجه الذى أراد.

إشارة

وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ (٣٦) فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ (٣٧) أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٣٨) وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَ هُمْ فِي غَفْلَةٍ وَ هُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (٣٩) إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا وَ إِلَيْنَا يُرْجَعُونَ (٤٠)

القراءة

قرأ أهل الكوفة و ابن عامر و روح و زيد عن يعقوب «وَإِنَّ اللَّهَ» بكسر الهمزة و الباقون بالفتح.

الحجة

قال أبو علي: حجة من كسر أنه جعله مستأنفا كما أن المعطوف عليه مستأنف و حجة من فتح أنه حملة على قوله وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ أَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ.

الإعراب و المعنى

قوله «وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَ رَبُّكُمْ» من فتح الهمزة ففيه أربعة أوجه (أحدها) أن المعنى و قضى أن الله ربى و ربكم عن أبى عمرو بن العلاء (و الثانى) أنه معطوف على كلام عيسى أى و أوصانى بأن الله ربى و ربكم (و الثالث) ذلك عيسى بن مريم و ذلك أن الله ربى و ربكم عن الفراء (و الرابع) أن العامل فيه فاعبدوه و التقدير و لأن الله ربى و ربكم «فَاعْبُدُوهُ» فحذف الجار و من كسر الهمزة جاز أن يكون معطوفا على قوله قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ أى و قال إن الله ربى و ربكم و جاز أن يكون ابتداء كلام من الله تعالى أو أمر من الله لرسوله أن يقول ذاك و قوله «هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ» معناه هذا طريق واضح فالزموه و قيل إن المعنى هذا الذى أخبركم إن الله أمرنى به هو الدين المستقيم الذى لا اعوجاج فيه «فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ» الاختلاف فى المذهب أن يعتقد كل قوم خلافا ما يعتقد الآخرون و الأحزاب جمع حزب و هو الجمع المنقطع فى رأيه عن غيره و تحزبوا أى صاروا أحزابا فالمعنى أن الأحزاب من أهل الكتاب اختلفوا فى عيسى (عليه السلام) فقال قوم منهم هو الله و هم اليعقوبية و قال آخرون هو ابن الله و هم النسطورية و قال آخرون هو ثالث ثلاثة و هم الإسرائيليه و قال المسلمون هو عبد الله عن قتاده و مجاهد و إنما قال من بينهم لأن منهم

من ثبت على الحق وقيل إن من زائده و المعنى اختلفوا بينهم «فَوَيْلٌ» أى فشد عذاب و هى كلمه وعيد «لِلَّذِينَ كَفَرُوا» بالله بقولهم فى المسيح «مِنْ مَشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ» المشهد بمعنى الشهود و الحضور أى من حضورهم ذلك اليوم و هو يوم القيامة و سمى عظيما لعظم أهواله و قيل ويل لهم من مجمع يوم أى من الفضيحة على رءوس الجمع يومئذ «أَسْمِعْ بِهِمْ وَ أَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا» قيل فيه وجهان (أحدهما) أن التقدير صاروا ذوى سمع و بصر و الجار و المجرور فى موضع رفع لأنه فاعل أسمع و المعنى ما أسمعهم و أبصرهم يوم القيامة و إن كانوا فى الدنيا صما و بكما عن الحق عن الحسن و معناه الإخبار عن قوه علومهم بالله تعالى فى تلك الحال و مثله قوله فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ «لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فى ضَلَالٍ مُّبِينٍ» يعنى أن الكافرين فى الدنيا آثروا الهوى على الهدى فهم فى ذهاب عن الدين و عدول عن الحق و المراد أنهم فى الدنيا جاهلون و فى الآخرة عارفون حيث لا تنفعهم المعرفة و قال أبو مسلم: و هذا يدل على أن قوله سبحانه صُمُّ بُكْمٌ عُمَى ليس معناه الآفه فى الأذن و اللسان و العين بل هو أنهم لا يتدبرون ما يسمعون و يرون و لا يعتبرون ألا ترى أنه جعل قوله «لَكِنَّ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فى ضَلَالٍ مُّبِينٍ» فى مقابلته فأقام السمع و البصر مقام الهدى إذ جعله فى مقابلة الضلال المبين (و الثانى) أن معناه أسمعهم و أبصرهم أى بصرهم و بين لهم أنهم إذا أتوا مع الناس إلى موضع الجزاء سيكونون فى ضلال مبين عن الجنة و الثواب عن الجبائى قال و يجوز أن يكون المعنى أسمع الناس بهؤلاء الأنبياء و أبصرهم بهم ليعرفوهم و يعرفوا خبرهم فيؤمنوا بهم لكن من كفر بهم من الظالمين اليوم يعنى يوم القيامة فى ضلال عن الجنة و هذا بعيد و قد استدرك على الجبائى فى قوله و الأولى و الأظهر فى الآيه الوجه الأول «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ» الخطاب للنبي ص و المعنى خوف يا محمد كفار مکه يوم يتحسر المسىء هلا أحسن العمل و المحسن هلا ازداد من العمل و هو يوم القيامة و قيل إنما يتحسر المستحق للعقاب فأما المؤمن فلا يتحسر و

روى مسلم فى الصحيح بالإسناد عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله ص إذا دخل أهل الجنة الجنة و أهل النار النار قيل يا أهل الجنة فيشرئبون و ينظرون و قيل يا أهل النار فيشرئبون و ينظرون فيجاء بالموت كأنه كبش أملح فيقال لهم تعرفون الموت فيقولون هذا هذا و كل قد عرفه قال فيقدم فيذبح ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت و يا أهل النار خلود فلا موت و قال و ذلك قوله «وَ أَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ» الآيه و رواه أصحابنا عن أبى جعفر (عليه السلام) و أبى عبد الله (عليه السلام) ثم جاء فى آخره فيفرح أهل الجنة فرحا لو كان أحد يومئذ ميتا لماتوا فرحا و يشهق أهل النار شهقه لو كان أحد ميتا لماتوا

«إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ» أى فرغ من الأمر و انقطعت الآمال و أدخل قوم النار و قوم الجنة و قيل معناه

انتضى أمر الدنيا فلا يرجع إليها الاستدراك الفأنت وقيل معناه حكم بين الخلائق بالعدل وقيل قضى على أهل الجنة بالخلود و
قضى على أهل النار بالخلود «وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ» فى الدنيا عن ذلك و معناه إنهم مشغولون اليوم بما لا يعينهم غافلون عن أحوال
الآخرة «وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» أى لا- يصدقون بذلك ثم أخبر سبحانه عن نفسه فقال «إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَ مَنْ عَلَيْهَا» أى نميت
سكانها فنرثها و من عليها من العقلاء لأننا نميتهم و نهلكهم فلا يبقى فيها مالك و متصرف «وَ إِلَيْنَا يُرْجَعُونَ» أى إلينا يردون بعد
الموت أى إلى حيث لا يملك الأمر و النهى غيرنا.

إشارة

وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ اِبْرَاهِيمَ اِنَّهٗ كَانَ صَدِيْقًا نَّبِيًّا (٤١) اِذْ قَالَ لِاَبِيْهِ يَا اَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِيْ عَنْكَ شَيْئًا (٤٢) يَا اَبَتِ اِنِّيْ قَدْ جِئْتُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِيْ اَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (٤٣) يَا اَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ اِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمٰنِ عَصِيًّا (٤٤) يَا اَبَتِ اِنِّيْ اَخَافُ اَنْ يَّمْسَكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمٰنِ فَتَكُوْنَ لِلشَّيْطٰنِ وَلِيًّا (٤٥)

قَالَ اُرَاغِبُ اَنْتَ عَنِ اٰلِهَتِيْ يَا اِبْرَاهِيْمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَمَآرْجُمَنَّكَ وَ اَهْجُرْنِيْ مَلِيًّا (٤٦) قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيْ اِنَّهٗ كَانَ بِيْ حَفِيًّا (٤٧) وَ اَعْتَزَلْتُكُمْ وَ مَا تَدْعُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَ اَدْعُوا رَبِّيْ عَسَى اَلَّا اَكُوْنَ بِدُعَاۤءِ رَبِّيْ شَقِيًّا (٤٨) فَلَمَّا اَعْتَزَلْتَهُمْ وَ مَا يَعْْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِ اللّٰهِ وَهَبْنَا لَهُ اِسْحٰقَ وَ يَعْقُوْبَ وَ كَلَّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَ وَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَّحْمٰتِنَا وَ جَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠)

القراءه

قد ذكرنا الاختلاف بين القراءه في قوله «يا اَبَتِ» و الوجه في ذلك في سوره يوسف (عليه السلام).

اللغه

الصدق هو كثير التصديق بالحق حتى يصير علما فيه و الرغبه عن الشىء نقيض الرغبه فيه و الترغيب الدعاء إلى الرغبه في الشىء و الانتهاء الامتناع من الفعل المنهى عنه يقال نهاه عن الأمر فانتهى و أصله النهايه و النهى زجر عن الخروج من النهايه المذكوره و التناهى بلوغ نهايه الحد و الرجم الرمي بالحجاره و الرجم الشتم و أصله من الرجم و الرجام و هو الحجاره و الملى الدهر الطويل قال القراءه: يقال كنت عندنا ملوه و ملوه و ملوه و ملاوه و ملاوه و كله من طول المقام و الحفى المستقصى فى السؤال و الحفى اللطيف بعموم النعمه و أصل الباب الاستقصاء تقول تحفيت به أى بالغت فى إكرامه و حفوته من كل خير بالغت فى منعه و أحفيت شاربى بالغت فى أخذه حتى استأصلته و أحفيت فى السؤال بالغت و كل شىء استوصل فقد احتفى و تقول العرب جاءنى لسان فلان أى مدحه و ذمه قال عامر بن الحرث:

إنى أتنى لسان لا أسر بها من علو لا عجب منها و لا سخر

جاءت مرجمه قد كنت أحذرها لو كان ينفعنى الإشفاق و الحذر

. الإعراب

قال الزجاج: العرب تقول فى النداء يا أبت و يا أمت و لا يقال قال أبتى كذا و قالت أمتى كذا و زعم الخليل و سيبويه أنهما بمنزله قولهم يا عمه و يا خاله و زعم أنه بمنزله قولهم رجل ربه و غلام يفعه و أن الهاء عوض من ياء الإضافة فى يا أبى و يا أمتى و قوله «مَلِيًّا» منصوب على الظرف و كلا مفعول جعلنا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه قصه إبراهيم (عليه السلام) فقال «وَ اذْكُرْ» يا محمد «فِي الْكِتَابِ» أي القرآن «إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا» أي كثير التصديق في أمور الدين عن الجبائي وقيل صادقًا مبالغًا في الصدق فيما يخبر عن الله تعالى عن أبي مسلم «نَبِيًّا» أي عليا رفيع الشأن برسالة الله تعالى «إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ» آزر «يَا أَبَتِ» أي يا أبي ودخلت التاء للمبالغة في تحقيق الإضافة «لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ» دعاء من يدعوه «وَلَا يُبْصِرُ» من يتقرب إليه ويعبده «وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا» من أمور الدنيا أي لا يكفيك شيئًا فلا ينفعك ولا يضررك «يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ وَالْمَعْرِفَةِ» ما لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي» على ذلك واقتد بي فيه «أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا» أي أوضح لك طريقًا مستقيمًا معتدلاً غير جائر بك عن الحق إلى الضلال «يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ» أي لا تطعه فيما يدعوك إليه فتكون بمنزلة من عبده ولا شبهه أن الكافر لا يعبد الشيطان ولكن من أطاع شيئًا فقد عبده «إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ

عَصِيًّا» أى عاصيا «يا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عِذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ» أى يصيبك عذاب من جهه الله سبحانه لإصرارك على الكفر «فَتَكُونُ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا» أى فتكون موكولا- إلى الشيطان و هو لا- يغنى عنك شيئا عن الجبائى وقيل معناه فتكون لا حقا بالشيطان باللعن و الخذلان و اللاحق يسمى التالى و الذى يتلو الشىء و الذى يليه سواء عن أبى مسلم وقيل فتكون له قرينا فى النار وقيل معناه فيكون الشيطان ولى نصرتك و لم يقل فيكون الشيطان وليك لأنه أبلغ فى الفصيحه و إنما أراد زجره عن موالاته الشيطان لا تحقيق النصره يعنى إذا لم يكن لك إلا نصرته فأنت مخذول لا ناصر لك و قد بينا فيما مضى أن الذى يقوله أصحابنا أن هذا الخطاب من إبراهيم (عليه السلام) إنما توجه إلى من سماه الله أبا له لأنه كان جدا لإبراهيم (عليه السلام) لأمه و أن أباه الذى ولده كان اسمه تارخ لإجماع الطائفة على أن آباء نبينا ص إلى آدم (عليه السلام) كلهم مسلمون موحدون

و لما روى عنه ص أنه قال لم يزل ينقلنى الله تعالى من أصلاب الطاهرين إلى أرحام المطهرات حتى أخرجنى فى عالمكم هذا

و الكافر غير موصوف بالطهاره لقوله تعالى «إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ» «قَالَ» آزر مجيبا لإبراهيم (عليه السلام) حين دعاه إلى الإيمان «أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي» أى أ معرض أنت عن عباده آلتهى التى هى الأصنام «يا إِبراهيمُ» و تارك لها و زاهد فيها «لَئِنْ لَمْ تَنْتَهَ» أى لئن لم تمتنع عن هذا «لَأَرْجُمَنَّكَ» بالحجاره عن الحسن و الجبائى وقيل لأرجمنك بالذنب و العيب و أشتمنك عن السدى و ابن جريج وقيل معناه لأقتلنك «وَ أَهْجُرْنِي مَلِيًّا» أى فارقتى دهرًا طويلا عن الحسن و مجاهد و سعيد بن جبير و السدى وقيل مليا سويا سليما عن عقوبتى عن ابن عباس و قتاده و عطاء و الضحاک من قولهم فلان ملئ بهذا الأمر إذا كان كاملا فيه مضطلعا به «قَالَ» إبراهيم «سَيِّئًا لِمَ عَلَيَّكَ» سلام توديع و هجر على أطف الوجوه و هو سلام متاركة و مباعده منه عن الجبائى و أبى مسلم وقيل هذا سلام إكرام و بر فقابل جفوه أبيه بالبر تأديه لحق الأبوه أى هجرتك على وجه جميل من غير عقوق «سَأَسْأَلُكَ رَبِّي» قيل فيه أقوال (أحدها) أنه إنما وعده بالاستغفار على مقتضى العقل و لم يكن بعد قد استقر قبح الاستغفار للمشركين (و ثانيها) أنه قال سأستغفر لك ربي على ما يصح و يجوز من تركك عباده الأوثان و إخلاص العباده لله تعالى عن الجبائى (و ثالثها) أن معناه سأدعو الله أن لا يعذبك فى الدنيا عن الأصم «إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا» أى بارا لطيفا رحيفا عن ابن عباس و مقاتل وقيل إن الله عودنى إحسانه و كان لى مكرما وقيل كان عالما بى و بما أبتغيه من مجالدتك لعله يهديك «وَ أَعْتَرَلُكُمْ وَ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى و أنتحى منكم جانبا و اعتزل عباده ما تدعون من دونه من الأصنام «وَ أَدْعُوا» أى و أعبد «رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا» كما شقيتم بدعاء الأصنام و إنما ذكر عسى على وجه

الخشوع وقيل معناه لعله يقبل طاعتي و عبادتي و لا أشقى بالرد فإن المؤمن بين الرجاء و الخوف «فَلَمَّا اعْتَرَلَهُمْ وَ مَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أى فارقهم و هاجرهم إلى الأرض المقدسه «وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ» ولدا «وَوَيْعُوبَ» ولد ولد «وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا» أى آنسنا وحشته من فراقهم بأولاد كرام على الله و كلا من هذين جعلناه نبيا يقتدى به فى الدين «وَوَهَبْنَا لَهُمْ مِنْ رَحْمَتِنَا» أى نعمتنا سوى الأولاد النبوه من نعم الدين و الدنيا «وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا» أى ثناء حسنا فى الناس عليا مرتفعا سائرا فى الناس و كل أهل الأديان يتولون إبراهيم و ذريته و يثنون عليهم و يدعون أنهم على دينهم و قيل معناه و أعلينا ذكرهم بأن محمدا ص و أمته يذكرونهم بالجميل إلى قيام القيامة و قيل هو ما يتلى فى التشهد كما صليت على إبراهيم و آل إبراهيم.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٥١ الى ٥٥]

إشارة

وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥١) وَ نادَيْناه مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا (٥٢) وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا (٥٣) وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَ كَانَ رَسُولًا نَبِيًّا (٥٤) وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ وَ كَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا (٥٥)

القرءاء

قرأ أهل الكوفة «مُخْلَصًا» بفتح اللام و الباقون مخلصا بكسرها.

الحجج

من كسر اللام فحجته و أَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ و من فتحها فحجته إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ.

اللغة

يقال ناجاه ينجاه إذا اختصه بكلام ألقاه إليه و أصل النجاه الارتفاع من الأرض و منه النجاه أيضا و هو الارتفاع عن الهلكه و النجاه السرعة لأنه ارتفاع فى السير و منه المناجاه لأنه ارتفاع الحديث إلى المحدث و النجى بمعنى المناجى كالجلس و الضجيع و قيل نجى مصدر بمعنى ارتفاع لأن معنى قربناه رفعناه و يجوز أن يكون التقدير و قربناه مكانا رفيعا.

المعنى

ثم ذكر سبحانه حديث موسى (عليه السلام) فقال «وَ اذْكَرْ» يا محمد «فى

الْكِتَابِ» الذى هو القرآن «مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا» أخلص العباد لله تعالى و أخلص نفسه لأداء رساله و بفتح اللام يكون معناه أخلصه الله بالنبوه و اختاره للرساله «وَ كَانَ رَسُولًا» إلى فرعون و قومه «نَبِيًّا» رفيع الشأن على القدر «وَ نَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْمَأْيَمَنِ» الطور جبل بالشام ناداه الله تعالى من جانبه اليمين و هى يمين موسى و قيل من جانب اليمين من الطور يريد حيث أقبل من مدين و رأى النار فى الشجره و هو قوله «يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» «وَ قَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا» أى مناجيا كليما قال ابن عباس: قربه الله و كلمه و معنى هذا التقريب أنه أسمع كلامه و قيل قربه حتى سمع صرير القلم الذى كتبت به التوراه و قيل قربناه أى و رفعنا منزلته و أعلينا محله حتى صار محله منا فى الكرامه و المنزله محل من قربه مولاه فى مجلس كرامته فهو تقرب كرامه و اصطفاء لا تقرب مسافه و إدناء إذ هو سبحانه لا يوصف بالحلول فى مكان فيقرب من بعد أو يبعد من قرب أو يكون أحد أقرب إليه من غيره «وَ وَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا» أى أنعمنا عليه بأخيه هارون حيث قال وَ اجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِى هَارُونَ وَ جعلناه نبيا أشركناه فى أمره و شددنا به أزره «وَ اذْكُرْ فِي الْكِتَابِ» الذى هو القرآن «إِسْمَاعِيلَ» بن إبراهيم أيضا «إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ» إذا وعد بشىء وفى به و لم يخلف «وَ كَانَ» مع ذلك «رَسُولًا نَبِيًّا» إلى جرحهم و قد مضى معناه

قال ابن عباس أنه واعد رجلا- أن ينتظره فى مكان و نسي الرجل فانتظره سنه حتى أتاه الرجل و ذلك مروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

و قيل أقام ينتظره ثلاثه أيام عن مقاتل و قيل أن إسماعيل بن إبراهيم (عليه السلام) مات قبل أبيه إبراهيم (عليه السلام)

و إن هذا هو إسماعيل بن حزقيل بعثه الله إلى قومه فسلخوا جلده ووجهه و فروه رأسه فخيره الله فيما شاء من عذابهم فاستغفاه و رضى بثوابه و فوض أمرهم إلى الله تعالى فى عفوه و عقابه و رواه أصحابنا عن أبى عبد الله (عليه السلام) ثم قال فى آخره أتاه ملك من ربه يقرئه السلام و يقول قد رأيت ما صنع بك و قد أمرنى بطاعتك فمرنى بما شئت فقال يكون لى بالحسين (عليه السلام) أسوه

«وَ كَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ» أى قومه و عترته و عشيرته و قيل أمته عن الحسن «بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ» و قيل أنه كان يأمر أهله بصلاه الليل و صدقه النهار «وَ كَانَ» مع ذلك «عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا» قد رضى أعماله لأنها كلها طاعات لم تكن فيها قبائح و قيل مرضيا معناه صالحا زكيا رضى فحصل له عنده المنزله العظيمه.

اشاره

وَ اذْكَرْ فِي الْكِتَابِ اِدْرِيسَ اِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا (٥٦) وَ رَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا (٥٧) اُولَئِكَ الَّذِيْنَ اَنْعَمَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّنَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ اٰدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ اِبْرٰهِيْمَ وَ اِسْرٰئِيْلَ وَ مِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا اِذَا تَتَلٰوٰى عَلَيْهِمْ آيٰتُ الرَّحْمٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَ بُكْيًا (٥٨) فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ اَضَاعُوا الصَّلٰةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهْوٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا (٥٩) اِلَّا مَنْ تَابَ وَ اٰمَنَ وَ عَمِلَ صٰلِحًا فَاُولٰٓئِكَ يَدْخُلُوْنَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظْلَمُوْنَ شَيْئًا (٦٠)

اللغة

العلی العظيم العلو و العلی العظيم فیما یقدر به علی الأمور و منه یوصف الله تعالی بأنه علی و الفرق بین العلی و الرفیع أن العلی قد یكون بمعنی الاقتدار و بمعنی علو المكان و الرفیع من رفع المكان لا غیر و لذلك لا یوصف الله تعالی بأنه رفیع و أما رفیع الدرجات فإنه وصف للدرجات بالرفعه و بکی وزنه فعول و هو جمع باک و یجوز أن یكون مصدرا بمعنی البكاء و الخلف بفتح اللام یستعمل فی الصالح و بسكون اللام فی الطالح و قد یستعمل کل واحد فی الآخر قال لیبید:

ذهب الذین یعاش فی أکنافهم و بقیة فی خلف کجلد الأجر

. الإعراب

«سُجَّدًا وَ بُكْيًا» نصب علی الحال و تقدیره خروا ساجدین و باکین قال الزجاج: و هی حال مقدره المعنی خروا مقدرین السجود لأن الإنسان فی حال خروره لا یكون ساجدا «إِلَّا مَنْ تَابَ» فی موضع نصب أى فسوف یلقون العذاب إلا التائبین فیكون الاستثناء متصلا و یجوز أن یكون الاستثناء منقطعا من غیر الأول و یكون المعنی لكن من تاب و آمن فأولئك یدخلون الجنة.

المعنى

ثم ذکر سبحانه حدیث ادریس فقال «وَ اذْكَرْ» یا محمد «فِي الْكِتَابِ» الذى هو القرآن «اِدْرِيسَ» و هو جد أب نوح (عليه السلام) و اسمه فی التوراه أخنوخ و قيل أنه سمی

إدريس لكثرة درسه الكتب و هو أول من خط بالقلم و كان خياطاً و أول من خاط الثياب و قيل إن الله تعالى علمه النجوم و الحساب و علم الهياه و كان ذلك معجزه له «إِنَّهُ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا» مر معناه «وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا» أى عالياً رفيعاً و قيل إنه رفع إلى السماء الرابعه عن أنس و أبى سعيد الخدرى و كعب و مجاهد و قيل إلى السماء السادسة عن ابن عباس و الضحاك قال مجاهد: رفع إدريس (عليه السلام) كما رفع عيسى (عليه السلام) و هو حى لم يمت و قال آخرون

أنه قبض روحه بين السماء الرابعه و الخامسه و روى ذلك عن أبى جعفر

و قيل إن معناه و رفعنا محله و مرتبه بالرساله كقوله تعالى «وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ» و لم يرد به رفعه المكان عن الحسن و الجبائى و أبى مسلم و لما فصل سبحانه ذكر النبيين و وصف كلاله منهم بصفه تخصه جمعهم فى المدح و الثناء فقال «أُولَئِكَ» تقدم ذكرهم «الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» بالنبوه و قيل بالثواب و بسائر النعم الدينيه و الدنيويه «مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَ مِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَ مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْرَائِيلَ» إنما فرق سبحانه ذكر نسبهم مع أن كلهم كانوا من ذريه آدم (عليه السلام) لتبيان مراتبهم فى شرف النسب فكان لإدريس شرف القرب لآدم لأنه جد نوح (عليه السلام) و كان إبراهيم من ذريه من حمل مع نوح لأنه من ولد سام بن نوح و كان إسماعيل و إسحاق و يعقوب من ذريه إبراهيم لما تباعدوا من آدم حصل لهم شرف إبراهيم و كان موسى و هارون و زكريا و يحيى و عيسى و من ذريه إسرائيل «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا» قيل إنه تم الكلام عند قوله «إِسْرَائِيلَ» ثم ابتداء فقال «وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَ اجْتَبَيْنَا» من الأمم قوم «إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَ بُكِيًّا» فحذف لدلاله الكلام عليه عن أبى مسلم و

روى عن على بن الحسين (عليه السلام) أنه قال نحن عينا بها

و قيل بل المراد به الأنبياء الذين تقدم ذكرهم من ذريه آدم و ممن هديناهم و اجتبيناهم أى هديناهم إلى الحق فاهتدوا و اخترناهم من بين الخلق ثم وصفهم فقال «إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ» أى تقرأ عليهم «آيَاتُ الرَّحْمَنِ» و هو القرآن عن ابن عباس «خَرُّوا سُجَّدًا» أى ساجدين لله «وَبُكِيًّا» أى باكين متضرعين إليه بين الله سبحانه أنهم مع جلاله قدرهم كانوا يبكون عند ذكر آيات الله و هؤلاء العصاه ساهون لاهون مع إحاطه السيئات بهم ثم أخبر سبحانه فقال «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ» و الخلف البدل السيئ معناه من بعد النبيين المذكورين قوم سوء و قيل هم اليهود و من تبعهم لأنهم من ولد إسرائيل و قيل هم من هذه الأمة عند قيام الساعه عن مجاهد و قتاده «أَضَاعُوا الصَّلَاةَ» تركوها عن محمد بن كعب و

قيل أضاعوها بتأخيرها عن مواقيتها من غير أن تركوها أصلاً عن ابن مسعود و إبراهيم و عمر بن عبد العزيز و الضحاك و هو المروى عن أبى عبد الله (عليه السلام)

«وَأَتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ» أى انفذوا الشهوات فيما حرم الله عليهم فقال وهب: فخلف من بعدهم خلف

شرابون للقهوات لعابون بالكعبات ركابون للشهوات متبعون للذات تاركون للجمعات مضيعون للصلوات «فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» أى يلقون مجازاه الغى عن الزجاج وهذا كقوله «وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا» أى مجازاه الآثام وقيل يلقون غيا أى شرا وخيبه عن ابن عباس و ابن زيد و منه قول الشاعر:

" و من يغو لا يعدم على الغى لائما "

أى يخب وقيل الغى واد فى جهنم عن ابن مسعود و عطاء و كعب «إِلَّا مَنْ تَابَ» أى ندم على ما سلف «وَأَمَّنَ» فى مستقبل عمره «وَعَمِلَ صَالِحًا» من الواجبات و المندوبات «فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَ لَا يُظَلَّمُونَ شَيْئًا» و من قرأ يدخلون بضم الياء و فتح الخاء أراد أن الله سبحانه يدخلهم الجنة بأن يأمرهم بدخولها و هذا يطابق قوله «وَأَلَّا يُظَلَّمُونَ» و من قرأ «يَدْخُلُونَ» أراد أنهم يدخلونها بأمر الله و المعنيان واحد و لا يبخسون شيئا من ثوابهم بل يوفيه الله إليهم على التمام و الكمال و فى هذا دلالة على أن الله لا يمنع أحدا ثواب عمله و لا يبطله لأنه سبحانه سمي ذلك ظلما.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٦١ الى ٦٥]

اشاره

جَنَّاتٍ عِدْنٍ الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًا (٦١) لَا يَسْتَمِعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا (٦٢) تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا (٦٣) وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا (٦٤) رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا (٦٥)

القراءه

قرأ رويس عن يعقوب نورث بالتشديد و الباقون «نُورِثُ» و فى بعض الروايات عن أبى عمرو «هَلْ تَعْلَمُ» يدغم اللام فى التاء و الأكثر الإظهار.

الحجه

يقال أورثه و ورثه بمعنى قال أبو على يرى سيبويه أن إدغام اللام فى التاء و الدال و الطاء و الصاد و الزاى و السين جائز لأن مخرج اللام قريب من مخارجهن و هى حروف

ص: ٣٨٨

طرف اللسان و أنشد لمزاحم العقيلي:

فذر ذا و لكن هتيعن متيما على ضوء برق آخر الليل ناصب.

الإعراب

«جَنَاتِ عَدْنٍ» بالنصب على البدل من قوله الْجَنَّةَ و قوله «بِالْغَيْبِ» في موضع الحال أي كائنه بالغيب و ذو الحال جنات عدن و سلاما استثناء منقطع فكأنه قال لا يسمعون فيها كلاما يؤلمهم و لكن يسمعون سلاما «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ» تقديره قل ما نتنزل فأضمر القول. «لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَ مَا خَلْفَنَا وَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ» قال أبو على هذه الآية تدل على أن الأزمنة ثلاثه ماض و هو قوله «مَا بَيْنَ أَيْدِينَا» و مستقبل و هو قوله «وَمَا خَلْفَنَا» و حال و هو قوله «وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ» «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ» بدل من اسم كان و إن شئت كان خبر مبتدأ محذوف و إن شئت كان مبتدأ و قوله «فَاعْبُدْهُ» خبره و هذا على قول الأخفش دون سيويه.

النزول

قيل أن العاص بن وائل السهمي لم يعط أجره أجير استعمله و قال لو كان ما يقوله محمد حقا فنحن أولى بالجنة و نعيمها فحينئذ أوفره أجره فنزل «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ» الآية و قيل احتبس الوحي أياما لما سئل النبي ص عن قصة أصحاب الكهف و ذى القرنين و الروح فشق ذلك عليه فلما أتاه جبرائيل استبطأه فنزلت «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ» الآية عن عكرمه و الضحاك و قتاده و الكلبي و مقاتل.

المعنى

ثم وصف سبحانه الجنة فقال «جَنَاتِ عَدْنٍ» أي جنات إقامه يقال عدن بالمكان إذا أقام به و وحده في الآية المتقدمه و جمع ها هنا فكأنه جنة تشتمل على جنات و قيل لأن لكل واحد من المؤمنين جنة تجمعها الجنة العظماء «الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ» المراد بالعباد المؤمنون كما قال فَاذْخُلِي فِي عِبَادِي وَ ادْخُلِي جَنَّتِي و قيل إنه يتناول المؤمن و الكافر و لكن بشرط رجوع الكافر عن كفره و قال «بِالْغَيْبِ» لأنهم غابوا عما فيها مما لا عين رأت و لا أذن سمعت عن ابن عباس و المعنى أنه وعدهم أمرا لم يكونوا يشاهدونه فصدقوه و هو غائب عنهم «إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ» أي موعوده «مَأْتِيًّا» أي آتيا لا محاله و المفعول هنا بمعنى الفاعل لأن ما آتيته فقد أتاك و ما أتاك فقد آتيته يقال آتيت على خمسين سنة و أتت على خمسون سنة و قيل إن الموعود هو الجنة و الجنة مأتية يأتيها المؤمنون «لَا يَشْعُرُونَ فِيهَا لُغْوًا» أي لا يسمعون في تلك الجنات القول الذي لا معنى له يستفاد و هو اللغو و قيل قد

يكون اللغو الهزل و ما يلغى من الكلام مثل الفحش و الأباطيل «إِلَّا سَلَامًا» أى إلا سلام الملائكة عليهم و سلام بعضهم على بعض قال الزجاج: السلام اسم جامع لكل خير لأنه يتضمن السلامه أى يسمعون ما يسلمهم «وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا» قال المفسرون ليس فى الجنة شمس و لا قمر فيكون لهم بكره و عشيا و المراد أنهم يؤتون برزقهم على ما يعرفونه من مقدار الغداء و العشاء و قيل كانت العرب إذا أصاب أحدهم الغداء و العشاء لعجبت به و كانت تكره الوجبه و هى الأكله الواحده فى اليوم فأخبر الله تعالى أن لهم فى الجنة رزقهم بكره و عشيا على قدر ذلك الوقت و ليس ثم ليل و إنما هو ضوء و نور عن قتاده و قيل إنهم يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحجب و إغلاق الأبواب و مقدار النهار برفع الحجب و فتح الأبواب «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي هِيَ مذكوره فى قوله «فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ» التى «نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا» أى إنما نملك تلك الجنة من كان تقيا فى دار الدنيا بترك المعاصى و فعل الطاعات و إنما قال «نُورِثُ» مع أنه ليس بتمليك نقل من غيرهم إليهم لأنه شبه بالميراث من جهه أنه تمليك بحال استؤنفت عن حال قد انقضت من أمر الدنيا كما ينقضى حال الميت من أمر الدنيا عن الجبائى و قيل إنه تعالى أورثهم من الجنة المساكن و المنازل التى كانت لأهل النار لو أطاعوا الله تعالى و أضاف العباد إلى نفسه لأنه أراد المؤمنين «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ»

قال ابن عباس إن النبى ص قال لجبرائيل ما منعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا

فنزل «وَمَا نَنْزِلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ» الآية أى إذا أمرنا نزلنا عليك و هو قول مجاهد و قتاده و الضحاك و قيل إنه قول أهل الجنة إنا لا ننزل موضعا من الجنة إلا بأمر الله تعالى عن أبى مسلم «لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ» معناه له ما بين أيدينا من أمر الآخرة و ما خلفنا أى ما مضى من أمر الدنيا و ما بين ذلك أى ما بين النفختين عن ابن عباس و قتاده و الضحاك و الربيع قال مقاتل: و ما بين النفختين أربعون سنه و قيل معناه ابتداء خلقنا و منتهى آجالنا و مده حياتنا و قيل ما بين أيدينا ما بقى من أمر الدنيا و ما خلفنا ما مضى من الدنيا و ما بين ذلك من حياتنا أى هو المدبر لنا فى الأوقات الماضيه و الآتية و الذاهبه و قيل ما بين أيدينا أى الأرض عند نزولنا و ما خلفنا السماوات إذ نزلنا منها و ما بين ذلك السماء و الأرض «وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا» قيل هذا تمام حكاية قول الملائكة و قول أهل الجنة و قيل بل تم الكلام قبله ثم أخبر الله سبحانه عن نفسه و معناه أنه سبحانه ليس ممن ينسى و يخرج عن كونه عالما لأنه عالم لذاته و تقديره و ما نسيك يا محمد و إن آخر الوحي عنك و قيل ما كان ربك ناسيا لأحد حتى لا يبعثه يوم القيامة عن أبى مسلم «رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أى خالقهما و مدبرهما «وَمَا يَبِينُهُمَا» من الخلائق و الأشياء «فَاعْبُدْهُ» وحده لا شريك له «وَأَصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ»

أى اصبر على تحمل مشقه عبادته ثم قال لنبه ص «هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا» أى مثلا و شبيها عن ابن عباس و مجاهد و ابن جريج و سعيد بن جبير و قيل هل تعلم أحدا يستحق أن يسمى إليها إلا هو عن الكلبي و قيل هل تعلم أحدا يسمى إليها خالقا رازقا محيا مميتا قادرا على الثواب و العقاب سواه حتى تعبده فإذا لم تعلم ذلك فالزم عبادته و هذا استفهام بمعنى النفي أى لا تعلم من يسمى بلفظه الله.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٦٦ الى ٧٠]

إشارة

وَ يَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مَاتَ لَسِيوفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوْ لَا- يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَ لَمْ يَكُ شَيْئًا (٦٧) فَو رَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا (٦٨) ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا (٦٩) ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا (٧٠)

القراءه

قرأ نافع و عاصم و ابن عامر و روح و زيد عن يعقوب و سهل «أَوْ لَا يَذْكُرُ» خفيفا و الباقون أ و لا يذكر بالتشديد.

الحجه

قال أبو على: التذکر يراد به التدبر و التفكير و ليس تذکرا عن نسيان و الثقيله كأنه فى هذا المعنى أكثر فمن ذلك قوله أَوْ لَمْ نَعْمُرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ و قَالَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ* فإضافته إلى أولى الألباب يدل على أن المراد به النظر و التفكير و الخفيفه فى هذا المعنى دون ذلك فى الكثره و قد قال الله تعالى إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ* فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ* و زعموا أنه فى حرف أبى أ و لا يتذكر و أما قوله «وَلَمْ يَكُ شَيْئًا» فمعناه لم يك شيئا موجودا و ليس يراد أنه قبل الخلق لم يقع عليه اسم شىء و هذا كقوله تعالى هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا و قد قال إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ.

اللغه

الجشى جمع الجاشى و هو الذى برك على ركبتيه و أصله جشو فعول من جشى يجشو و قد تقدم القول فيه فى أوائل السوره و الشيعه الجماعه المتعاونون على أمر واحد من الأمور و منه تشايح القوم إذا تعاونوا و الصلى مصدر صلى يصلى صليا مثل لقى يلقى لقا و صلى يصلى صليا مثل مضى يمضى مضيا.

العامل في قوله «أ إذا ما مِتُّ» مضممر دل عليه قوله «لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا» و التقدير أ إذا ما مت بعثت و لا يجوز أن يعمل فيه أخرج لأن ما بعد اللام لا يعمل فيما قبله كما أن ما بعد أن كذلك و ما بعد الاستفهام و حرف النفي و قد ذكرنا ذلك في مواضع «و الشَّيَاطِينِ» يحتمل أن يكون منصوبا بأنه مفعول به أى و نحشر الشياطين و يحتمل أن يكون مفعولا معه بمعنى لنحشرنهم مع الشياطين و جثيا منصوب على الحال و عتيا منصوب على التمييز و كذلك صليا فأما الرفع فى «أَيُّهُمْ أَشَدُّ» قال الزجاج: فيه ثلاثه أقوال (أحدها) قال سيبويه عن يونس أن لنزعن معلقه لم تعمل شيئا فكان قول يونس ثم لنزعن من كل شيعة ثم استأنف فقال أيهم (و الثانى) حكى سيبويه عن الخليل أنه بمعنى الذين يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا و مثله قول الشاعر:

و لقد أتيت من القناه بمنزل فأبيت لا حرج و لا محروم

و المعنى فأبيت بمنزله الذى يقال لا هو حرج و لا محروم (و الثالث) قال سيبويه: أن أيهم مبنية على الضم لأنها خالفت أخواتها بأن استعمل معها حذف الابتداء تقول أضرب أيهم أفضل تريد أيهم هو أفضل فيحسن الاستعمال كذلك بحذف هو و لا يحسن أضرب من أفضل حتى تقول من هو أفضل و لا- يحسن كل ما أطيب حتى تقول كل ما هو أطيب قال: فلما خالفت من و ما و الذى لا تقول فيه أيضا حذف الذى أفضل حتى تقول حذف الذى هو أفضل فلما خالفت الاختلاف بنيت على الضم فى الإضافة و النصب حسن و إن كنت قد حذف هو لأن هو قد يجوز حذفها و قد قرئ تماما على الذى أحسن على معنى الذى هو أحسن قال أبو على: ينبغى أن يكون مراد يونس بقوله أن الفعل معلق أنه معمل فى موضع من كل شيعة و ليس يريد به أنه غير معمل فى شىء البتة بل يريد أنه معمل فى موضع الجار و المجرور لأن لفظ التعليق إنما يستعمل فيما يعمل فى الموضع دون اللفظ و لو أراد أنه لا- عمل له فى لفظ و لا موضع لقال ملغى و لم يقل معلق كما تقول فى زيد ظننت منطلق أنه ملغى و إذا كان كذلك كان قول الكسائى فى الآيه مثل قول يونس لأن الكسائى قال: أن قوله «لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ» كقولك أكلت من طعام فإن كان كذلك كان أيهم منقطعاً من هذه الجملة و كانت جملة مستأنفة فإن قال قائل لم زعم سيبويه أنه إذا حذف العائد من الصلة و جب البناء على الضم فالجواب أن الصلة تبين الموصول و توضحه كما أن المضاف إليه يبين المضاف و يخصصه فكما أن المضاف إليه لما حذف بنى المضاف فكذلك لما حذف العائد من الصلة إلى الموصول هنا بنى فإن قال ما ينكر أن لا يكون حذف المبتدأ العائد من الصلة عوض

حذف المضاف إليه من المضافات لأن المحذوف هنا بعض الجملة و في المضاف قد حذف المضاف كله قيل إن حذف العائد هنا نظير حذف المضاف إليه هناك ألا ترى أن الذى يبين به الموصول و يتضح إنما هو الراجع الذى فى الجملة و لو لا الراجع لم يبين و إذا كان المبين له الراجع من الجملة فالحذف منها كان بمنزلة حذف المضاف إليه من المضاف.

النزول

نزل قوله «وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ» الآية فى أبى بن خلف الجمحى و ذلك أنه أخذ عظاما باليا فجعل يفته بيده و يذريه فى الريح و يقول زعم محمد ص أن الله يبعثنا بعد أن نموت و نكون عظاما مثل هذا إن هذا شىء لا يكون أبدا عن الكلبى و قيل نزلت فى الوليد بن المغيرة فى روايه عطاء عن ابن عباس.

المعنى

لما تقدم ذكر الوعد و الوعيد و البعث و النشور حكى سبحانه عقيبه قول منكرى البعث و رد عليهم بأوضح بيان و أجلى برهان فقال «وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا» هذا استفهام المراد به الإنكار و الاستهزاء أى أ إذا ما مت أعادنى الله حيا فقال سبحانه مجيبا لهذا الكافر «أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ» أى أ و لا يتذكر هذا الجاحد حال ابتداء خلقه فيستدل بالابتداء على الإعادة و قيل أن الإنسان هنا مفرد فى اللفظ مجموع فى المعنى يريد جميع منكرى البعث «وَلَمْ يَكُ شَيْئًا» معناه و لم يك شيئا كائنا أو مذكورا "سؤال" قيل كيف تدل النشأة الأولى على النشأة الثانية و الواحد منا يقدر على أفعاله كالحركات و السكنات و الأصوات و غيرها و لا يقدر على إعادتها "و الجواب" من وجوه (أحدها) أنه سبحانه خلق الأجسام و الحياه فيها و البقاء جائز عليها فيجب أن يقدر على إعادتها بخلاف أفعالنا فإنها لا تبقى و لا يصح الإعادة عليها (و الثانى) أن الابتداء أصعب من الإعادة فإذا كان قادرا على الابتداء فلأن يكون قادرا على الإعادة أولى (و الثالث) أنه سبحانه استدل بخلق الأجسام على أنه قادر لذاته إذ القادر بقدره لا يصح منه فعل الأجسام و إذا كان قادرا لذاته و يقدر على إيجاد ما يصح وجوده و قتين قدر على إعادته ثم حقق سبحانه أمر الإعادة فقال «فَوَرَبِّكَ» يا محمد «لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَ الشَّيَاطِينَ» أى لنجمعنهم و نبعثنهم من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين و قيل لنحشرنهم و لنحشرن الشياطين أيضا «ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهِنَّ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا» أى مستوفزين على الركب عن قتاده و المعنى يجثون حول جهنم متخاصمين و يتبرأ بعضهم من بعض لأذن المحاسبه تكون بقرب جهنم و قيل جثيا أى جماعات جماعات عن ابن عباس كأنه قيل زمرا و هو جمع جثوه و جثوه هى المجموع من التراب و الحجاره و قيل معناه قياما على الركب و ذلك لضيق المكان بهم لا يمكنهم أن

يجلسوا عن السدى «ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شَيْعَةٍ» أى لنستخرجن من كل جماعه «أُيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا» أى الأعتى فالأعتى منهم قال قتاده: لنزعن من كل أهل دين قادتهم و رءوسهم فى الشر و العتى هاهنا مصدر كالعنو و هو التمرد فى العصيان و قيل يبدأ بالأكثر جرماً فالأكثر عن مجاهد و أبى الأحوص «ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا» أى لنحن أعلم بالذين هم أولى بشده العذاب و أحق بعظيم العقاب و أجدر بلزوم النار.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٧١ الى ٧٥]

اشاره

وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا- وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًّا (٧٢) وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا (٧٣) وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَ رِيًّا (٧٤) قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَ إِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أضعفُ جُندًا (٧٥)

القراءه

قرأ الكسائى و روح و زيد عن يعقوب ثم ننجى بالتخفيف و الباقون «نُجِّي» بالتشديد و قرأ ابن كثير مقاما بضم الميم و الباقون بفتحها و قرأ أهل المدينه غير ورش و ابن عامر و الأعشى و البرجمى عن أبى بكر و ربا بغير همز مشدده الياء و الباقون «وَ رِيًّا» مهموزه فى الشواذ قراءه طلحه و ربا خفيفه بلا همز و قراءه سعيد بن جبير و زيا بالزاي.

الحجه

أنجاه ينجيه و نجاه ينجيه بمعنى و المصدر و اسم الموضع من باب يفعل يجى ء على مفعل فالمقام بفتح الميم يصلح أن يكون مصدرا من قام يقوم و يصلح أن يكون اسم الموضع و المقام المصدر و الموضع من أقام يقيم فأما قول زهير:

و فيهم مقامات حسان و جوههم و أنديه يتتابها القول و الفعل

ص: ٣٩٤

فإنما هو على حذف المضاف أى أهل مقامات و مشاهد و روى عن الأصمعى أنه قال:

المجلس القوم و أنشد:

" و استب بعدك يا كليب المجلس "

قال أبو على: المجلس موضع الجلوس فالمعنى على أهل المجلس كما أن المعنى على أهل المقامات قال السكرى:

المقامه المجلس و المقام المنزل و قوله «خَيْرٌ مَقَاماً» من ضم الميم جعله اسما للمثوى و من فتح كان كذلك أيضا ألا ترى أن الندى و النادى هما المجلس فمن ذلك قوله تعالى «و تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ» و يدل على ذلك قوله «و كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَانًا وَ رِيَاءً» فإنه لا يراد به الحدث إنما يراد به حسن الشاره و الهياه و المنظر و هذا إنما يكون فى الأماكن و أما قوله «وَ رِيَاءً» قال أبو على: روى فعل من رأيت فكأنه اسم لما ظهر و ليس المصدر و إنما المصدر الرأى و الرؤيه يدل على ذلك قوله يَرَوْنَهُمْ مِثْلِيهِمْ رَأَى الْعَيْنِ فالرأى الفعل و الرئى المرئى كالطحن و الطحن و السقى و السقى و الرعى و الرعى و من خفف الهمزه من و رياء لزم أن يبدل منها الياء لانكسار ما قبلها كما يبدل من ذئب و بئر فإذا أبدل منها الياء وقعت ساكنه قبل حرف مثله فلا بد من الإدغام و ليس يجوز الإظهار فى هذا كما جاز إظهار الواو فى نحو رؤيا و رؤيه يعنى إذا خففت الهمزه فيها لأن الياء فى رياء قبل مثل و وقعت فى رؤيا قبل ما يجرى مجرى المقارب قال ابن جنى: من قرأ و رياء مشدده فإنه فعل إما من رأيت و إما من رويت و أصله و هو من الهمزه و رياء كرعيا فخففت الهمزه و أبدلت ياء و أدغمت الياء الثانيه و يجوز أن يكون من رويت لأن للريان نضاره و حسنا فيتفق معناه و معنى و زيا بالزاي و أصله على هذا زوى فأبدلت الواو ياء و أدغمت فى الياء و أما رياء مخففة فيحتمل أن يكون مقلوبه من فعل إلى فلع فصار فى التقدير رياء ثم حذف الهمزه و ألقى حركتها على الياء قبلها فصارت رياء و يحتمل أن يكون رياء من رويت ثم خففت بحذف إحدى الياءين فصارت رياء و أما الزى بالزاي ففعل من زويت أى جمعت ذلك و ذلك أنه لا يقال لمن له شىء واحد من آله له زى حتى يكثر آله المستحسنه و أنشد ابن دريد:

أ هاجتك الطعائن يوم باتوا بذى الزى الجميل من الأثاث.

اللغه

الحتم القطع بالأمر و الحتم و الجزم و القطع بمعنى و الندى و النادى المجلس الذى قد اجتمع فيه أهله و منه دار الندوه و هى دار قصى بمكه و كانوا يجتمعون فيه للتشاور تيمنا به و قد ندوت القوم أندوهم إذا جمعهم فى مجلس و أصل الندى أنه مجلس أهل الندى و هو الكرم قال حاتم:

و دعيت في أولى الندى و لم ينظر إلى بأعين خزر

و الأثاث المتاع من الفرش و الثياب التي تزين بها واحدها أثاثه و قيل لا واحد لها و الرى ما يراه الرجل من ظاهر أحوال القوم و هو اسم للمرئى كالذبح اسم للمذبوح.

الإعراب

«وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» تقديره و ما أحد ثابت منكم فأحد مبتدأ و منكم صفة و واردها خبر و جثيا منصوب على الحال. مقاما و نديا منصوبان على التمييز «كَمْ أَهْلَكْنَا» كم نصب بأهلكتنا و التقدير كم قرنا أهلكتنا من جملة القرون فحذف المميز بدلاله الكلام عليه «فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مِدًّا» لفظه لفظ الأمر و معناه خبر و التقدير فمد له الرحمن مدا و باب الأمر و الخبر يتداخلان فكما أن قوله «وَ الْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ» تقديره فليتربصن فجعل لفظ الخبر بمعنى الأمر فكذا هاهنا جعل لفظ الأمر بمعنى الخبر و قوله «مَا يُوعَدُونَ» مفعول رأوا و «إِمَّا الْعَذَابَ وَ إِمَّا السَّعَاءَةَ» بدل من ما يوعدون و قوله «مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا» تعليق فعلى هذا يكون هو فصلا و الفصل بين كلمه الاستفهام و خبره عزيز فالأولى أن يكون من هنا بمعنى الذى و فى موضع نصب بسيعلمون و «هُوَ شَرٌّ» مبتدأ و خبر و الجملة صلته من.

المعنى

ثم بين سبحانه أحوالهم يوم الحشر فقال «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» أى ما منكم أحد إلا واردها و الهاء فى واردها راجعه إلى جهنم و اختلف العلماء فى معنى الورود على قولين (أحدهما) أن ورودها هو الوصول إليها و الإشراف عليها لا الدخول فيها و هو قول ابن مسعود و الحسن و قتاده و اختاره أبو مسلم و استدلوا على ذلك بقوله تعالى «وَ لَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسِيْقُونَ» و قوله تعالى فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ و بأنك تقول وردت بلد كذا و ماء كذا أى أشرفت عليه دخلته أو لم تدخله و فى أمثال العرب " إن ترد الماء بماء أكيس " و قال زهير:

فلما وردن الماء زرقا جمامه وضعن عصى الحاضر المتخيم

أراد فلما بلغن الماء أقمن عليه قال الزجاج: و الحجة القاطعه فى ذلك قوله سبحانه «إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا» فهذا يدل

على أن أهل الحسنى لا يدخلونها قالوا فمعناه إنهم واردون حول جهنم للمحاسبه و يدل عليه قوله «ثُمَّ لَنُخْضِرَنَّ لَهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا» ثم يدخل النار من هو أهلها و قال بعضهم معناه إنهم واردون عرصه القيامة التي تجمع كل بر و فاجر (و الآخر) أن ورودها بمعنى دخولها بدلالة قوله تعالى «فَأْوَرَدَهُمُ النَّارَ» و قوله «أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا» و هو قول ابن عباس و جابر و أكثر المفسرين و يدل عليه قوله «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا» و لم يقل و ندخل الظالمين و إنما يقال نذر و نترك للشئ الذي قد حصل في مكانه ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم إنه للمشركين خاصة و يكون قوله «وَ إِنْ مِنْكُمْ» المراد به منهم كما قال سبحانه وَ سَيَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً أَى لَهُم و روى فى الشواذ عن ابن عباس أنه قرأ و إن منهم و قال الأكثرون إنه خطاب لجميع المكلفين فلا يبقى بر و لا فاجر إلا و يدخلها فيكون بردا و سلاما على المؤمنين و عذابا لازما للكافرين

قال السدى: سألت مره الهمداني عن هذه الآية فحدثني أن عبد الله بن مسعود حدثهم عن رسول الله ص قال يرد الناس النار ثم يصدرون بأعمالهم فأولهم كلع البرق ثم كمر الريح ثم كحضر الفرس ثم كالراكب ثم كشد الرجل ثم كمشيه

و

روى أبو صالح غالب بن سليمان عن كثير بن زياد عن أبي سمينه قال: اختلفا فى الورود فقال قوم لا يدخلها مؤمن و قال آخرون يدخلونها جميعا ثم ينجى الله الذين اتقوا فلقيت جابر بن عبد الله فسألته فأومى بإصبعيه إلى أذنيه و قال صمنا إن لم أكن سمعت رسول الله ص يقول الورود الدخول لا يبقى بر و لا فاجر إلا يدخلها فتكون على المؤمنين بردا و سلاما كما كانت على إبراهيم حتى أن للنار أو قال لجهنم ضحيجا من بردها

«ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا» و

روى مرفوعا عن يعلى بن منبه عن رسول الله ص قال تقول النار للمؤمن يوم القيامة جز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبى

و

روى عن النبى ص أنه سئل عن معنى الآية فقال إن الله تعالى يجعل النار كالسمن الجامد و يجمع عليها الخلق ثم ينادى المنادى أن خذى أصحابك و ذرى أصحابى قال ص فو الذى نفسى بيده لهبى أعرف بأصحابها من الوالده بولدها

و روى عن الحسن أنه رأى رجلا يضحك فقال هل علمت أنك و هل علمت أنك خارج منها قال لا قال فبم هذا الضحك و كان الحسن لم ير ضاحكا قط حتى مات و قيل أن الفائدة فى ذلك ما

روى فى بعض الأخبار أن الله تعالى لا يدخل أحدا الجنة حتى يطلع على النار و ما فيها من العذاب ليعلم تمام فضل الله عليه و كمال لطفه و إحسانه إليه فيزداد لذلك فرحا و سرورا بالجنة و نعيمها و لا يدخل أحد النار حتى يطلع على الجنة و ما فيها من أنواع النعيم و الثواب ليكون ذلك زيادة عقوبه له حسره على ما فاته من الجنة و نعيمها

و قال مجاهد: الحمى

حظ كل مؤمن من النار ثم قرأ «وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا» فعلى هذا من حم من المؤمنين فقد ورد لها و

قد ورد في الخبر أن الحمى من قيح جهنم

و

روى أن رسول الله ص عاد مريضاً فقال أبشر إن الله عز وجل يقول الحمى هي نارى أسلطها على عبدى المؤمن فى الدنيا لتكون حظه من النار

وقوله «كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا» أى كائنا واقعا لا محاله قد قضى بأنه يكون و على كلمه وجوب فمعناه أوجب الله ذلك على نفسه و فيه دلالة على أنه يجب عليه سبحانه أشياء من طريق الحكمة خلافا لم يذهب إليه أهل الجبر «ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا» الشرك و صدقوا عن ابن عباس «وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ» أى و نقر المشركين و الكفار على حالهم «فِيهَا» أى فى جهنم «جِثِّيًّا» أى باركين على ركبهم و قيل جماعات على ما مر تفسيره و قيل المراد بالظالمين كل ظالم و عاص ثم قال سبحانه «وَ إِذَا تَتَلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ» و معناه و إذا يتلى على الكافرين آياتنا المنزلة فى القرآن ظاهرات الحجج و الأدله يمكن تفهم معانيها «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا» أى قال الذين جحدوا وحدانيه الله و كذبوا أنبياءه للذين صدقوا بذلك مستفهمين لهم و غرضهم الإنكار أى الفريقتين أى نحن أم أنتم خير منزلا- و مسكنا أى موضع إقامه «وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا» أى مجلسا و إنما تفاخروا بالمال و زينه الدنيا و لم يتفكروا فى العاقبه و لبسوا على الضعفه بأن من كان ذا مال فى الدنيا فكذلك يكون فى الآخرة ثم نبههم سبحانه على فساد هذا الاعتقاد بأن قال «وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَنْثَاءً وَ رِءْيَاءً» قال ابن عباس: الأناث المتاع و زينه الدنيا و الرئى المنظر و الهياه و المعنى أن الله تعالى قد أهلك قبلهم أمما و جماعات كانوا أكثر أموالا و أحسن منظرا منهم فأهلك أموالهم و أفسد عليهم صورهم و لم تغن عنهم أموالهم و لا- جمالهم كذلك لا- يغنى عن هؤلاء و قيل إن المعنى بالآيه النضر بن الحارث و ذووه و كانوا يرجلون شعورهم و يلبسون خز ثيابهم و يفتخرون بشارتهم و هياتهم على أصحاب النبى ص ثم قال سبحانه لنبيه ص «قُلْ» يا محمد «مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ» عن الحق و العدول عن اتباعه «فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا» هذا لفظ أمر معناه الخبر و تأويله أن الله سبحانه جعل جزاء ضلالته أن يمد له بأن يتركه فيها كما قال «وَ نَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ» إلا- أن لفظ الأمر يؤكد معنى الخبر فكأن المتكلم يقول أفعل ذلك و أمر نفسى به فالمعنى فليعش ما شاء و أضاف ذلك إلى نفسه لأنه سبحانه يبقيه فى الدنيا أى فليعش ما شاء الله من السنين و الأعوام فإنه لا ينفعه طول عمره «حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ» أى عذاب الاستئصال عن الأصبم و قيل عذاب وقت البأس و قيل عذاب القبر و قيل عذاب السيف «وَ إِمَّا السَّاعَةَ» أى القيامة و عذاب النار «فَسَيَعْلَمُونَ» حين يرون العذاب «مَنْ هُوَ شَرُّ مَكَانًا» أى أ هم أم المؤمنون لأن مكانهم جهنم و مكان

المؤمنين الجنة «وَأَضَعُ جُنْدًا» أى و يعلمون أ جندهم أضعف أم جند النبي ص و المسلمين و هذا رد لقولهم «أَيُّ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَ أَحْسَنُ نَدِيًّا».

[سوره مريم (١٩): الآيات ٧٦ الى ٨٢]

اشاره

وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ مَرَدًّا (٧٦) أَمْ فَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَ قَالَ لَأُوتِينَ مَالًا وَ وَلَدًا (٧٧) أَطَّلَعَ الْغَيْبَ أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٧٨) كَلَّا سَيَنْكُتُ مَا يَقُولُ وَ نَعِيدُ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا (٧٩) وَ نَرِيئُهُ مَا يَقُولُ وَ يُأْتِينَا فَزْدًا (٨٠)

وَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا (٨١) كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَ يَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا (٨٢)

القراءه

قرأ حمزه و الكسائي ولدا بضم الواو و سكون اللام فى هذه السوره أربعه مواضع و فى الزخرف أن كان للرحمن ولد و فى نوح و ولده فهذه سته مواضع وقرأ أهل البصره و ابن كثير و خلف فى سوره نوح بالضم فقط وقرأ الباقون بفتح الواو و اللام فى جميع القرآن.

الحجه

قال الفراء: من أمثال بنى أسد " ولدك من دمي عقبيك " قال و كان معاذ الحرشى يقول: لا يكون الولد إلا جمعا و هذا واحد يعنى الذى فى المثل و أنشد:

فليت فلانا كان فى بطن أمه و ليت فلانا كان ولد حمار

قال أبو على: يجوز أن يكون جمعا كأسد و أسد و يجوز أن يكون واحدا فيكون ولد و ولد كحزن و حزن و عرب و عرب فلا يكون كقول معاذ أنه لا يكون إلا جمعا و ما أنشده الفراء من قوله:

" و ليت فلانا كان ولد حمار "

يدل على أنه واحد ليس بجمع فهو مثل الفلك الذى يكون

الإعراب

«أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتِيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا» الموصول هو المفعول الأول لرأيت والاستفهام فى موضع المفعول الثانى و هو قوله تعالى «أَطَّلَعَ الْغَيْبَ» الآيه قال الزجاج: كلا زجر و ردع و تنبيه أى هذا مما يرتدع به و ينبه على وجه الضلاله فيه و قال الفراء:

يكون صله لما بعدها كقولك كلا و رب الكعبه و قال أبو حاتم: جاءت فى القرآن على وجهين بمعنى لا يكون ذلك و بمعنى إلا التى للتنبيه و جاءت فى مواضع متوجهه على التأويلين و يدل على ذلك أنها قد تكون مبتدأه مثل قوله عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ثم ابتداء كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى قال الأعشى:

كلا زعمتم بأنا لا نقاتلكم إنا لأمثالكم يا قومنا قتل

و قال أبو العباس: لا يوقف على كلا لأنها جواب و الفائده تقع فيما بعدها و قيل يجوز الوقف عليه و من مشكلات الوقف فى القرآن الوقف على كلا و قد قسمه القرآن على أربعة أقسام (أحدها) ما يحسن الوقف عليه و يحسن الابتداء به (و الثانى) يحسن الوقف عليه و لا يحسن الابتداء به (و الثالث) يحسن الابتداء به و لا يحسن الوقف عليه (و الرابع) لا يحسن الوقف عليه و لا الابتداء به و هو فى القرآن فى ثلاثه و ثلاثين موضعا و ليس فى النصف الأول شىء منه فأما القسم الأول و هو ما يحسن الوقف عليه و الابتداء به فعشره مواضع قوله «أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا كَلَّا» و قوله «لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا كَلَّا» و قوله تعالى «لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا» و قوله الَّذِينَ أَحَقَّتْ بِهِ شُرَكَاءُ كَلَّا و قوله ثُمَّ يُنْجِيهِ كَلَّا و قوله أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ كَلَّا و قوله أَنْ أَزِيدَ كَلَّا و قوله صُيْحَفًا مُنَشَّرَةً كَلَّا و قوله رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا و قوله أَنْ مَالَهُ أَخْلَمَدَهُ كَلَّا فمن جعل كلا فى هذه المواضع ردا للأول بمعنى لا ليس الأمر كذلك وقف عليه و من جعله بمعنى إلا التى للتنبيه أو بمعنى حقا ابتداء به و هو يحتمل الوجهين فى هذه المواضع (و أما الثانى) و هو ما يحسن الوقف عليه و لا يحسن الابتداء به فموضعان قوله فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ قَالَ كَلَّا و قوله إِنَّا لَمِيدْرَكُونَ قَالَ كَلَّا (و أما الثالث) و هو ما يحسن الابتداء به و لا يحسن الوقف عليه فتسعه عشر موضعا قوله كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ كَلَّا وَ الْقَمَرِ كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ كَلَّا بَلْ تُكْذِبُونَ بِالَّذِينَ كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ كَلَّا لَا وَزَرَ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ* كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَارِ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِيَطْغَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ كَلَّا لَا تَطْعُهُ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ. يحسن الابتداء بكلا فى هذه المواضع و لا يحسن الوقف عليه لأنه

ليس بمعنى الرد للأول و قال بعضهم إنه يحسن الوقف على كلا في جميع القرآن لأنه بمعنى انتبه إلا في موضع واحد و هو قوله كَلَّا وَ الْقَمَرِ لِأَنَّهُ مَوْصُولٌ بِالْيَمِينِ بِمَنْزِلِهِ قَوْلُهُ أَيْ وَ رَبِّي وَ أَمَّا (الرابع) فموضعان ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا يَحْسَنُ الْوَقْفَ عَلَى ثَمَّ لِأَنَّهُ حَرْفٌ عَطْفٌ وَ لَا عَلَى كَلَّا لِأَنَّ الْفَائِدَةَ فِيمَا بَعْدَ هَذَيْنِ الْحَرْفَيْنِ.

النزول

روى فى الصحيح عن خباب بن الأمرت قال كنت رجلا غنيا و كان لى على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لى لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ص فقلت لن أكفر به حتى تموت و تبعث قال فإنى لمبعوث بعد الموت فسوف أقضيك دينك إذا رجعت إلى مال و ولد قال فنزلت الآية «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا».

المعنى

ثم بين سبحانه حال المؤمن فقال سبحانه «وَ يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى» قيل معناه و يزيد الله الذين اهتدوا بالمنسوخ هدى بالناسخ عن مقاتل و قيل يزيدهم هدى بالمعونه على طاعاته و التوفيق لابتغاء مرضاته و هو ما يفتحه لهم من الدلالات و ما يفعله بهم من الألفاظ المقربة من الحسنات «وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا» قد مر تفسيره فى سورة الكهف و جملته أن الأعمال الصالحة التى تبقى ببقاء ثوابها و تنفع صاحبها فى الدنيا و الآخرة خير ثوابا من مقامات الكفارات التى يفتخرون بها كل الافتخار «وَ خَيْرٌ مَرَدًّا» أى خير عاقبه و منفعه يقال هذا الشىء أرد عليك أى أنفع و أعود عليك لأن العمل الصالح ذاهب عنه بفقده له فيرده الله تعالى عليه برد ثوابه إليه حتى يجده فى نفسه «أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا» أفرأيت كلمه تعجيب و معناه أ رأيت هذا الكافر الذى كفر بأدلتنا من القرآن و غيره و هو العاص بن وائل عن ابن عباس و مجاهد و قيل الوليد بن المغيرة عن الحسن و قيل هو عام فيمن له هذه الصفة عن أبى مسلم «وَ قَالَ لَأُوْتِينَ مَالًا وَ وَلَدًا» استهزاء أى لأعطين مالا و ولدا فى الجنة عن الكلبي و قيل أعطى فى الدنيا أى إن أقمت على دين آبائى و عباده آلهتى أعطيت مالا و ولدا «أَطَّلَعَ الْغَيْبِ» هذه همزة الاستفهام دخلت على همزة الوصل فسقطت همزة الوصل و معناه أعلم الغيب حتى يعلم أ هو فى الجنة أم لا عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه أنظر فى اللوح المحفوظ عن الكلبي و تأويله أشرف على علم الغيب حتى علم أنه سنؤتیه مالا و ولدا و أنه إن بعث رزق مالا و ولدا «أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» أى اتخذ عند الله عهدا بعمل صالح قدمه عن قتاده و قيل معناه أم عهد الله إليه أنه يدخل الجنة عن الكلبي و قيل معناه أم قال لا- إله إلا- الله فيرحمه الله بها عن ابن عباس «كَلَّا» أى ليس الأمر على ما قال من أنه يؤتى المال و الولد و يجوز أن يكون المعنى كلا إنه لم يطلع الغيب و لم يتخذ عند الله عهدا

ص: ٤٠١

«سَيَنْكُتُبُ مَا يَقُولُ» أى سنأمر الحفظه بإثباته عليه لنجازه به فى الآخرة و نوافقه عليه «وَأَنْمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا» أى نصل له بعض العذاب بالبعض و نزيده عذابا فوق العذاب فلا ينقطع عذابه أبدا و أكد الفعل بالمصدر كما يؤكد بالتكرير «وَأَنْرِثُهُ مَا يَقُولُ» أى ما عنده من المال و الولد يهلا كنا إياه و إبطال ملكه عن ابن عباس و قتاده و ابن زيد «وَأَيُّتِنَا فَرْدًا» أى يأتى الآخرة وحيدا بلا مال و لا ولد و لا عده و لا عدد «وَأَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً» يعنى أن هؤلاء الكفار الذين وصفتهم اتخذوا آلهه أى أصناما عبدوها «لِيَكُونُوا لَهُمْ عَزًّا» أى ليكونوا لهم شفعاء فى الآخرة عن الفراء و هذا معنى قول ابن عباس ليمنعوهم منى و ذلك أنهم رجوا منها الشفاعة و النصره و المراد ليصيروا بهم إلى العز قال الله سبحانه «كَلَّا» أى ليس الأمر كما ظنوا بل صاروا بهم إلى الذل و العذاب «سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ» أى سيحجدون بأن يكونوا عبدوها و يتبرءون منها لما يشاهدون من سوء عاقبه أمرهم و يقولون «وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ» و قيل معناه أن المعبودين سيكفرون بعباده المشركين لها و يكذبونهم فيها كما قال حكايه عنهم تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ عَنِ الْجَبَائِي «وَأَيُّتِنَا فَرْدًا» قال الأخفش: الضد يكون واحدا و جمعا كالرسول و العدو و معناه و يكونون عوننا عليهم و أعداء لهم يخاصمونهم و يكذبونهم و قيل و يكونون قرناء لهم فى النار و يلعنونهم و يتبرءون منهم عن قتاده و قيل و يكونون أعداءهم يوم القيامة و كانوا فى الدنيا أولياءهم عن القتيبي.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٨٣ الى ٩٢]

اشاره

أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا (٨٣) فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا (٨٤) يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا (٨٥) وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثَةً (٨٦) لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا (٨٧) وَ قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرُونَ مِنْهُ وَ تَشَقُّ الْأَرْضُ وَ تَخْرُ الْجِبَالُ هَرْدًا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا (٩١) وَ مَا يَتَّبِعَى لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢)

ص: ٤٠٢

فى الشواذ روايه قتاده عن الحسن يحشر المتقون و يساق المجرمون قال فقلت إنها بالنون يا أبا سعيد قال و هى للمتقين إذا و قراءه السلمى شيئاً أدا بفتح الهمزه و قرأ أبو جعفر و ابن كثير و حفص «تَكَادُ» بالتاء «يَتَفَطَّرُونَ» بالتاء و فتح الطاء مشدده و فى عسق و مثله و قرأ نافع و الكسائى «يكاد» بالياء «يَتَفَطَّرُونَ» فى السورتين و قرأ أبو عمرو و أبو بكر و هبيرة عن حفص و يعقوب «تَكَادُ» بالتاء ينفطرن بالياء و النون و كسر الطاء فى السورتين و قرأ ابن عامر و حمزه و خلف هاهنا «تَكَادُ» بالتاء ينفطرن بالنون مثل أبى عمرو و فى عسق تَكَادُ بالتاء يَتَفَطَّرُونَ بالتاء أيضا.

الحجه

حجه من قرأ يحشر و يساق قوله تعالى «و سِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا» و الأد بالفتح القوه قال:

" نضوت عنى شره و أدا "

فعلى هذا يمكن أن يكون المعنى لقد جئتم شيئاً أد أى ذا قوه و إن شئت وصفته بالمصدر كقولهم رجل عدل و ضيف و الانفطار مطاوعه الفطر يقال فطره فانفطر و التفطر مطاوعه التفطير يقال فطرته فتفطر و كأنه ألقى بهذا الموضع لما فيه من معنى المبالغه و تكرير الفعل و ذهب أبو الحسن فى معنى قوله «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ» إلى أن معنى تكاد تريد و كذلك قال فى قوله كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ أَى أردنا له و أنشد:

كادت و كدت و تلك خير إراده لو عاد من ذكر الصبايه ما مضى

و كذلك قوله فى أكادُ أخفيها أى أريد أخفيها و على هذا فسر غيره قول الأوفه:

فإن تجمع أوتاد و أعمده و ساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

أى أرادوا قال: المعنى يردن لا أنهم ينفطرن و لا يدنون من ذلك و لكن من هممن به إعظاماً لقول المشركين و لا يكون على من هم بالشىء أن يدنو منه ألا ترى أن رجلاً لو أراد أن ينال السماء لم يذن من ذلك و قد كانت منه إرادته و قد قال بعض المتأولين فى قوله تكاد السماوات ينفطرن منه هدا مثل كانت العرب إذا سمعت كذباً أو منكراً تعاضته و عظمته بالمثل الذى عندها عظيماً فقالت: كادت الأرض تنشق و أظلم على ما بين السماء و الأرض فلما افتروا على الله الكذب ضرب مثل كذبهم بأهول الأشياء و أعظمها قال أبو على: و مما يقرب من هذا قول الشاعر:

ألم تر صدعا فى السماء ميينا على ابن ليينى الحارث بن هشام

و قول الآخر:

و أصبح بطن مكة مقشعرا كان الأرض ليس بها هشام

و قال الآخر:

لما أتى خبر الزبير تواضعت سور المدينة و الجبال الخشع.

اللغة

الأز الإزعاج إلى الأمر يقال أزه يأزه أزا و أزيزا إذا هزه بالإزعاج إلى أمر من الأمور و أزت القدر أزيزا إذا غلت و منه

الحديث أنه كان يصلى و أزيز جوفه كأزيز المرجل من البكاء

و أززت الشىء إلى الشىء ضمته إليه و الوفد جمع وافد و قد يجمع وفودا أيضا وفد يفد وفدا و أوفد على الشىء أشرف عليه و السوق الحث على السير ساقه يسوقه سوقا و منه الساق لاستمرار السير بها أو لأن القدم يسوقها و منه السوق لأنه يساق بها البيع و الشرى شيئا بعد شىء و الورد الجماعه التى ترد الماء يقال ورد الماء يرد وردا و الإد الأمر العظيم قال الراجز:

قد لقي الأعداء منى نكرا داهيه دهياء إذا إمرا

و الانفطار الانشقاق و التفطر التشقق و الهد الهدم بشده صوت.

الإعراب

«تَوَزُّهُمُ» جملة فى موضع الحال و مفعول «نَعَيْدُ لَهُمُ» محذوف و التقدير نعد أعمالهم عدا و يوم نحشر ظرف قوله «نَعْدُ لَهُمُ» و يجوز أن ينتصب بقوله «لَا-يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ» أى لا يملكون فى ذلك اليوم وفدا منصوب على الحال من المتقين أى وافدين و وردا كذلك أى واردين «إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ» هو موصول و صله فى موضع رفع لأنه بدل من الواو فى يملكون و يجوز أن يكون فى محل النصب لأنه استثناء منقطع فإن من اتخذ عند الرحمن عهدا لا يكون من المجرمين و قوله «تَنْشَقُّ الْأَرْضُ» جملة معطوفة على الجملة التى قبلها و تقديره و تكاد الأرض تنشق و الجبال تخر و هذا منصوب على المصدر فى المعنى تقديره تخر خرورا و تهد هدا و يجوز أن يكون فى موضع الحال و أن دعوا مفعول له و التقدير لأن دعوا أى لأجل ذلك.

المعنى

ثم خاطب سبحانه نبيه ص فقال «أَلَمْ تَرَ» يا محمد «أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ» أى خلىنا بينهم و بين الشياطين إذا وسوسوا إليهم و دعوهم إلى الضلال حتى أغوهم و لم نحل بينهم و بينهم بالإلجاء و لا-بالمنع و عبر عن ذلك بالإرسال على سبيل المجاز و التوسع كما يقال لمن خلى بين الكلب و غيره أرسل كلبه عليه عن الجبائى و قيل معناه سلطانهم عليهم و يكون فى معنى التخليه أيضا على ما ذكرناه «تَوَزُّهُمُ أَزًّا» أى

تزعجهم إزعاجاً من الطاعة إلى المعصية عن ابن عباس وقيل تغريهم إغراء بالشر تقول امض امض فى هذا الأمر حتى توقعهم فى النار عن سعيد بن جبیر «فلا تعجل عليهم إنما نعدُّ لهم عدًّا» معناه فلتطب نفسك يا محمد ولا تستعجل لهم العذاب فإن مده بقائهم قليلة فإننا نعد لهم الأيام والسنين وما دخل تحت العد فكان قد نفذ وقيل معناه نعد أنفاسهم فى الدنيا فهى معدودة إلى الأجل الذى أجلناه لعذابهم عن ابن عباس وهذا من أبلغ الوعيد وقيل معناه نعد أعمالهم على ما ذكرناه قبل «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفِدًا» أى اذكر لهم يا محمد اليوم الذى نجمع فيه من اتقى الله فى الدنيا بطاعته واجتنب معاصيه إلى الرحمن أى إلى جنته ودار كرامته وفوداً وجماعات عن الأخفش و

قيل ركبانا يؤتون بنوق لم ير مثلها عليها رحائل الذهب و أزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة عن أمير المؤمنين (عليه السلام)

و ابن عباس «و نَشِوُقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِدًا» أى ونحت المجرمين على المسير إلى جهنم عطاشاً كالإبل التى ترد عطاشاً مشاه على أرجلهم عن ابن عباس والحسن و قتاده و سمي العطاش ورداً لأنهم يردون لطلب الماء وقيل الورد النصيب أى هم نصيب جهنم من الفريقين و المؤمنون نصيب الجنة عن أبى مسلم «لا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ» أى لا يقدرُونَ على الشفاعة فلا يشفعون ولا يشفع لهم حين يشفع أهل الإيمان بعضهم لبعض لأن ملك الشفاعة على وجهين (أحدهما) أن يشفع للغير (و الآخر) أن يستدعى الشفاعة من غيره لنفسه فيبين سبحانه أن هؤلاء الكفار لا تنفذ شفاعة غيرهم فيهم ولا شفاعة لهم لغيرهم ثم استثنى سبحانه فقال «إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» أى لا يملكون الشفاعة إلا هؤلاء وقيل لا يشفع إلا هؤلاء والعهد هو الإيمان والإقرار بوحدانية الله تعالى و تصديق أنبيائه وقيل هو شهادته أن لا إله إلا الله و أن يتبرأ إلى الله من الحول والقوه ولا يرجو إلا الله عن ابن عباس وقيل معناه لا يشفع إلا من وعد له الرحمن بإطلاق الشفاعة كالأنبياء والشهداء والعلماء و المؤمنين على ما ورد به الأخبار و

قال على بن إبراهيم بن هاشم فى تفسيره حدثنى أبى عن الحسن بن محبوب عن سليمان بن جعفر عن أبى عبد الله (عليه السلام) عن أبيه عن آباءه (عليه السلام) قال قال رسول الله ص من لم يحسن وصيته عند الموت كان نقصاً فى مروءته قيل يا رسول الله و كيف يوصى الميت قال إذا حضرته وفاته واجتمع الناس إليه قال اللهم فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم إني أعهد إليك فى دار الدنيا أنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك و أن محمداً ص عبدك و رسولك و أن الجنة حق و أن النار حق و أن البعث حق و الحساب حق و القدر و الميزان حق و أن الدين كما وصفت و أن الإسلام كما شرعت و أن القول كما حدثت و أن القرآن كما أنزلت و أنك أنت الله الحق المبين جزى الله محمداً عنا خير

الجزاء و حيا الله محمدا و آله بالسلام اللهم باعدنى عند كربتى و يا صاحبى عند شدتى و يا ولى نعمتى و إلهى و إله آبائى لا تكلمنى إلى نفسى طرفه عين فإنك إن تكلمنى إلى نفسى أقرب من الشر و أبعد من الخير و آنس فى القبر و حشتى و اجعل له عهدا يوم ألقاك منشورا ثم يوصى بحاجته و تصديق هذه الوصيه فى سورة مريم فى قوله «لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا» فهذا عهد الميت و الوصيه حق على كل مسلم و حق عليه أن يحفظ هذه الوصيه و يعلمها و قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) علمنيها رسول الله ص و قال علمنيها جبرائيل (عليه السلام)

«وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا» هذا إخبار عن اليهود و النصارى و مشركى العرب فإن اليهود قالوا: عزيز ابن الله و قالت النصارى: المسيح ابن الله و قال مشركو العرب: الملائكه بنات الله «لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا» هاهنا حذف تقديره قل لهم يا محمد لقد جئتم بشىء منكر عظيم شنيع فظيع فلما حذف الباء وصل الفعل إليه فنصبه «تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ» أى أرادت السماوات أن تنشق لعظم فريتهم إعظاما لقولهم و معناه لو انشقت السماوات بشىء عظيم لكانت تنشق من هذا «وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ» أى و كادت الأرض تنشق «وَتَخِرُّ الْجِبَالُ» أى كادت الجبال تسقط «هَيْدًا» أى كسرا شديدا عن ابن عباس و قيل هدماء عن عطاء «أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا» أى لأن دعوا للرحمن ولدا أو من دعوا للرحمن ولدا أى بسبب دعوتهم أو تسميتهم له ولدا «وَمَا يَتَّبِعِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا» أى ما يصلح للرحمن و لا يليق به اتخاذ الولد و ليس من صفته ذلك لأن إثبات الولد له يقتضى حدوثه و خروجه من صفة الإلهيه و اتخاذ الولد يدل على الحاجه تعالى عن ذلك و تقدس.

[سوره مريم (١٩): الآيات ٩٣ الى ٩٨]

اشاره

إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا (٩٣) لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا (٩٤) وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا (٩٥) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (٩٦) فَإِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا (٩٧)

وَ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا (٩٨)

ص: ٤٠٦

اللدد شدة الخصومه و فى التنزيل أَلدُّ الْخِصَامِ أى أشد الخصام خصومه و جمع الألد لد قال الشاعر:

إن تحت الأشجار حزما و عزما و خصيما ألد ذا معلاق

أى شديد الخصومه و الرکز الصوت الخفى و أصل الرکز الحس و منه الرکاز لأنه يحس به مال من تقدم بالكشف عنه قال ذو الرمه:

و قد توجس ركزا من سناكبها أو كان صاحب أرض أو به الموم

الأرض الرعه و الموم البرسام و أصل الإحساس الإدراك بالحاسه.

الإعراب

كل مبتدأ و من فى موضع خبر و الجار و المجرور من صلته و «آتى الرَّحْمَنِ» فى موضع رفع خبر كل و هو مضاف إلى المفعول و وحد كلا على اللفظ و عبدا فى موضع الحال من الضمير من أتى و «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» من الأولى يتعلق بتحس و الثانيه مزيده و يجوز أن يكون تقديره هل تحس أحدا منهم و يكون منهم فى موضع الصفه لأحد فلما قدم على الموصوف انتصب على الحال.

المعنى

ثم قال سبحانه «إِنَّ كُلَّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا» أى ما كل من فى السماوات و الأرض من الملائكه و الإنس و الجن إلا و يأتي الله سبحانه عبدا مملوكا خاضعا ذليلا و مثله قوله وَ كُلُّ أَتْوَاهُ دَاخِرِينَ و المعنى أن الخلق عبيده خلقهم و رباهم و جرى عليهم حكمه و أن عيسى و عزيرا و الملائكه من جمله العبيد و فى هذا دلالة على أن البنوه و العبوديه لا يجتمعان و أنه إذا ملك الإنسان ابنه عتق عليه «لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا» أى علم تفاصيلهم و أعدادهم فكأنه سبحانه عددهم إذ لا يخفى عليه شىء من أحوالهم «وَ كُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا» أى كل واحد منهم يأتي المحشر و الذى لا يملك الأمر فيه إلا الله فردا وحيدا مفردا ليس له مال و لا ولد و لا ناصر مشغولا بنفسه لا يهمله هم غيره ثم ذكر سبحانه المؤمنين فقال «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا» قيل فيه أقوال (أحدها) أنها خاصه فى على بن أبى طالب (عليه السلام) فما من مؤمن إلا و فى قلبه محبه لعلى (عليه السلام) عن ابن عباس و

فى تفسير أبى حمزه الثمالى حدثنى أبو جعفر الباقر (عليه السلام) قال قال رسول الله ص لعلى (عليه السلام) قل اللهم اجعل لى عندك عهدا و اجعل لى فى قلوب المؤمنين ودا فقالهما على (عليه السلام) فنزلت هذه الآيه و روى

(و الثاني) أنها عامه في جميع المؤمنين يجعل الله لهم المحبه والألفه و المقه في قلوب الصالحين قال هرم بن حبان: ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقهم مودتهم و رحمتهم و محبتهم و قال الربيع بن أنس:

إن الله إذا أحب مؤمنا قال لجبرائيل إني أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادى في السماء ألا إن الله أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له قبول في أهل الأرض فعلى هذا يكون المعنى يحبهم الله و يحبهم إلى الناس (و الثالث) أن معناه يجعل الله لهم محبه في قلوب أعدائهم و مخالفيهم ليدخلوا في دينهم و يعتزوا بهم (الرابع) يجعل بعضهم يحب بعضا فيكون كل واحد منهم عضدا لأخيه المؤمن و يكونون يدا واحده على من خالفهم (و الخامس) أن معناه سيجعل لهم ودا في الآخرة فيحب بعضهم بعضا كمحبه الوالد لولده و في ذلك أعظم السرور و أتم النعمه عن الجبائي و يؤيد القول الأول ما

صح عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على أن يبغضني ما أبغضني و لو صببت الدنيا بجملتها على المنافق على أن يحبني ما أحبني و ذلك أنه قضى فانقضى على لسان النبي الأمي أنه قال لا يبغضك مؤمن و لا يحبك منافق

ثم قال سبحانه لنبيه ص «فَأِنَّمَا يَسْرِنَاهُ بِلِسَانِكَ» أي يسرنا القرآن بأن أنزلناه بلسانك و هي لغة العرب ليسهل عليهم معرفته و لو كان بلسان آخر ما عرفوه عن أبي مسلم و قيل معناه يسرناه قراءه القرآن على لسانك و مكناك من قراءته عن الجبائي «لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ» أي لتبشر بالقرآن الذين يتقون الشرك و الكبائر أي تخبرهم بما تسرهم مما أعده الله لهم «و تَنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا» أي شدادا في الخصومه عن ابن عباس يعني قريشا و قيل قوما ذوى جدل مخاصمين عن قتاده ثم أنذرهم سبحانه و خوفهم بقوله «و كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ» أي قبل هؤلاء من قرن مكذبين للرسول و فيه تسليه للنبي ص و المعنى لا يهمنك كفرهم و شقاقهم فإن وبال ذلك راجع إليهم و قد أهلكنا قبلهم من كان مثلهم «هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ» أي هل تبصر منهم أحدا «أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا» أي صوتا عن ابن عباس و قتاده و قيل حسا عن ابن زيد و المعنى أنهم ذهبوا فلا يرى لهم عين و لا يسمع لهم صوت و كانوا أكثر أموالا و أعظم أجساما و أشد خصاما من هؤلاء فلم يغنهم ذلك لما أردنا إهلاكهم فحكم هؤلاء الكفار حكم أولئك في أنه لا يبقى منهم عين و لا أثر و الحمد لله رب العالمين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ٩

المقدمة:

تأسس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ١٤٢٦ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلّة المراكز القائمية بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقديم المؤسسة مجاناً مجموعةً إلكترونيةً من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها. وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدةً على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبي عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصاً الشباب على دراسة أدق في المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين في الحوزات العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات إلكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتناب عن الروتين وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ في نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات في مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما في الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمة الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة (sms)

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

JAVA.١

ANDROID.٢

EPUB.٣

CHM.٤

PDF.٥

HTML.٦

CHM.٧

GHB.٨

إعداد ٤ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمة ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

ANDROID.١

IOS.٢

WINDOWS PHONE.٣

WINDOWS.٤

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتاب وكل من قدم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب في طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

